

الْفَوْضُ الْكَاشِيَانِ

كِتَابُ الصَّبَاحِ فِي
تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

①

تأليف الشيخ العلامة

THE UNIVERSITY OF CHICAGO
LIBRARY
540 EAST 57TH STREET
CHICAGO, ILL. 60637

1968

1968

1968

1968

کتاب الصیافی

یہ

تفسیر القرآن

الجزء الأول

تأليف

العارف الحاکم والمحدث الفقیہ

محمد بن الرضی المرفی

بالمولیٰ محسن الکاشانی (ر)

۱۰۰۷-۱۰۹۱ھ

تحقیق

السید محسن الدینی



﴿الجزء الأول﴾

※ هوية الكتاب:

※ اسم الكتاب: كتاب الصافي في تفسير القرآن.

※ المؤلف: العارف الحكيم والمحدث الفقيه محمد بن مرتضى

المدعوب «المولى محسن» الملقب بالفيض الكاشاني.

※ تحقيق: العلامة السيد محسن الحسيني الأميني.

※ الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٣٧٧ ش.

※ المطبعة: المروى

※ الكمية: ٢٠٠٠

※ الناشر: دار الكتب الإسلامية - إيران - طهران - بازار سلطاني رقم ٩٩

※ تلفون: ٥٦٢٧٤٤٩ - ٥٦٢٠٤١٠ فاكس: ٣٩١٦٩٤٤

※ شابك الجزء الأول: ٠٨٠ - ٤٤٠ - ٩٦٤. ISBN: 964 - 440 - 080.

※ شابك الدورة الكاملة سبعة أجزاء: ٩ - ٠٨٧ - ٤٤٠ - ٩٦٤

ISBN - SFT: 964 - 440 - 087 - 9 VOL: 7.

مقدمة المحقق:



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل بريته، وأشرف خلقه، وخاتم
رسله، محمد وعترته الطيبين الأخيار الطاهرين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس
وطهرهم تطهيراً.

وبعد:

لما فرغت بعون الله تعالى من تحقيق كتاب - المراسم العلوية وكتاب المحاسن - وفقني
الله (جل وعلا) للسفر إلى الهند في مطلع عام ١٤١٢ هـ لاستطلاع وضع الحوزات العلمية
المباركة، في بعض المحافظات والمدن هناك، وإنشاء مكتب ديني ثقافي للبحث والتحقيق
والتدريس في مدينة بومباي، وإيجاد مراكز عديدة لقضاء حوائج المسلمين بصورة عامة.
وإنجاز عدد آخر من المشاريع الهامة، بالإضافة إلى الإطلاع على المخطوطات القديمة القيمة في
بعض المكتبات المهجورة والعامة.

وبعد مضي تسعة أشهر تقريباً على الإقامة في الهند رمت السفر إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، وزيارة قبر رسول الله ﷺ وقبور الأئمة الأطهار عليهم السلام في البقيع، عن طريق إيران حاملاً معي نسخاً مصوّرة لعدد من المخطوطات القيّمة، واضعاً إياها في عداد قائمة التحقيق.

وبعد العودة من الحج، وبذل الجهد الحثيث لاتمام الجزء الاول من طباعة كتابنا «فهارس مرآة العقول» رأيت من الأحرى البدء بتحقيق كتاب الصافي في تفسير القرآن للعارف الحكيم والفيلسوف الكبير والمحدث الفقيه العلامة الفيض الكاشاني المدعو بـ«ملاً محسن» رحمه الله.

وهذا الكتاب وإن تقدّم بتصحيحه الحجة الميرزا حسن الحسيني اللواساني النجفي - شكر الله مساعيه - بيد أنه لا يخلو من بعض الملاحظات الهامة في كيفة التحقيق والتصحيح، مضافاً إلى عدم إستخراج مصادرها وصعوبة العثور على بعضها لندرتها، أو لكونها لا تزال في عداد المخطوطات ممّا أوجب مزيداً من بذل الجهد الحثيث للعثور عليها والدقة في التصحيح والتعليق.

وقبل كل شيء رأينا من الأفضل أن نقدم نبذة يسيرة عن حياة المؤلف رحمه الله ليكون القارئ الكريم على إمام بشخصيته الفذة.

حياة المؤلف

- ١ - اسمه ونسبه
- ٢ - اسرته الكريمة
- ٣ - ولادته ونشأته
- ٤ - الشناء عليه
- ٥ - اساتذته ومشايخه
- ٦ - تلامذته والراون عنه
- ٧ - آثاره العلمیّة
- ٨ - وفاته ومدفنه

١- اسمه ونسبه:

هو محمد بن مرتضى، بن محمود، المدعو بالمولى محسن الكاشاني، الملقَّب بالفيض. أحد الفحول، وفخر أهل المعقول، والمنقول، وأحد أقطاب العلم وأساطينه، وقد ورد في ترجمته في كتب التراجم تارة باسمه بنحو ما أثبتناه كما ورد في رياض العلماء^(١).

وأخرى بشهرته «محسن» كما قال صاحب مستدرك الوسائل: من مشايخ العلامة المجلسي: العالم، الفاضل، المتبحر، المحدث، العارف، الحكيم، المولى، محسن بن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني^(٢).

وورد في جامع الرواة: محسن بن مرتضى الكاشي رحمته الله العلامة المحقق المدقق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة^(٣).

وجاء في عنوان روضات الجنات تحت رقم ٥٦٥: العلم القاشي، والعالم الأقراشي، مولانا الفاضل الكامل المؤيد المسدد، محسن بن الشاه مرتضى، بن الشاه محمود، المشتهر بالفيض الكاشي^(٤) بيد أنه كان يعتقد أن اسمه «محمد» حيث يقول: اسمه كما يظهر من تقارير نفسه «محمد»^(٥).

٢- مستدرك الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٤- روضات الجنات: ج ٦، ص ٧٩.

١- رياض العلماء: ج ٥، ص ١٨٠.

٣- جامع الرواة: ج ٢، ص ٤٢.

٥- روضات الجنات: ج ٦، ص ٧٩.

وذكر في مورد آخر: أنه رأى على ظهر نسخة عتيقة من كتاب الصافي ماصورته: قبض المعتصم بمجل الله، المؤمن المهيمن محمد بن مرتضى، المدعو بـ «محسن» سنة إحدى وتسعين وألف، وهو ابن أربع وثمانين^(١).

وثالثة بلقبه «الفيض» كما ورد في الكنى والألقاب، وإليك نصه: «الفيض» لقب للعالم، الفاضل، الكامل، العارف، المحدث، المحقق، المدقق، الحكيم، المتأله محمد بن المرتضى المدعو بـ «المولى محسن القاشاني»^(٢).

ورابعة: يقال: محمد محسن معاً كما ينقله صاحب لؤلؤة البحرين عن السيد سعيد نعمة الله الجزائري، وإليك نصه: كان لإستاذنا المحقق المولى محمد محسن الكاشاني صاحب الوافي^(٣).

وهكذا ذكر العلامة المجلسي رحمته في بحاره وإليك نصه: صورة ما كتبه لنا من الاجازة: المولى الجليل العالم العارف الرباني، مولانا محمد محسن القاشاني^(٤).

٢ - اسرته:

اسرته من جهاذة العلماء، وفطاحل الفقهاء، وكبراء الحكماء المتألهين. ومن أهل الأدب والفضل والورع والتقوى.

فهذا أبوه: العلامة شاه مرتضى الأول ابن شاه محمود، كان عالماً، نبياً، فقيهاً، أصولياً، حكيماً، متألهاً، متكلماً، أديباً، شاعراً، بارعاً، عابداً، زاهداً، مفسراً نبيلاً. ولد في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ٩٥٠ هـ وتوفي في ليلة الجمعة الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ١٠٠٩ هـ، وقبره بـ «كاشان» مزار معروف.

وهذا جدّه العلامة شاه محمود بن علي الكاشاني، كان من مشاهير علماء عصره، ومن

٢ - الكنى والألقاب: ج ٣، ص ٣٩.

١ - روضات الجنات: ج ٦، ص ١٠٣.

٤ - بحار الانوار: ج ١١٠، ص ١٢٤.

٣ - لؤلؤة البحرين: ١٣٠.

حكماء متألمي أهل زمانه، والشعراء النابغين، والعرفاء المحدثين. توفي بـ «كاشان» ودفن هناك.

وهذا ابنه العلامة المولى محمد المدعو بـ «علم الهدى» المكنى بـ «أبي الخير» صاحب التصانيف الجيدة، وقد ألّف المرحوم آية الله المرعشي النجفي سفرًا مباركاً سماه «هدية ذوي الفضل والنهي» بترجمة المولى محمد «علم الهدى» وطبع في مقدمة كتاب معادن الحكمة. وكانت ولادته كما ذكره رحمته في ليلة الخميس غرة شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٩ هـ، ووفاته سنة ١١١٥ هـ، راجع مقدمة معادن الحكمة^(١).

وهذا ابنه الآخر: وهو العلامة المولى أبو الحسن معين الدين أحمد، كان عالماً، فقيهاً، محدثاً، عارفاً، ولد في الخامس عشر من شهر رجب سنة ١٠٥٦ هـ، ببلدة كاشان. صاحب التصانيف الكثيرة التي منها كتاب مشكاة القارئ في التجويد، وكتاب الفوائد في التفسير. توفي رحمته بقمصر من أعمال كاشان سنة ١١٠٧ هـ ونقل جثمانه إلى كاشان، ودفن تحت رجل والده العلامة الفيض، وعلى قبره لوح من مرمر مكتوب عليه هكذا انتقل نور الله الأحد الصمد ابن محمد بن مرتضى معين الدين أحمد من دار الغرور إلى إقليم السرور في شهر رجب من شهور سنة سبع ومائة وألف وهو ابن إحدى وخمسين سنة. حشره الله مع الأئمة المعصومين، وله رحمته بنات ثلاث: الأولى، عليّة بانو المكتبة بام الخير فهي فاضلة شاعرة أديبة ولدت في شهر جمادي الثاني سنة ١٠٣٧ هـ، بـ «كاشان»، وتوفيت في شهر رمضان سنة ١٠٧٩ هـ.

الثانية: سكيّنة بانو المكتبة بأم البرّ، ولدت في ١٩ من شهر ربيع الثاني، سنة ١٠٤٢ هـ بـ «بلدة كاشان».

الثالثة: سكيّنة المكتبة بأم سلمة، كانت زاهدة، عابدة، حافظة للقرآن الكريم، ولدت في رمضان سنة ١٠٥٣ هـ.

٣- ولادته ونشأته:

ولد عليه السلام في رابع عشر من شهر صفر عام ١٠٠٧ هـ، ونشأ وترعرع في بلدة قم المقدسة «عش آل محمد» ثم انتقل إلى كاشان ثم ارتحل إلى شیراز بعدما سمع بقدم سماحة السيد ماجد بن علي البحراني إلى شیراز للأخذ من منهل علومه، وكذلك للاستفادة من محضر درس قطب الأقطاب، وصدر المتألهين محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بـ«ملا صدرا» الذي تزوج بابنته وصار صهرًا له، ومن هنا فإن كتبه عليه السلام في الأصول كلها تنهج نهج المتصوفة والفلاسفة. وذكر المحدث البحراني في لؤلؤته: حكاية عن السيد السعيد نعمة الله الجزائري الشوشترى على النحو التالي: قال عليه السلام كان لأستاذنا المحقق المولى محمد محسن الكاشاني، صاحب الوافي وغيره، مما يقارب من مأتي كتاب ورسالة، وكانت نشأته في بلدة قم فسمع بقدم السيد الأجل المحقق المدقق الإمام الهمام السيد ماجد البحراني الصادقي إلى شیراز فأراد الإرتحال إليه لأخذ العلوم منه، فتردد والده في الرخصة إليه ثم بنوا الرخصة وعدمها على الاستخارة، فلما فتح القرآن جاءت الآية: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»^(١). ولا آية أصرح وأنص وأدل على هذا المطلب مثلها. ثم بعد تقال بالديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام فجاءت الأبيات هكذا:

تقرّب عن الأوطان في طلب العلى وسافر في الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحة ماجد
فان قيل في الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد
فوت الفتى خير له من مقامه بدار هوان بين واش وحاسد^(٢).

وهذه أيضاً أنسب بالمطلوب ولا سيما قوله: «صحة ماجد» فسافر إلى شیراز، وأخذ العلوم الشرعية عنه، وقرأ العلوم العقلية على الحكيم الفيلسوف المولى صدر الدين الشيرازي

وتزوج ابنته. انتهى كلامه رفع مقامه^(١).

والحاصل: بعد ما مضى شطراً من حياته السعيدة في شيراز توجه نحو كاشان وانتقل إليه، وكان هناك مرجعاً فذاً لا ندّ له.

٤ - الثناء عليه:

وقد أثنى عليه العلماء وأرباب المعاجم ثناءً جميلاً. فذكر صاحب روضات الجنات: أمره في الفضل والفهم والنبل في الفروع والأصول، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول، وكثرة التأليف والتصنيف مع جودة التعبير والترصيف أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأيد^(٢).

وفي أمل الآمل: المولى الجليل محمد بن مرتضى المدعو بـ «محسن» الكاشاني، كان فاضلاً، عالماً، ماهراً، حكماً، متكليماً، محدثاً، فقيهاً، محققاً، شاعراً، أديباً حسن التصنيف من المعاصرين، له كتب^(٣).

وذكر المحدث البحراني: وهذا الشيخ: كان فاضلاً، محدثاً، أخبارياً صلباً^(٤).

وقال المحدث النوري: من مشايخ العلامة المجلسي العالم، الفاضل، المستبحر، المحدث، العارف، الحكيم، المولى محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني، صاحب الوافي، والصافي، والمفاتيح وغيرها مما كتبه في الحكمة، والتصوف، والأخلاق، والآداب^(٥).

وفي الكنى والألقاب: أمره في الفضل والأدب، وطول الباع، وكثرة الاطلاع، وجودة التعبير، وحسن التحرير، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول أشهر من أن يخفى^(٦).

٢- روضات الجنات: ج ٦، ص ٧٩.

٤- لؤلؤة البحرين: ١٢١.

٦- الكنى والألقاب: ج ٣، ص ٤١.

١- لؤلؤة البحرين: ١٣٠.

٣- أمل الآمل: ج ٢، ص ٣٠٥.

٥- مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

وقال صاحب معجم المؤلفين: فقيه أصولي مجتهد، مشارك في أنواع من العلوم^(١).
وفي رياض العلماء: كان فاضلاً، ماهراً، حكيماً، متكلماً، محدثاً، فقيهاً، محققاً، شاعراً،
أديباً، حسن التصنيف^(٢).

وقال الأردبيلي في جامع الرواة: محسن بن المرتضى الكاشي رحمته الله، العلامة، المحقق،
المدقق، جليل القدر، عظيم الشأن، رفيع المنزلة، فاضل، كامل، متبحر في جميع العلوم^(٣).
وهذا يغنينا عن سرد بقية آراء المؤلفين في شخصيته الفذة وإطرائهم له لمكانته العلمية.
وكثرة موسوعاته الثمينة، وتأليفاته القيمة ولنعم ما قيل: من أن صافيه في علم التفسير وافٍ،
ووافيه في علم الحديث كافٍ. ومها يكن من شيء فإن المترجم بلغ في الإشتهار بين الطائفة
الحقة شهرة الشمس في رابعة النهار فكان رضوان الله عليه حكيماً، متكلماً، رياضياً، فقيهاً،
محدثاً، مفسراً، جامعاً لجميع الفنون، متبحراً في كل العلوم من المعقول والمنقول، وقد ملأ الآفاق
بتصنيفاته، وعطر الأكوان بتأليفاته ومصنّفاته.

ورغم كل ذلك نجد أن جماعة من العلماء المعاصرين له والمتأخرين عنه قد شنوا عليه
هجوماً حاداً ونسبوا إليه أقاويل مزيفة وأباطيل تفوح من بعضها رائحة الكفر والزندقة. ومن
البعض الآخر ما يخالف مبادئ الدين، ويعارض ما هو من الضروريات والبدهيّات، فهذا
شيخنا البحراني يقول في لؤلؤته: وهذا الشيخ كان فاضلاً، محدثاً، أخبارياً صلباً كثير الطعن
على المجتهدين ولا سيما في رسالته (سفينة النجاة) حتّى أنّه يفهم منها نسبة جمع من العلماء إلى
الكفر فضلاً عن الفسق مثل إيراد الآية: «يُؤَيِّدُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ»^(٤).
وهو تفریط، وغلوٌ بحث، مع أنّ له من المقالات التي جرى فيها على مذهب الصوفيّة،
والفلاسفة ما يكاد يوجب الكفر - والعياذ بالله - مثل ما يدل في كلامه على القول بوحدة
الوجود، وقد وقفت له على رسالة قبيحة صريحة في القول بذلك قد جرى فيها على عقائد ابن
العربي الزنديق، وأكثر فيها من النقل عنه، وإن عبّر عنه ببعض العارفين، وقد نقلنا جملة من

٢- رياض العلماء: ج ٥، ص ١٨٠.

٤- هود: ٤٢.

١- معجم المؤلفين: ج ٨، ص ١٨٧.

٣- جامع الرواة: ج ٢، ص ٤٢.

كلامه في تلك الرسالة وغيرها في رسالتنا التي في الردّ على الصوفيّة المسماة «بالنفحات المملوكيّة في الردّ على الصوفيّة» نعوذ بالله من طغيان الأفهام وزلل الأقدام^(١).

وهذا حفيد شهيدنا الثاني الشيخ علي الشهيدي العاملي نسب إلى المترجم له أشياء منكّرة، شنع بها عليه في ذيل رسالته في تحريم الغناء وغيرها كما جاء في روضات الجنات واليك نصه: وقد نسب إليه الشيخ علي الشهيدي العاملي في ذيل رسالته في تحريم الغناء وغيرها كثيراً من الأقاويل الفاسدة والآراء الباطلة العاطلة.... إلى أن قال: ولو أردنا تأويل جملة منها بمحامل وجبهة صحيحة لما أمكننا ذلك بالنسبة إلى ما تدلّ عليه ألفاظه الظاهرة، بل الصريحة من منافيات أصول هذه الشريعة، وفروع مذهب الشيعة، مثل قوله بوحدة الوجود، وبعدم خلود الكفار في عذاب النار، وعدم نجاة أهل الإجتهد وإن كانوا من جملة أجلائنا الكبار، وقوله: بعدم منجسيّة المنتجس لغيره مثل النجس، وبعدم انفعال الماء القليل بمحض ملاقاته للنجس، وإن وافقه في هذه المسألة من أقادم علمائنا، العباي المتقدم ذكره^(٢).

ومن جملة من كان ينكر عليه أيضاً الفاضل المحدث المقدس المولى محمد طاهر القمي صاحب كتاب: «حجة الإسلام» وغيره وإن قيل: إنه رجع في أواخر عمره من اعتقاد السوء في حقه، فخرج من قم المباركة إلى بلدة كاشان مشياً على الأقدام للإعتراف عنده بالخلاف، والإعتذار لديه بمحسن الإنصاف إلى أن وصل إلى باب داره فنادى: يا محسن قد أتاك المسيء، فخرج إليه مولانا المحسن، وجعلاً يتصافحان ويتعانقان، ويستحلّ كلّ منهما من صاحبه، ثم رجع من فورهِ إلى بلده، وقال: لم أرد من هذه الحركة إلّا هضم النفس وتدارك الذنب، وطلب رضوان الله العزيز الوهاب.

ويقال أيضاً: إنّ بعض من اعتقد في حقّه الباطل رجع عنه بعد وفاته، لما رآه في المنام على هيئة حسنة، يأمره بالرجوع إلى بعض ما كتبه في أواخر عمره، وهو في مكان كذا وكذا، فلمّا استيقظ وطلبه وجده كما نسبه، وكان فيه تبرة نفسه من جميع ما ينتسب إليه من أقوال

الضلال. هكذا ذكره المحقق الخوانساري في كتابه روضات الجنات^(١).

ومن جملة من كان ينكر عليه ورجع عن ذلك خليل بن غازي القزويني. كما يحدثنا العلامة الخوانساري في روضات الجنات عند تعرّضه لحياة خليل بن غازي حيث يقول: اتفقت بينه وبين صاحب الوافي مناظرة طويلة في مسألة. فظهر له فساد رأيه في ذلك بعد زمن طويل وهو بقزوين فتوجّه راحلاً من فوره لخصوص الاعتراف بتقصيره في الأمر، والإعذار من الفيض المرحوم إلى بلدة قاشان، فلما وصل إلى باب داره جعل يناديه من خلف الباب بقوله: يا محسن قد أتاكَ المسيء إلى أن عرف صوته فخرج الفيض إليه مبتدراً، وأخذاً يتعانقان ويتعاطفان بما لا مزيد عليه.

ثم لم يلبث بعد ذلك ساعة في البلد مهما أصر عليه الفيض حذراً عن تخلل شائبة في إخلاصه^(٢).

هكذا يحدثنا التاريخ برجوع كل من شنع عليه ونسب إليه أقوالاً غير صحيحة، وآراءً باطلة حتى أقبلوا عليه واحداً بعد واحد لتلقّي آثاره بالقبول حتى آل الأمر إلى أن أكتبوا عليها لفهم معانيها فكتبوا عليها حواشي وشروحات كثيرة.

وجدير بالذكر أن نذكر ما اختاره صاحب الروضات حيث يقول: ثم ليعلم أن ظني في نسبة التصوّف الباطل إليه ﷺ أنّها فريّة بلا فريّة، والباعث عليها اقتداؤه بأهل هذه الطريقة في الموالاة مع الغلاة والملحدين، وإظهار البراءة من أجلائنا المجتهدين وعدم اعتنائه بالمخالفة لإجماع المسلمين، والإنكار لبعض ضروريات هذا الدين المبين إلى أن يقول: وقد نقل عن رسالته الموسومة بـ «الإنصاف لخلوه عن الجور والإعتساف»: «جنين گوید مهتدی بشاه راه محسن بن مرتضی که در عنفوان شباب چون از تفقه در دین و تحصیل بصیرت در اعتقادات، و بکیفیت عبادات بتعلیم أئمة معصومین علیهم السلام آسودم، چنانچه در هیچ مسأله محتاج بتقلید غیر معصوم نبودم، بخاطر رسید که در تحصیل معرفت اسرار دین، و علوم راسخین نیز سعی بنمایم، شاید نفس را کمال آید، لیکن چون عقل را راهی بان نبود نفس را در آن پایه

ایمان که بود دری نمیگشود، و صبر بر جهالت هم نداشت، و علیٰ الدوام مرا رنجبه میداشت، بنابر این چندی در مطالعه مجادلات متکلمین خوض نمودم و بآلت جهل در ازاله جهل ساعی بودم، طریق مکالمات متفلسفین نیز پیمودم و یک چند بلند پروازیهای متصوّفه را در اُقاویل ایشان دیدم، و یکچند در رعوتنهای منعین گردیدم، تا آنکه گاهی در تلخیص سخنان طوائف اربع کتب و رسائل می نوشتم من غیر تصدیق بکُلّها، ولا عزيمة علی جُلّها، بل اُحطت بما لديهم خبراً، و کتبت فی ذلك علی التمرین زبراً، فلم أجد فی شيء من إشاراتهم شفاء غلّتی، ولا فی أدواء عباراتهم دواء علّتی حتّی خفت علی نفسي إذ رأيتها فیها کأنّها من ذویهم، فتمثلت بقول من قال: خدعونی، بهتونی، أخذونی، غلبونی، وعدونی، کذبونی، فإلی من أظلم، ففررت الی الله فی ذلك وعدت بالله أن یوفّقنی هنالك، واستعذت بقول أمير المؤمنين عليه السلام فی بعض أدعیته: أعذنی اللهم من أن أستعمل الرأي فیما لا یدرک قعره البصر، ولا یتغلغل فیهِ الفکر، ثم أنبت الی الله وفوضت أمری الی الله، فهدانی ببرکة متابعة الشرع المبین الی التعمق فی أسرار القرآن وأحادیث سید المرسلین صلوات الله علیهم أجمعین، وفهمنی الله منہما بمقدار حوصلتی ودرجتی من الإیمان، فحصل لی بعض الإطمینان وسلب الله منّی الشیطان وله الحمد علی ما هدانی، وله الشکر علی ما أولانی فأخذت أنشد:

مَلِكُ الشَّرْقِ تَشَرَّقَ وَإِلَى الرُّوحِ تَمَلَّقَ

غَسَقَ النِّفْسِ تَفَرَّقَ رَبُّضُ الْفِکْرِ تَهَدَّمْ

وذلك فضل الله یؤتیهِ من یشاء، ثم إني جرّبت الأمور، واختبرت الظلمة والنور حتّی استبان لی طائفة من أصحاب الفضول المستحلین بمتابعة الرسول صلی الله علیه و آله، غمضوا العینین، ورفضوا الثقلین، وأحدثوا فی العقائد بدعاً وتحرفوا فیها شیعاً، ثم سنّع علیهم بکلام طویل وأورد من الأحادیث غیر قلیل الی أن أعاد علیهم المعركة ثانیة بالفارسیّة، فقال: بعد اشباعه الکلام المتقن فی تخطئة الملاحدة مع الصوفیّة، این سخن که مذکور شد با متفلسفه و متصوّفه، و پیروان ایشان است، أما مجادلان و متکلبان، و متعسفان منعین فهم کما قیل: الی آخر ما ذکره من التفصیل وزبره من الکلام الطویل.

ثم إنَّ من جملة ما يدلُّك أيضاً على براءة الرجل من هذا الإعتقاد السوء وبعده عن هذه الطريقة السقيمة وغير المستقيمة بمراحل شتَّى، ما ذكره عنه السيد المحدث الجزائري في كتابه «المقامات» الذي هو في شرح أسماء الله الحسنى بمناسبة شرح لفظ الشهيد.

بهذه الصورة: كتب أهل المشهد الرضوي على مشرفه السلام، إلى شيخنا العلامة المولى محمد محسن القاشاني في حال استكشاف حال الصوفيَّة، حيث أن بعض الناس زعم أنَّه يميل إلى طريقتهم فأجابهُ ﷺ، بجواب قد تبرأ من أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم، والكتابة بالفارسية فراجع (١).

وذكر المحقق الخوانساري ﷺ في موضع آخر، من كتابه، أقول: ويشهد أيضاً، ببراءته من هذا المذهب الفاسد، والمتاع الكاسد: أنَّ شيخه واستاده والذي كان قد اكثر عليه اعتماده وهو المولى صدرا الشيرازي، صاحب كتاب الألسفار وغيره كان منكرًا لطريقة اولئك الملاحدة من صميم صدره بحيث قد كتب في ردِّهم كتاباً سماه «كسر الأصنام الجاهليَّة في كفر جماعة الصوفيَّة» فراجع (٢).

كما ذكر أيضاً في موضع آخر من كتابه: ولنعم ما قيل في بعض كتب الرجال في ذيل ترجمة هذا المفضل، كان من جهابذة المحدثين، رمي بالتصوف وحاشاه ثم حاشاه، بل هو من العرفاء الأماجد، وانما صنف في العلوم في مقام التتبع والتفتيش جرياً على مسالك أرباب الفنون، فتوهم من توهم ولا عاصم الا الله (٣).

٥- أساتذته ومشايخه:

تتلمذ شيخنا المترجم له عند أساطين العلم وجهابذة عصره في العلوم النقلية والعقلية. فقد قرأ في الحديث على السيد ماجد البحراني في بلدة شيراز، وفي الحكمة والأصول على صدر المتأهين الشيرازي المعروف بـ «ملاً صدرا» (٤).

٢- روضات الجنات: ج ٦، ص ١٠٠.

١- روضات الجنات: ج ٦، ص ٩٦-٩٩.

٤- لؤلؤة البحرين: ص ١٢١.

٣- روضات الجنات: ج ٦، ص ١٠٠.

كما يروي عن جماعة من المشايخ العظام وسرد بعض أسمائهم في هذه القائمة لا يدل على الحصر التام بهم. بل هي أسماء لامعة وصلت إلينا عن طريق كتب التراجم، وهناك كثيرون قد أهملت أسماؤهم ولم تدرج في ضمن أسماء الأساتذة والشيوخ فلم نقف عليها. فإليك سرد أسماء من وقفنا عليه من الشيوخ والأساتذة.

١ - والده المكرّم:

شاه مرتضى ابن شاه محمود. كان عالماً نبياً، فقيهاً، أصولياً، حكيماً، متألهاً، متكلماً، أديباً، شاعراً، بارعاً، عابداً، زاهداً، مفسراً نبيلاً، ولد في عام ٩٥٠ هـ وتوفي بـ «كاشان» عام ١٠٠٩ هـ، وقبره مزار معروف ذكره آية الله المرعشي النجفي في مقدمة معادن الحكمة^(١).

٢ - الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي «بهاء الدين»:

قال صاحب معجم المؤلفين: عالم أديب، مشارك في أنواع من العلوم ولد بـ «بعلبك» لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٩٥٣ هـ، وانتقل مع والده وهو صغير إلى بلاد العجم، وتوفي بـ «اصبهان» لاثنتي عشرة خلون من شوال سنة ١٠٣١ هـ ونقل فدفن في طوس من تصانيفه الكثيرة: تشریح الأفلاك، والكشكول، وتهذيب الوصول إلى علم الأصول، والفوائد الصمدية في علم العربية وغيرها^(٢).

وذكر المحدث النوري في مستدرک الوسائل ما ملخصه: ان المولى محسن بن شاه مرتضى المشتهر بالفيز الكاشاني يروي عن جماعة من المشايخ أولهم الشيخ البهائي^(٣).

٣ - المولى محمد طاهر بن محمد حسين الشيرازي:

قال عمر رضا كحالة: هو شيرازي الأصل، النجفي، فقيه، اصولي، محدث، متكلم، ناقد، نشأ بالنجف وأعطى إمامة الجماعة، ومشيخة الإسلام في قم وتوفي بها سنة ١٠٩٨ هـ، ومن تصانيفه حكمة العارفين في رد شبهة المخالفين، والفوائد الدينية في الرد على الحكماء والصوفية.

٢ - معجم المؤلفين: ج ٩، ص ٢٤٢.

١ - معادن الحكمة: ج ١، ص ١٠-١١.

٣ - مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

وحجة الإسلام في أصول الفقه والكلام، والأربعون في فضائل أمير المؤمنين، وشرح تهذيب الحديث^(١).

وعده المحدث النوري في مستدرک الوسائل من المشايخ تحت رقم «الثاني»^(٢).

٤ - خليل بن الغازي القزويني:

قال صاحب معجم المؤلفين: خليل بن الغازي القزويني الشيعي، فقيه، أصولي، محدث، نحوي. ولد بقزوين في ٣ رمضان عام ١٠٠١ هـ، وتوفي بها سنة ١٠٨٩، من مؤلفاته حاشية على الجمل في النحو، حاشية على مجمع البيان، شرح العدة في الأصول، وأبواب الجنان^(٣).

وعده المحدث النوري في مستدرک الوسائل من المشايخ تحت رقم «الثالث»^(٤).

٥ - الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني العاملي:

قال عمر رضا كحالة: فاضل عارف بالرجال تولد في عام ٩٨٠ هـ، وتوفي مجاوراً لبیت الله الحرام سنة ١٠٣٠، ودفن بقرب قبر خديجة الكبرى، له حواشي كثيرة، وتعليقات على كتاب الرجال الكبير، والخلاصة للعلامة الحلي ورسالة في تزكية الراوي^(٥).

وعده المحدث النوري في مستدرک الوسائل من المشايخ تحت رقم «الرابع»^(٦).

٦ - الشيخ محمد صالح بن احمد المازندراني:

قال صاحب أمل الآمل: فاضل، عالم، محقق، له كتب منها: شرح الكافي كبير حسن، وشرح الفقيه، وشرح المعالم، وحاشية شرح اللمعة وغير ذلك^(٧).

توفي سنة ١٠٨٠ هـ كما جاء في مقدمة شرح الكافي ج ١، ص ٣٠.

وعده المحدث النوري في مستدرک الوسائل من المشايخ تحت رقم «الخامس»^(٨).

٢ - مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

١ - معجم المؤلفين: ج ١٠، ص ١٠١.

٤ - مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٣ - معجم المؤلفين: ج ٤، ص ١٢٥.

٦ - مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٥ - معجم المؤلفين: ج ٩، ص ١٩١.

٨ - مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٧ - أمل الآمل: ج ٢، ص ٢٧٦.

٧- السيد ماجد البحراني:

قال المحدث البحراني: وهو السيد ماجد، بن هاشم، بن علي بن مرتضى، بن علي، بن ماجد، الحسيني البحراني الجد حفصي نسبة إلى جد حفص بتشديد الدال قرية من قرى تلك البلاد.

وكان هذا السيد محققاً، شاعراً، أديباً، ليس له نظير في جودة التصنيف وبلاغة التعبير، وفصاحة التعبير، ودقة النظر، وشعره فائق في البلاغة... وهو أول من نشر الحديث في شیراز توفي سنة ١٠٢٢ هـ ودفن في مشهد شاه چراغ. وقبره هناك معروف^(١).
وعده المحدث النوري في مستدرک الوسائل من المشايخ تحت رقم «السادس»^(٢).

٨- المولى صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي:

قال المحدث الحر العاملي في أمل الآمل: فاضل من فضلاء المعاصرين ذكره صاحب السلافة فقال: كان عالم أهل زمانه في الحكمة متقناً لجميع الفنون، له تصانيف كثيرة. منها شرح الكافي في مجلدين، توفي في العشر الخامس من هذه المائة سنة ١٠٥٠ هـ^(٣).
وعده المحدث النوري في مستدرک الوسائل من المشايخ تحت رقم «السابع»^(٤).

٩- السيد محمد باقر بن محمد الحسيني الاسترآبادي، المعروف بالمير الداماد:

قال المحدث البحراني: والمحدث المحسن المذكور يروي عن المولى أمير محمد باقر الداماد. وكان معاصراً لشيخنا البهائي عليه السلام وهو فاضل، جليل، متكلم، حكيم، ماهر في النقلات، شاعر بالعربية، والفارسية. وذكره السيد علي الصدر في «السلافة» وأثنى عليه وأطراه وقال: من مصنفاته في الحكمة: «القبسات والصرائط المستقيم، والحبل المتين» وفي الفقه: «شارع النجاة». وله حواشي على الكافي، والفقيه، والصحيفة الكاملة، ورسالة في النهي عن تسمية المهدي عليه السلام وغير ذلك توفي سنة ١٠٤١ هـ^(٥).

٢- مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

١- لؤلؤة البحرين: ١٣٦.

٤- مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٤٢١.

٣- أمل الآمل: ج ٢، ص ٢٣٣.

٥- لؤلؤة البحرين: ١٣١ - ١٣٤.

٦- تلامذته والراوون عنه:

١ - العلامة المجلسي:

تتلمذ عليه جماعة من علماء الطائفة وجهابذتهم، وكان مجلس درسه مجمعا للفضلاء والفتاحل. وحسبك ان يحضر مجلسه العلامة المحقق المدقق المولى محمد باقر المجلسي حيث يقول المحدث النوري في مستدركه: العشرون من مشايخ العلامة المجلسي العالم، الفاضل، المتبحر، المحدث، العارف الحكيم، المولى محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، المشتهر بالفيض الكاشاني^(١).

هذا وذكر المجلسي رحمه الله في كتابه بحار الأنوار صورة الإستجازة التي منح بها من قبل استاذاه وإليك نصه:

«صورة»

ماكتبه لنا من الإجازة المولى الجليل، العالم العارف الرباني، مولانا محمد محسن القاشاني رحمه الله وهي بخطه الشريف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى

أما بعد:

فقد استجازني الأخ الأعز الأجدد، الفاضل الأسعد المترشح في عنفوان الشباب لإحراز قصب السبق في السداد والصلاح، الشاهد سماته بأهليته لنيل الفوز والفلاح، مولانا محمد باقر ابن الحاوي للكمالات العلمية والعملية، الجامع بين العلوم العقلية والنقلية، مولى محمد تقي أدام الله بقائها، ما يصح لي إجازته من كتب الحديث وخصوصاً ما عليه المدار في هذه الأعصار أعني الكافي، والفقيه، والتهذيب، والإستبصار، ثم كتاب الوافي من تأليفاتي الذي جمع الأربعة كلها مع ترتيب وتوضيح، فأجزته أدام الله توفيقه، ونهج إلى درك السعادة

طريقه، أن يروي عني جميع ما يصح لي إجازته بحق روايتي له قراءة على مشايخي طاب الله ثراهم أو سماعاً منهم أو عليهم أو إجازة على ما هو مذكور في إجازاتهم لي، ولاسيما طريقي المذكور في الوافي فليرو عني جميع ذلك لمن شاء وأراد، سالكاً طريق الإحتياط، متثبتاً عند مواقع الأغلاط، داعياً لي في محل الإخلاص والإنابة بالتوفيق لما يحب الله ويرضاه، والعمل بما فيه رضاه، خصوصاً قطع العلائق والإشتغال به سبحانه عن الخلائق. وكتب بيده الجانية الفانية محمد بن مرتضى المدعو بـ «محسن» وفقه الله للتزوّد في دنياه لأخراه، وجعل آخرته خيراً من أولاه^(١).

٢ - السيد نعمة الله الجزائري الشوشتري:

ذكر المحدث البحراني في لؤلؤته: وكان هذا السيد فاضلاً، محدثاً، مدققاً واسع الدائرة في الإطلاع على أخبار الإمامية، وتتبع الآثار المعصومية كان كثير الصحبة للأكابر والسلاطين، عزيزاً عندهم، له كتاب شرح التهذيب، وكتاب الأنوار النعمانية، وكتاب شرح الصحيفة الكبير والآخر الصغير، وكتاب شرح عوالي اللثالي لابن أبي جمهور وغيرها^(٢).

ولد في القرية الصباغية من قرى الجزائر سنة ١٠٥٠ هـ، وتوفي سنة ١١١٢ في قرية جايدر وبما تقدم من الحكاية المنقولة عنه بأنه عليه السلام تلمذ عند المولى «فيض» قدس أسرارهم. راجع لؤلؤة البحرين: ص ١٣٠.

٣ - ولده محمد بن محمد بن شاه مرتضى المدعو بـ «علم الهدى» المكنى بأبي الخير:

ذكر آية الله المرحوم المرعشي النجفي في مقدمته على كتاب معادن الحكمة في تاريخ ولادة المترجم له بأنه عليه السلام قال: في مجموعة المواليد والوفيات التي كلها بخطه الشريف ما لفظه: ولادت خادم شريعت غزّاء محمد المدعو علم الهدى المكنى بأبي الخير وفقه الله لما يجب ويرضى بعد از مضي ٩ ساعت تقريباً از ليلة الخميس غره شهر ربيع الاول سنة ١٠٣٩ هـ..... إلى أن يقول على ما أثبتته الوالد الماجد الأستاذ أدام الله احسانه كانت ذلك

ببلدة قم حرسها الله انتهى^(١).

٤ - القاضي سعيد القمي:

ذكر المحدث القمي في الكنى والألقاب: هو محمد بن محمد مفيد القمي. العالم، الفاضل، الحكيم، المتشرع، العارف، الرباني، والمحقق الصمداني من أعظم علماء الحكمة، والأدب، والحديث، إنتهى إليه منصب القضاء في بلدة قم، كان من تلامذة المحقق الفيض الكاشاني، له مصنفات فائقة، منها: شرحه على كتاب توحيد الصدوق في مجلدات، والأربعينيات، وغير ذلك^(٢).

٥ - ابن أخيه:

المولى محمد مؤمن المدرس ابن عبد الغفور ابن شاه مرتضى الأول، الفقيه، المحدث، العارف، الزاهد، أخذ عن والده، وعن عمّه صاحب الوافي، وروى عنها. هكذا ذكره آية الله المرعشي النجفي في مقدمته على كتاب معادن الحكمة^(٣).

٦ - حفيد أخيه:

المولى محمد هادي بن شاه مرتضى الثاني بن محمد مؤمن بن شاه مرتضى الأول، كان في عصره من أجلة الفقهاء والمحدثين والأصوليين، والمتكلمين، والمحققين، والأدباء، والفلاسفة، أخذ عن عم والده صاحب الوافي كما ذكر في مقدمة معادن الحكمة^(٤).

٧ - حفيد أخيه الآخر:

العلامة المولى نور الدين محمد الشهير بالأخباري ابن العلامة شاه مرتضى الثاني، ابن المولى محمد مؤمن بن شاه مرتضى الأول. كان فقيهاً، عارفاً، محدثاً، أديباً، مجتاهداً، مكثراً في التأليف والتصنيف، أخذ وروى عن جماعة، منهم: والده، ومنهم صاحب الوافي عم والده هكذا ذكره آية الله المرعشي النجفي في مقدمة معادن الحكمة^(٥).

٢- الكنى والألقاب: ج ٣، ص ٥٢.

٤- معادن الحكمة: ج ١، ص ٢٨.

١- معادن الحكمة: ج ١، ص ٩.

٣- معادن الحكمة: ج ١، ص ٢٨.

٥- معادن الحكمة: ج ١، ص ٣٠.

٧- آثاره العلميّة:

آلف محدثنا الكاشاني كتباً كثيرة قيّمة لها الدور الأساسي في إيجاد حركة علميّة آنذاك، فكثير من كتبه تعتبر ولحد الآن من المصادر الأوليّة للباحثين والمحقّقين. كالوافي والصافي والمحجة البيضاء وغيرها فألف في شتّى العلوم النقلية والعقلية من الفقه، والأصول، والحديث، والأخلاق، والعقائد، والفلسفة، والحكمة، والهيئة والأدعية، وله أشعار كثيرة باللغتين العربيّة والفارسيّة كما أنّ له رسائل كثيرة متعدّدة متنوعة وتبلغ جميع مؤلفاته ١٤٤ مؤلفاً حسب التتبع في المعاجم رغم وجود الاختلاف الشديد فيها بالنسبة إلى أسماء بعض الرسائل والكتب ومن هنا نرى بأن جماعة من الباحثين يعدّون له مائتي (٢٠٠) كتاب وهانحن نذكر أسماءها كما يلي حسب الحروف الهجائيّة:

- الف -

- ١ - آب زلال: من مثنوياته: رتبه على جرعتين، ثلاثة أنفاس، الجرعة الأولى في الخطاب مع الله، والثانية في الخطاب إلى النفس^(١).
- ٢ - أبواب الجنان: في بيان وجوب صلاة الجمعة، وشرائطها، وآدابها، وأحكامها بالفارسية لعامة الناس، في خمسمائة بيت صنّفه في سنة ١٠٥٥ هـ^(٢).
- ٣ - أجوبة المكتوبات: رسالة في أجوبة مكتوبات وسؤالات منتزعة من كتب العلماء، وأهل المعرفة وأشعارهم^(٣).
- ٤ - أحجار الشداد: الرسالة الموسومة بالأحجار الشداد أو السيوف الحداد، في إبطال الجواهر الأفراد^(٤).
- ٥ - آداب السالكين: ذكر العلامة الطهراني في الذريعة أقول: توجد في طهران نسخة بخط عبدالرحيم ابن المير عبد الباقي الحسيني كتبها في اصفهان سنة ١٢٥٨ رسالة باسم آداب

١- الذريعة: ج ١، ص ٢، وج ١٩، ص ١٠٣.

٢- لؤلؤة البحرين: ١٢٧.

٤- لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

٣- لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

- السالكين منسوبة إلى الفيض الكاشاني لم يذكر خصوصياتها في الفهرس^(١).
- ٦ - آداب الضيافة: فارسي منظوم. ذكره في فهرست تصانيفه^(٢).
- ٧ - أذكار الصلاة: حكاه في نجوم السماء عن فهرست تصانيفه^(٣).
- ٨ - أذكار الطهارة: في الأذكار المتعلقة بها، في خمسين بيتاً^(٤).
- ٩ - الأذكار المهمة: مختصر من خلاصة الأذكار، فارسي في ثلاثمائة وأربعين بيتاً^(٥).
- ١٠ - الأربعين في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: يقرب من ثلاثة آلاف وثلاثمائة بيت^(٦).
- ١١ - الأَصْفِي: منتخب من الصافي، أحد وعشرون ألف بيت تقريباً^(٧).
- ١٢ - الأصول الأصيلية: يشتمل على عشرة أصول مستفادة من الكتاب والسنة، يقرب من ألفين وثمانمائة بيت، صَنَّف في سنة أربع وأربعين بعد الألف ١٠٤٤ هـ^(٨).
- ١٣ - أصول العقائد: في تحقيق الأصول الخمسة الدينية، يقرب من ثمانمائة بيت، صنف في سنة ست وثلاثين بعد الألف ١٠٣٦ هـ^(٩).
- ١٤ - أصول المعارف: وهو ملخص من مهمات عين اليقين، يقرب من أربعة آلاف بيت، وقد صَنَّف في سنة تسع وثمانين بعد الألف ١٠٨٩ هـ^(١٠).
- ١٥ - الإعتذار: قال في فهرست تصانيفه: أن فيه شرح بعض أحوالي المتضمن للإعتذار بابتلائي بالوقوع في المهالك ونصائح لأبناء الزمان، ولا سيما السالك، وهو في ثلاث مائة بيت^(١١).
- ١٦ - أعمال الأشهر الثلاثة: فارسي^(١٢).

١ - الذريعة: ج ٢٢، ص ٢٤٧.	٢ - الذريعة: ج ١، ص ٢٤.
٣ - الذريعة: ج ١، ص ٤٠٦.	٤ - لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
٥ - لؤلؤة البحرين: ١٢٨.	٦ - لؤلؤة البحرين: ١٢٥.
٧ - لؤلؤة البحرين: ١٢٢.	٨ - لؤلؤة البحرين: ١٢٦.
٩ - لؤلؤة البحرين: ١٢٦.	١٠ - لؤلؤة البحرين: ١٢٣.
١١ - الذريعة: ج ٢، ص ٢٢٣.	١٢ - الذريعة: ج ٢، ص ٢٤٤.

١٧ - الفت نامه: وهي رسالة وردت في ترغيب الاخوان على التأليف والتأنس، وبيان ما يتوسل به إلى ذلك، وآدابه، وشرائطه، في مائتي بيت وكان تأليفها فيما بين الثلاثين والأربعين بعد الألف^(١).

١٨ - الأمالي: ينقل عنه الأمير محمد أشرف تلميذ العلامة المجلسي في فضائل السادات^(٢).

١٩ - الإمكان والوجود: رسالة فارسية. قال في الذريعة: رأيها ضمن مجموعة في مكتبة المولى محمد علي الخوانساري^(٣).

٢٠ - الإنصاف: في طريق العلم بأسرار الدين المختص بالخواص والأشراف، وبيان الفرق بين الحق والإعساف، ذكر فيه بعض أحواله، وبين عذره عما كتبه من الكتب على مذاق الفلاسفة والمتصوفة، وغيرهما بعبارات واضحة ملمعة عربية وفارسية، ألفه سنة ١٠٨٣ هـ كما في فهرسته^(٤).

٢١ - الأمثودج: أشعار أهل العرفان في التوحيد في سبعين غزلاً، صرح في فهرست تصانيفه بأنه انتزع من أشعارهم في التوحيد^(٥).

٢٢ - أنوار الحكمة: وهو مختصر من كتاب علم اليقين مع فوائد حكمية اختصت به، يقرب من ستة آلاف بيت، صنف في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف ١٠٤٣ هـ^(٦).

٢٣ - أهم ما يعمل: يشتمل على مهمات ما ورد في الشريعة المطهرة من العمل، يقرب من خمس مائة بيت^(٧).

٢٤ - آيينه شاهي: وهي رسالة منتخبة من ضياء القلب، فارسي تقرب من ثلاثمائة بيت، صنف في سنة ست وستين وألف ١٠٦٦ هـ^(٨).

١ - لؤلؤة البحرين: ١٢٨.
٢ - الذريعة: ج ٢، ص ٣١٢.
٣ - الذريعة: ج ٢، ص ٣٤٩.
٤ - الذريعة: ج ٢، ص ٣٩٨.
٥ - لؤلؤة البحرين: ١٢٥.
٦ - لؤلؤة البحرين: ١٢٨.
٧ - لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
٨ - لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

-ب-

- ٢٥ - بشارة الشيعة: في بيان ان الفرقة الناجية المبشرة بالجنة هم الشيعة في طي
أربعين بشارة في ألقي بيت وقد تم الفراغ منه ١٠٨١ هـ^(١).
- ٢٦ - بيان أخذ الأجرة على العبادات والشعائر الدينية: تقرب من مائة وخمسين
بيتاً^(٢).

-ت-

- ٢٧ - تحقيق ثبوت الولاية على البكر في التزويج وما يتعلق بذلك: وهي رسالة
تحتوي على مائة وثمانين بيت (١٨٠) ألف^(٣) في سنة ١٠٦٤ هـ.
- ٢٨ - تحقيق معنى قابليّة: كما مر في فهرست مكتبة المشكاة المهداة لجامعة طهران
تحت رقم ٣ / ١٩٧. ذكره في مقدمة مفاتيح الشرائع^(٤).
- ٢٩ - التذكرة في الحكمة الإلهية: توجد في مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء في النجف
الأشرف^(٥).
- ٣٠ - ترجمة التذكرة: في الحكمة الإلهية، ذكره في ربحانة الأدب^(٦).
- ٣١ - ترجمة الحج: في آدابه، وأحكامه، وما يتعلق به فارسي في ثلاث مائة بيت^(٧).
- ٣٢ - ترجمة خبر معلّى بن خنيس: كما في فهرست مكتبة المشكاة المهداة لجامعة
طهران تحت رقم ٣ / ٨٥٥^(٨).
- ٣٣ - ترجمة الزكاة: بالفارسية في ٢٦٠ بيت^(٩).
- ٣٤ - ترجمة الشريعة: بالفارسية، فيه معنى الشريعة، فائدتها وكيفية سلوكها وبيان
أقسام كل من الحسنات والسيئات في سبعمائة وعشرين بيتاً^(١٠).

-
- | | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| ١- الذريعة: ج ٣، ص ١١٥-١١٦. | ٢- لؤلؤة البحرين: ١٢٩. |
| ٣- لؤلؤة البحرين: ١٢٩. | ٤- مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٣. |
| ٥- الذريعة: ج ٤، ص ٢٥. | ٦- ربحانة الادب: ج ٣، ص ٢٤٣. |
| ٧- الذريعة: ج ٤، ص ٩٦. | ٨- مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٣. |
| ٩- لؤلؤة البحرين: ١٢٧. | ١٠- لؤلؤة البحرين: ١٢٨. |

- ٣٥ - ترجمة الصلاة: ترجم فيه أذكار الصلاة بالفارسيّة في أربعمئة وخمسين بيتاً تقريباً، صنف في سنة ثلاث وأربعين بعد الألف ١٠٤٣ هـ^(١).
- ٣٦ - ترجمة الصيام: وهو مثل ترجمة الزكاة، يقرب من ثلاثمئة بيت^(٢).
- ٣٧ - ترجمة الطهارة: في فقه مايتعلق بها، بالفارسيّة، في مائتين وثمانين بيتاً^(٣).
- ٣٨ - ترجمة العقائد الدينيّة: بالفارسيّة، يقرب من ستمائة وأربعين بيتاً^(٤).
- ٣٩ - التسنيم: من مثنوياته كما ذكره في فهرست تصانيفه^(٥).
- ٤٠ - تسهيل السبيل في الحجّة: في انتخاب كشف المحجة للسيد ابن طاووس العلوي رحمته الله يقرب من ستمائة بيت، ألف في سنة أربعين بعد الألف ١٠٤٠ هـ^(٦).
- ٤١ - تشرح العالم: في بيان هيئة العالم وأجسامه وأرواحه وكيفيّته، وحركات الافلاك والعناصر وأنواع البسائط والمركبات، في ثلاثة آلاف بيت^(٧).
- ٤٢ - التطهير: وهو نخبة من النخبة، لبيان علم الأخلاق، يقرب من خمسمائة بيت^(٨). وفي الذريعة هو المنتخب من النخبة الفقهيّة^(٩).
- ٤٣ - تطهير السر: ذكره في فهرست تصانيفه^(١٠).
- ٤٤ - تعليقات النخبة الصغرى: فيها تفصيل ماأجملته وتبين ماأهمته^(١١).
- ٤٥ - تفسير الأمانة: ذكره رحمته الله في فهرست مصنفاته كما في ربحانة الأدب^(١٢).
- ٤٦ - تقويم المحسنين: في معرفة الساعات والشهور والسنين، وسماه ثانياً بأحسن التقويم، كما له غنيمة الأيام ومعيّار الساعات ايضاً في هذا الموضوع^(١٣).

-
- ١- لؤلؤة البحرين: ١٢٧. ٢- لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
- ٣- لؤلؤة البحرين: ١٢٧. ٤- لؤلؤة البحرين: ١٢٧.
- ٥- الذريعة: ج ٤، ص ١٨١. ٦- لؤلؤة البحرين: ١٢٦.
- ٧- لؤلؤة البحرين: ١٢٤. ٨- لؤلؤة البحرين: ١٢٣.
- ٩- الذريعة: ج ٤، ص ٢٠١. ١٠- الذريعة: ج ٤، ص ٢٠١.
- ١١- لؤلؤة البحرين: ١٢٩. ١٢- ربحانة الادب: ج ٣، ص ٢٤٣.
- ١٣- الذريعة: ج ٤، ص ٤٠٠-٤٠٣.

٤٧ - تنفيس الهموم: عده ﷺ من مثنوياته في فهرست تصنيفاته كما ورد في الذريعة^(١).

٤٨ - تنوير المذاهب: وهو تعليقات على تفسير القرآن المنسوب إلى الكاشفي الموسوم بالمواهب العلية، يقرب من ثلاثة آلاف بيت^(٢).

٤٩ - التوحيد: يوجد في مكتبة السيد راجه محمد مهدي في فيض آباد كما في فهرستها كما ورد في الذريعة^(٣).

- ث -

٥٠ - ثمرة الشجرة الإلهية: عده ﷺ في فهرست مصنّفاته كما ورد في الذريعة^(٤).

٥١ - ثناء المعصومين عليه السلام: في إنشاء التحية والصلاة والسلام عليهم، وذكر بعض محامدهم. فرغ من كتابته ١٠٦٩ هـ^(٥).

- ج -

٥٢ - الجبر والاختيار: ذكر صاحب الذريعة بأنه طبع في ضمن مجموعة كلمات المحققين في سنة ١٣١٥ هـ^(٦).

٥٣ - الجبر والتفويض: قال في الذريعة: منضم مع الجبر والتفويض للمير داماد^(٧).

٥٤ - جلاء العيون: في بيان أذكار القلب في مائتي بيت^(٨).

٥٥ - جهاز الأموات: وهي رسالة تشتمل على امهات المسائل الشرعية المتعلقة بالجنائز^(٩).

٥٦ - جواب الأبهري: عن كيفية علم الله تعالى بالموجودات في الأزل، وأنه هل كان عالماً بالأشياء قبل وجودها أم لا! كما ورد في الذريعة^(١٠).

١- الذريعة: ج ٤، ص ٤٥٩. ٢- لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

٣- الذريعة: ج ٤، ص ٤٨١. ٤- الذريعة: ج ١٣، ص ٢٩، ذيل رقم ٩٠.

٥- الذريعة: ج ٥، ص ١٦. ٦- الذريعة: ج ٥، ص ٨٢.

٧- الذريعة: ج ٥، ص ٨٥. ٨- لؤلؤة البحرين: ١٢٤.

٩- لؤلؤة البحرين: ١٢٩. ١٠- الذريعة: ج ٥، ص ١٧٢.

٥٧ - جواب بعض الاخوان: رسالة أخلاقية اعتذر فيها عن عدم إهتمامه بقضاء حاجات المؤمنين متعرضاً بالمرسل إليه ومعتاباً له بنحو لطيف. رأيته ضمن مجموعة من رسائل الفيض هكذا ذكره صاحب الذريعة^(١).

٥٨ - جواب مسألة الوجود: في بيان أنه مشترك لفظي أو معنوي، قال في الذريعة ذكره رحمته في فهرست تصانيفه^(٢)

٥٩ - جواب من سأل عن البرهان على حقيقة مذهب الإمامية من أهل مولطان: عدّه رحمته في فهرست مصنفاته كما جاء في مفاتيح الشرائع^(٣).

٦٠ - جواب من سأل عن تجدد الطبائع وحركة الوجود الجسماني: ذكره في فهرست مصنفاته كما ورد في الذريعة^(٤).

٦١ - جواب من سأل عن محاكمة بين بعض المنسوبين: إلى العلم الرسمي، وبعض المتجردين للذكر الاسمي. ذكره في فهرست مصنفاته كما جاء في مفاتيح الشرائع^(٥).

- ح -

٦٢ - الحاشية على الروايش الساوية: قال في الذريعة نقلاً عن الروضات: رأيتها بخط المحشي^(٦).

٦٣ - الحقائق في أسرار الدين: ملخص كتاب المحجة ولبابه، في سبعة آلاف بيت، صنف في سنة تسعين وألف ١٠٩٠ هـ^(٧).

وورد في روضات الجنات بانه وقع الفراغ منه سنة ١٠٤٦ هـ^(٨).

٦٤ - الحق المبين: في كيفية التفقه في الدين، قال في الذريعة: انه يقرب من ٢٥٠ بيت، وصنفه في سنة ١٠٦٨ هـ^(٩).

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| ١- الذريعة: ج ٥، ص ١٧٨. | ٢- الذريعة: ج ٥، ص ١٩٣. |
| ٣- مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٥. | ٤- الذريعة: ج ٥، ص ١٨٢. |
| ٥- مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٥. | ٦- الذريعة: ج ٦، ص ٩٠. |
| ٧- لؤلؤة البحرين: ١٢٣. | ٨- روضات الجنات: ج ٦، ص ٨٩. |
| ٩- الذريعة: ج ٧، ص ٣٨. | |

-خ-

- ٦٥ - الخطب: يشتمل على 'مائة خطبة ونيف لجمعات السنة والعديد يقرب من أربعة آلاف بيت، وقد تم جمعه في سنة ١٠٦٧ هـ^(١).
- ٦٦ - خلاصة الأذكار: يقرب من ألفي بيت وثلاثمائة بيت ٢٣٠٠ وقد صنف في سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف ١٠٣٣ هـ^(٢).

-د-

- ٦٧ - دهر آشوب: قصائد فارسية ذكره في عداد مثنوياته في فهرست تصانيفه كما جاء في الذريعة^(٣).
- ٦٨ - ديوان فيض كاشاني: مرتب على 'حروف القوافي في الغزل في ٤٣٦ صفحة كما جاء في الذريعة^(٤).

-ذ-

- ٦٩ - ذريعة الضراعة: في جميع الأدعية المتضمنة للمناجاة المنقولة عن الأئمة عليهم السلام، يقرب من خمسة آلاف بيت، وقد صنف في سنة نيف وخمسين بعد الألف^(٥).

-ر-

- ٧٠ - راه صواب: رسالة فارسية ذكر فيها سبب اختلاف اهل الاسلام في المذاهب، والباعث لهم على تدوين الاصوليين وتحقيق معنى الاجماع، في خمسمائة بيت، وقد صنف في سنة نيف وأربعين وألف هـ^(٦).
- ٧١ - رفع الفتنة: وهي رسالة في بيان شمة من حقيقة العلم والعلماء، وأصنافها، وشامة من معنى الزهد والعبادة وأصحابها^(٧).

٢- لؤلؤة البحرين: ١٢٦.

١- لؤلؤة البحرين: ١٢٧.

٤- الذريعة: ج ٩/٣، ص ٨٥٤.

٣- الذريعة: ج ٨، ص ٢٨٢.

٦- لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

٥- لؤلؤة البحرين: ١٢٦.

٧- لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

٧٢ - الرفع والدفع: في رفع الآفات، ودفع البليّات بالقرآن والدعاء، والعود والرقى، والعلاج والدواء، فارسي في أربعمائة وعشرين بيتاً^(١).

-ز-

٧٣ - زاد الحج: فارسي يذكر فيها مناسك الحج والعمرة. عدّه في فهرسته كما جاء في مفاتيح الشرائع^(٢).

٧٤ - زاد السالك: وهي رسالة يذكر فيها كيفية سلوك طريق الحق وشروطه وآدابه في ٢٠٠ بيت، الفت فيما بين الثلاثين والاربعين بعد الالف^(٣).

٧٥ - زاد العقبي: في أعمال الاشهر الثلاثة، فارسي ذكره صاحب الذريعة^(٤).

-س-

٧٦ - السائح الغيبي: رسالة في تحقيق معنى الايمان والكفر ومراتبها^(٥).

٧٧ - سفينة النجاة: في أن مأخذ الاحكام الشرعية ليس الاحكام الكتاب والسنة، يقرب من الف وخمسمائة بيت، وقد صنف في سنة ١٠٥٨ هـ^(٦).

٧٨ - السلسيل: مثوي. قال في الذريعة ذكره ﷺ في فهرست تصنيفاته^(٧).

-ش-

٧٩ - الشافي: وهو منتخب من الوافي، وهو جزءان، جزء فيما هو من قبيل العقائد والاخلاق، وجزء هو من قبيل الشرائع والاحكام، في كل منهما اثني عشر كتاباً، يقرب من ستة وعشرين الف بيت، وقع الفراغ منه في سنة ١٠٨٢ هـ^(٨).

٨٠ - الشجرة الإلهية: في اصول الدين باللغة الفارسية قال صاحب الذريعة: بانه ذكر في فهرست تصانيفه وانه ألفه لملك العصر^(٩).

٢- مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٦.

١- لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

٤- الذريعة: ج ١٢، ص ٥.

٣- لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

٦- لؤلؤة البحرين: ١٢٦.

٥- لؤلؤة البحرين: ١٢٧.

٨- لؤلؤة البحرين: ١٢٢.

٧- الذريعة: ج ١٢، ص ٢١٥.

٩- الذريعة: ج ١٣، ص ٢٩.

- ٨١ - شراب طهور: مثنوي ذكره عليه السلام في فهرست تصانيفه كما جاء في الذريعة^(١).
- ٨٢ - شرائط الايمان: رسالة منتخب من «راه صواب» يقرب من ٢٥٠ بيت، وقد صنّف في سنة ١٠٦٢ هـ^(٢).
- ٨٣ - شرح الصحيفة السجادية: شرح منها ما لعله يحتاج إلى الشرح بايجاز واختصار، يقرب من الف بيت وثمانين، صنّف في سنة خمس وخمسين بعد الألف ١٠٥٥ هـ^(٣).
- ٨٤ - شرح الصدر: رسالة تشتمل على مجمل ما مضى من الحالات والنوائب في أيام عمري من طعني وإقامتي وإستفادتي وافادتي ومكاري ومقاماتي وخمولي وشهري وخلوتي وصحبي ومفارقة اخواني المحبوبين ومخالطة أصحابي المكرمين وهي نفثة من نفثاتي، وقد صنّف في سنة ١٠٦٥ هـ^(٤).
- ٨٥ - شوق الجمال: انتزعه من ديوانه «گلزار قدس» ذكره عليه السلام في فهرسته كما ذكره صاحب الذريعة^(٥).
- ٨٦ - شوق العشق: انتزعه من ديوانه «گلزار قدس» ذكره عليه السلام في فهرسته كما ذكره صاحب الذريعة^(٦).
- ٨٧ - شوق المهدي: غزليات فارسيّة في ظهور المهدي عليه السلام والتشوق إليه عجل الله تعالى فرجه، وهو نحو من ستين غزلاً^(٧).
- ٨٨ - الشهاب الثاقب: في تحقيق عينيّة وجوب صلاة الجمعة في زمن الغيبة، يقرب من أربعة آلاف بيت، وقد تمّ جمعه في سنة ١٠٦٧ هـ^(٨).

ص -

- ٨٩ - الصافي في تفسير القرآن: يقرب من سبعين ألف بيت فرغ من تأليفه في سنة

١- الذريعة: ج ١٣، ص ٤٤. ٢- لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

٣- لؤلؤة البحرين: ١٢٥. ٤- لؤلؤة البحرين: ١٣٠.

٥- الذريعة: ج ١٤، ص ٢٤٧. ٦- الذريعة: ج ١٤، ص ٢٤٧.

٧- الذريعة: ج ١٤، ص ٢٧٤. ٨- لؤلؤة البحرين: ١٢٧.

١٠٧٥ هـ. وصدّره باثني عشرة فائدة في فضل القرآن ووجوهه، والمنع عن تفسيره بالرأي وتحريفه الى غير ذلك من مقدمات التفسير.

- ض -

٩٠ - ضوابط الخمس: رسالة في الأحكام الشك والسهو والنسيان في الصلاة^(١).

٩١ - ضياء القلب: في تحقيق حقيقة الحكام الخمسة التي تحكم على الإنسان في باطنه، يقرب من خمسمائة بيت. صنّف في سنة سبع وخمسين بعد الألف^(٢).

- ع -

٩٢ - علم اليقين في أصول الدين: أربعة عشر ألف بيت وخمسمائة تقريباً، صنف في سنة اثنتين وأربعين بعد الألف هـ ١٠٤٢ هـ^(٣).

٩٣ - عين اليقين: في اصول الدين في اثني عشر ألف بيت تقريباً صنّف في سنة ست وثلاثين بعد الألف ١٠٣٦ هـ^(٤).

- غ -

٩٤ - غنية الأنام: رسالة في معرفة الساعات والأيام ممّا هو مستفاد من أخبار أهل البيت عليه السلام^(٥).

- ف -

٩٥ - فهرست تصانيف الفيض: كتبه بنفسه في ذكر تصانيفه وعدد أبياته، وتاريخ فراغها، وله في هذا الموضوع تأليفان فرغ من الثانية سنة ١٠٩٠ هـ^(٦).

٩٦ - فهرست العلوم: شرحت فيها أنواعها وأصنافها^(٧).

- ق -

٩٧ - قرّة العيون في أعزّ الفنون: في ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت ألف في سنة ١٠٣٨ هـ

١- لؤلؤة البحرين: ١٢٩. ٢- لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

٣ و ٤- لؤلؤة البحرين: ١٢٣. ٥- لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

٦- الذريعة: ج ١٦، ص ٣٧٩. ٧- لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

هـ^(١). وفي الذريعة: فرغ منه سنة ١٠٨٨ هـ، وأتته في ٦٠ كلمة في ١٢ مقالة في كل مقالة خمس كلمات في المعارف والحكم^(٢).

- ك -

٩٨ - الكلمات الرائعة: انتزعه من كتابه «الكلمات المكنونة» وهو كأصله ملصع في ثلاث مقاصد في كل مقصد سبع كلمات^(٣).

٩٩ - الكلمات السريّة: المنتزعة من أدعية المعصومين عليه السلام في ثلاثمائة وثلاثين بيتاً، صنّف في سنة ثمانين وألف ١٠٨٠ هـ^(٤).

١٠٠ - الكلمات الطريفة: مئة كلمة في آخرها ختام في منشأ اختلاف الأمة في ألف بيت فرغ منها في ١٠٦٦ هـ^(٥).

١٠١ - الكلمات المخزونة: وهي المنتزعة من المكنونة، يقرب من ألف بيت وسبعمائة بيت^(٦).

١٠٢ - الكلمات المضنونة: في بيان التوحيد، في ثمانمائة بيت، صنّف في سنة تسعين بعد الألف ١٠٩٠ هـ^(٧).

١٠٣ - الكلمات المكنونة: في علوم أهل المعرفة وأقوالهم، يقرب من أربعة آلاف وأربعمائة بيت، صنف في سنة سبع وخمسين بعد الألف ١٠٥٧ هـ^(٨).

- گ -

١٠٤ - گلزار قدس: ديوان كبير شبه الكشكول في القصائد والغزليات والرباعيات وغيرها. ذكره في فهرسته بقمصر كاشان^(٩).

-
- | | |
|-------------------------------|--------------------------|
| ١ - لؤلؤة البحرين: ١٢٣ - ١٢٤. | ٢ - الذريعة: ج ١٧، ص ٧٥. |
| ٣ - الذريعة: ج ١٨، ص ١١٤. | ٤ - لؤلؤة البحرين: ١٢٤. |
| ٥ - الذريعة: ج ١٨، ص ١١٦. | ٦ - لؤلؤة البحرين: ١٢٤. |
| ٧ - لؤلؤة البحرين: ١٢٤. | ٨ - لؤلؤة البحرين: ١٢٤. |
| ٩ - الذريعة: ج ١٨، ص ٢١٨. | |

-ل-

١٠٥ - اللثالي: طائفة مستخرجة من الكلمات المكنونة، عدتها أحد وأربعون كلمة في ١٦٤٥ بيت^(١).

١٠٦ - اللب: وهو لب القول في معنى حدوث العالم، في ثلاثمائة وسبعين بيتاً^(٢).

١٠٧ - اللباب: وهو لباب القول في الإشارة إلى كيفية علم الله سبحانه بالأشياء في مائتي بيت^(٣).

١٠٨ - لب الحسنات: مختصر منتخب من الأوراد مع ذكر ثوابها ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه، كتبه بأمر شاه عباس الثاني مرتب على ثلاثة أبواب في أدعية اليوم والليلة، وأدعية الأسابيع، وأدعية الشهور ألفه سنة ١٠٧٣ هـ كما جاء في الذريعة^(٤).

١٠٩ - متعلقات النخبة الصغرى: تفسير ما أجملته وتبين ما أهتمته، يقرب من الأصل في الحجم أو يزيد عليه كما ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه، قاله صاحب الذريعة^(٥).

١١٠ - المحاكمة: رسالة تشتمل على محاكمة بين فاضلين من مجتهدي أصحابنا في معنى التقيّة في الدين^(٦).

١١١ - المحجّة البيضاء في إحياء الإحياء: ومجموعه ثلاثة وسبعون ألف بيت تقريباً، وقع الفراغ منه في سنة ست وأربعين بعد الألف ١٠٤٦ هـ^(٧).

١١٢ - مختصر الأوراد: ذكره ﷺ في فهرست تصانيفه وهذا غير منتخب الأوراد الآتي. ألفه سنة ١٠٣٤ هـ كما في مقدّمة الوافي^(٨).

١١٣ - مرآة الآخرة: تنكشف فيه حقيقة الجنة والنار ووجودهما الآن ومحلهما من الدنيا، في تسعمائة بيت، وقد صنّف في سنة أربع وأربعين بعد الألف ١٠٤٤ هـ^(٩).

١- الذريعة: ج ١٨، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

٢- لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

٣- لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

٤- الذريعة: ج ١٨، ص ٢٨٦.

٥- الذريعة: ج ٢٤، ص ٩٨.

٦- لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

٧- لؤلؤة البحرين: ١٢٣.

٨- مقدمة الوافي: ج ١، ص ٥٥.

٩- لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

١١٤ - المشواق: رسالة فارسية في تهيج الشوق والمحبة لله والأنس به، وفيه الرد على بعض القشريين المنكرين لأهل الذوق، وشرح اصطلاحات الصوفية من «زلف، خال، شراب» وغيرها. ذكره رحمته في فهرست تصانيفه هكذا جاء في الذريعة^(١).

١١٥ - المصنّى: مختصر من «الآصفي» الذي هو مختصر «الصافي» والتفاسير الثلاثة له، هكذا ذكره صاحب الذريعة^(٢).

١١٦ - المعارف: وهو ملخص من كتاب علم اليقين في ستة آلاف بيت تقريباً، ألفه في سنة ١٠٨٣ هـ^(٣).

١١٧ - معتصم الشيعة في أحكام الشريعة: قد خرج منه كتاب الصلاة ومقدماتها، مجلّد يقرب من أربعة عشر ألف وأربعمائة بيت، وقع الفراغ منه في سنة تسع وعشرين بعد الألف ١٠٢٩ هـ^(٤).

١١٨ - معيار الساعات: رسالة قريبة من الغنية إلا أنّها بالفارسية^(٥).

١١٩ - مفاتيح الخير: في فقه ما يتعلّق بسوابق الصلاة ولواحقها بالفارسية، يقرب من ٢٥٠ بيتاً^(٦).

١٢٠ - مفاتيح الشرائع: يقرب من خمسة عشر ألف بيت وقع الفراغ منه في سنة اثنين وأربعين بعد الألف ١٠٤٢ هـ^(٧).

١٢١ - مكارم الأخلاق ومساوئها: كما في فهرست مصنفاته والنسخة منها موجودة عند الفاضل الفيضي من أحفاد المصنّف هكذا جاء في مقدّمة الوافي^(٨).

١٢٢ - مناجات نامه أو منظومة في المناجاة مع الله سبحانه: عدّه رحمته في فهرست تصانيفه. كما جاء في مفاتيح الشرائع ومقدّمة الوافي^(٩).

١- الذريعة: ج ٢١، ص ٦٧-٦٨. ٢- الذريعة: ج ٢١، ص ١٣٠.

٣- لؤلؤة البحرين: ١٢٣. ٤- لؤلؤة البحرين: ١٢٣.

٥- لؤلؤة البحرين: ١٢٩. ٦- لؤلؤة البحرين: ١٢٩.

٧- لؤلؤة البحرين: ١٢٣. ٨- مقدّمة الوافي: ج ١، ص ٥٦.

٩- مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٢٩. ومقدّمة الوافي: ج ١، ص ٥٦.

١٢٣ - منازل السالكين: يقرب من ٢٠٠ بيت ضمن مجموعة فيها «زاد السالكين»
هكذا ذكره صاحب الذريعة^(١).

١٢٤ - منتخب الأوراد: يشتمل على الأذكار والدعوات المتكررة في اليوم واللييلة والأسبوع والسنة، يقرب من خمسة آلاف وخمسمائة بيت، وقع الفراغ من تصنيفه في سنة سبع وستين وألف ١٠٦٧ هـ^(٢).

١٢٥ - منتخب رسائل اخوان الصفا: الإحدى والخمسين في الأخلاق، كما ذكره رحمته في فهرست تصنيفه في ألفي بيت كما جاء في الذريعة^(٣).

١٢٦ - منتخب غزليات شمس: ذكره رحمته في فهرست تصنيفه كما جاء في مقدمة الوافي^(٤).

١٢٧ - منتخب غزليات المثنوي: في ثلاثة آلاف بيت ذكره رحمته في فهرست تصنيفه كما ورد في الذريعة^(٥).

١٢٨ - منتخب فتوحات المكيّة: في أربعة آلاف بيت ذكره رحمته في فهرست تصنيفه كما ورد في الذريعة^(٦).

١٢٩ - منتخب گلزار قدس: قال رحمته: إنّ المنتخب إثنان: صغير وكبير، والمجموع ٢٠٠٠ بيت شرح فيها بعض مصطلحات الصوفيّة هكذا ورد في الذريعة^(٧).

١٣٠ - منتخب مكاتيب قطب الدين محي: في أربعة آلاف بيت ذكره في فهرست تصنيفه كما ورد في الذريعة^(٨).

١٣١ - منهاج النجاة: في بيان العلم الذي طلبه فريضة على كلّ مسلم، يقرب من ألفي بيت، صنّف في سنة ١٠٤٢ هـ^(٩).

-
- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| ١- الذريعة: ج ٢٢، ص ٢٤٦-٢٤٧. | ٢- لؤلؤة البحرين: ١٢٦-١٢٧. |
| ٣- الذريعة: ج ٢٢، ص ٤٠٦. | ٤- مقدّمة الوافي: ج ١، ص ٥٦. |
| ٥- الذريعة: ج ٢٢، ص ٤١٨. | ٦- الذريعة: ج ٢٢، ص ٤١٨. |
| ٧- الذريعة: ج ٢٢، ص ٤٢٦. | ٨- الذريعة: ج ٢٢، ص ٤٣٨. |
| ٩- لؤلؤة البحرين: ١٢٦. | |

١٣٢ - موجز في أحكام الشك والسهو: ذكره رحمته في فهرست تصانيفه كما جاء في مفاتيح الشرائع^(١).

١٣٣ - ميزان القيامة: ذكر فيه تحقيق القول في كيفية ميزان يوم القيامة، يقرب من ستمائة بيت، صنّف في سنة أربعين بعد الألف ١٠٤٠ هـ^(٢).

-ن-

١٣٤ - النخبة: يشتمل على خلاصة أبواب الفقه، في ثلاثة آلاف وثلاثمائة بيت تقريباً، ألفه في سنة ١٠٥٥ هـ^(٣).

١٣٥ - النخبة الصغرى: رسالة تشتمل على لباب فقه الطهارة والصلاة والصيام في وجيز لفظ وأعم نفع في ٣٦٠ بيت^(٤).

١٣٦ - النخبة الكبرى: فصلّ فيه ما أجمله، وبيّن ما أبهمه في «النخبة الصغرى» وهي كتعليقة تقرب من أصلها في الحجم أو يزيد عليها، ذكره رحمته في فهرست تصانيفه. كما ورد في الذريعة^(٥).

١٣٧ - ندية العارف: مثنوى ذكره رحمته في فهرست تصانيفه^(٦).

١٣٨ - ندية المستغيث: ذكره رحمته في فهرست تصانيفه^(٧).

١٣٩ - نقد الأصول الفقهية: يشتمل على خلاصة علم أصول الفقه، صنف في عنفوان الشباب، وهو أول تصنيف له يقرب من ألفين وثلاثمائة بيت^(٨).

١٤٠ - النوادر: في جمع الأحاديث غير المذكورة في الكتب الأربعة المشهورة في سبعة آلاف بيت^(٩).

-و-

١٤١ - الوافي: خمسة عشر جزء، كل منها في كتاب برأسه، يقرب مجموعه من مائة

١- مفاتيح الشرائع: ج ١، ص ٣٠. ٢- لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

٣- لؤلؤة البحرين: ١٢٣. ٤- لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

٥- الذريعة: ج ٢٤، ص ٩٨. ٦ و ٧- الذريعة: ج ٢٤، ص ١٠٣.

٨- لؤلؤة البحرين: ١٢٦. ٩- لؤلؤة البحرين: ١٢٢.

٤٠ تفسير الصافي

وخمسين ألف بيت، وقع الفراغ من تصنيفه سنة ١٠٦٨ هـ^(١)، وهذا ومجموع الأحاديث الموجودة في الوافي مع البابين اللذين في خاتمه يبلغ خمسين ألف حديث (٥٠٠٠٠)، وتاريخ الفراغ من تصنيفه يطابق مادّة «جمعت الأحاديث» بحساب الجمل.

١٤٢ - وسيلة الإبتهال: عدّه رحمته من مثنوياته في فهرست تصانيفه، قاله في «الذريعة»^(٢).

١٤٣ - وصف الخيل: رسالة في ذكر ما ورد في اتخاذ الخيل ومعرفتها وعلامتها عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، فارسيّة، تقرب من مائتي بيت، وقد صنّف في سنة سبع وستين وألف ١٠٦٧ هـ^(٣).

-ه-

١٤٤ - هديّة الأشراف: في تلخيص الإنصاف، قال في الذريعة: النسخة منها موجودة بمكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء^(٤).

٨- وفاته ومدفنه:

توفي (رحمه الله) بكاشان سنة ١٠٩١ هـ، وهو ابن أربع وثمانين، ودفن هناك وقبره مزار معروف وعليه لوحة مكتوب فيها هكذا «قبض المعتصم بحبل الله المؤمن المهيمن» محمد بن مرتضى المدعوب «محسن» سنة إحدى وتسعين وألف وهو ابن أربع وثمانين، حشره الله مع مواليه المعصومين.

٩- مصادر الترجمة:

١ - أمل الآمل: للمحدّث الشيخ محمّد بن حسن الحر العاملي. منشورات مكتبة

٢- الذريعة: ج ٢٥، ص ٧٤.

٤- الذريعة: ج ٢٥، ص ٢٠٥.

١- لؤلؤة البحرين: ١٢٢.

٣- لؤلؤة البحرين: ١٢٨.

الأندلس، بغداد.

٢ - بحار الأنوار: للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي. الطبعة الأولى، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.

٣ - جامع الرواة: للعلامة الأردبيلي، منشورات مكتبة المصطفوي، إيران - قم.

٤ - ديوان الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام: منشورات الشريف الرضي، إيران - قم.

٥ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة: للعلامة آقا بزرك الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت.

٦ - روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات: للعلامة محمد باقر الخوانساري، منشورات مكتبة إسماعيليان، إيران - قم ١٣٩٢ هـ.

٧ - رياض العلماء وحياض الفضلاء: للأفندي ميرزا عبدالله، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران - قم ١٤٠١ هـ.

٨ - ربحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب: لميرزا محمد علي المدرّس، إيران - قم.

٩ - الكنى والألقاب: للمحدّث القمي، منشورات مكتبة الصدر، إيران - طهران.

١٠ - لؤلؤة البحرين: للمحدّث يوسف بن أحمد البحراني، منشورات مؤسسة آل البيت عليه السلام، إيران - قم.

١١ - مستدرك الوسائل: للمحدّث النوري، منشورات المكتبة الإسلامية - قم.

١٢ - معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة: للعلامة علم الهدى محمد بن محسن الكاشاني، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم.

١٣ - معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة، منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٤ - مفاتيح الشرائع: للفيض الكاشاني، منشورات مجمع الذخائر الإسلامية، إيران -

قم ١٤٠١ هـ.

١٥ - الوافي: للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين، إيران، اصفهان.

١٠- منهج التحقيق:

لما كان الهدف الرئيسي في تحقيقنا منصّباً على إخراج الكتاب سليماً من الأغلاط، بذلنا جهودنا في تصحيح الكتاب غير مهتمين بتسويد الهوامش وشحنها بالإشارة إلى النسخ المختلفة، واعتمدنا على نسخة خطيّة مصحّحة من مكتبة آية الله المرعشي النجفي تحت رقم ٥٩٦٤ في ٣٦٢ ورقة. وفي كل صفحة ٢٣ سطر بمقياس ٢٣ × ١٦ سم وقننا بما يلي:

١ - تخريج الآيات القرآنيّة الكريمة المستشهد بها أثناء الحديث أو الاستدلال.

٢ - تخريج الأحاديث الشريفة الواردة في الكتاب.

٣ - تخريج الأقوال من مصادرها.

٤ - شرح الكلمات الغريبة مع ذكر المصدر.

وفي الختام نتقدّم بمجزيل الشكر إلى مدير دار الكتب الإسلاميّة الأخ الكريم الحاج مرتضى الآخوندي لطبع هذا الكتاب وإخراجه بهذه الحلّة القشبية راجين من الله سبحانه عزّ وجلّ التوفيق والسداد لإحياء تراث علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام.

السيد محسن الحسيني الأميني

قم المشرّفة

١٤١٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدُكَ يا من تجلّى لعباده في كتابه، بل في كلّ شيء، وأراهم نفسه في خطابه، بل في كلّ نور وفيء. دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته^(١)، كيف يستدلّ عليه بما هو في وجوده مفتقر إليه، بل متى غاب حتّى يحتاج إلى دليل يدلّ عليه، ومتى بُعد حتّى تكون الآثار هي التي تُوصل إليه، عَمِيَتْ عين لا تراه ولا يزال عليها رقيباً، وخَسِرَتْ صفقة عبد لم يجعل له من حبه نصيباً^(٢)، تعرّف لكلّ موجود فما جهله موجود، وتعرّف إلينا بكلّ شاهد لنشاهده في كلّ مشهود، ﴿نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٣). وأودع أسرارَه أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أبلج^(٤) عن هدى نبيّه المرسل بنور كتابه المنزل، وكشف عن سرّ كتابه المنزل بعثرة نبيّه المرسل، جعل الكتاب والعثرة حبلين ممدودين بينه وبيننا ليخرجنا بتمسكنا بهما من مهوى ضلالتنا، ويذهب عنا شيننا^(٥) لم يزل أقامهما طرف منها بيده وطرف بأيدينا، من

١ - مقتبس من قول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح.

٢ - مقتبس من دعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة، راجع الإقبال: ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

٣ - الفرقان: ١.

٤ - البلوغ: الإشراف. تقول: بَلَغَ الصَّبِيُّ يَبْلُغُ بالضم: أي أضاء. الصحاح: ج ١، ص ٣٠٠، مادة «بلج».

٥ - الشين: خلاف الزين، يقال: شانه يشينه شيئاً من باب باع: عابه. والشين: ما يحدث في ظاهر الجلد من الخشونة يحصل به تشويه الحلقة. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٧٣، مادة «شين».

بهما علينا وحببها بفضلها إلينا، وهما الثقلان اللذان تركهما النبي ﷺ فينا وخلفهما لدينا، وقال: إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، وإنيهما لن يفترقا حتى يردا عليّ حوضي^(١).

فأخبرنا بأنهما صاحبان مصطحبان، وأخوان مؤتلفان، وإن العترة تراجمة للقرآن، فمن الكشف عن وجوه عرائس أسرارهِ ودقائقهِ، وهم قد خطبوا به، ومن التبيان عند مشكلاتهِ ولديه مجمع بيان معضلاتهِ، ومنع بحر حقائقهِ وهم أبو حسنه، ومن لشرح آيات الله وتيسير تفسيرها بالرموز والصراح إلّا من شرح الله صدره بنوره ومثله بالمشكاة، والمصباح، ومن عسى يبلغ علمه بمعالم التنزيل والتأويل وفي بيوتهم كان ينزل جبرئيل، وهي البيوت التي أذن الله أن ترفع، فعنهم يؤخذ ومنهم يسمع إذ أهل البيت بما في البيت أدرى، والمخاطبون لما خطبوا به أوعى، فأين نذهب عن باهم، وإلى من نصير لا والله ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾^(٢)، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٣) اللهم فكما هديتنا للتمسك بجبل الثقلين، وجعلت لنا المودّة في القرى قرة عين، فاشرح صدورنا لأسرار كتابك لترتقي من العلم إلى العين^(٤)، ونور أفئدتنا بأنوار العترة لتخرجنا من ظلمات الغين^(٥)، والزّين^(٦)، وصلّ اللهم على محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وعلى التسعة من ولد الحسين عليه السلام وصن بياننا عن الشين^(٧)، ولساننا عن المين^(٨).

-
- ١- بصائر الدرجات: ص ٤٣٣، ح ٣، ووسائل الشيعة: ج ١٨، ص ١٩، ح ٩، وبحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٠٤ - ١٦٦، ح ٧ و ٩ و ١١ و ١٢ و ٣٦، وغير ذلك، باب فضائل أهل البيت عليه السلام والنص عليهم جملة من خبر الثقلين.
٢- فاطر: ١٤.
٣- البقرة: ٢٨٥.
٤- وعين المتاع: خياره. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٨٧، أي لترتقي بسبب العلم إلى ما هو أفضل الأشياء، فمن علم اليقين إلى عين اليقين.
٥- الغين: الغيم، ويقال: شجر ملتفّ، النهاية لابن الأثير: ج ٣، ص ٤٠٣، فيكون المعنى لتخرجنا من ظلمات الكدورة والمعاصي الملتف حول القلب أحياناً.
٦- الزّين: الطبع والدنس. وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب. الصحاح: ج ٥، ص ٢١٢٩، مادة «زين».

٧- الشين: خلاف الزين، والمشايين: المعاييب والمقايح. الصحاح: ج ٥، ص ٢١٤٧، مادة «شين».

٨- المين: الكذب. الصحاح: ج ٦، ص ٢٢١٠، مادة «مين».

أما بعد:

فيقول خادِم علوم الدين، وراصد أسرار كتاب الله المبين، والفقير إلى الله في كل موقف وموطن، محمد بن مرتضى المدعو بـ «محسن» حشره الله مع النبيين، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين: هذا يا إخواني ما سألتوني من تفسير القرآن ممّا وصل إلينا من أئمتنا المعصومين، من البيان أتيتكم به مع قلة البضاعة، وقصور يدي عن هذه الصناعة، على قدر مقدور فإنّ المأمور معذور، والميسور لا يترك بالمعسور^(١) ولا سيّما كنت أراه أمراً مهماً وبدونه أرى الخطب مدلهماً^(٢)، فإنّ المفسّرين وإن أكثروا القول في معاني القرآن إلّا أنّه لم يأت أحد منهم فيه سلطان، وذلك لأنّ في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، وخاصّاً وعامّاً، ومبيّناً ومبهاً، ومقطوعاً وموصولاً، وفرائض وأحكاماً، وسنناً وآداباً، وحلالاً وحراماً، وعزيمة ورخصة، وظاهراً وباطناً، وحدّاً ومطلعاً، ولا يعلم تمييز ذلك كلّ إلّا من نزل في بيته، وذلك هو النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، فكلّ ما لا يخرج من بيتهم فلا تعويل عليه، ولهذا ورد عن النبي ﷺ: من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحقّ فقد أخطأ^(٣).

وقد جاءت عن أهل البيت ﷺ في تفسير القرآن وتأويله أخبار كثيرة إلّا أنّها خرجت متفرّقة عند أسئلة السائلين، وعلى قدر أفهام المخاطبين، وبموجب إرشادهم إلى مناهج الدين، وبقيت بعد خبايا^(٤) في زوايا خوفاً من الأعداء وتقية من البعداء، ولعلّه ممّا برز وظهر لم يصل إلينا الأكثر لأنّ رواته كانوا في محنة من التقية، وشدة من الخطر، وذلك بأنّه لما جرى في الصحابة ما جرى، وضلّ بهم عامّة الوري، أعرض الناس عن الثقلين، وتساهوا في بيداء ضلالتهم عن النجدين إلّا شردمة من المؤمنين ونكثت العامّة بعد ذلك سنين، وعمهوا في غمرتهم حتّى حين، فآل الحال إلى أن نبذ الكتاب حمّلكته وتناساه حَفَظْته فكان الكتاب وأهله

١- الميسور: ضدّ المعسور. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٥٢١. مادة «يسر».

٢- دلهم: الدلهم: الأسود، وليلة مُدْهِمَةٌ: أي مظلمة. لسان العرب: ج ٤، ص ٣٩٧. مادة «دلهم».

٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ١٣، س ١٤، الفن الثالث.

٤- خبا الشيء يخبوه خباً: ستره، الخبء: كل شيء غائب ومستور، وواحد الخبايا: خبيّة، مثل خطيئة وخطايا. لسان العرب: ج ٤، ص ٦.

في الناس وليسوا في الناس، ومعهم وليسوا معهم، لأنّ الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعوا، وكان العلم مكتوماً وأهله مظلوماً لا سبيل له إلى إبرازه إلا بتعميته وألغازه^(١)، ثمّ خلف من بعدهم خلف غير عارفين، ولا ناصبين لم يدروا ما صنعوا بالقرآن، وعمن أخذوا التفسير والبيان، فعمدوا إلى طائفة يزعمون أنّهم من العلماء، فكانوا يفسّرونه لهم بالأراء، ويروون تفسيره عمن يحسبونه من كبارهم، مثل أبي هريرة، وأنس، وابن عمر، ونظائرهم، وكانوا يعدّون أمير المؤمنين عليه السلام من جملتهم، ويجعلونه كواحد من الناس، وكان خير من يستندون إليه بعده: ابن مسعود، وابن عباس ممّن ليس على قوله كثير تعويل، ولا له إلى لباب الحقّ سبيل، وكان هؤلاء الكبراء ربما يتقوّلون من تلقاء أنفسهم غير خائفين من مآله، وربما يستندونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن الآخذين عنهم من لم يكن له معرفة بحقيقة أحوالهم لما تقرّر عنهم أنّ الصحابة كلّهم عدول، ولم يكن لأحد منهم عن الحقّ عدول، ولم يعلموا أنّ أكثرهم كانوا يبطنون النفاق، ويجترؤون على الله، ويفترون على رسول الله صلى الله عليه وآله في عزّة وشقاق.

هكذا كان حال الناس قرناً بعد قرن، فكان لهم في كلّ قرن رؤساء ضلالة، عنهم يأخذون وإلهم يرجعون، وهم بآرائهم يحييون أو إلى كبارهم يستندون، وربما يروون عن بعض أئمة الحقّ عليهم السلام في جملة ما يروون عن رجالهم، ولكن يحسبونه من أمثالهم فتبّاً لهم ولازب^(٢) الرواية إذ ما رعوها حقّ الرعاية، نعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، ونسوا الله ربّ الأرباب، راموا غير باب الله أبواباً، واتخذوا من دون الله أرباباً، وفيهم أهل بيت نبّيهم، وهم أئمة الحقّ، وألسنة الصدق، وشجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، وعيبة العلم، ومنار الهدى، والحجج على أهل الدنيا، وخزائن أسرار الوحي والتنزيل، ومعادن جواهر العلم والتأويل، الأمانة على الحقائق، والخلفاء على الخلائق، أولوا الأمر الذين أُمروا بطاعتهم، وأهل الذكر الذين أُمروا بمسألتهم، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والراسخون في العلم الذين عندهم علم القرآن كلّّه تأويلاً

١ - اللغز: من الكلام ما يشبه معناه، والجمع: ألغاز، مثل رطب وأرطاب. المصباح المنير: ص ٥٥٥.

٢ - لازب: ممتزج متناكس يلزم بعضه بعضاً. منه يُذَرُّ.

وتفسيراً، ومع ذلك كله يحسبون أنهم مهتدون، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ولما أصبح الأمر كذلك، وبقي العلم مخزوناً هنالك، صار الناس كأنهم أئمة الكتاب، وليس الكتاب بأمهم، فضربوا بعضه ببعض لترويج مرامهم، وحملوه على أهوائهم في تفاسيرهم وكلامهم، والتفاسير التي صنفها علماء العامة من هذا القبيل فكيف يصح عليها التعويل، وكذلك التي صنفها متأخروا أصحابنا فإنها أيضاً مستندة إلى رؤساء العامة، وشذّ ما نقل فيه حديث عن أهل العصمة عليهم السلام، وذلك لأنهم إنما نسجوا على منوالهم، واقتصروا في الأكثر على أقوالهم، مع أن أكثر ما تكلم به هؤلاء وهؤلاء فإنما تكلموا في النحو والصرف والاشتقاق واللغة والقراءة وأمثالها مما يدور على القشر دون اللباب فأين هم والمقصود من الكتاب، وإنما أورد كل طائفة منهم ما قويت فيه منته وترك ما لا معرفة له به مما قصرت عنه همته، ومنهم من أدخل في التفسير ما لا يليق به فبسط الكلام في فروع الفقه وأصوله، وطوّل القول في اختلاف الفقهاء، أو صرف همته فيه إلى المسائل الكلامية، وذكر ما فيها من الآراء، وأما ما وصل إلينا مما ألفه قدماءنا من أهل الحديث فغير تام، لأنه إما غير منتهٍ إلى آخر القرآن، وإما غير محيط بجميع الآيات المفتقرة إلى البيان مع أن منه ما لم يثبت صحته عن المعصوم عليه السلام لضعف روايته، أو جهالة حالهم، ونكارة بعض مقالهم، ومنه ما أورد جامعته في كثير من المواضع ما لا مدخل له في فهم القرآن، وترك فيه وفي مواضع أخر ما لا بد منه في التفسير والتبيان، لم يأت بنظم يليق ولا بأسلوب أنيق، ومنه ما يشتمل مع ذلك على ما ثبت خلافه في العقل والأنباء كنسبة الكبائر والسفه إلى الأنبياء، ومنه ما يشتمل على التأويلات البعيدة التي تسمّز عنها الطباع، وتنفر عنه الأسماع، وتحجب عن البیان، وتزيد في حيرة الحيران ما يجب رده إليهم من غير إنكار كما وردت به الأخبار، ولعلها إن صحت فإنما وردت لمصالح ومعان يقتضيها الوقت والزمان، ومنه ما يشتمل على ما يوهم التناقض^(١) والتضاد

١ - وذلك كما ورد في قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ تارة بأن المراد بالغيب التوحيد، راجع تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٧، ح ٣٤. وأخرى أن المراد به الأنبياء الماضون، راجع تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٧، ح ٣٤. وأخرى أن المراد به القيامة، راجع تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٧، ح ٣٤.

لتخصيص المعنى تارة ببعض الأفراد كأنه هو المراد، وتارة بفرد آخر كأن غيره لا يراد، من غير تعرض للجمع والتوفيق، والإتيان بما هو التحقيق، وجله يشتمل على ما يوهم اختصاص آيات الرحمة بأشخاص بأعيانهم، كأنها لا يجاوزهم إلى الغير، واختصاص آيات العذاب بأشخاص أخر، كأنهم خصّوا بالبعد عن الخير من غير تعرض منهم لبيان المراد، وأن ليس المقصود بهما خصوص الآحاد والأفراد، كما يعرفه البصير في الدين، والخبير بأسرار كلام المعصومين، كيف ولو كان ذلك كذلك لكان القرآن قليل الفائدة، يسير الجدوى والعائدة، حاشاه عن ذلك، بل إنّما ورد ذلك على سبيل المثال، لإزاحة الخفاء أو ذكر الفرد الأكمل، أو الأخصى أو المنزل فيه، أو للإشارة إلى أحد بطون معانيه.

وأما ما في كتب الأخبار، مما يتعلّق بالتفسير فكان مع اشتاله على بعض هذه الأمور متفرّقاً بحيث يعسر ضبطه وربطه بالآيات، مع أنّه لم يف بأكثر المهمّات.

وبالجملة لم نر إلى الآن في جملة المفسّرين مع كثرتهم وكثرة تفاسيرهم من أتى بتصنيف تفسير مذهب صافي وافٍ كافٍ شافٍ، يشفي العليل، ويروي الغليل^(١) يكون منزهاً عن آراء العوام، مستنداً^(٢) من أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وليس لهذا الأمر الخطير، والإتيان بمثل هذا التفسير إلّا ناقد بصير، ينظر بنور الله، ويؤيّد به روح القدس بإذن الله ليشاهد صدق الحديث وصحّته من إشراق نوره، ويعرف كذبه وضعفه من لحن القول وزوره، فيصحّح الأخبار بالمتون دون الأسانيد، ويأخذ العلم من الله لا من الأساتيد، حتّى يتأتّى له تمييز الصافي من الكدر، وتخريج الشافي من المضّر، فينقّر الأخبار التفسيرية المعصومية نقراً حتّى تصفوا عمّا يوهم غباراً في البيان، ويقرها بقرّاً إلى أن يخرج من خاصرتها ما يناسب فهم أبناء الزمان

ح ٣٤، وجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٨. وأخرى أنّ المراد به القائم عليه السلام، راجع تفسير البرهان: ج ١، ص ٥٣، ح ٤ و ٥ و ٦. وأخرى أنّ المراد به الرجعة، راجع تفسير القمّي: ج ١، ص ٣٠. إلى غير ذلك، وهذه الأخبار توهم التناقض، وليست بمتناقضة لأنّ المراد به الجميع دائماً خرجت على ما اقتضاه الحال وفي ما اقتضاه السؤال. منه يدرك.

١ - الغليل: الضغن والحقد، مثل الغلّ، الصحاح: ج ٥، ص ١٧٨٤، مادة «غلل».

٢ - وفي نسخة: [مستنبطاً].

يجمع شتاتها من كتب متعددة، ويؤلف متفرقاتها من مواضع متبذدة، ويفردها من كلام كثير ليس لأكثره مدخل في التفسير، ويلفّقها من غير واحد بحذف الزوائد بحيث يزيل الإبهام، لا أن يزيد إبهاماً على إبهام على نحو لا يخرج عن مقصود الإمام عليه السلام ولا يفوت شيئاً من لطائف الكلام، وقد جاءت الرخصة عنهم عليهم السلام في نقل حديثهم بالمعنى إذا لم يخل بالمرام، وأن يعمّم في تفسيره المعنى والمفهوم في كلّ ما يحتمل الإحاطة والعموم، لأنّ التناقض والتضاد الموهومين في الأخبار إنّما يرتفعان بذلك في الغالب، وفهم أسرار القرآن يبتني على ذلك المطالب، فإنّ نظر أهل المعرفة إنّما يكون في العلوم إلى الحقائق الكلّية دون الأفراد، فما ورد في الأخبار من التخصيص فإنّما ورد للأفهام القاصرة، على خصوص الآحاد للإستيناس، إذ كان كلامهم مع الناس على قدر عقول الناس، وقد عمّم مولانا الصادق عليه السلام الآية التي وردت في صلة رحم آل محمد عليهم السلام صلة كلّ رحم ^(١) ثمّ قال: ولا تكونن ممّن يقول في الشيء أنّه في شيء واحد.

وهذا نهى عن التخصيص، فضلاً عن الإذن في التعميم، وهذا هو المعنى بالتأويل كما يأتي بيانه نقلاً عن المعصوم عليه السلام، ثمّ تحقيق معناه ببسط من الكلام إن شاء الله، وأن يأتي بذكر القصص التي يتوقف عليها فهم الآيات، وتعاطيها دون ما لا مدخل له فيها، وأن يترك ما يبعد عن الأفهام في طي الأخبار، ويذرّه في سنبله من غير نقل ولا إنكار، امتثالاً لما ورد فيما رواه مولانا الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ حديث آل محمد عليهم السلام صعب مستصعب، لا يؤمن به إلّا ملك مقرب أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما عرض عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فخذوه، وما اشتمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردّوه إلى الله وإلى الرسول، وإلى العالم من آل محمد عليهم السلام، وإنّما الهلاك أن يحدث عليكم أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا والله ما هذا بشيء، والإنكار هو الكفر ^(٢).

وإذا أتى المفسّر بهذا كلّ فرجٍ أنّه أن يكون من أهل البشارة في قوله سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ

١- البرهان في تفسير القرآن: ج ٤، ص ٢٨٨، ح ٣.

٢- الكافي: ج ١، ص ٤٠١، ح ١، باب فيما جاء أنّ حديثهم صعب مستصعب.

وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ وَإِنِّي لأرجو من فضل الله وكرمه أن يكون هذا الكتاب هو ذلك التفسير مع إني ما بلغت معشار حسنة من حسنات ذلك الناقد البصير، إلا أن بصّرني الله ربّي ونصرني وأيدني وسدّدني، وآتاني فهماً في قرآنه ثم أطلق لساني ببيانه، وما ذلك يا إلهي إلا بيدك ولا يوصل إليه إلا بمعونتك وقدرتك، ولا ينال إلا بمشيئتك وإرادتك، ولا يتأتى إلا بتوفيقك وتسديدك، فهب لي منك تأييداً وتسديداً وتوفيقاً وتحقيقاً حتى أستفيد ذلك من خزانك على أيدي خزائنك الأمانة على وحيك العلماء بكتابك فإنك إن وكلتني إلى سواك وسواهم تهت، وإن تركتني ونفسي وهت، وإن كنت لي فبا بيني وبينك فزت، وعن مواقع الهلكة جرت، وذلك هو الفوز العظيم، وهو المرجو منك يا كريم، وما ذلك عليك بعزيز.

وبالحري: أي يسمّى هذا التفسير بالصافي لصفائه عن كدورات آراء العامة والمحمل والمحير والمتنافي، ونمّهد أولاً اثنتي عشرة مقدّمة مهمّات ثم نشرع إن شاء الله في تفسير الآيات. المقدّمة الأولى: في نبذ ممّا جاء في الوصيّة بالتمسك بالقرآن، وفي فضله.

والثانية: في نبذ ممّا جاء في أن علم القرآن كلّهُ إنما هو عند أهل البيت عليهم السلام.

والثالثة: في نبذ ممّا جاء في أن كلّ القرآن إنما ورد فيهم، وفي أوليائهم، وفي أعدائهم، وبيان سرّ ذلك.

والرابعة: في نبذ ممّا جاء في معاني وجوه الآيات من التفسير، والتأويل، والظاهر، والباطن، والحد، والمطلّع، والمحكم، والمتشابه، والناسخ، والمنسوخ، وغير ذلك، وتحقيق القول في معنى المتشابه وتأويله.

والخامسة: في نبذ ممّا جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي والسرّ فيه.

والسادسة: في نبذ ممّا جاء في جمع القرآن، وتحريفه، وزيادته، ونقصه، وتأويل ذلك.

والسابعة: في نبذ ممّا جاء في أن القرآن تبيان كلّ شيء، وتحقيق معناه.

والثامنة: في نبذ ممّا جاء في أقسام الآيات واشتغالها على البطون، والتأويلات، وأنواع اللغات، واختلاف القراءات والمعتبرة منها.

والتاسعة: في نبذ مما جاء في زمان نزول القرآن، وتحقيق ذلك.
والعاشرة: في نبذ مما جاء في تمثل القرآن لأهله يوم القيامة، وشفاعته لهم وثواب حفظه وتلاوته.
والحادية عشرة: في نبذ مما جاء في كيفية التلاوة وآدابها.
والثانية عشرة: في بيان ما اصطالحنا عليه في تفسير الآيات ليكون الناظر فيه على بصيرة، ومن الله الإعانة، وإعطاء الفهم والبصيرة.

المقدمة الأولى

في نبذ مما جاء في الوصية بالتمسك بالقرآن وفي فضله
روى محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه، في الكافي بإسناده^(١)، ومحمد بن مسعود العياشي في تفسيره بإسناده عن الصادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ:
أيها الناس إنكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار، والشمس والقمر، بيليان كل جيد، ويقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، فأعدوا الجهاد لبعء المجاز، قال: فقام المقداد بن الأسود، فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ فقال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وماحل^(٢) مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم لا تحصي عجائبه ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على

١- الكافي: ج ٢، ص ٥٩٨ - ٥٩٩، ح ٢، باب فضل القرآن. وفيه: «له نجوم وعلى نجومه نجوم».

٢- أي أن القرآن سبب لثواب العامل به وعقاب العادل عنه، فكأنه يشفع للأول فيشفع، ويشكو من الآخر فيصدق، والماحل هاهنا: الشاكي، وقد يكون أيضاً بمعنى الماكر، يقال: محل فلان بفلان: إذا مكر به.

المعرفة لمن عرف الصفة^(١).

وزاد في الكافي: فليجل جالٍ بصره وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويخلص من نشب، فإنَّ التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص^(٢).

أقول: ماحل: أي يحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه، أعني يسعى به إلى الله تعالى، وقيل: معناه خصم مجادل.

والأنيق: الحسن المعجب.

والتخوم بالمشئة الفوقانيّة، والمعجمة: جمع تخم بالفتح، وهو منتهى الشيء لمن عرف الصفة، أي صفة التعريف وكيفية الاستنباط. والعطب: الهلاك.

والنشب: الوقوع فيما لا مخلص منه.

وروى العياشي بإسناده عن الحارث الأعور، قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت يا أمير المؤمنين إنّا إذا كنّا عندك سمعنا الذي نشد^(٣) به ديننا، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة لا ندري ما هي؟ قال: أوقد فعلوها؟ قال: قلت: نعم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد صلى الله عليه وآله ستكون في أمتك فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من ولّاه من جبار فعل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيغه الأهوية، ولا تلبسه الألسنة، ولا يخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، وهو الذي لم تناه^(٤) الجن إذا سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَىٰ

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢-٣، ح ١.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٥٩٨-٥٩٩، ح ٢، باب فضل القرآن.

٣- وفي نسخة: [تلبث].

٤- وفي نسخة: [تلبث].

أَلْزُشْدُ^(١). من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم، وهو الكتاب العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^{(٢)(٣)}.

وبإسنادهما^(٤) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأجداث^(٥)، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم وما عدل أحد من القرآن إلا إلى النار^(٦).

وروى العياشي: بإسناده عنه عليه السلام قال: عليكم بالقرآن فما وجدتم آية نجا بها من كان قبلكم فاعملوا به، وما وجدتموه مما هلك بها ممن كان قبلكم فاجتنبوه^(٧).

وفي تفسير الإمام أبي محمد الزكي عليه السلام: قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفي، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نور الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن أثره على ما سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به ومعوله الذي ينتهي إليه آواه الله إلى جنات النعيم، والعيش السليم^(٨).

وفي الكافي: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا معاشر قراء القرآن اتقوا الله فيما حملكم من كتابه فإنني مسؤول وإنكم مسؤولون، إنني مسؤول عن تبليغ الرسالة،

١- الجن: ١- ٢. ٢- فصلت: ٤٢.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣- ٤، ح ٢.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٨، باب فضل القرآن. وفيه: «وضياء من الأحداث».

٥- الجذث: القبر، والجمع: أجذث وأجذث. الصحاح: ج ١، ص ٢٧٧، مادة «جذث».

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥، ح ٨. وفيه: «وضياء من الأحزان».

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥، ح ٦.

٨- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٤٩- ٤٥٠، باب فضائل القرآن. وفيه: «أداه الله إلى جنات النعيم».

وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله وستي^(١).

وبإسناده: عنه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي، ثم أمتي ثم أسألم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي^(٢).
وبإسناده^(٣): عن سعد الإسكاف، عنه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت السور الطول مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصل ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب، فالتوراة لموسى عليه السلام والإنجيل لعيسى عليه السلام والزبور لداود عليه السلام^(٤).

أقول: اختلفت الأقوال في تفسير هذه الألفاظ أقربها إلى الصواب وأحوطها لسور الكتاب، إنَّ الطول كصُرْد: هي السبع الأول بعد الفاتحة على أن تعد الأنفال والبراء واحدة، لنزولها جميعاً في المغازي وتسميتها بالقرينتين، والمئين: من بني إسرائيل إلى سبع سور سميت بها لأنَّ كلاً منها على نحو مائة آية، والمفصل من سورة محمد ﷺ إلى آخر القرآن سميت به لكثرة الفواصل بينها، والمثاني بقية السور وهي التي تقصر عن المئين وتزيد على المفصل، كأنَّ الطول جعلت مبادي تارة والتي تليها مثاني لها، لأنَّها ثنت الطول أي تلتها، والمئين جعلت مبادي أخرى والتي تليها مثاني لها.

المقدمة الثانية

في نبذ مما جاء في أنَّ علم القرآن كله إنما هو عند أهل البيت عليهم السلام

روي في الكافي بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: وساق الحديث - إلى أن قال: - ما نزلت آية على رسول الله ﷺ إلا أقرأها وأملأها

١ - الكافي: ج ٢، ص ٦٠٦، ح ٩، باب فضل حامل القرآن.

٢ - الكافي: ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٤، باب فضل القرآن.

٣ - روى العياشي هذا الحديث أيضاً إلى قوله عليه السلام ثمان وستون. وأورد مكان - ثمان - سبع. منه رحمه الله.

٤ - الكافي: ج ٢، ص ٦٠١، ح ١٠، باب فضل القرآن.

عليّ فكتبتها بخطّي، وعلمّني تأويلها، وتفسيرها، وناسخها، ومنسوخها، ومحكمها، ومتشابهها، ودعا الله لي أن أعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لي بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهى كان أو يكون، ولا كتاب منزلٍ على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علّمنيه وحفظته، فلم أنس منه حرفاً واحداً، ثمّ وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمةً ونوراً، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي مذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أو تتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لست أخوّف عليك نسياناً ولا جهلاً^(١). ورواه العياشي في تفسيره^(٢).

والصدوق في إكمال الدين: بتفاوت يسير في ألفاظه، وزيد في آخره، وقد أخبرني ربّي أنّه قد استجاب لي فيك، وفي شركائك الذين يكونون من بعدك، فقلت: يا رسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرّنهم الله بنفسه وبّي، فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣)، فقلت: ومن هم؟ قال: الأوصياء منّي إلى أن يردوا عليّ الحوض، كلّهم هادين مهديّين، لا يضّرّهم من خذلهم، هم مع القرآن، والقرآن معهم لا يفارقهم ولا يفارقونه، بهم تنصر أمتي، وبهم يطرون، وبهم يدفع عنهم البلاء، وبهم يستجاب دعاؤهم، فقلت: يا رسول الله سمّهم لي، فقال: ابني هذا ووضع يده على رأس الحسن عليه السلام، ثمّ ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام، ثمّ ابن له يقال له: علي، وسيولد في حياتك فاقرأه منّي السلام، ثمّ تكلمه اثني عشر من ولد محمّد صلى الله عليه وآله، فقلت له: بأبي أنت وأمي فسّمهم لي، فسّمهم رجلاً رجلاً منهم، فقال: فيهم والله يا أخا بني هلال مهدي أمة محمّد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، والله إنّي لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام، وأعرف أسماء

١- الكافي: ج ١، ص ٦٢ - ٦٤، ذيل ح ١، باب اختلاف الحديث.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤ - ١٥، ح ٢، باب علم الأئمة بالتأويل.

٣- النساء: ٥٩.

آبائهم وقبائلهم^(١).

وفي الكافي: بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ما ادّعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كلّهُ كما أنزل إلّا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل الله الآ علي بن أبي طالب عليه السلام، والأئمّة من بعده عليه السلام^(٢).

وبإسناده: عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّهُ ظاهره وباطنه غير الأوصياء^(٣).

وبإسناده: عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٤)، قال: هم الأئمّة عليهم السلام^(٥).

وبإسناده: عنه عليه السلام، قال: قد ولدني رسول الله ﷺ وأنا أعلم كتاب الله تعالى، وفيه بدؤ الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء، وخبر الأرض، وخبر الجنة والنار، وخبر ما كان، وما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفيّ، إنّ الله تعالى يقول: ﴿فِيهِ تَبْيَانٌ كُلِّ شَيْءٍ﴾^{(٦)(٧)}.

أقول: الولادة المشار إليها تشمل الولادة الجسمانيّة والروحيّة، فإنّ علمه يرجع إليه كما أنّ نسبه يرجع إليه، فهو وارث علمه كما هو وارث ماله، ولهذا قال: وأنا أعلم كتاب الله تعالى، وفيه كذا وكذا يعني وأنا عالم بذلك كلّهُ.

وبإسناده: عنه عليه السلام قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وفصل ما بينكم،

١- إكمال الدين وإتمام النعمة. ج ١، ص ٢٨٤ - ٢٨٥، ح ٣٧، الباب الرابع والعشرون.

٢- الكافي: ج ١، ص ٢٢٨، ح ١، باب إنّهُ لم يجمع القرآن إلّا الأئمّة عليهم السلام. وفيه: «كما نزلهُ الله تعالى».

٣- الكافي: ج ١، ص ٢٢٨، ح ٢، باب إنّهُ لم يجمع القرآن كلّهُ إلّا الأئمّة عليهم السلام.

٤- العنكبوت: ٤٩.

٥- الكافي: ج ١، ص ٢١٤، ح ٢، باب إنّ الأئمّة قد أوتوا العلم وأُثبت في صدورهم.

٦- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾، النحل: ٨٩.

٧- الكافي: ج ١، ص ٦١، ح ٨، باب الرد إلى الكتاب والسنة.

ونحن نعلمه^(١).

وبإسناده: عنه عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله^(٢).

وفي تفسير العياشي: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره، وإن عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا كتابه ما نستطيع أن نحديث به أحداً^(٣).

وفي رواية: إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن، وأحكامه. لو وجدنا أوعية أو مستراحاً^(٤) لقلنا والله المستعان^(٥).

وفيه: عنه عليه السلام قال: إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب، عليها يستدير بحكم القرآن، وبها نوهت الكتب ويستبين الإيمان، وقد أمر رسول الله ﷺ أن يقتدى بالقرآن وآل محمد ﷺ وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إني تارك فيكم الثقلين، الثقل الأكبر، والثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربي، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي فاحفظوني فيها فلن تضلوا ما تمسكتم بها^(٦).

وفي الكافي: بإسناده عن زيد الشحام، قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر عليه السلام: بلغني أنك تفسر القرآن! قال له قتادة: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: بعلم تفسره، أم بجهل؟ قال: لا بل بعلم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك، قال قتادة: سل، قال:

١- الكافي: ج ١، ص ٦١، ح ٩، باب الرد إلى الكتاب والسنة.

٢- الكافي: ج ١، ص ٢١٣، ح ١، باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة عليهم السلام.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٦، ح ٨، باب علم الأئمة بالتأويل.

٤- والمستراح: موضع الراحة. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٦٣.

٥- بصائر الدرجات: ص ٢١٤، ح ١، باب ٧، في أن الأئمة عليهم السلام أعطوا تفسير القرآن. وإليك نصّه: قال مصعب: سمعت أبا عبدالله عليه السلام، يقول: إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه، وعلم تغيير الزمان، وحدثاته، وإذا أراد الله بقوم خيراً أسعهم ولو أسع من لم يسمع لوئى معرضاً كأن لم يسمع ثم أمسك هنيهة ثم قال: لو وجدنا وعاءً ومستراحاً لعلّمنا والله المستعان.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥، ح ٩، باب فضل القرآن.

أخبرني عن قول الله تعالى في سبأ: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾^(١)، فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتى يرجع إلى أهله، فقال أبو جعفر عليه السلام: نشدتك بالله تعالى يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته، ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه، قال قتادة: اللهم نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلك، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلك، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزد وراحلة وكرى حلال يوم هذا البيت عارفاً بحقنا بهوانا قلبه كما قال الله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^(٢)، ولم يعن^(٣) البيت فيقول إليه، فنحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التي من هوانا قلبه قبلت حجته، وإلا فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة، قال قتادة: لا جرم والله لا فسرتها إلا هكذا، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به^(٤).

أقول: هكذا وجدنا هذا الحديث في نسخ الكافي ويشبه أن يكون قد سقط منه شيء وذلك لأن ما ذكره قتادة لا تعلق له بقوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾^(٥) لأنه ما ذكر فيه - أين هي من الأرض -، وإنما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾^(٦) وكذلك ما قاله الإمام عليه السلام وفيما ورد عن الصادق عليه السلام: من سؤال تفسير الآيتين عن أبي حنيفة دلالة أيضاً على ما ذكرناه من السقوط، وهو ما رواه في علل الشرائع بإسناده عنه عليه السلام إنه قال لأبي حنيفة: أنت فقيه أهل العراق؟ فقال: نعم، قال: فمِم تفتيهم؟ قال: بكتاب الله تعالى وسنة نبيه، قال: يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ من

١ - سبأ: ١٨.

٢ - أي لم يعن البيت فيقول: مكان تهوي إليهم، تهوي إليه، بل عني إيتاهم، فقال: تهوي إليهم أي أهل البيت

٣ - الكافي: ج ٨، ص ٣١١، ح ٤٨٥.

٤ - الكافي: ج ٨، ص ٣١١، ح ٤٨٥.

٥ - سبأ: ١٨.

٦ - آل عمران: ٩٧.

المنسوخ؟ فقال: نعم، فقال: يا أبا حنيفة لقد ادّعت علماً، ويحك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذي أنزله عليهم، ويحك وما هو إلا عند الخاص من ذرية نبيتنا وما أراك تعرف من كتابه حرفاً فإن كنت كما تقول، ولست كما تقول، فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّاماً ءَامِينَ﴾^(١) أين ذلك من الأرض؟ قال: أحسبه ما بين مكة والمدينة، فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إلى أصحابه فقال: تعلمون أن الناس يقطع عليهم ما بين المدينة ومكة فيؤخذ أموالهم، ولا يؤمنون على أنفسهم، ويقتلون، قالوا: نعم، فسكت أبو حنيفة فقال: يا أبا حنيفة أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾^(٢) أين ذلك من الأرض؟ قال: الكعبة، قال: أفتعلم إن الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله كان آمناً فيها؟ فسكت^(٣).

ويأتي تفسير الآيتين في محلّهما إن شاء الله تعالى.

المقدمة الثالثة

في نبد مما جاء في أن جل القرآن إنما نزل فيهم

وفي أولياتهم وأعدائهم وبيان سرّ ذلك

في الكافي^(٤)، وتفسير العياشي: بإسنادهما عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل القرآن على أربعة أرباع، ربع فينا، وربع في عدونا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام، وزاد العياشي: ولنا كرائم القرآن^(٥).

وبإسنادهما^(٦): عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نزل القرآن

١- سبأ: ١٨. ٢- آل عمران: ٩٧.

٣- علل الشرائع: ج ١، ص ٨٩-٩١، ح ٥، باب ٨١ علة المارة في الأذنين.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٦٢٨، ح ٤، باب النوادر.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩، ح ١، باب في ما أنزل القرآن.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٦٢٧، ح ٢، باب النوادر.

أثلاثاً، ثلث فينا وفي عدوّنا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام^(١).

وروى العياشي بإسناده عن خيشمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: القرآن نزل أثلاثاً، ثلث فينا وفي أحبائنا، وثلث في أعدائنا وعدو من كان قبلنا، وثلث سنّة ومثّل، ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره مادامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلونها وهم منها من خير، أو شرّ^(٢).

أقول: لا تنافي بين هذه الأخبار لأنّ بناء هذا التقسيم، ليس على التسوية الحقيقية ولا على التفريق من جميع الوجوه، فلا بأس باختلافها بالتثليث والتربيع، ولا بزيادة بعض الأقسام على الثلث أو الربع أو نقصه عنها، ولا دخول بعضها في بعض.

وإسناده: عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لنا حقّ في كتاب الله تعالى المحكم لو محوه فقالوا: ليس من عند الله أولم يعلموا لكان سواء^(٣).

أقول: إنّّه قد وردت أخبار جمّة عن أهل البيت عليهم السلام في تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم حتّى إنّ جماعة من أصحابنا صنّفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو، وجمعوا فيها ما ورد عنهم عليهم السلام في تأويل آية آية إمّا بهم أو بشيعتهم أو بعدوّهم على ترتيب القرآن، وقد رأيت منها كتاباً كاد يقرب من عشرين ألف بيت.

وقد روي في الكافي^(٤)، وفي تفسير العياشي^(٥) وعلي بن إبراهيم القمي^(٦)، والتفسير المسموع من الإمام أبي محمّد الزكي^(٧) أخبار كثيرة من هذا القبيل، وذلك مثل ما رواه في الكافي: عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿نُزِّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٩، ح ٣، باب في ما انزل القرآن.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠، ح ٧، باب في ما انزل في القرآن.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣، ح ٢، باب ما عني به الأئمّة من القرآن.

٤ - الكافي: ج ١، ص ١٢٤، باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣ - ١٤، باب ما عني به الأئمّة من القرآن.

٦ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٣. ٧ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٤٩ - ٤٥٢.

مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ^(١)، قال: هي الولاية لأمر المؤمنين ﷺ^(٢).

وفي تفسير العياشي: عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر ﷺ، قال: يا محمد إذا سمعت الله ذكر قوماً من هذه الأمة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدونا^(٣).

وفيه: عن عمر بن حنظلة، عن أبي عبدالله ﷺ، سأله عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٤)، قال: فلما رأي أن أتبع هذا وأشباهه من الكتاب، قال: حسبك كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمة عنوا به^(٥).

أقول: والسرف فيه إنما ينكشف ويتبين بسط من الكلام، وتحقيق للمقام فنقول وبالله التوفيق: إنه لما أراد الله سبحانه أن يعرف نفسه لخلقه ليعبدوه، وكان لم تيسر معرفته كما أراد على سنة الأسباب إلا بوجود الأنبياء والأوصياء، إذ بهم تحصل المعرفة التامة، والعبادة الكاملة دون غيرهم، وكان لم تيسر وجود الأنبياء والأوصياء إلا بخلق سائر الخلق ليكون أنسأ لهم وسبباً لمعاشهم فلذلك خلق سائر الخلق، ثم أمرهم بمعرفة أنبيائه وأوليائه وولايتهم والتبري من أعدائهم ومما يصدّهم عن ذلك ليكونوا ذوي حظوظ من نعمهم، ووهب الكل معرفة نفسه على قدر معرفتهم بالأنبياء والأوصياء إذ بمعرفتهم إياهم يعرفون الله، وبولايتهم إياهم يتولّون الله، فكل ما ورد من البشارة والإنذار والأوامر والنواهي والنصائح والمواعظ من الله سبحانه فإنما هو لذلك، ولما كان نبينا ﷺ سيد الأنبياء، ووصيه صلوات الله عليه سيد الأوصياء، لجمعها كمالات سائر الأنبياء والأوصياء، ومقاماتهم مع ما لها من الفضل عليهم، وكان كلّ منهما نفس الآخر، صحّ أن ينسب إلى أحدهما من الفضل ما ينسب إليهم لإشتاله على

١- الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥.

٢- الكافي: ج ١، ص ١٢، ح ١، باب فيه نكت وتنف من التزليل في الولاية.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣، ح ٣، باب ما عني به الأئمة من القرآن.

٤- الرعد: ٤٣.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣، ح ٨.

الكلّ، وجمعه لفضائل الكلّ، وحيث كان الأكمل يكون الكامل لا محالة، ولذلك خصّ تأويل الآيات بهما وبسائر أهل البيت عليهم السلام الذين هم منها «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ»^(١)، وجيء بالكلمة الجامعة التي هي الولاية، فإنّها مشتملة على المعرفة والمحبة والمتابعة وسائر ما لا بدّ منه في ذلك، وأيضاً فإنّ أحكام الله سبحانه إنّما تجري على الحقائق الكلّيّة والمقامات النوعيّة دون خصائص الأفراد والآحاد كما أشرنا إليه سابقاً، فحيث ما خطب قوم بخطاب أو نسب إليهم فعل دخل في ذلك الخطاب وذلك الفعل - عند العلماء وأولي الألباب -، كلّ من كان من سنخ أولئك القوم وطينتهم، فصفوة الله حيثما خطبوا بمكرمة أو نسبوا إلى أنفسهم بمكرمة يشمل ذلك كلّ من كان من سنخهم وطينتهم من الأنبياء والأولياء، وكلّ من كان من المقرّبين إلّا مكرمة خصّوا بها دون غيرهم، وكذلك إذا خطبت شيعتهم بخير أو نسب إليهم، خير أو خطب أعداؤهم بسوء أو نسب إليهم سوء يدخل في الأوّل كلّ من كان من سنخ شيعتهم وطينة محبّتهم، وفي الثاني كلّ من كان من سنخ أعدائهم وطينة مبغضهم من الأوّلين والآخرين، وذلك لأنّ كلّ من أحبّه الله ورسوله أحبّه كلّ مؤمن من ابتداء الخلق إلى إنتهائه، وكلّ من أبغضه الله ورسوله أبغضه كلّ مؤمن كذلك، وهو يبغض كلّ من أحبّه الله تعالى ورسوله، وكلّ مؤمن في العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من شيعتهم ومحبّتهم، وكلّ جاحد في العالم قديماً أو حديثاً إلى يوم القيامة فهو من مخالفهم ومبغضهم.

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في كلام الصادق عليه السلام في حديث المفضّل بن عمر وهو الذي رواه الصدوق طاب ثراه في كتاب علل الشرائع: بإسناده عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بما صار علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنّة والنار؟ قال: لأنّ حبّه إيمان، وبغضه كفر، وإنّما خلقت الجنّة لأهل الإيمان، وخلقت النار لأهل الكفر، فهو عليه السلام قسيم الجنّة والنار، لهذه العلّة، والجنّة لا يدخلها إلّا أهل محبّته، والنار لا يدخلها إلّا أهل بغضه، قال المفضّل: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله فالأنبياء والأوصياء هل كانوا يحبّونه وأعداؤهم يبغضونه؟ فقال: نعم، قلت: فكيف ذلك؟ قال: أما علمت أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال يوم خير: لأعطين الراية غداً

رجلاً يحبّ الله تعالى ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، ما يرجع حتّى يفتح الله على يده. قلت: بلى، قال: أما علمت أنّ رسول الله ﷺ لما أوتي بالطائر المشوي قال: اللَّهُمَّ إِنِّي بِأَحَبِّ الخلق إليك يأكل معي هذا الطير وعني به عليّاً، قلت: بلى، قال: يجوز أن لا يحبّ أنبياء الله ورسله وأوصيائهم ﷺ من^(١) يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله؟ فقلت: لا، قال: فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أهمهم لا يحبّون حبيب الله وحبيب رسوله ﷺ وأنبياءه ﷺ؟ قلت: لا، قال: فقد ثبت أنّ جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا على بن أبي طالب ﷺ محبّين، وثبت أنّ المخالفين لهم كانوا له ولجميع أهل محبّته مبغضين، قلت: نعم، قال: فلا يدخل الجنة إلاّ من أحبّه من الأوّلين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار.

قال المفضّل بن عمر: فقلت له: يا بن رسول الله فرّجت عني فرّج الله عنك فزدني ممّا علّمك الله تعالى، فقال: سل يا مفضّل.

فقلت: أسأل يا بن رسول الله ﷺ فعلي بن أبي طالب ﷺ يُدخل محبّه الجنة ومبغضه النار أو رضوان ومالك؟ فقال: يا مفضّل أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روح إلى الأنبياء ﷺ وهم أرواح قبل خلق الخلق بألّي عام.

قلت: بلى، قال: أما علمت أنّه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتباع أمره، ووعدهم الجنة على ذلك، وأوعد من خالف ما أجابوا إليه وأنكره النار؟

فقلت: بلى، قال: أفليس النبي ﷺ ضامناً لما وعد وأوعد عن ربّه عزّ وجلّ؟ قلت: بلى، قال: أوليس علي بن أبي طالب ﷺ خليفته وإمام أمّته؟ قلت: بلى، قال: أوليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشييعته الناجين بمحبّته؟

قلت: بلى، قال: فعلي بن أبي طالب ﷺ إذن قسيم الجنة والنار، عن رسول الله ﷺ، ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضّل خذ هذا فإنّه من مخزون

١- وفي نسخة: [رجلاً].

٢- وفي نسخة: [قال: فهل يجوز أن يكون المؤمنون من أهمهم لا يحبّون حبيب الله وحبيب رسول الله ﷺ وأمنائه ﷺ؟ قلت: لا، قال:].

العلم وممكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله^(١).

أقول: وقد فتح هذا الحديث باباً من العلم انفتح منه ألف باب وسيأتي له مزيد انكشاف في المقدمة الرابعة عند تحقيق القول في المتشابه وتأويله إن شاء الله تعالى، ومن هذا القبيل خطاب الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمان نبينا ﷺ بما فعل بأسلافهم أو فعلت أسلافهم كاجنائهم من الفرق، وسقيهم من الحجر، وتكذيبهم الآيات إلى غير ذلك، وذلك لأن هؤلاء كانوا من سنخ أولئك راضين بما رضوا به ساخطين بما سخطوا به، وأيضاً فإن القرآن إنما نزل بلغة العرب، ومن عادة العرب أن تنسب إلى الرجل ما فعلته القبيلة التي هو منهم، وإن لم يفعل هو بعينه ذلك الفعل معهم، وقد ورد ذلك بعينه في كلام السجاد عليه السلام حيث سئل عن ذلك؟ فقال: إن القرآن بلغة العرب وخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم، أما تقول للرجل التميمي الذي قد أغار قومه على بلد وقتلوا من فيه: أغرمت على بلد كذا وفعلتم كذا؟ الحديث^(٢).

وسرّ هذه العادة في لغتهم ما قلناه، وهذا التحقيق انحلّ كثير من المشكلات والشبهات في تأويل الآيات الواردة عنهم عليه السلام، بل كفيها مؤونة ذكر التأويلات في ذيل تلك الآيات، إذ لا يخفى بعد معرفة هذا الأصل إجراء تلك التأويلات في آية آية على أولي الألباب، إلا إننا سنأتي بنبد منها في محالّها إن شاء الله تعالى والحمد لله على ما أفهمنا ذلك وألهمناه.

المقدمة الرابعة

في نبذ مما جاء في معاني وجوه الآيات، وتحقيق

القول في المتشابه، وتأويله

روى العياشي: بإسناده عن جابر، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير

١ - علل الشرائع: ج ١، ص ١٦١ - ١٦٣، ح ١، باب ١٣٠ - العلة التي من أجلها صار علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنة والنار.

٢ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٢. وفيه: «فهو يخاطب فيه أهل اللسان».

القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب آخر غير هذا قبل اليوم، فقال لي: يا جابر إن للقرآن بطناً، وللطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متصل يتصّرف على وجوه^(١).

وبإسناده: عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ظهر القرآن: الذين نزل فيهم، وبطنه: الذين عملوا بمثل أعمالهم^(٢).

وبإسناده: عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلا وله حدّ، ولكلّ حدّ مطلع ما يعني بقوله: لها ظهر وبطن؟ قال: ظهره تنزيله، وبطنه تأويله، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلّما جاء منه شيء وقع قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٣)، نحن نعلمه^(٤).

أقول: المطّلع بتشديد الطاء وفتح اللّام: مكان الإطلاع من موضع عال، ويجوز أن يكون بوزن مصعد بفتح الميم، ومعناه أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، ومحصل معناه قريب من معنى التأويل والبطن كما أنّ معنى الحد قريب من معنى التنزيل والظهر.

وبإسناده: عن مسعدة بن صدقة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، قال: الناسخ: الثابت المعمول به، والمنسوخ: ما قد كان يعمل به ثمّ جاء ما نسخه، والمتشابه: ما اشتبه على جاهله^(٥).

وفي رواية: الناسخ: الثابت، والمنسوخ: ما مضى، والمحكم: ما يعمل به، والمتشابه: الذي

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢، ح ٨، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١١، ح ٤، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٣ - آل عمران: ٧.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١١، ح ٥، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١١ - ١٢، ح ٧، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

يشبه بعضه بعضاً^(١).

وبإسناده: عن عبدالله بن سنان، قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن القرآن والفرقان؟ قال: القرآن: جملة الكتاب وأخبار ما يكون، والفرقان: المحكم الذي يعمل به، وكلّ محكم فهو فرقان^(٢).

وبإسناده: عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ القرآن فيه محكم ومتشابه، فأما المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به، وأما المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به^(٣).
وبإسناده: عن عبدالله بن بكير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزل القرآن بإتيك أعني واسمعي يا جارة^(٤).

أقول: هذا مثل يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به غير المخاطب، وهذا الحديث مما يؤيد ما حققناه في المقدمة السابقة.

وبإسناده: عن ابن أبي عمير، عن حدّثه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما عاتب الله نبيّه عليه السلام فهو يعني به من قد مضى في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾^(٥) عني بذلك غيره^(٦).

أقول: لعل المراد بمن قد مضى في القرآن: من مضى ذكره فيه من الذين أسقط أسماءهم الملحدون في آيات الله كما يظهر ممّا يأتي ذكره في المقدمة السادسة، وهذان الحديثان مرويان في الكافي^(٧) أيضاً.

ومن طريق العامة عن النبي عليه السلام أنّ للقرآن ظهراً وبطناً؛ وحدّاً؛ ومطلعا^(٨).

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠، ح ١، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩، ح ٢، باب في ما أنزل القرآن.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١١، ح ٦، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠، ح ٤، باب في ما أنزل القرآن.

٥- الإبراء: ٧٤.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠، ح ٥، باب في ما أنزل القرآن.

٧- الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠-٦٣١، ح ١٤.

٨- إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤١.

وعنه عليه السلام: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف^(١)، لكل آية منها ظهر، وبطن، ولكل حدّ مطّلع^(٢).

وفي رواية: ولكل حرف حدّ، ومطّلع^(٣).

وعنه عليه السلام: إن للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: ما من آية إلّا ولها أربعة معان: ظاهر، وباطن، وحدّ، ومطّلع، فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم، والحدّ: هو أحكام الحلال والحرام، والمطّلع: هو مراد الله من العبد بها^(٥).

وروا أنّه عليه السلام سئل هل عندكم من رسول الله عليه السلام شيء من الوحي سوى القرآن؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلّا أن يعطي عبداً فهمها في كتابه^(٦).

وروا عن الصادق عليه السلام أنّه قال: كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة، والإشارة، واللّطائف، والحقائق، فالعبارة: للعوام، والإشارة للخواص، واللّطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء^(٧).

أقول: وتحقيق القول في التشابه وتأويله يقتضي الإتيان بكلام مبسوط من جنس اللّباب، وفتح باب من العلم ينفّث منه لأهله ألف باب. فنقول وبالله التوفيق: إنّ لكلّ معنى من المعاني حقيقة وروحاً، وله صورة وقالب، وقد يتعدّد الصور والقوالب لحقيقة واحدة، وإنّما

١- قال بعض أهل المعرفة: الوجه في انحصار الأحرف في السبعة إنّ لكلّ من الظهر والبطن طرفين فذاك حدود أربعة، وليس لحد الظهر الذي من تحت مطّلع لأنّ المطّلع لا يكون من فوق فالحد أربعة، والمطّلع ثلاثة والمجموع سبعة، منه عليه السلام.

٢- تفسير الطبري: ج ١، ص ٩، سطر ٢٣ بأدنى تفاوت.

٣- كنز العمال: ج ٢، ص ٥٣، ح ٣٠٨٦، وتفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١، ح ٥، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن والمحكم والمتشابه.

٤- عوالي اللئالي: ج ٤، ص ١٠٧، ح ١٥٩، وفيه: «ولبطنه بطن». ومقدّمة تفسير البرهان: ص ٥، س ٣٠.

٥- الميزان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٧٤.

٦- إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٣٣، ومقدّمة البرهان: ص ١٧، س ١٢.

٧- بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ١٠٣، ح ٨١؛ ومقدّمة البرهان: ص ١٧، س ٢٥.

وضعت الألفاظ للحقائق والأرواح، ولوجودهما في القوالب تستعمل الألفاظ فيها على الحقيقة لاتحاد ما بينهما، مثلاً لفظ القلم إنما وضع لآلة نقش الصور في الألواح من دون أن يعتبر فيها كونها من قصب أو حديد أو غير ذلك، بل ولا أن يكون جسماً، ولا كون النقش محسوساً أو معقولاً، ولا كون اللوح من قرطاس أو خشب بل مجرد كونه منقوشاً فيه، وهذا حقيقة اللوح وحده وروحه فإن كان في الوجود شيء يستطر بواسطة نقش العلوم في ألواح القلوب فَأَخْلُقُ به أن يكون هو القلم، فإن الله تعالى قال: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١)، بل هو القلم الحقيقي حيث وجد فيه روح القلم وحقيقته وحده، من دون أن يكون معه ما هو خارج عنه، وكذلك الميزان مثلاً فإنه موضوع لمعيار يعرف به المقادير، وهذا معنى واحد هو حقيقته وروحه وله قوالب مختلفة وصور شتى بعضها جسماني وبعضها روحاني، كما يوزن به الأجرام والأثقال مثل ذي الكفتين، والقبان، وما يجري مجراها وما يوزن به المواقيت والإرتفاعات كالإسطرلاب، وما يوزن به الدوائر والقسبي كالفرجار، وما يوزن به الأعمدة كالشاقول، وما يوزن به الخطوط كالمسطرة، وما يوزن به الشعر كالعروض، وما يوزن به الفلسفة بالمنطق، وما يوزن به بعض المدركات كالحس والخيال، وما يوزن به العلوم والأعمال كما يوضع ليوم القيامة، وما يوزن به الكل كالعقل الكامل إلى غير ذلك من الموازين.

وبالجملة: ميزان كل شيء يكون من جنسه، ولفظة الميزان حقيقة في كل منها باعتبار حده وحقيقته الموجودة فيه، وعلى هذا القياس كل لفظ ومعنى وأنت إذا اهتديت إلى الأرواح صرت روحانياً، وفتحت لك أبواب الملكوت وأهلّت لمرافقة الملأ الأعلى وحسن أولئك رفيقاً، فما من شيء في عالم الحس والشهادة إلا وهو مثال وصورة لأمر روحاني في عالم الملكوت، وهو روحه المجرد وحقيقته الصرفة، وعقول جمهور الناس في الحقيقة أمثلة لعقول الأنبياء والأولياء فليس للأنبياء والأولياء أن يتكلموا معهم إلا بضرب الأمثال لأنهم أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، وقدر عقولهم أنهم في النوم بالنسبة إلى تلك النشأة والنائم لا ينكشف له شيء في الأغلب إلا بمثل، فلهذا من كان يعلم الحكمة غير أهلها رأى في المنام أنه

يعلق الدّرّ في أعناق الحنازير، ومن كان يؤذن في شهر رمضان قبل الفجر رأى أنّه يختم على أفواه الناس وفروجه، وعلى هذا القياس، وذلك لعلاقة خفية بين النشأت «فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»^(١) وعلموا حقائق ما سمعوه بالمثال، وعرفوا أرواح ذلك، وعقلوا أنّ تلك الأمثلة كانت قشوراً، قال الله سبحانه: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾^(٢)، فقلّ العلم: بالماء، والقلوب: بالأودية، والضلال: بالزبد، ثمّ نبّه في آخرها فقال: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ فكلّ ما لا يحتمل فهمك فإنّ القرآن يلقيه إليك على الوجه الذي كنت في النوم مطالعاً بروحك للوَح المحفوظ ليتمثّل لك بمثال مناسب، وذلك يحتاج إلى التعبير، فالتأويل يجري مجرى التعبير، فالمفسّر يدور على القشر، ولما كان الناس إنّما يتكلّمون على قدر عقولهم ومقاماتهم فما يخاطب به الكلّ يجب أن يكون للكلّ فيه نصيب، فالقشريّة من الظاهريّين لا يدركون إلّا المعاني القشريّة كما أنّ القشر من الإنسان وهو ما في الإهاب، والبشرة من البدن لا ينال إلّا قشر تلك المعاني، وهو ما في الجلد والغلاف من السواد والصور، وأمّا روحها وسرّها وحقيقتها فلا يدرك إلّا أولوا الألباب، وهم الراسخون في العلم، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في دعائه لبعض أصحابه حيث قال: اللَّهُمَّ فَقِّهْ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ^(٣) ولكلّ منهم حظّ قلّ أم كثر، وذوق نقص أو كمل، ولهم درجات في الترقّي إلى أطوارها، وأغوارها، وأسرارها وأنوارها، وأمّا البلوغ للإستيفاء والوصول إلى الأقصى فلا مطمع لأحد فيه ولو كان البحر مداداً لشرّحه، والأشجار أقلاماً ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(٤).

ومما ذكر يظهر سبب اختلاف ظواهر الآيات والأخبار الواردة في أصول الدين وذلك لأنّها ممّا خوطب به طوائف شتى وعقول مختلفة فيجب أن يكلم كلّ على قدر فهمه ومقامه.

١ - عوالي اللئالي: ج ٤، ص ٧٣، ح ٤٨. ٢ - الرعد: ١٧.

٣ - إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤٣، وجامع الأصول في أحاديث الرسول: ج ٢، ص ٤.

٤ - الكهف: ١٠٩.

ومع هذا فالكلّ صحيح غير مختلف من حيث الحقيقة ولا مجاز فيه أصلاً واعتبر ذلك بمثال العميان والفيل وهو مشهور، وعلى هذا فكلّ من لم يفهم شيئاً من التشابهات من جهة أنّ حمله على الظاهر كان مناقضاً بحسب الظاهر لأصول صحيحة دينيّة وعقائد حقّة يقينيّة عنده فينبغي أن يقتصر على صورة اللفظ لا يبدلها، ويحيل العلم به إلى الله سبحانه والراسخين في العلم، ثم يرصد لهبوب رياح الرحمة من عند الله تعالى ويتعرّض لنفحات أيام دهره الآتية من قبل الله تعالى، لعلّ الله يأتي له بالفتح أو أمر من عنده ويقضي الله أمراً كان مفعولاً، فإنّ الله سبحانه ذمّ قوماً على تأويلهم التشابهات بغير علم فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١).

المقدمة الخامسة

في نبذ مما جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي والسر فيه

روي عن النبي ﷺ أنّه قال: من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحقّ فقد أخطأ^(٢).

وعنه ﷺ: من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار^(٣).

وعنه ﷺ وعن الأئمة القائلين مقامه عليه السلام: أنّ تفسير القرآن لا يجوز إلاّ بالأثر الصحيح، والنصّ الصريح^(٤).

وفي تفسير العياشي: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم

١- آل عمران: ٧.

٢- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٣، سطر ١٤، الفن الثالث. وتفسير التبيان: ج ١، ص ٤ ووسائل الشيعة: ج ١٨، ص ١٥١، ح ٧٩، باب ١٣.

٣- عوالي اللئالي: ج ٤، ص ١٠٤، ح ١٥٤. ومقدمة تفسير البرهان: ص ١٦. وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤١.

٤- وسائل الشيعة: ج ١٨، ص ١٥١، ح ٧٨، باب ١٣. وتفسير مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٣، سطر ١٢. والتبيان: ج ١، ص ٤.

يؤجر، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء^(١).

وفيه^(٢)، وفي الكافي: عن الصادق، عن أبيه عليه السلام، قال: ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر^(٣).

أقول: لعلّ المراد بضرب بعضه ببعض تأويل بعض متشابهاته، إلى بعض بمقتضى الهوى من دون سماع من أهله أو نور وهدى من الله، ولا يخفى أنّ هذه الأخبار تناقض بطواهرها ما مضى في المقدمة الأولى من الأمر بالاعتصام بجبل القرآن، والتماس غرائبه، وطلب عجائبه، والتعمق في بطونه، والتفكر في تخومه، وجولان البصر فيه، وتبليغ النظر إلى معانيه، فلا بدّ من التوفيق والجمع.

فنقول وبالله التوفيق: إنّ من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدّ نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، ولكنه مخطيء في الحكم برّد الخلق كافّة إلى درجته التي هي حدّه ومقامه، بل القرآن والأخبار والآثار تدلّ على أنّ في معاني القرآن لأرباب الفهم متسعاً بالغاً ومجالاً رحباً.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٤)، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٥)، وقال: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٦)، وقال: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٧).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: إذا جاءكم عني حديث فأعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط^(٨).

وكيف يمكن العرض ولا يفهم به شيء.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٧، ح ٤، باب في من فسر القرآن برأيه.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨، ح ٢، باب كراهية الجدل في القرآن.

٣ - الكافي: ج ٢، ص ٦٣٢، ح ١٧، باب النوادر. ٤ - محمد: ٢٤.

٥ - النحل: ٨٩. ٦ - الأنعام: ٣٨.

٧ - النساء: ٨٣.

٨ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٣، سطر ١٧، الفن الثالث. والتهيان: ج ١، ص ٥.

وقال ﷺ: القرآن ذلّول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إلّا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن^(٢).

وقال عليه السلام: من فهم القرآن فسرّ جمل العلم^(٣). أشار به إلى أن القرآن مشير إلى مجامع العلوم كلّها إلى غير ذلك من الآيات والأخبار فالصواب أن يقال: من أخلص الإنقياد لله ولرسوله ﷺ ولأهل البيت عليه السلام وأخذ علمه منهم وتتبع آثارهم، وأطلع على جملة من أسرارهم بحيث حصل له الرسوخ في العلم والطمأنينة في المعرفة، وانفتح عيناه قلبه، وهجم به العلم على حقائق الأمور، وباشر روح اليقين، واستلان ما استوعره المترفون، وأنس بما استوحش منه الجاهلون، وصحب الدنيا بيدن روحه معلقة بالمحلّ الأعلى فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه ويستنبط منه نبذاً من عجائبه ليس ذلك من كرم الله تعالى بغريب، ولا من جوده بعجيب وليست السعادة وقفاً على قوم دون آخرين، وقد عدّوا عليه السلام جماعة من أصحابهم المتصفيين بهذه الصفات من أنفسهم كما قالوا: سلمان متناً أهل البيت عليه السلام، فمن هذه صفته لا يبعد دخوله في الراسخين في العلم العالمين بالتأويل، بل في قولهم: «نحن الراسخون في العلم»^(٤) كما دريت في المقدّمة السابقة، فلا بدّ من تنزيل التفسير المنهي عنه على أحد الوجهين.

الوجه الأوّل: أن يكون للمفسّر في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتجّ على تصحيح غرضه ومدّعاه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتجّ ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنّه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يُلبس به على خصمه، وتارة يكون مع الجهل ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويترجّح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسرّ القرآن برأيه، أي رأيه هو

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ١٣، سطر ٢٠. وعوالي اللئالي: ج ٤، ص ١٠٤، ح ١٥٣.

٢- المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ٢٤٢ و ٢٥٠. ومقدّمة البرهان: ص ١٧. وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤١.

٣- إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤٢. ومقدّمة البرهان: ص ١٧. وفي بحار الأنوار: ج ٧١، ص ٩٠، وفيه:

«فمن فهم فسرّ جمل العلم».

٤- الكافي: ج ١، ص ٢١٣، ح ١، باب إنّ الراسخين في العلم هم الأئمة.

الذي حمله على ذلك التفسير، ولولا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه، وتارةً قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن، ويستدلّ عليه بما يعلم أنّه أريد به ذلك كمن يدعو إلى الإستغفار بالأسحار فيستدلّ عليه بقوله ﷻ: **تَسْحَرُوا فَإِنِ السَّحُورُ بَرَكَةٌ** ^(١) ويوهم أنّ المراد به التسحر بالذكر، وهو يعلم أنّ المراد به الأكل، وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول: قال الله تعالى: ﴿**أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ**﴾ ^(٢)، ويشير إلى قلبه، ويومي إلى أنّه المراد بفرعون، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسّيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو ممنوع منه.

وقد يستعمله الباطنيّة في المقاصد الفاسدة لتغريب الناس، ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فيزّلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنّه غير مراد به، فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي.

الوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّة من غير إستظهار بالسماع. والنقل فيما يتعلّق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيها من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، وفيما يتعلّق بالناسخ والمنسوخ، والخاصّ والعام، والرخص والعزائم، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك من وجوه الآيات فمن لم يحكم ظاهر التفسير ومعرفة وجوه الآيات المفتقرة إلى السماع وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربيّة كثر غلطه، ودخل في زمرة من يفسّر بالرأي، فالنقل والسماع لا بدّ منه في ظاهر التفسير أولاً ليتبيّن مواضع الغلط ثمّ بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط فإنّ ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللّغة التي لا بدّ منها للفهم. وما لا بدّ فيه من السماع فنون كثيرة:

منها: ما كان مجعلاً لا ينبىء ظاهره عن المراد به مفصلاً مثل قوله سبحانه: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ ^(٣) ﴿**وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ ^(٤)، فإنّه يحتاج فيه إلى بيان

١ - مستدرك الوسائل: ج ٧، ص ٣٥٧، ح ١٠، باب ٢.

٢ - طه: ٢٤.

٣ - البقرة: ٤٣.

٤ - الأنعام: ١٤١.

النبي ﷺ بوحى من الله سبحانه فيبين تفصيل أعيان الصلوات، وأعداد الركعات، ومقادير النصب في الزكاة، وما تجب فيه من الأموال وما لا تجب، وأمثال ذلك كثيرة فالشروع في بيان ذلك من غير نصّ وتوقيف ممنوع منه.

ومنها: الإيجاز بالحذف والإضمار كقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾^(١)، معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة، ولم تكن عمياء، ولا يدري أنهم بماذا ظلموا أو أنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم.

ومنها: المقدّم والمؤخّر وهو مظنة الغلط كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾^(٢)، معناه ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً^(٣) وبه ارتفع الأجل، ولولاه لكان نصباً كاللزام^(٤) إلى غير ذلك كما سنذكره في مواضعها.

روي عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني أنه روى في تفسيره بإسناده عن إسماعيل بن جابر، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ففتح به الأنبياء فلا نبي بعده، وأنزل عليه كتاباً ففتح به الكتب فلا كتاب بعده، أحلّ فيه حلالاً وحرم حراماً، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فيه شرعكم، وخبر من قبلكم وبعدكم، وجعله النبي ﷺ علماً باقياً في أوصيائه، فتركهم الناس، وهم الشهداء على أهل كلّ زمان، وعدلوا عنهم، ثمّ قتلوهم واتبعوا غيرهم وأخلصوا لهم الطاعة، حتّى عاندوا من أظهر ولاية ولادة الأمر، وطلب علومهم، قال الله

٣- لكان مثل ما نزل بعدا وثمود لازماً لهذه الكفرة، وأجل مسمى عطف على كلمة أي ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم لكان العذاب إلزاماً، والفصل للدلالة على استقلال كلّ منها بنفي الزوم، وقال القتي: اللازم الهلاك، وقال: وكان ينزل بهم العذاب ولكن قد أخرهم إلى أجل مسمى. منه تبيّن.

٤- اعلم إن قوله ﷺ: فلا بد من تنزيل التفسير المنهي عنه على أحد الوجهين، إلى هنا مقتبس من كتاب إحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

سبحانه: ﴿وَسُوا حَظًّا تَمَا ذُكُّرُوا بِهِ وَلَا تَرَالُ تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾^(١)، وذلك أَنَّهُم ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجوا بالمنسوخ، وهم يظنون أَنَّهُ الناسخ، واحتجوا بالمتشابه، وهم يرون أَنَّهُ المحكم، واحتجوا بالخاص، وهم يقدرون أَنَّهُ العام، واحتجوا بأول الآية وتركوا السبب في تأويلها ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارد ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله فضلوا، وأضلوا.

واعلموا رحمكم الله: أَنَّهُ من لم يعرف من كتاب الله عزَّ وجلَّ الناسخ من المنسوخ، والخاص من العام، والمحكم من المتشابه، والرخص من العزائم، والمكي والمدني، وأسباب النزيل، والمبهم، من القرآن في ألفاظه المنقطعة والمؤلفة، وما فيه من علم القضاء والقدر، والتقديم والتأخير، والمبين والعميق، والظاهر والباطن، والابتداء من الانتهاء، والسؤال والجواب، والقطع والوصل والمستثنى منه والجار فيه، والصفة لما قبل، مما يدل على ما بعد والمؤكد منه، والمفصل، وعزائمه ورخصه، ومواضع فرائضه وأحكامه، ومعنى حلاله وحرامه الذي هلك فيه الملحدون، والموصول من الألفاظ، والمحمول على ما قبله وعلى ما بعده فليس بعالم بالقرآن ولا هو من أهله ومتى ما ادَّعى معرفة هذه الأقسام مدَّعٍ بغير دليل فهو كاذب مرتاب مفتر على الله الكذب ورسوله ومأواه جهنم وبئس المصير^(٢).

المقدمة السادسة

في نبذ مما جاء في جمع القرآن وتحريفه
وزيادته ونقصه وتأويل ذلك

روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: يا علي إنَّ القرآن خلف فراشي في الصحف والحريير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيَّعت اليهود التوراة، فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر، ثم ختم

عليه في بيته، وقال: لا أرتدي حتى أجمعه، قال: كان الرجل لياًتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه^(١).

وفي الكافي: عن محمد بن سليمان، عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم؟ فقال: لا إقرأوا كما تعلمتم فسيحييكم من يعلمكم^(٢).
أقول: يعني به صاحب الأمر عليه السلام.

وبإسناده: عن سالم بن سلمة، قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأها الناس فقال أبو عبد الله عليه السلام: كفّ عن هذه القراءة وإقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم عليه السلام، فإذا قام قرأ كتاب الله تعالى على حدّه وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام. وقال: أخرجه علي عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله وقد جمعته بين اللوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرأوه^(٣).

وبإسناده: عن البرنطي، قال: دفع إليّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً، وقال: لا تنظر فيه ففتحتّه وقرأت فيه «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا» فوجدت فيه اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، قال: فبعث إليّ ببعث إليّ بالمصحف^(٤).

وفي تفسير العياشي: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لولا أنّه زيد في كتاب الله ونقص فيه ما خفي حقنا على ذي حجبى^(٥)، ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن^(٦).

١- تفسير القمي: ج ٢، ص ٤٥١.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٦١٩، ح ٢، باب إن القرآن يرفع كما أنزل.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٦٣٣، ح ٢٣، باب النواذر. ٤- الكافي: ج ٢، ص ٦٣٢، ح ١٦، باب النواذر.

٥- المحبّي: العقل، وأولي المحبّي: أصحاب العقول. مجمع البحرين: ج ١، ص ٩٥-٩٦.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣، ح ٦، باب ما عني به الأئمّة من القرآن.

وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا^(١) فيه مسمين^(٢).

وفيه: عنه عليه السلام إن في القرآن ما مضى، وما يحدث، وما هو كائن، كانت فيه أسماء الرجال^(٣) فالقيت وإنما الاسم الواحد منه في وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة^(٤).

وفيه: عنه عليه السلام إن القرآن قد طرح منه آي كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف قد أخطأت بها الكتبة وتوهمتها الرجال^(٥).

وروى الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي طاب ثراه في كتاب الإحتجاج في جملة إحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على جماعة من المهاجرين والأنصار أن طلحة قال له عليه السلام في جملة مسائله عنه: يا أبا الحسن شيء أريد أن أسألك عنه، رأيتك خرجت بثوب مختوم فقلت: أيها الناس إني لم أزل مشغلاً برسول الله ﷺ بغسله وكفنه ودفنه ثم اشتغلت بكتاب الله حتى جمعته فهذا كتاب الله عندي مجموعاً لم يسقط عني حرف واحد ولم أر ذلك الذي كتبت وألفت، وقد رأيت عمر بعث إليك أن أبعث به إلي فأبيت أن تفعل فدعا عمر الناس فإذا شهد رجلان على آية كتبتها، وإن لم يشهد عليها غير رجل واحد أرجأها فلم يكتب، فقال عمر وأنا أسمع: إنه قد قتل يوم اليمامة قوم كانوا يقرأون قرآناً لا يقرأه غيرهم، فقد ذهب وقد جاءت شاة إلى صحيفة وكتاب يكتبون فأكلتها، وذهب ما فيها، والكاتب يومئذ عثمان، وسمعت عمر وأصحابه الذين ألقوا ما كتبوا على عهد عمر، وعلى عهد عثمان يقولون: إن الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، وأن النور تئف ومائة آية، والحجر تسعون ومائة آية، فما هذا؟ وما يمنعك

١ - ألفينا: أي جدنا. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٧٧.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣، ح ٤، باب ما عني به الأئمة من القرآن.

٣ - لعل المراد بأسماء الرجال الملقاة أعلامهم وبالإسم الواحد: ما كنى به تارة عنهم، وتارة عن غيرهم من الألفاظ التي لها معان متعددة، وذلك كالذكر: فإنه قد يراد به في القرآن: رسول الله ﷺ، وقد يراد به أمير المؤمنين عليه السلام، وقد يراد به القرآن، وكالشیطان: فإنه قد يراد به الثاني، وقد يراد به إبليس، وقد يراد به غيرهما، أراد عليه السلام أن الرجال كانوا مذكورين في القرآن تارة بأعلامهم فالقيت، وأخرى بكنياتهم فالقيت فهم اليوم مذكورين بالكنيات بألفاظ لها معان أخر يعرف ذلك الأوصياء عليه السلام. منه رحمه الله.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢، ح ١٠، باب تفسير الناسخ والمنسوخ والظاهر والباطن.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٨٠، ح ٧٣.

يرحمك الله أن تخرج كتاب الله إلى الناس، وقد عهد عثمان حين أخذ ما أَلَّفَ عمر فجمع له الكتاب، وحمل الناس على قراءة واحدة فزَقَ مصحف أبي بن كعب، وابن مسعود، وأحرقها بالنار.

فقال له علي عليه السلام: يا طلحة إن كل آية أنزلها الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله، وكل حلال وحرام أو حد أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي حتى أُرش الحديث.

قال طلحة: كل شيء من صغير أو كبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيامة فهو عندك مكتوب؟ قال: نعم وسوى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله أسر إلي في مرضه مفتاح ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب، ولو أن الأمة منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اتبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وساق الحديث إلى أن قال: ثم قال طلحة: لا أراك يا أبا الحسن أجبتي عما سألتك عنه من أمر القرآن، ألا تظهره للناس؟ قال: يا طلحة عمداً كفت عن جوابك، فأخبرني عما كتب عمر وعثمان أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟

قال طلحة: بل قرآن كله.

قال: إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة، فإن فيه حجتنا، وبيان حقنا، وفرض طاعتنا.

قال طلحة: حسبي أما إذا كان قرآناً فحسبي، ثم قال طلحة: فأخبرني عما في يديك من القرآن، وتأويله، وعلم الحلال والحرام إلى من تدفعه، ومن صاحبه بعدك؟

قال عليه السلام: إن الذي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أدفعه إلى وصيي وأولى الناس من بعدي بالناس ابني الحسن عليه السلام، ثم يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين عليه السلام، ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين عليه السلام حتى يرد آخرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه، هم مع القرآن لا يفارقونه، والقرآن معهم لا يفارقهم، ألا أن معاوية وابنه سيليانها بعد عثمان، ثم يليها سبعة من

ولد الحكم بن أبي العاص واحد بعد واحد تكلمه إثنا عشر إمام ضلالة، وهم الذين رأى رسول الله ﷺ على منبره يردون الأمة على أديارهم القهقري، عشرة منهم من بني أمية، ورجلان أسسا ذلك لهم، وعليهما مثل جميع أوزار هذه الأمة إلى يوم القيامة^(١).

قال: وفي رواية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه لما توفي رسول الله ﷺ جمع علي عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر، وقال: يا علي أردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه علي عليه السلام وانصرف، ثم أحضر زيد بن ثابت - وكان قارئاً للقرآن - فقال له عمر: إن علياً عليه السلام جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد أردنا أن نؤلف لنا القرآن وتسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتهم وأظهر علي القرآن الذي آلفه أليس قد بطل كل ما قد عملتم؟ قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما الحيلة دون أن نقتله ونستريح منه؟ فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك، وقد مضى شرح ذلك^(٢)، فلما استخلف عمر سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن إن كنت جئت به إلى أبي بكر فأت به إلينا حتى نجتمع عليه، فقال علي عليه السلام: هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم، ولا تقولوا يوم القيامة «إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»^(٣)، أو تقولوا ما جئتنا به، إن القرآن الذي عندي «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ»^(٤) والأوصياء من ولدي، فقال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم؟ قال علي عليه السلام: نعم إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجري السنة به^(٥).

١ - الإحتجاج: ج ١، ص ٢٢٢ - ٢٢٨، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار لما تذكروا فضلهم بما قال رسول الله ﷺ من النص عليه وغيره من القول الجميل.

٢ - قوله: «وقد مضى شرح ذلك» كأنه من كلام صاحب الإحتجاج.

٣ - الأعراف: ١٧٢. ٤ - الواقعة: ٧٩.

٥ - الإحتجاج: ج ١، ص ٢٢٥ - ٢٢٨. وفيه: «إن جئت بالقرآن الذي كنت قد جئت به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه».

وقال في إحتجاجه ﷺ على الزنديق الذي جاء إليه مستدلاً بآي من القرآن متشابهة يحتاج إلى التأويل، وكان من سؤاله إني أجد الله قد شهر هفوات أنبيائه بقوله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (١).

وبتكذيبه نوحاً ﷺ لما قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ (٢) بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (٣).

وبوصفه إبراهيم ﷺ بأنه عبد كوكباً مرةً، ومرةً قرراً، ومرةً شمساً (٤).
وبقوله في يوسف ﷺ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (٥).
وبتهجينه موسى ﷺ حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَيَنِي﴾ (٦).
الآية.

وبيعته إلى داود جبرئيل وميكائيل حيث ﴿تَسَوَّرُوا الْأَحْراب﴾ إلى آخر القصة (٧).
ومحبسه يونس في بطن الحوت حيث ﴿ذَهَبَ مُغْضِباً﴾ مذنباً (٨).

وأظهر (٩) خطايا الأنبياء وزللهم ثم وارى اسم من اغترّ وفتن خلقه وضلّ وأضلّ
وكنى عن أسائهم في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ
مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ * يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ
بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ (١٠) فمن هذا الظالم الذي لم يذكر من اسمه ما ذكر من أسماء الأنبياء (١١).

ثم قال: وأجده قد بين فضل نبيّه على سائر الأنبياء، ثم خاطبه في أضعاف ما أننى عليه
في الكتاب من الإزراء عليه، وانخفاض محلّه وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ما لم يخاطب به
أحدًا من الأنبياء مثل قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ

١ - طه: ١٢١. ٢ - هود: ٤٥.
٣ - هود: ٤٦. ٤ - راجع الأنعام: ٧٦ - ٧٨.
٥ - يوسف: ٢٤. ٦ - الأعراف: ١٤٣.
٧ - راجع ص: ٢١ - ٢٦. ٨ - راجع الأنبياء: ٨٧.
٩ - وفي نسخة: [إظهار خطأ]. ١٠ - الفرقان: ٢٧ - ٢٩.
١١ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

أَجْهَلِينَ^(١)، وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَشِّرَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذَا لَاذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَتُخَنِّي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿مَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾^(٤)، وهو يقول: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي أَلِكْتَبِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٥)، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٦)، فإذا كانت الأشياء تخصي في الإمام وهو وصي النبي ﷺ فالنبي ﷺ أولى أن يكون بعيداً من الصفة التي قال فيها: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم^(٧).

وقال في جملة سؤاله: وأجده يقول: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٨)، وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء أيتام فما معنى ذلك^(٩)؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وأما هفوات الأنبياء عليهم السلام وما بيّنه الله في كتابه، ووقوع الكناية عن أسماء من اجترم أعظم مما اجترمه الأنبياء ممن شهد الكتاب بظلمهم فإن ذلك من أدلّ الدلائل على حكمة الله عز وجلّ الباهرة، وقدرته القاهرة وعزّته الظاهرة، لأنّه علم أنّ براهين أنبيائه تكبر في صدور أمهم، وإنّ منهم من يتخذ بعضهم إلهاً كالذي كان من النصارى في ابن مريم فذكرها دلالة على تخلفهم من الكمال الذي تفرد به عز وجلّ، ألم تسمع إلى قوله في صفة عيسى عليه السلام حيث قال فيه، وفي أمّه: ﴿كَانَا يَا كُلَّانِ الطَّعَامَ﴾^(١٠) يعني أنّ من أكل الطعام كان له ثقل، ومن كان له ثقل فهو بعيد ممّا ادّعته النصارى لابن مريم، ولم يكن عن أسماء

١- الأنعام: ٣٥. ٢- الإسراء: ٧٤-٧٥.

٣- الأحزاب: ٣٧. ٤- الأحقاف: ٩.

٥- الأنعام: ٣٨. ٦- يونس: ١٢.

٧- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٦-٣٦٧، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاًّ عليه بأي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل. ٨- النساء: ٣.

٩- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٦، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاًّ عليه بأي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل. ١٠- المائدة: ٧٥.

الأنبياء تجبراً وتعزّزاً بل تعريفاً لأهل الاستبصار أن الكناية^(١) عن أسماء ذوي الجرائر^(٢) العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى، وإتّها من فعل المغيّرين والمبدّلين ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾^(٣) واعتاضوا الدنيا من الدين وقد بينّ الله تعالى قصص المغيّرين بقوله: ﴿قَوْلُ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(٤)، ويقولون: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾^(٥)، ويقولون: ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾^(٦) بعد فقد الرسول ما يقيمون به أود^(٧) باطلهم حسب ما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى وعيسى من تغيير التوراة والإنجيل وتحريف الكلم عن مواضعه بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورُهُ﴾^(٨) يعني إتهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليفة فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما دلّ على ما أحدثوه فيه، وحرّفوه منه وبينّ عن إفكهم وتليبسهم وكتان ما علموه منه ولذلك قال لهم: ﴿لَمْ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾^(٩)، وضرب مثلهم بقوله: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١٠) فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدّين الذين أثبتوه في القرآن، فهو يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل، والذي ينفع الناس منه

١ - قوله: أن الكناية: مفعول للتعريف، أراد ﷺ أن الله سبحانه صرّح في كتابه بأسماء المنافقين كما صرّح بأسماء الأنبياء وإنما بدّلها المبدّلون، وإنما لم يكن من أسماء الأنبياء في مقام ذكر هفواتهم بل صرّح بها تجبراً وتعزّزاً لئلا يتخذوا من دونه آلهة وليعرف أهل الاستبصار أن التكنية عن أسماء المنافقين ليست من فعله بل هو من فعل المغيّرين وذلك لعلمه بأنهم سيبدّلونها ويبقى أسماء الأنبياء مصرّحاً بها، فلظفة بل ليست للاحزاب بل للترقي. منه يبرّ.

٢ - الجريرة: هي الجناية والذنب، سميت بذلك لأنّها تاجر العقوبة إلى الجاني. مجمع

البحرين: ج ٣، ص ٢٤٤، مادة «جر».

٣ - البحر: ٩١.

٤ - البقرة: ٧٩.

٥ - النساء: ١٠٨.

٦ - الأود: العوج. وأود الشيء بالكسر يأود أوداً. أي اعوجّ وتأود تعوّج. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٩، مادة

«أود».

٧ - التوبة: ٣٢.

٨ - الرعد: ١٧.

٩ - آل عمران: ٧١.

فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقلوب تقبله، والأرض في هذا الموضع: هي محل العلم وقراره، وليس يسوغ مع عموم التقيّة التصريح بأسماء المبذلين ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر والملل المنحرفة عن قبلتنا، وإبطال هذا العلم الظاهر الذي قد استكان له الموافق والمخالف، بوقوع الإصطلاح على الإتيار لهم والرضا بهم، ولأنّ أهل الباطل في القديم والحديث أكثر عدداً من أهل الحق ولأنّ الصبر على ولادة الأمر مفروض لقول الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(١) وإيجابه مثل ذلك على أوليائه وأهل طاعته بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢) فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سمعت، فإنّ شريعة التقيّة تحظر التصريح بأكثر منه^(٣).

ثمّ قال عليه السلام: وأما ما ذكرته من الخطاب الدال على تهجين النبي ﷺ والإزاء به والتأنيب له مع ما أظهره الله تبارك وتعالى في كتابه من تفضيله إياه على سائر أنبيائه، فإنّ الله عزّ وجلّ جعل لكلّ نبيٍّ عدواً من المشركين كما قال في كتابه، وبحسب جلالة منزلة نبيّنا ﷺ عند ربّه كذلك عظم محنته بعدوّه الذي عاد منه إليه في حال شقاؤه ونفاقه كلّ أذى ومشقّة لدفع نبوّته وتكذيبه إياه، وسعيه في مكارمه، وقصده لنقض كلّ ما أبرمه، واجتهاده ومن ماله على كفره وعناده ونفاقه وإلحاده في إبطال دعواه وتغيير ملّته ومخالفة سنّته ولم ير شيئاً أبلغ في تمام كيده من تنفيرهم عن موالاته وصيّته وإيحاءهم منه، وصدّهم عنه، وإغرائهم بعدواته، والقصد لتغيير الكتاب الذي جاء به، وإسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل، وكفر ذوي الكفر منه، وممن وافقه على ظلمه وبغيه وشركه ولقد علم الله ذلك منهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾^(٤) وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٥)

١- الأحقاف: ٣٥. ٢- الأحزاب: ٢١.

٣- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٠-٣٧١، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

٤- فصلت: ٤٠.

٥- الفتح: ١٥.

وقد احضروا الكتاب كلاً مشتملاً على التأويل والتنزيل والمحكم والمتشابه، والناسخ، والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف ولا «لام»، فلما وقفوا على ما بينه الله من أساء أهل الحق والباطل، وإن ذلك إن ظهر نقض ما عقده قالوا: لا حاجة لنا فيه نحن مستغنون عنه بما عندنا، ولذلك قال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(١) ثم دفعهم إلى الإضرار بورود المسائل عليهم عما لا يعلمون تأويله إلى جمعه وتأليفه وتضمينه من تلقائهم ما يقيمون به دعائم كفرهم، فصرح مناديهم من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به ووكّلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم إلى معاداة أولياء الله فألقه على اختيارهم، وما يدلّ للتأمل على اختلال تمييزهم وافترائهم، وتركوا منه ما قدّروا أنه لهم، وهو عليهم وزادوا فيه ما ظهر تناكره وتنافره، وعلم الله أنّ ذلك يظهر ويبين فقال ذلك مبلغهم من العلم وانكشف لإهل الاستبصار عوراهم وإفترائهم والذي بدأ في الكتاب من الإزراء على النبي ﷺ من فرية الملحدين ولذلك قال: ﴿لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾^(٢) ويذكر جلّ ذكره لنبيه ﷺ ما يحدثه عدوّه في كتابه من بعده بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ﴾^(٣) يعني أنّه ما من نبي تمنى مفارقة ما يعانیه من نفاق قومه وعقوقهم والإنقال عنهم إلى دار الإقامة إلّا ألقى الشيطان المتعرض بعدواته عند فقده في الكتاب الذي أنزل عليه ذمّه والقدح فيه والطعن عليه فينسخ الله ذلك من قلوب المؤمنين فلا تقبله ولا تصغي إليه غير قلوب المنافقين والجاهلين، ويحكم الله آياته بأن يحمي أولياءه من الضلال والعدوان ومشايعة أهل الكفر والطغيان الذين لم يرض الله أن يجعلهم كالأنعام حتّى قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٤) فافهم هذا واعلمه واعمل به^(٥).

٢- المجادلة: ٢.

١- آل عمران: ١٨٧.

٤- الفرقان: ٤٤.

٣- الحج: ٥٢.

٥- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٨٢ - ٣٨٤، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بآي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

وقال ﷺ في هذا الحديث بعد أن بين تأويل بعض المتشابهات: وإنما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدلون من إسقاط أسماء حججه منه، وتبليسهم ذلك على الأمة ليعينهم على باطلهم، فأثبت فيه الرموز وأعمى قلوبهم وأبصارهم لما عليهم في تركها وترك غيرها من الخطاب الدال على ما أحدثوه فيه، وجعل أهل الكتاب المقيمين به والعاملين بظاهرة وباطنه من شجرة: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(١) أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت وجعل أعداءها أصل^(٢) الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم فأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه، ولكن الله تبارك وتعالى اسمه ماضٍ حكمه بإيجاب الحجّة على خلقه كما قال الله: ﴿قَلِيلٌ لِّلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾^(٣) أعشى^(٤) أبصارهم، وجعل على قلوبهم أكنة عن تأمل ذلك فتركوه بحاله، وحجبوا عن تأكيد الملتبس بإبطاله، فالسعداء يتنّهون عليه، والأشقياء يعمون عنه ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾^(٥) ثم إن الله جلّ ذكره بسعة رحمته ورأفته بخلقه وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه قسم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلا من صفا ذهنه، ولطف حسّه، وصحّ تمييزه بمنّ شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلا الله وأمناءه الراسخون في العلم، وإنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم وليقودهم الإضطرار إلى الابتعاد لمن والاه أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعزّزاً وافترأاً على الله عزّ وجلّ واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم وعاند الله عزّ وجلّ اسمه ورسوله فأما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله ﷺ من كتاب الله فهو قول الله سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ

٢- وفي نسخة: [أهل].
٤- وفي نسخة: [أغشى].

١- إبراهيم: ٢٤ - ٢٥.

٣- الأنعام: ١٤٩.

٥- النور: ٤٠.

الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهُ^(١)، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(٢)﴾، وهذه الآية ظاهر وباطن فالظاهر قوله: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ والباطن قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي سلموا لمن وصّاه واستخلفه عليه من فضله وما عهد به إليه تسليماً، وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلا من لطف حسنه، وصفا ذهنه، وصح تمييزه، وكذلك قوله: ﴿سَلِّمُوا عَلَى إِيَّايَ يَاسِينَ^(٣)﴾ لأن الله سمى النبي ﷺ بهذا الاسم حيث قال: ﴿يَس * وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤) لعلمه بأنهم يسقطون قول سلام على آل محمد ﷺ كما أسقطوا غيره، وما زال رسول الله ﷺ يتألفهم ويقرّبهم ويجلسهم عن يمينه وشماله حتى أذن الله عز وجل له في إبعادهم بقوله: ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا^(٥)﴾، وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهُطِعِينَ^(٦)﴾ * عَنْ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عَزِيزِينَ * أَيُطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ^{(٧)(٨)}﴾.

وقال: وأما ظهورك على تناكر قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ^(٩)﴾ وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء أيتاماً فهو مما قدّمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن وبين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن، وهذا ما أشبه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمل، ووجد المعطلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساعاً إلى القدح في القرآن، ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرّف وبدّل مما يجري هذا المجرى

٢- الأحزاب: ٥٦.

١- النساء: ٨٠.

٤- يونس: ١ - ٤.

٣- الصافات: ١٣٠.

٥- المزمل: ١٠.

٦- قوله مهطعين: أي مسرعين، عزيزين: أي فرق شتى، كان المشركون يحلقون حول رسول الله ﷺ حلقاً حلقاً منه ويترّون.

٧- المعارج: ٣٦ - ٣٩.

٨- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٦ - ٣٧٧، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل.

٩- النساء: ٣.

لطال وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء^(١).

أقول: المستفاد من مجموع هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام إن القرآن الذي بين أظهرنا بتمامه كما أنزل على محمد عليه السلام بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير ومحرف وأنه قد حذف عنه أشياء كثيرة.

منها: اسم علي عليه السلام في كثير من المواضع.

ومنها: لفظة آل محمد عليهم السلام غير مرة.

ومنها: أسماء المنافقين في مواضعها.

ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله، وعند رسوله عليه السلام، وبه

قال علي بن إبراهيم عليه السلام قال في تفسيره: «وأما ما كان خلاف ما أنزل الله فهو قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢)، فقال أبو عبدالله عليه السلام لقاري هذه الآية: ﴿خير أمة﴾ يقتلون أمير المؤمنين، والحسين بن علي عليه السلام، ف قيل له: فكيف نزلت يا بن رسول الله عليه السلام؟ فقال: إنما نزلت: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣)، ومثله أنه قرئ على أبي عبدالله عليه السلام ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٤)، فقال أبو عبدالله عليه السلام: لقد سألو الله عظيمًا أن يجعلهم للمتقين إمامًا؟ ف قيل له: يا ابن رسول الله كيف نزلت؟ فقال: إنما نزلت: «وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ إِمَامًا»^(٥)، وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَعْقَبَتُ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٦)، فقال أبو عبدالله عليه السلام: كيف يحفظ الشيء من أمر الله؟ وكيف يكون المعقب من بين يديه؟ ف قيل له: وكيف ذلك يا بن رسول الله

١ - الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٧ - ٣٧٨، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على زنديق جاء مستدلًّا عليه بأي من

القرآن متشابهة تحتاج إلى التأويل. ٢ - آل عمران: ١١٠.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ١١٠. ٤ - الفرقان: ٧٤.

٥ - تفسير القمي: ج ٢، ص ١١٧. ٦ - الرعد: ١١.

فقال: إِنَّمَا انزلت: «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ خَلْفِهِ وَرَقِيبٌ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ»^(١)، ومثله كثير^(٢).

قال: وأما ما هو محذوف عنه فقوله تعالى: «لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ فِي عَلِيٍّ» كذا نزلت «أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ»، وقوله: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فِي عَلِيٍّ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ»، وقوله: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ»، وقوله: «سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ أَىْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»، وقوله: «تَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ»، ومثله كثير نذكره في مواضعه^(٣) إن شاء الله. قال: وأما التقديم والتأخير فإن آية عدة النساء الناسخة التي هي «أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» قدّمت على المنسوخة التي هي سنة^(٤)، وكان يجب أن يقرأ المنسوخة التي نزلت قبل، ثم الناسخة التي نزلت بعد، وقوله: «أَفَنُكَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَحَمَّةٌ»^(٥)، وإِنَّمَا هُوَ «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ إِمَامًا وَحَمَّةٌ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ»، وقوله: «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا»^(٦)، وإِنَّمَا هُوَ «نَحْيِي وَنَمُوتُ» لأن الدهرية لم يقرّوا بالبعث بعد الموت، وإِنَّمَا قالوا: «نَحْيِي وَنَمُوتُ»، فقدّموا حرفاً على حرف^(٧)، ومثله كثير.

قال: وأما الآيات التي هي في سورة وقامها في سورة أخرى، فقول موسى: «أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ»^(٨)، «قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوا

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦٠.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠-١١، وفيه: «وأما ما هو محذوف منه».

٤- الآيتان متقاربتان في سورة البقرة، أما الناسخة المتقدمة فهي قوله تعالى: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً»، البقرة: ٢٣٤، وأما المنسوخة المتأخرة فهي قوله تعالى: «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج»، البقرة: ٢٤٠. منه يبيّن.

٥- هود: ١٧.

٦- المجاثية: ٢٤.

٧- البقرة: ٦١.

٨- تفسير القمي: ج ١، ص ٨.

مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دُخِلُونَ»^(١)، ونصف الآية في سورة البقرة ونصفها في سورة المائدة، وقوله: «أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»^(٢) فرد الله عليهم ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَزَّتْكَ أَلْزَمَةُ الْمُتَكِبِينَ﴾^(٣) فنصف الآية في سورة الفرقان، ونصفها في سورة العنكبوت، ومثله كثير، انتهى كلامه^(٤).

أقول: ويرد على هذا كله إشكال وهو أنه على هذا التقدير لم يبق لنا إعتاد على شيء من القرآن إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرّفاً ومغيّراً ويكون على خلاف ما أنزل الله فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلاً فتنسني فائدته، وفائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك، وأيضاً قال الله عز وجل: «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ»^(٥)، وقال: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^(٦)، فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير، وأيضاً قد استفاد عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام حديث غرض الخبر المروي على كتاب الله ليعلم صحته بموافقته وفساده بمخالفته، فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفاً فما فائدة العرض، مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله، مكذّب له فيجب ردّه، والحكم بفساده أو تأويله.

ويخطر بالبال في دفع هذا الإشكال، والعلم عند الله أن يقال: إن صحّت هذه الأخبار فلعلّ التغيير إنّما وقع فيما لا يخلّ بالمقصود كثير إخلال كحذف اسم علي وآل محمد ﷺ وحذف أسماء المنافقين عليهم لعائن الله فإنّ الإنتفاع بعموم اللفظ باق، وكحذف بعض الآيات وكتبانه فإنّ الإنتفاع بالباقي باق، مع أن الأوصياء كانوا يتداركون ما فاتنا منه من هذا القبيل، وبذلّ على هذا قوله ﷺ في حديث طلحة: «إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة فإنّ فيه حجتنا وبيان حقنا وفرض طاعتنا»^(٧).

١- المائدة: ٢٢. ٢- الفرقان: ٥.

٣- العنكبوت: ٤٨. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ١٠.

٥- فضلت: ٤١- ٤٢. ٦- الحجر: ٩.

٧- الإحتجاج: ج ١، ص ٢٢٥، باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على جماعة كثيرة من المهاجرين والأنصار لما تذكروا فضلهم بما قال رسول الله ﷺ من النص عليه وغيره من القول الجميل.

ولا يبعد أيضاً أن يقال: إن بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير والبيان، ولم يكن من أجزاء القرآن فيكون التبديل من حيث المعنى أي حرّفوه وغيرّوه في تفسيره وتأويله أعني حملوه على خلاف ما هو به، فعنى قولهم عليه السلام: «كذا نزلت» أن المراد به ذلك، لا أنها نزلت مع هذه الزيادة في لفظها فحذف منها ذلك اللفظ، ومما يدلّ على هذا ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام أنّه كتب في رسالته إلى سعد الخير، وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية^(١)، الحديث.

وما روته العامة أنّ علياً عليه السلام كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ^(٢) ومعلوم أنّ الحكم بالنسخ لا يكون إلّا من قبيل التفسير والبيان، ولا يكون جزءاً من القرآن فيحتمل أن يكون بعض المحذوفات أيضاً كذلك، هذا ما عندي من التفتّص عن الإشكال، والله يعلم حقيقة الحال. وأمّا اعتقاد مشايخنا عليهم السلام في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنّه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن، لأنّه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرّض لقدح فيها، مع أنّه ذكر في أوّل الكتاب أنّه كان يثق بما رواه فيه. وكذلك استأذنه علي بن إبراهيم القمي عليه السلام فإنّ تفسيره مملوّ منه وله غلوّ فيه.

وكذلك الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي عليه السلام فإنّه أيضاً نسج على منوالها في كتاب الإحتجاج.

وأما الشيخ أبو علي الطبرسي، فإنّه قال في مجمع البيان: أمّا الزيادة فيه فجمع على بطلانه، وأمّا النقصان فيه فقد روى جماعة من أصحابنا، وقوم من حشويّة العامة أنّ في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى عليه السلام واستوفى الكلام فيه غاية الإستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيّات^(٣)، وذكر في مواضع أنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار

١- الكافي: ج ٨، ص ٥٣-٥٤ ح ١٦.

٢- لم نثر عليه.

٣- الطرابلسيّات: أي الرسالة إليه من مدينة طرابلس. منه عليه السلام.

العرب المسطورة، فإنَّ العناية اشتدَّت والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت حدًّا لم تبلغه فيما ذكرناه لأنَّ القرآن معجز النبوة، ومأخذ العلوم الشرعيَّة والأحكام الدينيَّة وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتَّى عرفوا كلَّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون معيَّراً ومنقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد. وقال أيضاً قدس الله روحه: أنَّ العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه في صحَّة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنَّفة ككتاب سيبويه، والمزني فإنَّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها حتَّى لو أنَّ مدخلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من الكتاب لعرف وميَّز وعلم أنَّه ملحق وليس من أصل الكتاب وكذلك القول في كتاب المزني، ومعلوم أنَّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه، ودواوين الشعراء، وذكر أيضاً عليه السلام أنَّ القرآن كان على عهد رسول الله مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، واستدلَّ على ذلك بأنَّ القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتَّى عيَّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له وأنَّه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلى عليه، وأنَّ جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب، وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدَّة ختمات، وكلَّ ذلك يدلُّ بأدنى تأمل على أنَّه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث، وذكر أنَّ من خالف في ذلك من الإماميَّة، والحشويَّة لا يعتد بخلافهم، فإنَّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحَّتْها لا يرجع بثبوتها عن المعلوم المقطوع على صحَّتْه^(١).

أقول: لقائل أن يقول: كما أنَّ الدواعي كانت متوفِّرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كذلك كانت متوفِّرة على تغييره من المنافقين المبدلين للوصيَّة المغيَّرين للخلافة لتضمُّنه ما يضاد رأيهم وهو أهم، والتغيير فيه إن وقع فإنَّما وقع قبل إنتشاره في البلدان وإستقراره على ما هو عليه الآن، والضبط الشديد إنَّما كان بعد ذلك فلا تنافي بينهما، بل لقائل أن يقول: إنَّه ما تغَيَّر في نفسه، وإنَّما التغيير في كتابتهم إتياء وتلفظهم به فإنَّهم ما حرَّفوا إلَّا عند

نسخهم من الأصل وبقي الأصل على ما هو عليه عند أهله، وهم العلماء به فما كان عند العلماء ليس بمحرّف، وإنّا المحرّف ما أظهره لأتباعهم، وأمّا كونه مجموعاً في عهد النبي ﷺ على ما هو عليه الآن فلم يثبت، وكيف كان مجموعاً، وإنّا كان ينزل نجوماً، وكان لا يتم إلا بتمام عمره ﷺ وأمّا درسه وختمه فإنما كانوا يدرسون ويحتمون ما كان عندهم منه لإتمامه.

وقال شيخنا الصدوق رئيس المحدثين محمد بن علي بن بابويه القميّ طيّب الله ثراه في اعتقاداته: اعتقادنا: أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين، وما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، قال: ومن نسب إلينا إنّا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب^(١).

وقال شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله في تبيينه: وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه فمّا لا يليق به لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانه، والنقصان منه: فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى رحمه الله وهو الظاهر في الروايات غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصّة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن^(٢)، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد التي لا توجب علماً فلا أولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنّه يمكن تأويلها ولو صحّت لما كان ذلك طعنًا على ما هو موجود بين الدفتين، فإنّ ذلك معلوم صحّته لا يعترضه أحد من الأئمة ولا يدفعه، ورواياتنا متناصرة بالحث على قراءته والتمسك بما فيه، وردّ ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه، فما وافقه عمل عليه، وما خالفه يجنب ولم يلتفت إليه.

١ - اعتقادات الصدوق: ص ٥٩.

٢ - روي في الكافي: ج ٢، ص ٦٣٤، ح ٢٨، بإسناده عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ القرآن الذي جاء به جبرئيل عليه السلام إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية.

ويقال: إنّ الموجود منه في أيدي الناس أقلّ من ذلك، والمشهور أنّه ستّة آلاف وستائة وست وستون.

وفي جمع البيان من طريق العامة عن النبي ﷺ: إنّ القرآن ستّة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية.

وقد ذكر بعض أصحابنا عدد السور، والكلمات، والحروف، والفتحات، والضّمات، والكسرات، والهمزات، والتشديدات، والألفات، والباءات، إلى آخر حروف التهجي، وأعتمد في عدد الآي على المشهور، ولعلّ بناء حديث العامة على ما رواه من عدّ البسملات آية واحدة وعلى ما حصل لهم القطع بكونه آية فإنّ للقراء في تعيين الآيات اختلاف، والعلم عند الله. منه رحمه الله.

وقد ورد عن النبي ﷺ رواية لا يدفعها أحد إنّه قال: «إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتهم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردّا عليّ الحوض»^(١) وهذا يدلّ على أنّه موجود في كلّ عصر، لأنّه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به كما أنّ أهل البيت عليهم السلام ومن يجب اتباع قوله حاصل في كلّ وقت. وإذا كان الموجود بيننا مجعاً على صحّته، فينبغي أن نتشاعل بتفسيره، وبيان معانيه ونترك ما سواه^(٢). أقول: يكفي في وجوده في كلّ عصر وجوده جميعاً كما أنزله الله محفوظاً عند أهله ووجود ما احتجنا إليه منه عندنا وإن لم نقدر على الباقي كما إنّ الإمام عليه السلام كذلك فإنّ الثقلين سيّان في ذلك.

ولعلّ هذا هو المراد من كلام الشيخ، وأمّا قوله: «ومن يجب اتباع قوله» فالمراد به البصير بكلامه فإنّه في زمان غيبتهم قائم مقامهم لقولهم عليهم السلام أنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فاجعلوه بينكم حاكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً^(٣)، الحديث.

المقدمة السابعة

في نبذ ممّا جاء في أنّ القرآن تبيان كلّ شيء وتحقيق معناه

روى في الكافي بإسناده: عن مرّازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتّى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتّى لا يستطيع عبد، يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه^(٤).

وبإسناده: عن عمرو بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول: إنّ الله تعالى لم

١ - حديث الثقلين مورد وفاق بين الفريقين، وقد أخرجه العلامة المجلسي بطرقه المختلفة في كتابه الكبير بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٠٤ - ١٦٦، ح ٧ و ٩ و ١١ و ١٢، وغير ذلك، باب فضائل أهل البيت عليهم السلام والنص عليهم جملة من خبر الثقلين.

٢ - التبيان: ج ١، ص ٣ - ٤.

٣ - الكافي: ج ٧، ص ٤١٢، ح ٥، باب كراهية الإرتفاع إلى قضاء الجور.

٤ - الكافي: ج ١، ص ٥٩، ح ١، باب الرد إلى الكتاب والستة.

يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله ﷺ، وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه، وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حداً^(١).

وبإسناده: عن المعلّى بن خنيس، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من أمر يختلف فيه إثنان إلا وله أصل في كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال^(٢).

وبإسناده: عن حماد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة^(٣).

وبإسناده: عن سماعة، عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: قلت له: أكل شيء في كتاب الله أو سنة نبيّه ﷺ أو تقولون فيه؟ قال: بل كلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ^(٤).

وبإسناده عن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إذا حدّثكم بشيء فاسألوني أين هو من كتاب الله تعالى، ثم قال في بعض حديثه: أن رسول الله ﷺ نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال، ف قيل له: يابن رسول الله ﷺ أين هذا من كتاب الله؟ قال: إن الله تعالى يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ حُجُوبِهِمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾^(٦)، وقال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^{(٧)(٨)}.

قال بعض أهل المعرفة ما ملخصه: إن العلم بالشيء إما يستفاد من الحسن برؤية أو تجربة أو سماع خبر أو شهادة أو اجتهاد أو نحو ذلك، ومثل هذا العلم لا يكون إلا متغيراً فاسداً محصوراً متناهيّاً غير محيط، لأنّه إنّما يتعلّق بالشيء في زمان وجوده علم وقبل وجوده علم

١- الكافي: ج ١، ص ٥٩، ح ٢، باب الرد إلى الكتاب والسنة.

٢- الكافي: ج ١، ص ٦٠، ح ٦، باب الرد إلى الكتاب والسنة.

٣- الكافي: ج ١، ص ٥٩، ح ٤، باب الرد إلى الكتاب والسنة.

٤- الكافي: ج ١، ص ٦٢، ح ١٠، باب الرد إلى الكتاب والسنة.

٥- النساء: ١١٤.

٦- النساء: ٥.

٧- المائدة: ١٠١.

٨- الكافي: ج ١، ص ٦٠، ح ٥، باب الرد إلى الكتاب والسنة.

آخر ويعد وجوده علم ثالث، وهكذا كعلوم أكثر الناس، وأما ما يستفاد من مباحه وأسبابه وغاياته علماً واحداً كلياً بسيطاً محيطاً على وجه عقلي غير متغير فإنه ما من شيء إلا وله سبب ولسببه سبب وهكذا إلى أن ينتهي إلى مسبب الأسباب، وكل ما عرف سببه من حيث يقتضيه ويوجبه فلا بد وأن يعرف ذلك الشيء علماً ضرورياً دائماً، فمن عرف الله تعالى بأوصافه الكمالية ونعوته الجلالية، وعرف أنه مبدأ كل وجود، وفاعل كل فيض وجود، وعرف ملائكته المقربين ثم ملائكته المدبرين المسخرين للأغراض الكلية العقلية بالعبادات الدائمة، والنسك المستمرة من غير فتور ولغوب الموجبة لأن يترشح عنها صور الكائنات كل ذلك على الترتيب السببي والمسببي فيحيط علمه بكل الأمور وأحوالها ولواحقها علماً بريئاً من التغير والشك والغلط فيعلم من الأوائل: الثواني، ومن الكليات: الجزئيات المترتبة عليها، ومن البسائط: المركبات، ويعلم حقيقة الإنسان وأحواله وما يكملها ويزكيها، ويسعدها، ويصعدها إلى عالم القدس، وما يدنسها، ويرديها، ويشقيها، ويهويها إلى أسفل السافلين، علماً ثابتاً غير قابل للتغيير ولا محتمل لتطرق الريب فيعلم الأمور الجزئية من حيث هي دائماً كلية، ومن حيث لا كثرة فيه ولا تغير، وإن كانت هي كثيرة متغيرة في أنفسها، وبقياس بعضها إلى بعض، وهذا كعلم الله سبحانه بالأشياء، وعلم ملائكته المقربين، وعلوم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بأحوال الموجودات الماضية والمستقبلية، وعلم ما كان، وعلم ما سيكون إلى يوم القيامة من هذا القبيل، فإنه علم كلي ثابت غير متجدد بتجدد المعلومات، ولا متكرر بتكررها، ومن عرف كيفية هذا العلم عرف معنى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) ويصدق بأن جميع العلوم، والمعاني في القرآن الكريم عرفاناً حقيقياً، وتصديقاً يقينياً على بصيرة لا على وجه التقليد والسمع ونحوهما إذ ما من أمر من الأمور إلا وهو مذكور في القرآن إما بنفسه أو بمقوماته وأسبابه ومباده وغاياته، ولا يتمكّن من فهم آيات القرآن وعجائب أسرارها وما يلزمها من الأحكام والعلوم التي لا تنهاى إلا من كان

علمه بالأشياء من هذا القبيل انتهى كلامه أعلى الله مقامه ^(١) وينبّه عليه لفظة الأصل في رواية المعلّى ^(٢).

المقدّمة الثامنة

في نبذ ممّا جاء في أقسام الآيات وإشتمالها على البطون والتأويلات وأنواع اللغات، واختلاف القراءات، والمعتمدة منها

قد اشتهرت الرواية من طريق العامة عن النبي ﷺ أنّه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف كلّها كافٍ شافٍ ^(٣).

وقد ادّعى بعضهم تواتر أصل هذا الحديث، إلّا أنّه اختلفوا في معناه على ما يقرب من أربعين قولاً، وروى العامة عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل ^(٤).

وفي رواية أخرى زجر، وأمر، وحلال، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال ^(٥). والمستفاد من هاتين الروایتين: إنّ الأحرف إشارة إلى أقسامه وأنواعه.

ويؤيّد ما رواه أصحابنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كلّ قسم منها كافٍ، شافٍ، وهي: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، ومثل، وقصص ^(٦).

وروى العامة أيضاً عن النبي ﷺ إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف لكلّ آية منها

١- أي كلام بعض أهل المعرفة.

٢- الكافي: ج ١، ص ٦٠، ح ٦، باب الرد إلى الكتاب والسنّة.

٣- كنز العمال: ج ٢، ص ٥٠ - ٥١، ح ٣٠٧٥، الفرع الأوّل من القراءات السبعة. وتفسير الطبري: ج ١، ص ١٥، سطر ٦. وسنن النسائي: ج ٢، ص ١٥٣ - ١٥٤.

٤- التبيان: ج ١، ص ٧. وكنز العمال: ج ٢، ص ٥٥، ح ٣٠٩٦. وتفسير الطبري: ج ١، ص ٢٤، سطر ٣.

٥- التبيان: ج ١، ص ٧. وتفسير الطبري: ج ١، ص ٢٣، سطر ٢٧.

٦- بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٤، باب ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في أصناف آيات القرآن وأنواعها.

ظهر، ويطن، ولكل حرف حدّ ومطلع^(١).

وفي رواية أخرى أنّ للقرآن ظهراً ويطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن^(٢).

وربما يستفاد من هاتين الروایتين أنّ الأحرف إشارة إلى بطونه وتأويلاته ولا نصّ فيها على ذلك لجواز أن يكون المراد بهما أنّ لكلّ من الأقسام ظهراً ويطناً ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن.

ومن طريق الخاصّة: ما رواه في الخصال بإسناده: عن حمّاد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّ الأحاديث تختلف منكم، قال: فقال: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه، ثمّ قال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^{(٣)(٤)}. وهذا نصّ في البطون، وتأويلاته، ورووا في بعض ألفاظ هذا الحديث: إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا بما تيسر منه^(٥).

وفي بعضها: قال النبي ﷺ لجبرئيل عليه السلام: إنّني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ الفاني، والعجوز الكبيرة، والغلام، قال فرهم فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف^(٦).

ومن طريق الخاصّة ما رواه في الخصال بإسناده: عن عيسى بن عبد الله الهاشمي، عن أبيه، عن آبائه، قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني آت من الله عزّ وجلّ، فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت يا ربّ وسّع على أمّتي، فقال: إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن

١- كنز العمال: ج ٢، ص ٥٣، ح ٣٠٨٦، من النوع الأوّل في القراءات السبعة: وتفسير الطبري: ج ١، ص ٩، س ٢٣.

٢- عوالي اللئالي: ج ٤، ص ١٠٧، ح ١٥٩، وفيه: «ولبطنه بطن». ومقدّمة تفسير البرهان: ص ٥.

٣- ص: ٣٩. ٤- الخصال: ص ٣٥٨، ح ٤٣، باب ٧- نزل القرآن على سبعة أحرف.

٥- كنز العمال: ج ٢، ص ٤٩، ح ٣٠٧٠، من الفرع الأوّل في القراءات السبعة. وجامع الأصول: ج ٢، ص ٤٧٧- ٤٧٨، ح ٩٣٩. وصحيح مسلم: ج ١، ص ٥٦٠، ح ٨١٨، باب ٤٨. وسنن أبي داود: ج ٢، ص ٧٥- ٧٦، ح ١٤٧٥، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. وسنن النسائي: ج ٢، ص ١٥٢. وسنن الترمذي: ج ٥، ص ١٧٧- ١٧٨، ح ٢٩٤٣.

٦- تفسير الطبري: ج ١، ص ١٢، سطر ٢١. وكنز العمال: ج ٢، ص ٥٧، ح ٣١٠٧ مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الحديث. وجامع الأصول: ج ٢، ص ٤٨٢، ذيل ح ٩٤٠، بأدنى تفاوت. والترمذي: ج ٥، ص ١٧٨، ح ٢٩٤٤.

تقرأ القرآن على سبعة أحرف^(١).

ويستفاد من هذه الروايات أنَّ المراد بسبعة أحرف إختلاف اللغات كما قاله ابن الأثير في نهايته، فإنه قال: في الحديث نزل القرآن على سبعة أحرفٍ كلّها شاف، كاف، أراد بالحرف اللغة، يعني على سبع لغات من لغات العرب، أي أنها متفرقة في القرآن فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة الهوازن، وبعضه بلغة اليمن، قال: ومما يبيّن ذلك قول ابن مسعود: إني قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فقرأوا كما علمتم إنما هو كقول أحدكم هلّم وتعال وأقبل^(٢).

وقال في مجمع البيان: إنَّ قوماً قالوا: إنَّ المراد بالأحرف: اللّغات ممّا لا يغيّر حكماً في تحليل ولا تحرّيم، مثل هلّم وأقبل وتعال، وكانوا مخيّرين في مبتدأ الإسلام في أن يقرؤوا بما شاؤوا منها، ثمّ أجمعوا على أحدها، وإجماعهم حجة، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً ممّا أعرضوا عنه^(٣).

أقول: والتوفيق بين الروايات كلّها أن يقال: إنَّ للقرآن سبعة أقسام من الآيات، وسبعة بطون لكلّ آية، ونزل على سبع لغات، وأمّا حمل الحديث على سبعة أوجه من القراءات ثمّ التكلف في تقسيم وجوه القراءات على هذا العدد كما نقله في مجمع البيان^(٤) عن بعضهم فلا وجه له، مع أنّه يكذّبه ما رواه في الكافي بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكنّ الإختلاف يجبيء من قبل الرواة^(٥).

وبإسناده عن الفضيل بن يسار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ الناس يقولون: إنَّ القرآن نزل على سبعة أحرف، فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد^(٦).

١- الخصال: ج ٢، ص ٣٥٨، ح ٤٤، باب ٧- نزل القرآن على سبعة أحرف.

٢- النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ٣٦٩. ٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ١٢.

٤- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ١٢. ٥- الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١٢، باب النوادر.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١٣، باب النوادر.

ومعنى هذا الحديث معنى سابقه، والمقصود منها واحد، وهو أن القراءة الصحيحة واحدة إلا أنه ﷺ لما علم أنهم فهموا من الحديث الذي روه صحة القراءات جميعاً مع اختلافها كذبهم وعلى هذا فلا تنافي بين هذين الحديثين وشيء من أحاديث الأحرف أيضاً. وبإسناده: عن عبدالله بن فرقد، والمعلّى بن خنيس، قالاً كنا عند أبي عبدالله ﷺ ومعنا ربيعة الرأي، فذكرنا فضل القرآن، فقال أبو عبدالله ﷺ: إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءة تنا فهو ضالّ، فقال ربيعة: ضالّ؟ فقال: نعم ضالّ، ثم قال أبو عبدالله ﷺ: أما نحن فنقرأ على قراءة أبي (١).

والمستفاد من هذا الحديث (٢) أن القراءة الصحيحة هي قراءة أبي بن كعب وأنها موافقة لقراءتهم ﷺ، إلا أنها غير مضبوطة إلى الآن عند أصحابنا، فكلّ ما وصل إلينا فيه قراءتهم كقراءة الجر في «أرجلكم» في آية الوضوء تتبعه، وما لم يصل إلينا فيه أنهم ﷺ كيف يقرؤون فوسع علينا القراءة المعروفة، هذا مع أنهم ورد عنهم ﷺ اختلاف القراءة في كلمة واحدة،

١- الكافي: ج ٢، ص ٦٣٤، ح ٢٧، باب النوادر.

٢- وفي نسخة: [لعل آخر الحديث ورد على المسامحة مع ربيعة مراعاة لحرمة الصحابة وتداركاً لما قاله في ابن مسعود، ذلك لأنهم ﷺ لم يكونوا يتبعون أحداً سوى آبائهم ﷺ لأن علمهم من الله، وفي هذا الحديث إشعار بأن قراءة أبي كانت موافقة لقراءتهم ﷺ وكانت أوفق لها من قراءة غيره من الصحابة. ثم الظاهر إن الاختلاف المعتبر ما يسري من اللفظ إلى المعنى مثل مالك وملك دون ما لا يجاوز اللفظ أو يجاوزه ولم يخل بالمعنى المقصود سواء كان بحسب اللغة مثل كفوّه بالهمزة والواو ومخفّفاً ومثقلأً، أو بحسب الصرف مثل يرتد ويرتدد، أو بحسب النحو مثل ما لا يقبل منها شفاعته بالتاء، والياء وما يسري إلى المعنى ولم يخل بالمقصود مثل الريح والرياح للجنس والجمع، فإن في أمثال هذه موسّع علينا القراءات المعروفة، وعليه يحمل ما ورد عنهم ﷺ من اختلاف القراءة في كلمة واحدة.*

* راجع الكافي: ج ٢، ص ٦٣٢، ح ٢٣، باب النوادر.

وما ورد أيضاً من تصويبهم القراءتين جميعاً يأتي في مواضعه، أو يحمل على أنهم لما لم يتمكنوا أن يحملوا الناس على القراءة الصحيحة جوزوا القراءة بغيرها كما أشير إليه بقوله ﷺ أقرأوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم**

** راجع الكافي: ج ٢، ص ٦١٩، ح ٢، باب أن القرآن يرفع كما أنزل. وذلك كما جوزوا قراءة أصل القرآن بما هو عند الناس دون ما هو محفوظ عندهم، وعلى التقديرين فنحن في سعة منها جميعاً، وقد اشتهر بين الفقهاء....[

وورد أيضاً تصويبهم القراءتين جميعاً كما يأتي في مواضعه، بل ورد عنهم جواز القراءة بكل ما اختلف القراء فيه كما ذكره في مجمع البيان^(١) فلا بد من تأويل نفي الاختلاف إلى ما يلائم ثبوته أو بالعكس، وكلّ منها مشكل على أنّه لا مندوحة اليوم عن الاختلاف وغاية ما يمكن أن يقال: إنّ القراءة الصحيحة واحدة وهي مضبوطة عند الأئمة عليهم السلام، كما أنّ القرآن الصحيح محفوظ عندهم، إلّا أنّهم عليهم السلام لما لم يتمكنوا أن يحملوا الناس عليها جوزوا القراءة بغيرها بما هو عند الناس كما أنّهم جوزوا قراءة أصل القرآن بما هو عند الناس والعلم عند الله.

وقد اشتهر بين الفقهاء وجوب التزام عدم الخروج عن القراءات السبع أو العشر المعروفة لتواترها وشذوذ غيرها.

والحق أنّ المتواتر من القرآن اليوم ليس إلّا القدر المشترك بين القراءات جميعاً دون خصوص أحادها إذ المقطوع به ليس إلّا ذلك فإنّ المتواتر لا يشتبه بغيره^(٢)، ونحن نكتفي بذكر بعض القراءات المشهورة، ونطوي ذكر الشواذ إلّا نادراً، أو ما نسب منها إلى أئمتنا عليهم السلام، ونجعل الأصل قراءة الأكثرين في الأكثر، ثمّ نشير إلى سائرهما إن شاء الله.

وأما ما دونوه في علم القراءة وتجويدها من القواعد والمصطلحات فكلّ ما له مدخل في تبين الحروف وتمييز بعضها عن بعض لئلا يشتبه أو في حفظ الوقوف بحيث لا يختل المعنى المقصود به أو في صحّة الإعراب وجودته لئلا يصير ملحونة، أو مستهجنة، أو في تحسين الصوت وترجييعه بحيث يلحقها بألحان العرب وأصواتها الحسنة فله وجه وجيه.

وقد وردت^(٣) الروايات المعصوميّة به، وإنّما ينبغي مراعاة ذلك فيما اتفقوا عليه لإتفاق

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ١٢.

٢- وفي نسخة: [وأما نحن فنجعل الأصل في هذا التفسير أحسن القراءات كانت قراءة من كانت كالأخف على اللسان، والأوضح في البيان، والآنس للطبع السليم، والأبلغ لذي الفهم القويم، والأبعد عن التكلف في إفادة المراد، والأوفق لأخبار المعصومين، فإن تساوت أو أشبهت قراءة الأكثرين في الأكثر ولا نتعرض لغير ذلك إلّا ما يتغير به المعنى المراد تغييراً يعتد به أو يحتاج إلى التفسير، وذلك لأنّ التفسير إنّما يتعلّق بالمعنى دون اللفظ، وضبط اللفظ إنّما هو للتلاوة فيخصّ به المصاحف، وأما ما دونوه...].

٣- وفي نسخة: [وقد وردت الإشارة إليه في الروايات المعصوميّة].

السلائق عليه دون ما اختلفوا فيه لاختلافها لديه.

المقدمة التاسعة

في نبذ مما جاء في زمان نزول القرآن وتحقيق ذلك

روي في الكافي: عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وإنما أنزل القرآن في عشرين سنة بين أوله وآخره؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة، ثم قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان، وأنزل القرآن في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان^(١).

وفيه^(٢)، وفي الفقيه: بإسنادهما عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت التوراة في ست مضين من شهر رمضان، ونزل الإنجيل في اثني عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، ونزل الزبور في ليلة ثمان عشرة من شهر رمضان ونزل القرآن في ليلة القدر^(٣). وفي بعض نسخ الفقيه: ونزل الفرقان في ليلة القدر.

وبإسنادهما: عن حمran، إنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾^(٤)، قال: هي ليلة القدر، وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، ولم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر، قال الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٥)، قال يقدر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل من خير أو شر أو طاعة أو

١- الكافي: ج ٢، ص ٦٢٨-٦٢٩، ح ٦، باب النوادر.

٢- الكافي: ج ٤، ص ١٥٧، ح ٥، باب في ليلة القدر.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٠٢، ح ٤٥٧، ١٢، باب ٥٣- الفسل في الليالي المخصوصة في شهر رمضان

وما جاء في العشر الأواخر وفي ليلة القدر. ٤- الدخان: ٣.

٥- الدخان: ٤.

معصية أو مولود أو أجل أو رزق^(١)، الحديث.

وبإسنادهما: عن يعقوب، قال: سمعت رجلاً يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن ليلة القدر فقال: أخبرني عن ليلة القدر كانت أو تكون في كل عام؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن^(٢).

أقول: وذلك لأنَّ في ليلة القدر ينزل كل سنة من تبين القرآن وتفسيره ما يستلحق بأمر تلك السنة إلى صاحب الأمر عليه السلام، فلو لم تكن ليلة القدر لم ينزل من أحكام القرآن ما لا بد منه في القضايا المتجددة، وإنما لم ينزل ذلك إذا لم يكن من ينزل عليه وإذا لم يكن من ينزل عليه لم يكن قرآن لأتبعها متصاحبان لن يفترقا حتى يردّا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه كما ورد في الحديث المتفق عليه^(٣) وقد مضى معنى تصاحبها.

والمستفاد من مجموع هذه الأخبار، وخبر الياست الذي أورده في الكافي: في باب شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها من كتاب الحجّة^(٤) إنَّ القرآن نزل كلّ جملة واحدة في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان إلى البيت المعمور^(٥).

وكأنّه أريد به نزول معناه على قلب النبي صلى الله عليه وآله كما قال الله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٦)، ثمَّ نزل في طول عشرين سنة نجوماً من باطن قلبه إلى ظاهر لسانه كلما آتاه جبرئيل عليه السلام بالوحي وقرأه عليه بالفاظه، وأنَّ معنى إنزال القرآن في ليلة القدر في كل سنة

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٠١، ح ٤٥٥ / ١٠، باب ٥٣- الغسل في الليالي المخصوصة في شهر رمضان وما جاء في العشر الأواخر وفي ليلة القدر؛ والكافي: ج ٤، ص ١٥٧ - ١٥٨، ح ٦، باب في ليلة القدر.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٠١، ح ٩، باب ٥٣- الغسل في الليالي المخصوصة في شهر رمضان وما جاء في العشر الأواخر وفي ليلة القدر؛ والكافي: ج ٤، ص ١٥٨، ح ٧، باب في ليلة القدر.

٣- وسائل الشيعة: ج ١٨، ص ١٩، ح ٩، باب صفات القاضي. وبحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١٠٤ - ١٦٦، ح ٧ و٩ و١١ و١٢ و٣٦، وغير ذلك، باب ٧- فضائل أهل البيت عليهم السلام والنص عليهم جملة من خبر الثقلين والسفينة وباب حطّة وغيرها.

٤- الكافي: ج ١، ص ٢٤٤، ح ١، باب شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر.

٥- راجع الكافي: ج ٢، ص ٦٢٨ - ٦٢٩، ح ٦، باب النوادر.

٦- الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤.

إلى صاحب الوقت: إنزال بيانه بتفصيل مجمله، وتأويل متشابهه، وتقييد مطلقه، وتفريق محكمه من متشابهه.

وبالجملة: تتميم إنزاله بحيث يكون هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان كما قال الله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ يعني في ليلة القدر منه ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾^(١) تشنية لقوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ^(٢)، أي محكم ﴿أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾^(٣)، فقلوه: «فيها يُفَرَّقُ»، وقوله: «والفرقان»: معناها واحد، فإنَّ الفرقان هو المحكم الواجب العمل به، كما مضى في الحديث^(٤)، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٥)، أي حين أنزلناه نجوماً ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ عليك ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^(٦)، أي جملته ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٧)، في ليلة القدر بإنزال الملائكة والروح فيها عليك وعلى أهل بيتك من بعدك بتفريق المحكم من المتشابهه وبتقدير الأشياء وتبيين أحكام خصوص الوقائع التي تصيب الخلق في تلك السنة إلى ليلة القدر الآتية.

قال في الفقيه: تكامل نزول القرآن ليلة القدر^(٨) وكأنه أراد به ما قلناه، وبهذا التحقيق حصل التوفيق بين نزوله تدريجاً ودفعه، واسترحنا من تكلفات المفسرين.

المقدمة العاشرة

في نبذ مما جاء في تمثل القرآن لأهله يوم القيامة

وشفاعته لهم، وثواب حفظه، وتلاوته

روي في الكافي: بإسناده عن جابر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال يحیی القرآن في أحسن

١- البقرة: ١٨٥.

٢- الدخان: ٣-٤.

٣- الدخان: ٥.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠، ح ١١، باب النوادر.

٥- القيامة: ١٧.

٦- القيامة: ١٨.

٧- القيامة: ١٩.

٨- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١، باب ٢٨ - فضل شهر رمضان وثواب صيامه.

منظور إليه صورة فيمرّ بالمسلمين^(١) فيقولون: هذا رجل منّا، فيجاوزهم إلى النبيّن فيقولون: هو منّا، فيجاوزهم إلى الملائكة المقرّين فيقولون: هو منّا، حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة جلّ وعزّ فيقول: يا ربّ فلان بن فلان أظلمات هواجره، وأسهرت ليله في دار الدنيا، وفلان بن فلان، لم أظماً هواجره ولم أسهر ليله، فيقول تعالى: أدخلهم الجنّة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول: للمؤمن إقرأ وأرقه، قال: فيقرأ ويرقى حتّى يبلغ كلّ رجل منهم منزله التي هي له فينزلها^(٢).

وبإسناده: عن يونس بن عمّار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم، وديوان فيه الحسنات، وديوان فيه السيئات، فيقابل ديوان النعم وديوان الحسنات فتستغرق النعم عامّة الحسنات، ويبقى ديوان السيئات فيدعى يابن آدم المؤمن للحساب فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة، فيقول: يا ربّ أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي، ويطيل ليله بترتيلي، وتفيض عيناه إذا تهجد فأرضه كما أَرْضاني، قال: فيقول العزيز الجبّار: عبدي أبسط يمينك فيملأها من رضوان الله العزيز الجبّار، ويملاً شماله من رحمة الله، ثمّ يقال: هذه الجنّة مباحة لك فاقرأ واصعد فإذا قرأ آية صعد درجة^(٣).

أقول: وفي هذا المعنى أخبار كثيرة، ومنها: ما هو أبسط من هذا، وقد أوردنا نبذاً منها في كتابنا الوافي وشرحناها هناك^(٤).

١ - لما كان المؤمن في نيّته أن يعبد الله حقّ عبادته ويتلو كتابه حقّ تلاوته، ويسهر ليله بقراءته، والتدبر في آياته، وينصب بدنه للقيام به في صلواته إلّا أنّه لا يتيسر له ذلك كما يريد، ولا يأتي به كما ينبغي.

وبالجملة: لا يوافق عمله بما في نيّته بل يكون أنزل منه كما ورد في الحديث نيّة المؤمن خير من عمله. فالقرآن يتجلّى لكل طائفة بصورة من جنسهم إلّا أنّه أحسن في الجبال والبهائم، ومن الصورة التي لو كانوا يأتون بما في نيّتهم من العمل بالقرآن وزيادة الاجتهاد في الإتيان بمقتضاه لكان لهم تلك الصورة وإنّما لا يعرفونه كما ينبغي لأنّهم لم يأتوا بذلك كما ينبغي ولم يعملوا بما هو به حزي، وإنّما يعرفونه بكونه منهم لأنّهم كانوا يتلونه في آناء الليل وأطراف النهار ويقرؤونه في الإعلان والأسرار، وإنّما يشفع لمن عمل به وإن كان مقصراً لما كان في نيّته من العمل بمقتضاه كما ينبغي. منه عليه السلام.

٢ - الكافي: ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١٢، باب النوادر.

٣ - الكافي: ج ٢، ص ٦٠٢، ح ١٢، باب النوادر.

٤ - انظر الوافي: ج ٥، ص ١٦٩٣ - ١٧٠٠، باب ٢٥٢.

وبإسناده: عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: الحافظ للقرآن العامل به مع السفارة الكرام البررة^(١).

وبإسناده: عن الزهري، قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟ قال: الحال المرتحل، قلت: وما الحال المرتحل؟ قال: فتح القرآن وختمه كلّما جاء بأوله إرتحل في آخره، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أعطاه الله القرآن فرأى إنَّ أحداً أُعطي أفضل ممّا أُعطي فقد صغر عظمياً وعظم صغيراً^(٢).

أقول: يشبه أن يكون قوله «جاء بأوله» كان حلّ بأوله فصَحَف.

وبإسناده: عن حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية^(٣).

وبإسناده: عن محمد بن بشير، عن علي بن الحسين عليه السلام ومرسلاً عن أبي عبدالله عليه السلام قالوا: من استمع حرفاً من كتاب الله تعالى من غير قراءة كتب الله تعالى له به حسنة، ومحا عنه سيئة ورفع له درجة، ومن قرأ نظراً من غير صوت كتب الله له بكلّ حرف حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة، ومن تعلّم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات، قال: لا أقول بكلّ آية ولكن بكلّ حرف باءٍ أو ياءٍ أو شبههما، قال: ومن قرأ حرفاً وهو جالس في صلاته كتب الله له خمسين حسنة ومحا عنه خمسين سيئة ورفع الله له خمسين درجة، ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة، ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخّرة أو معجّلة، قال: قلت جعلت فداك ختمه كلّ؟ قال: ختمه كلّ^(٤).

وبإسناده: عن ليث بن أبي سليم، رفعه، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله نوروا بيوتكم بتلاوة

١- الكافي: ج ٢، ص ٦٠٣، ح ٢، باب فضل حامل القرآن.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٦٠٥، ح ٧، باب فضل حامل القرآن.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٦٠٩، ح ١، باب في قراءته.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٦١٢، ح ٦، باب ثواب قراءة القرآن.

القرآن، ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى، صلّوا في الكنائس والبيع وعطّلوا بيوتهم فإنّ البيت إذا كثّر فيه تلاوة القرآن كثر خيره، واتّسع أهله، وأضاء لأهل السماء كما تضيئ نجوم السماء لأهل الدنيا^(١).

المقدّمة الحادية عشرة

في نبذ ممّا جاء في كَيْفِيَّةِ التَّلَاوةِ وآدابِها

روي في الكافي: بإسناده عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له جعلت فداك إنّي أحفظ القرآن عن ظهر قلبي فأقرأه عن ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف؟ فقال لي: لا بل إقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل، أما علمت أنّ النظر في المصحف عبادة^(٢)؟ وبإسناده: عن محمّد بن عبد الله، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أقرأ القرآن في ليلة؟ قال: لا يعجبني أن تقرأ في أقل من شهر^(٣).

وبإسناده: عن أبي بصير، أنّه قال لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال: لا، قال: ففي ليلتين؟ قال: لا، قال: ففي ثلاث؟ قال: ها، وأشار بيده، ثمّ قال: يا أبا محمّد إنّ لرمضان حقّاً وحرمة ولا يشبهه شيء من الشهور وكان أصحاب محمّد ﷺ يقرأ أحدهم القرآن في شهر أو أقلّ إنّ القرآن لا يقرأ هزيمة، ولكن يرتّل ترتيلاً، وإذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها، واسئل الله تعالى الجنة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوّذ بالله من النار^(٤).

أقول: ها: كلمة إجابة، يعني بها نعم، ثمّ علّل جواز الختم في ثلاث ليال في شهر رمضان بحقّ الشهر وحرمته واختصاصه^(٥) من بين الشهور، والهزيمة: السرعة في القرآن.

١- الكافي: ج ٢، ص ٦١٠، ح ١، باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٦١٣ - ٦١٤، ح ٥، باب قراءة القرآن في المصحف.

٣- الكافي: ج ٢، ص ٦١٧، ح ١، باب في كم يقرأ القرآن ويختم.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٦١٧، ح ٢، باب في كم يقرأ القرآن ويختم.

٥- أريد به مطلق الإختصاص لا اختصاصه بزيادة القرآن ولذا لم يقل اختصاصه بذلك، منه صلوات.

وبإسناده: عن عبدالله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾^(١)، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: بينه تبييناً ولا تهذه هذا الشعر، ولا تنثره نثر الرمل، ولكن فزّعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة^(٢).
أقول: اهذه: السرعة في القراءة، أي لا تسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر، ولا تفرق كلماته بحيث لا تكاد تجتمع كذرات الرمل، والمراد به الإقتصاد بين السرعة المفرطة، والبطء المفرط.

وفي رواية أخرى: إن أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن ترتيل القرآن، فقال: هو حفظ الوقوف، وبيان الحروف^(٣).

وفسر الأول بالوقف التام والحسن، والثاني بالإتيان بصفات المعبرة من الجهر، والهمس، والإطباق، والإستعلاء، وغيرها.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: هو أن تمكث وتحسن به صوتك^(٤).

وبإسناده: عنه عليه السلام قال: القرآن نزل بالحزن، فاقراؤه بالحزن^(٥).

وبإسناده: عنه عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن^(٦).

وعنه عليه السلام، قال: كان علي بن الحسين عليه السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السقاؤون يبرّون فيقفون ببابه يستمعون قراءته، وكان أبو جعفر عليه السلام أحسن الناس صوتاً^(٧).

وبإسناده: عن علي بن محمد النوفلي، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: ذكرت الصوت عنده، فقال: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن فرجاً مرّ به المار فصعق من حسن صوته، وإن

١- المزمّل: ٤. ٦- الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ١، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن. وفيه: «أفزعوا قلوبكم». ٣- المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ٢٢٥.

٤- مجمع البيان: ج ٩- ١٠، ص ٣٧٨.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ٢، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٦١٥، ح ٩، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٧- الكافي: ج ٢، ص ٦١٦، ح ١١، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

الإمام عليه السلام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه، قلت: ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل الناس من خلفه ^(١) ما يطيقون ^(٢).

وبإسناده: عن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي جاءني الشيطان، فقال: إنما تراني بهذا أهلك والناس؟ قال: يا أبا محمد اقرأ قراءة ما بين القراءتين تسمع أهلك، ورجع القرآن بصوتك، فإن الله تعالى يحب الصوت الحسن يرجع به ترجيعاً ^(٣).

وبإسناده: عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إقرأوا القرآن بالحن العرب وأصواتها، وإياكم ولحن أهل الفسوق وأهل الكبائر، فإنه سيجيئ بعدي أقوام يرجعون القرآن بترجيع الغناء والنوح والرهباينة، لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، وقلوب من يعجبهم شأنهم ^(٤).

وعن النبي صلى الله عليه وآله: زينوا القرآن بأصواتكم ^(٥).

وعنه عليه السلام: إن القرآن نزل بالحزن فإذا قرأته فابكوا فإن لم تبكوا فتابكوا وتغنوا به، فمن لم يتغن بالقرآن فليس ممناً ^(٦).

قال في مجمع البيان: تأول بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به، وأكثر العلماء على أنه تزيين الصوت وتحزينه ^(٧).

١ - يحتمل كلمة «من» أن تكون اسماً موصولاً بدلاً من الناس يعني كان يحتمل من كان يصلي خلفه من الناس على ما يطيقون معه اتمام الصلاة من غير أن يخرجوا عن حدود التكليف، وذلك لمصالح تقتضيه فإنه صلى الله عليه وآله كان مأموراً بالإقبال والإدبار جميعاً، ويحتمل أن يكون حرفاً قيماً للناس أو متعلقاً بـ «يحمل»، فتبدر منه تدبر.

٢ - الكافي: ج ٢، ص ٦١٥، ح ٤، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٣ - الكافي: ج ٢، ص ٦١٦، ح ١٣، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٤ - الكافي: ج ٢، ص ٦١٤، ح ٣، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

٥ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٦، الفن السابع؛ وسنن النسائي: ج ٢، ص ١٧٩؛ وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٢٩.

٦ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٦، الفن السابع، وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٢٧.

٧ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٦، الفن السابع.

أقول: المستفاد من هذه الأخبار جواز التغني بالقرآن والترجيع به بل إستحبابها، فما ورد من النهي عن الغناء كما يأتي في محله إن شاء الله ينبغي حمله على لحون أهل الفسق والكبائر. وعلى ما كان مهوداً في زمانهم عليه السلام في فساق الناس وسلاطين بني أمية، وبني العباس، من تغني القينات بين الرجال وتكلمهن بالأباطيل، ولعنهن بالملاهي من العידان والقضيب ونحوها.

قال في الفقيه: سأل رجل علي بن الحسين عليه السلام عن شراء جارية لها صوت فقال: ما عليك لو اشتريتها فذكرت لك الجنة، قال: يعني بقراءة القرآن، والزهد، والفضائل التي ليست بغناء، فأما الغناء فمحظور^(١).

وفي الكافي^(٢)، والتهذيب: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أجز المغنية^(٣) التي تزف العرائس ليس به بأس، ليست بالتي تدخل عليها الرجال^(٤).

وفي معناه أخبار أخر، وكلام الفقيه^(٥) يعطي أن بناء الحل والحرمة على ما يتغنى به، والحديث الأخير يعطي أن لسامع صوت الأجنبية مدخلاً في الحرمة، فليتامل.

وفي مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام: إنه قال: من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق عليه، ولم ينشئ حزناً ووجلاً في سرّه فقد استهان بعظم شأن الله، وخسر خسراناً مبيناً، فقاري القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء، قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال، فإذا أخشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، وإذا تفرّغ نفسه من الأشياء تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخذ مجلساً خالياً أو اعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليتين إستأنس روحه، وسرّه بالله عزّ وجلّ، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباد الصالحين، وعلم لطفه بهم، ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته وبدائع إشاراته، فإذا شرب كأساً من هذا

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٤٢، ح ١٣٩ / ١١، باب ١١- حد شرب الخمر وما جاء في الغناء والملاهي.

٢- الكافي: ج ٥، ص ١٢٠، ح ٣، باب كسب المغنية وشرائها.

٣- القينة - بفتح القاف وتقديم الياء التحتانية على النون -: الأمة المغنية. منه عليه السلام.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣٥٧، ح ١٠٢٢ / ١٤٣، باب ٩٣- المكاسب «أخبار بيع الكلب وثن المغنية».

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٤٢، ح ١٣٩ / ١١، باب ١١- حد شرب الخمر وما جاء في الغناء والملاهي.

الشراب^(١) فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالاً، ولا على ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك؟ وكيف تحبب أوامره ونواهيه؟ وكيف تمتثل حدوده؟ فإنه كتاب عزيز ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢)، فرتله ترتيلاً، وقف عند وعده ووعيده، وتفكر في أمثاله ومواعظه، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده^(٣).

وروي عنه عليه السلام أنه قال: والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون^(٤). وقال أيضاً وقد سأله عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشياً عليه فلما هرب عنه: قيل له في ذلك: فقال: ما زلت أردد الآية على قلبي وعلى سمعي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته^(٥).

أقول: وللتلاوة آداب أخر، منها: ظاهرة كالطهارة والاستعاذة، وتعظيم المصحف، والدعاء أولاً، وآخرأ وغير ذلك.

ومنها: باطنة كحضور القلب، والتدبر والتفهم، والتخلّي عن موانع الفهم، وتخصيص نفسه بكل خطاب، وتأثر قلبه بآثار مختلفة، والترقي بقلبه إلى أن يسمع الكلام من الله لا من نفسه، والتبرّي من حوله وقوته، ومن الالتفات إلى نفسه بعين الرضا وإحضار عظمة الكلام والمتكلم بقلبه إلى غير ذلك كما مرّت الإشارة إلى بعضها، وقد أوردناها جميعاً وبيّناها في كتابنا المسمّى بالمحجّة البيضاء^(٦) من أرادها فليراجع إليه.

١- وفي نسخة: [المشرب]. ٢- فصلت: ٤٢.

٣- مصباح الشريعة: ص ٢٨ - ٢٩.

٤- المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ٢٤٧. وأسرار الصلاة: ص ٢٠٤. وبحار الأنوار: ج ٨٩، ص ١٠٧. وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٣٩. ومفاتيح الغيب: ص ٦٧.

٥- المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ٢٤٨. الباب التاسع، الترقّي. وإحياء علوم الدين: ج ١، ص ٣٣٩. التاسع الترقّي.

٦- المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ٢٤٧. التاسع الترقّي.

المقدمة الثانية عشرة

في بيان ما اصطّلحنا عليه في التفسير

فنقول: كلّما يحتاج من الآيات إلى بيان وتفسير لفهم المقصود من معانيه، أو إلى تأويل لمكان تشابه فيه، أو إلى معرفة سبب نزوله المتوقّف عليه فهمه وتعاطيه، أو إلى تعرّف نسخ أو تخصيص أو صفة أخرى فيه. وبالجملّة: ما يزيد على شرح اللفظ والمفهوم ممّا يفتقر إلى السماع من المعصوم فإن وجدنا شاهداً من محكمات القرآن يدل عليه أتيناه به. فإنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، وقد أمرنا من جهة أئمة الحق ﷺ أن نرد متشابهات القرآن إلى محكماته، وإلاّ فإنّ ظفرنا فيه بحديث معتبر عن أهل البيت ﷺ في الكتب المعتمدة من طرق أصحابنا رضوان الله عليهم أوردناه، وإلاّ أوردنا ما رويناه عنهم ﷺ من طرق العامة لنسبته إلى المعصوم، وعدم ما يخالفه. نظيره في الأحكام ما روي عن الصادق ﷺ: إذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حكمها فيما يروى عنّا فانظروا إلى ما رووه عن علي ﷺ فاعملوا به، رواه الشيخ الطوسي ﷺ في العدة^(١). وما لم نظفر فيه بحديث عنهم ﷺ أوردنا ما وصل إلينا من غيرهم من علماء التفسير إذا وافق القرآن وفحواه وأشبهه أحاديثهم في معناه، فإن لم نعتمد عليه من جهة الإستناد إعتدنا عليه من جهة الموافقة والشبه والسداد، قال رسول الله ﷺ: إنّ على كلّ حق حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله فدعوه^(٢). وقال الصادق ﷺ: ما جاءك في رواية من بر أو فاجر يوافق القرآن فخذ به، وما جاءك في رواية من بر أو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذه^(٣). وقال الكاظم ﷺ: إذا جاءك الحديثان المختلفان فقسهما على كتاب الله وعلى أحاديثنا، فإن أشبههما فهو حق وإن لم يشبههما فهو باطل^(٤).

١ - عدة الأصول: ج ١، ص ٣٧٩.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٦٩، ح ١، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٨، ح ٣، باب ترك الرواية التي يخلف القرآن.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٩، ح ٧، باب ترك الرواية التي يخلف القرآن.

وما ورد فيه أخبار كثيرة فإن لم يكن فيها كثير اختلاف إقتصروا منها على ما اشتمل على مجامعها وتركنا سائرهما مما في معناه، روماً للإختصار وصوناً من الإكثار، وربما أشرنا إلى تعددها وتكررها إذا أهمنا الإعتماد، وإن كانت مختلفة نقلنا أصحها وأحسنها وأعمها فائدة، ثم أشرنا إلى مواضع الإختلاف ما استطعنا وما لا يحتاج إلا إلى شرح اللفظ والمفهوم والنكات المتعلقة بعلوم الرسوم مما لا يقتصر على السماع من المعصوم أوردنا فيه ما ذكره المفسرون الظاهريون من كان تفسيره أحسن، وبيانه أوجز وأتقن كائناً من كان، إلا أوائل السورة التي تذكر فيها البقرة فإن تفسير أكثرها وأكثر تفسيرها مأخوذ من التفسير المنسوب إلى مولانا الزكي أبي محمد العسكري عليه السلام الذي منه ما هو من كلامه، ومنه ما يرويه عن آبائه عليهم السلام، ومنه ما أوردناه بألفاظه ومتونه، ومنه ما أوردناه بمعانيه ومضمونه، ومنه ما لفقناه من غير موضع منه، ثم منه ما نسبناه إليه، ومنه ما لم ننسبه إليه، وما لم ننسبه إليه ولا إلى غيره. فهو منه إلا نادراً من شرح لفظه. ولا يجري فيه إختلاف وإنما النسبة للفصل من كلام الغير، فإن فصل بالقرآن فلا نسبة وذلك إلى حيث ما وجد منه من تفسير هذه السورة، وهو قوله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ﴾ ^(١)، ثم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ ^(٢).

فإن وجد منه تفسير آية أخرى في ضمن تفسير هذه الآيات أو على حدة نسبناه إليه في محله إن شاء الله، وهو تفسير حسن لا سيما ما يتعلق منه بألفاظ القرآن ومعناه مما له مدخل في فهم القرآن وإن لم يقع موقع القبول عند جماعة من أصحابنا طاعينين في إنساده فإذا أردنا أن نأتي بمزيد بيان لآية أو حديث من لدنا أو من قول بعض أهل العلم والمعرفة أو أردنا أن نجمع ونوفق بين ما يوهم التناقض أو نحو ذلك صَدَرْنَا كلامنا بقولنا أقول: أو قيل: ليفصل عن كلام المعصوم عليه السلام إلا إذا كانت هناك قرينة تدل على ذلك، وما لا يحتاج إلى مزيد كشف وبيان إما لوضوحه واحكام معناه أو لما عرف مما سبق قريباً من تفسير ما يجري مجراه طوينا تفسيره أو

أحلنا على ما أسلفناه، وقلنا نعرض لأنحاء النحو وصور الصرف وشقوق الاشتقاق واختلاف القراءات فيما لا يختلف به أصل المعنى لأن نظر أولى الألباب إلى المعاني أكثر منه إلى المباني، وربما يوجنا تمام الكشف من المقصود إلى ذكر شيء من الأسرار، فمن لم يكن من أهله فلا يبادر بالإنكار، وليتركه لأهله فإن لكل أهلاً، وذاك أيضاً من مخزون علمهم الذي استفدناه من عباراتهم، ومكنون سرهم الذي استنبطناه من إشاراتهم بإخلاص الولاء والحب، وبمصاص المخ واللب، والله الحمد، وما نقلناه من كتب الأصحاب نسبناه إليها باقتصار في أسمائها كالإكتفاء بالمضاف عما أضيف إليه كالجمع، والجوامع، للشيخ أبي علي الطبرسي، وكالتوحيد، والعيون، والعلل، والإكمال، والمعاني، والمجالس، والإعتقادات، من تصانيف الصدوق أبي جعفر محمد بن بابويه عليه السلام، وكالمناقب لمحمد بن شهر آشوب المازندراني، وكالتهديب، والغيبة، والأمالى للشيخ أبي جعفر الطوسي (طاب ثراهم) وكنينا عن كتاب من لا يحضره الفقيه: بالفقيه، واكتفينا عن ذكر تفسيري علي بن إبراهيم القمي، ومحمد بن مسعود العياشي، واسميهما بالقمي والعياشي، وعبرنا عن تفسير الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام بتفسير الإمام، واقتصرنا في التعبير عن المعصوم على ذكر لقبه تعظيماً بعد التسمية، وحذراً عن الإشتباه بذكر الكنى لإشتراك بعضها، وطلباً للإختصار، وكلما أضمرنا عن المعصوم بقولنا، عنه عليه السلام فرجع الضمير الإمام الذي سبق ذكره، وكلما لم نسّم الكتاب فالمروي عنه الكتاب الذي مضى اسمه أو اسم مصنفه، إلا ما صدر بروي: والقمي قد يسند إلى المعصوم عليه السلام وقد لا يسند، وربما يقول: قال: والظاهر أنه أراد به الصادق عليه السلام فإن الشيخ أبا علي الطبرسي قد يروي عنه ما أضمره ويسنده إلى الصادق عليه السلام، ونحن نروي ما أضمره على إضماره.

وحذفنا الأسانيد في الكل، لقلّة جدوى المعرفة بها في هذا العصر البعيد العهد عنها مع الاختلاف فيها والإشتباه.

على أننا إنما نصحّح الأخبار بنحو آخر غير الأسانيد إلا قليلاً، ونستعين في ذلك كله بالله وحده ولا نتخذ إلى غيره سبيلاً.

فيا إخواني: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾^(١) ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾^(٢) ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٣).



تفسير الإستعاذة

في تفسير الإمام عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿أَعُوذُ﴾: أمتنع.

﴿بِاللهِ السَّمِيعِ﴾: لمقال الأخيار والأشرار، ولكُلِّ المسموعات من الإعلان

والإسرار.

﴿أَلْعَلِيمِ﴾: بأفعال الأبرار والفجار، وبكل شيء مّا كان وما يكون ومما لا

يكون أن لو كان كيف يكون.

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: البعيد من كلّ خير.

﴿أَلرَّجِيمِ﴾: المرجوم باللّعن، المطرود من بقاع الخير^(١).

وفي المعاني: عن الزكي عليه السلام معنى «الرّجيم»: أنّه مرجوم باللّعن، مطرود من الخير، لا

يذكره مؤمن إلّا لعنه وأنّ في علم الله السابق إذا خرج القائم عليه السلام: لا يبقى مؤمن في زمانه إلّا

رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللّعن^(٢).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: والإستعاذة هي ما قدر أمر الله بها عباده عند قرائتهم القرآن

فقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ

سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ

يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ^{(٣)(٤)}.

أقول: الإستعاذة: تطهير اللسان عمّا جرى عليه من غير ذكر الله ليستعدّ لذكر الله

والتلاوة، وتنظيف للقلب من تلوث الوسوسة ليتهيأ للحضور لدى المذكور ويجد الحلاوة.

٢- معاني الأخبار: ص ١٣٩، ح ١، باب معنى الرجيم

١- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٦.

٤- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٦، ح ٣.

٣- النحل: ٩٨-١٠٠.

10

Die erste Begegnung

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

10

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

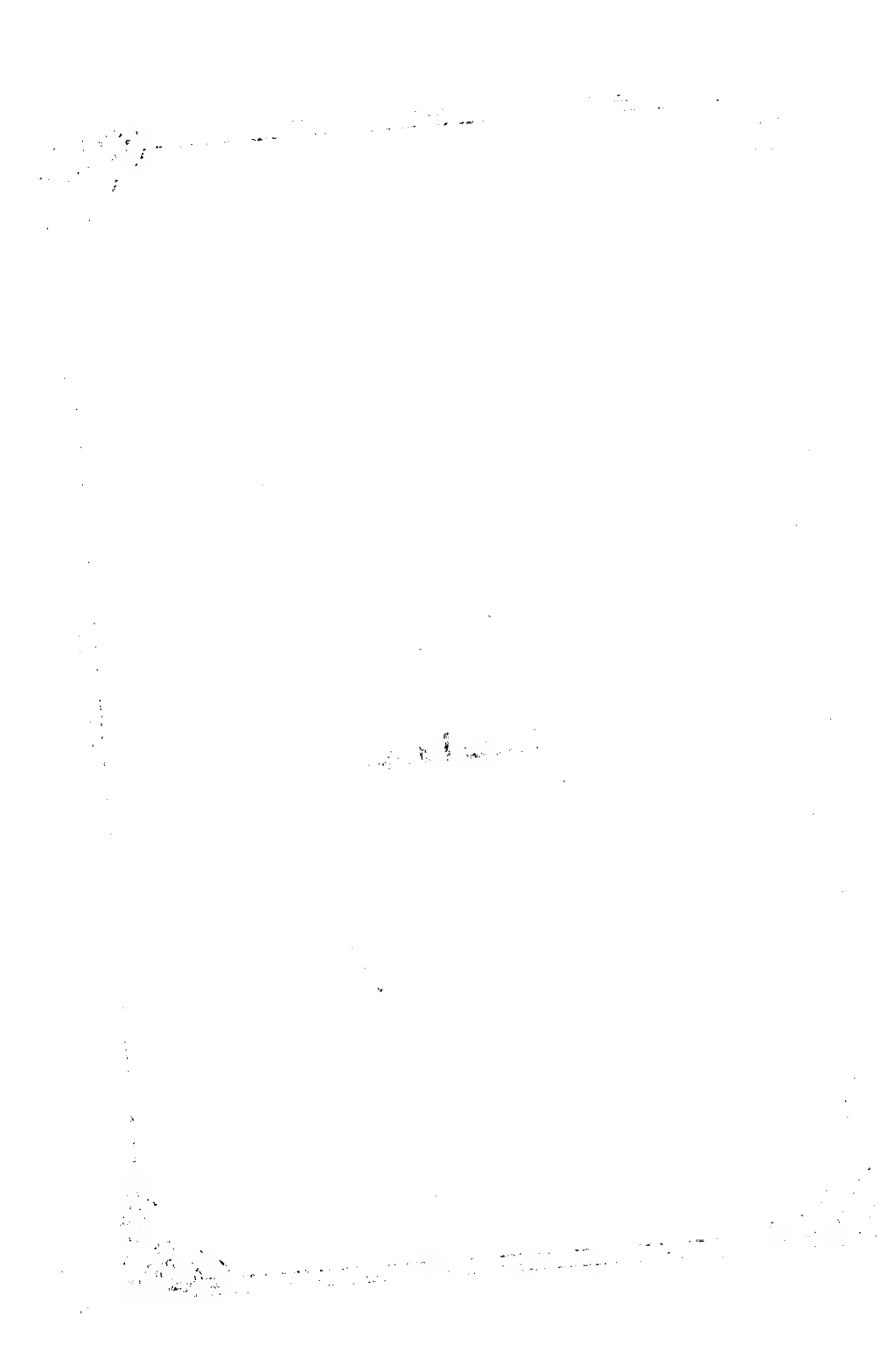
Die erste Begegnung mit der Natur

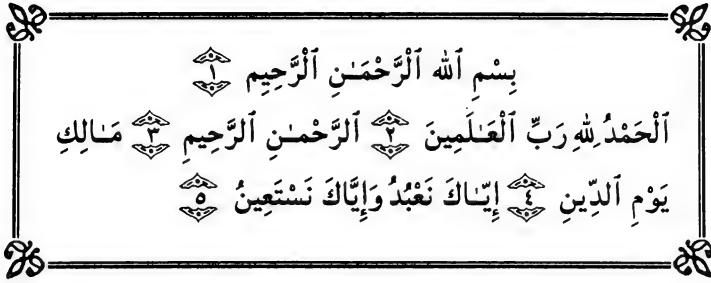
Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

Die erste Begegnung mit der Natur

سورة الفاتحة





سورة الفاتحة: مكيّة، وقيل: مدنيّة، وقيل: أنزلت مرّتين: مرّة بمكة، ومرّة بالمدينة، وهي سبع آيات.



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: ^(١) في التّوحيد ^(٢)، وتفسير الإمام: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الله»: هو الذي يتألّه إليه كلّ مخلوق عند الحوائج والشّدائد إذا انقطع الرّجاء

١ - قيل: الوجه في كتابة البسملة بحذف الألف على خلاف وضع الخط: كثرة الإستعمال، وتطويل الباء عوض عنها منه ﷺ.

وروي إن قريشاً كانت تكتب في الجاهليّة: بِسْمِكَ اللَّهُمَّ حتّى نزلت سورة هود فيها «بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُزْسِنُهَا» هود: ٤١. فأمر النبي ﷺ أن يكتب «بِسْمِ اللَّهِ» ثم نزل عليه بعد ذلك «قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» الإسراء: ١١٠. فأمر صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتب «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ»، فلمّا نزلت سورة النمل «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» النمل: ٣٠. أمر ﷺ أن يكتب ذلك في صدور الكتب، وأوائل الرسائل، وهي آية من كل سورة.

وقولنا: «بسم الله» أي أبدأ ببسم الله، أو إبتدائي ببسم الله فهو خبر مبتدأ محذوف واشتقاق الإسم من السّمَو، وهو العلو والرفعة، ومنه سما الزّرع أي: علا وارفع، ومنه اشتقاق السّماء لإرتفاعها وعلوها.

وقيل: هو مشتق من السمة التي هي العلامة فكانه علامة لما وضع له. منه ﷺ.

٢ - التوحيد: ص ٢٣٠ - ٢٣١، ح ٥، باب ٣١.

مِنْ كُلِّ مَنْ دُونَهُ، وَتَقَطَّعَ الْأَسْبَابُ مِنْ جَمِيعِ مَا سِوَاهُ، يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ أَيِ اسْتَغْنَى عَلَى أُمُورِي كُلِّهَا بِاللَّهِ الَّذِي لَا تَحَقُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ الْمَغِيثُ إِذَا اسْتَغِيثَ، وَالْمَجِيبُ إِذَا دُعِيَ^(١).

أَقُولُ: مَعْنَى يَتَأَلَّهَ إِلَيْهِ: يَفْزَعُ إِلَيْهِ، وَيَلْتَجَأُ، وَيَسْكُنُ.

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ عليه السلام يَعْنِي بِهَذَا الْإِسْمَ أَقْرَأُ، وَأَعْمَلُ هَذَا الْعَمَلَ^(٢).

وَفِي الْعِيُونِ^(٣)، وَالْمَعَانِي: عَنْ الرِّضَا عليه السلام، يَعْنِي بِهَذَا أَسْمُ نَفْسِي بِسْمَةِ مَنْ سَمَاتُ اللَّهِ، وَهِيَ الْعِبَادَةُ، قِيلَ لَهُ: مَا السَّيِّئَةُ؟ قَالَ: الْعِلَامَةُ^(٤).

وَفِي التَّوْحِيدِ^(٥)، وَتَفْسِيرِ الْإِمَامِ عليه السلام: قَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ عليه السلام: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ دَلَّنِي عَلَى اللَّهِ مَا هُوَ؟ فَقَدْ أَكْثَرَ عَلَيَّ الْمَجَادِلُونَ وَحَيْرَوْنِي، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَهَلْ كَسَرْتَ بِكَ حَيْثَ لَا سَفِينَةَ تَنْجِيكَ وَلَا سَبَاحَةَ تَغْنِيكَ قَالَ: بَلَى قَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَاكَ إِنْ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُصَكَ مِنْ وَرَطَّتِكَ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: الصَّادِقُ عليه السلام: فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْجَاءِ حِينَ لَا مُنْجِيَ، وَعَلَى الْإِغَاثَةِ حَيْثَ لَا مَغِيثَ^(٦).

وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام «اللَّهُ»: أَعْظَمَ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ^(٧).

وَيَأْتِي فِي مَعْنَى «اللَّهُ»: حَدِيثٌ آخَرٌ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَعَنْ عليه السلام «الرَّحْمَنُ»: الَّذِي يَرْحَمُ بِبَسْطِ الرِّزْقِ عَلَيْنَا^(٨).

١- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢١-٢٢، ح ٥، وفيه: «مِنْ جَمِيعِ مَنْ سِوَاهُ، فَيَقُولُ».

٢- البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٦٤.

٣- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٠-٢٦١، ح ١٩، باب ٢٦- ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتى.

٤- معاني الأخبار: ص ٣، باب آخر في معنى بسم الله، والتوحيد: ص ٢٢٩، ح ١، باب ٣١.

٥- التوحيد: ص ٢٣٠-٢٣١، ح ٥، باب ٣١، ومعاني الأخبار: ص ٤، ح ٢، باب معنى الله.

٦- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢، ح ٦، وفيه: «حِينَ لَا مَغِيثَ».

٧- التوحيد: ص ٢٣١، ح ٥، باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم.

٨- التوحيد: ص ٢٣٢، ح ٥، باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم.

وفي رواية العاطف على خلقه بالرزق، لا يقطع عنهم مواد رزقه وإن انقطعوا عن طاعته^(١).

«الرَّحِيمِ»: بنا في أدياننا ودينانا وآخرتنا، خَفَّفَ علينا الدين وجعله سهلاً خفيفاً وهو يرحمنا بتمييزنا من أعدائه^(٢).

أقول: رزق كل مخلوق مابه قوام وجوده وكماله اللائق به، فالرحمة الرحمانية: تعم جميع الموجودات وتشمل كل النعم كما قال الله سبحانه: «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى»^(٣).

وأما الرَّحْمَةُ الرَّحِيمِيَّةُ: بمعنى التوفيق في الدنيا والدين فهي مختصة بالمؤمنين، وماورد من شمولها للكافرين فإنما هي من جهة دعوتهم إلى الإيمان والدين مثل ما في تفسير الإمام عليه السلام من قولهم عليه السلام: الرَّحِيمُ بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته، وعباده الكافرين في الرفق في دعائهم إلى موافقته^(٤).

ومن ثَمَّة قال الصادق عليه السلام: «الرَّحْمَنُ»: اسم خاص لصفة عامَّة، و«الرَّحِيمُ»: اسم عام لصفة خاصَّة^(٥).

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: «الرَّحْمَنُ»: رحمن الدنيا، «والرَّحِيمُ»: رحيم الآخرة يعني في الأمور الأخروية رواهما في المجمع^(٦)، وفي الكافي^(٧)، والتوحيد^(٨)، والمعاني^(٩)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام، «الباء»: بهاء الله و«السين»: سناء الله و«الميم»: مجد الله^(١٠).

١- تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٤، ح ١٢.

٢- التوحيد: ص ٢٣٢، ح ٥، باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم.

٣- طه: ٥٠. ٤- تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٤، ح ١٢.

٥- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢١. ٦- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢١.

٧- الكافي: ج ١، ص ١١٤، ح ١. ٨- التوحيد: ص ٢٣٠، ح ٢.

٩- معاني الأخبار: ص ٣، ح ١، باب معنى بسم الله الرحمن الرحيم.

١٠- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢، ح ١٨.

وفي رواية ملك الله^(١) «والله»: إنه كل شيء «الرَّحْمَنُ»: بجميع خلقه، و«الرَّحِيمُ»: بالمؤمنين خاصّة^(٢).

والقمي: عنه عليه السلام مثله بالرواية الأخيرة فحسب^(٣).

وروي في المشهور، وأورده في المجمع، عن النبي ﷺ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسَّمها بين خلقه، فيها يتعاطفون ويتراحمون وأخَّرَ تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة^(٤).

وروي إنَّ الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيامة^(٥).

وفي تفسير الإمام عليه السلام معنى ما في الروايتين عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٦).

والتسمية في أول كل سورة آية منها، وإنَّما كان يعرف إنقضاء السورة بنزلها ابتداءً للآخرى، وما أنزل الله كتاباً من السماء إلَّا وهي فاتحته كذا عن الصادق عليه السلام رواه العياشي^(٧).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام أول كل كتاب نزل من السماء «بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» فإذا قرأتها فلا تبال إلَّا تستعيز فإذا قرأتها سترتك فيما بين السماء والأرض^(٨).

وفي العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنَّها من الفاتحة، وأنَّ رسول الله ﷺ يقرؤها ويعدّها آية منها، ويقول: فاتحة الكتاب هي السَّبع المثاني^(٩).

وفيه^(١٠)، وفي العياشي: عن الرضا عليه السلام إنَّها أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها^(١١).

١- التوحيد: ص ٢٣٠، ح ٣.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢، ح ١٨.

٣- تفسير القمي: ص ٢٨.

٤- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢١.

٥- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢١.

٦- تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٧، ح ١٣.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٩، ح ٥.

٨- الكافي: ج ٣، ص ٣١٣، ح ٣.

٩- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٣٠١، ح ٥٩، باب ٢٨ - فيما جاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام من الأخبار المتفرقة.

١٠- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٥، ح ١١، باب ٣٠ - فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المنثورة.

١١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١، ح ١٣.

ورواه في التهذيب: عن الصادق عليه السلام ^(١).
 والقمي: عنه عليه السلام إنها أحق ما يجهر به، وهي الآية التي قال الله عز وجل: «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا» ^(٢) ^(٣).
 وفي الخصال: عنه عليه السلام إن الإجهار بها في الصلاة واجب ^(٤).
 والعياشي: عنه عليه السلام قال: ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها ^(٥).
 أقول: يعني العامة، وعن الباقر عليه السلام: سرقوا أكرم آية من كتاب الله «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وينبغي الإتيان بها عند افتتاح كل أمر عظيم أو صغير ليبارك فيه ^(٦).
 ففي الكافي: عن الصادق عليه السلام، قال: لا تدعها ولو كان بعده شعر ^(٧).
 وفي التوحيد ^(٨)، وتفسير الإمام: عنه عليه السلام من تركها من شيعتنا امتحنه الله بمكروه لينبئه على الشكر، والثناء، ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه ^(٩).
 وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله حدثني عن الله عز وجل إنه قال: كل أمر ذي بال لم يذكر فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبت ^(١٠).
 ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: يعني على ما أنعم الله به علينا، في العيون ^(١١)، وتفسير الإمام عليه السلام:
 عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه سئل عن تفسيرها، فقال: هو أن الله عز وجل عباده بعض نعمه عليهم جملاً إذ لا يقدر على معرفة جميعها بالتفصيل لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال: قولوا: الحمد لله على ما أنعم به علينا ^(١٢).

-
- ١- تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٨٩، ح ١١٥٩. ٢- الاسراء: ٤٦.
 - ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨.
 - ٤- الخصال: ص ٦٠٤، ح ٩.
 - ٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢١-٢٢، ح ١٦، وفيه تنمّة: «وهي بسم الله الرحمن الرحيم».
 - ٦- تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٦، ح ١٢. والبرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٤٢، ح ١٥.
 - ٧- الكافي: ج ٢، ص ٦٧٢، ح ١.
 - ٨- التوحيد: ص ٢٣١، ح ٥.
 - ٩- تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٢٢، ح ٧. ١٠- البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٤٦.
 - ١١- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٨٢، ح ٣٠، باب ٢٨- فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليه السلام من الأخبار المتفرقة.
 - ١٢- تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٠، ح ١١.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام، ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله إلا أدى شكرها^(١).

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: في العيون^(٢)، وتفسير الإمام عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني مالك الجماعات من كل مخلوق، وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون يقبّل الحيوانات في قدرته، ويغذوها من رزقه، ويحوطها بكفنه، ويدبر كلاً منها بمصلحته، ويمسك الجمادات بقدرته، ويمسك ما اتصل منها عن التهافت، والمتهافت عن التلاصق، والسماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، والأرض أن تنخسف إلا بأمره^(٣).

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: قيل: لعل تكريرهما للتنبيه بهما في جملة الصفات المذكورة على استحقاقه «للحمد»^(٤).

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام: يعني القادر على إقامته، والقاضي فيه بالحق والدين والحساب^(٥). وقرئ «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ»، روى العياشي: إنه قرأه الصادق عليه السلام ما لا يحصى^(٦).

وروي في تفسير الإمام عليه السلام: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أكيس الكيسين: من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت، وإن أحقق الحمقاء: من اتبع نفسه هواه، وتمنى على الله تعالى الأماني^(٧).

وفي حديث آخر حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا^(٨). أقول: وفيهما دلالة على أن لكل إنسان أن يفرغ من حسابه، ووزن عمله في دار الدنيا بحيث لا يحتاج إليهما في الآخرة وهو كذلك عند أولي الألباب.

﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُكَ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام قال الله تعالى: «قُولُوا: يَا أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُنْعَم

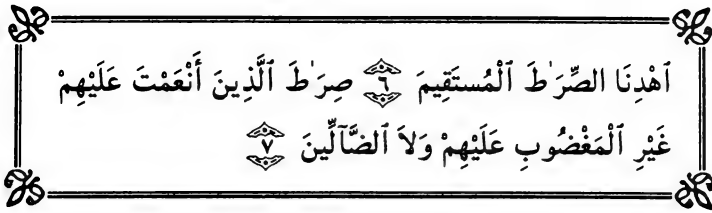
١- الكافي: ج ٢، ص ٩٦، ح ١٤. ٢- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٨٢-٢٨٣، ح ٣٠.

٣- تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٠، ح ١١. ٤- راجع روح المعاني: ج ١، ص ٨٢، سطر ٥.

٥- تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٨، ح ١٤. ٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٢-٢٣، ح ٢٢.

٧- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٨، ح ١٤.

٨- بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٧٣، ح ٢٦؛ والمحجة البيضاء: ج ٨، ص ١٦٥.



عليهم إِيَّاكَ نَعْبُدُ أَيُّهَا الْمَنُعم علينا، نطيعك مخلصين موحِّدين، مع التذلل والخضوع بلا رياء ولا سمعة»^(١).

وفي رواية عامية عن الصَّادق عليه السلام يعني لا نريد منك غيرك، لا نعبدك بالعوض والبدل كما يعبدك الجاهلون بك الْمُغَيَّبُونَ عنك^(٢).

أقول: إِنَّمَا انتقل العبد من الغيبة إلى الخطاب لِأَنَّهُ كَانَ بِتَمَجِيدِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ مُتَدَرِّجاً إِلَى أَنْ يَبْلُغَ فِي الْقَرَبِ مَقَاماً كَأَنَّ الْعِلْمَ صَارَ لَهُ عِيَاناً، وَالْخَبَرُ شَهِوداً، وَالْغَيْبَةُ حُضُوراً. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: على طاعتك وعبادتك، وعلى دفع شرور أعدائك، وردِّ مكائدهم، والمقام على ما أمرت كذا في تفسير الإمام عليه السلام^(٣).

قيل: المستتر في نعبد ونستعين: للقاري، ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أو له ولسائر الموحِّدين، أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلَّها تقبل ببركتها، وتجاب إليها ولهذا شرعت الجماعة، وقُدِّمَ «إِيَّاكَ» لِلتَّعْظِيمِ لَهُ، وَالْإِهْتِمَامِ بِهِ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى الْحَصْرِ^(٤).

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: في المعاني^(٥)، وتفسير الإمام عن الصَّادق عليه السلام،

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٩، ح ١٥. ٢ - لم نثر عليه.

٣ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤١، ح ١٨.

٤ - قيل: إِنَّمَا قَدِّمْتَ الْعِبَادَةَ عَلَى الْإِسْتِعَانَةِ لِتَوَافُقِ رُؤُوسِ الْآيِ، وَيَعْلَمُ مِنْهُ أَنَّ تَقْدِيمَ الْوَسِيلَةِ عَلَى طَلَبِ الْحَاجَةِ أَدْعَى إِلَى الْإِجَابَةِ، وَلِئِنْ نَسِبَ الْمُتَكَلِّمُ الْعِبَادَةَ إِلَى نَفْسِهِ أَوْ هُمْ ذَلِكَ تَبَجُّجاً أَوْ اعْتِدَاداً مِنْهُ بِمَا يَصْدُرُ عَنْهُ تَعَقُّبُهُ بِقَوْلِهِ: «وَأَيُّهَا نَسْتَعِينُ» لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ أَيْضاً مِمَّا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِمَعُونَةٍ وَتَوْفِيقٍ مِنْهُ، مِنْهُ «قُدِّسَ سِرُّهُ».

٥ - معاني الأخبار: ص ٣٣، ح ٣.

يعني أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ إلى جنتك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك^(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: يعني آدم لنا توفيقك الذي أعطناك به في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا^(٢).

أقول: لما كان العبد محتاجاً إلى الهداية في جميع أموره أنا فأننا، ولحظةً فلحظةً فإدامة الهداية: هي هداية أخرى بعد الهداية الأولى، فتفسير الهداية بإدامتها ليس خروجاً عن ظاهر اللفظ.

وعنه عليه السلام الصراط المستقيم في الدنيا: ما قصر عن الغلو، وارتفع عن التفصير، واستقام، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة^(٣).

وفي المعاني: عن الصادق عليه السلام، وهي الطريق إلى معرفة الله، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة فأما الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة فتردى في نار جهنم^(٤).

وعنه عليه السلام: إن الصراط: أمير المؤمنين عليه السلام^(٥).

وزاد في رواية أخرى: ومعرفة^(٦).

وفي أخرى إنه معرفة الإمام^(٧).

وفي أخرى نحن الصراط المستقيم^(٨).

والقمتي: عنه عليه السلام، الصراط: أدق من الشعر وأحد من السيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً، ومنهم من يمرّ عليه

١ - تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٤٤، ح ٢٠.

٢ - تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٤٤، ح ٢٠.

٣ - تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٤٤، ح ٢٠.

٤ - معاني الأخبار: ص ٣٢، ح ١.

٥ - معاني الأخبار: ص ٣٢، ح ٢.

٦ - معاني الأخبار: ص ٣٢، ح ٣.

٧ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٨.

٨ - معاني الأخبار: ص ٣٥، ح ٥.

حبوا^(١)، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً فتأخذ النّار منه شيئاً، وتترك منه شيئاً^(٢).

وفي رواية أخرى إنّه مظلم يسعى النّاس عليه على قدر أنوارهم^(٣).

أقول: ومآل الكلّ واحد عند العارفين بأسرارهم، وبيانه على قدر فهمك إن لكلّ إنسان من ابتداء حدوثة إلى منتهى عمره انتقالات جبلية باطنية في الكمال وحركات طبيعيّة ونفسانيّة تنشأ من تكرّر الأعمال، وتنشأ منها المقامات والأحوال فلا يزال ينتقل من صورة إلى صورة، ومن خلق إلى خلق، ومن عقيدة إلى عقيدة، ومن حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، ومن كمال إلى كمال، حتّى يتّصل بالعالم العقلي والمقرّين، ويلحق بالملأ الأعلى والسابقين إن ساعده التوفيق وكان من الكاملين، أو بأصحاب اليمين إن كان من المتوسطين، أو يحشر مع الشياطين، وأصحاب الشمال أن ولّاه الشيطان وقارنه الخذلان في المآل، وهذا معنى الصراط، والمستقيم منه: ما إذا سلكه أوصله إلى الجنّة، وهو ما يشتمل عليه الشرع كما قال الله عزّ وجلّ: «وَأَنْتَ كَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٤) صراط الله: وهو: صراط التوحيد، والمعرفة، والتوسّط بين الأضداد في الأخلاق والتزام صوالح الأعمال. وبالجملّة صورة الهدى التي أنشأها المؤمن لنفسه مادام في دار الدّنيا مقتدياً فيه بهدى إمامه، وهو أدقّ من الشّعور، وأحدّ من السّيف في المعنى، مظلم لا يهتدي إليه إلّا من جعل الله له نوراً يمشي به في النّاس، يسعى النّاس عليها على قدر أنوارهم.

وروي عن الصادق عليه السلام: إنّ الصّورة الإنسانيّة هي الطّريق المستقيم إلى كلّ خير، والجسر الممدود بين الجنّة والنّار.

أقول: فالصراط والمآز عليه شيء واحد في كلّ خطوة يضع قدمه على رأسه أعني يعمل على مقتضى نور معرفته التي هي بمنزلة رأسه بل يضع رأسه على قدمه أي يبني معرفته على نتيجة عمله الذي كان بناؤه على معرفته السابقة حتّى يقطع المنازل إلى الله وإلى

١ - حَبَا حُبُوا: مشى على يديه وبطنه. لسان العرب: ج ٣، ص ٣٦، مادة «حبا».

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩.

٣ - لم نعثّر عليه.

٤ - الشورى: ٥٢.

الله المصير.

وقد تَبَيَّن من هذا: إِنَّ الإمام هو الصَّراط المستقيم، وإنَّه يمشي سَوْباً على الصَّراط المستقيم، وإنَّ معرفته معرفة الصَّراط المستقيم، ومعرفة المشي على الصَّراط المستقيم، وإنَّ من عرف الإمام ومشى على صراطه سريعاً أو بطيئاً بقدر نوره ومعرفته إِيَّاه فاز بدخول الجنة، والنَّجاة من النَّار، ومن لم يعرف الإمام لم يدر ما صنع فزَلَتْ قدمه وتردَّى في النَّار^(١). ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: في المعاني^(٢)، وتفسير الإمام: عن أمير المؤمنين عليه السلام أي قولوا: إهدنا صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بالتَّوفيق لدينك وطاعتك، لا بالمال والصحة فإنَّهم قد يكونون كَفَّاراً أو فاسقاً، وقال: هم الَّذِينَ قال الله تعالى: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً»^(٣)^(٤).

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: قال: هم اليهود الَّذِينَ قال الله فيهم: «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ»^(٥).

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: قال: هم النَّصَارَى الَّذِينَ قال الله فيهم: «قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً»^(٦). وزاد في تفسير الإمام عليه السلام: ثم قال: أمير المؤمنين عليه السلام كلَّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه، وضالٌّ عن سبيل الله^(٧).

وفي المعاني عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» هم شيعة علي عليه السلام، يعني أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام لم تغضب عليهم ولم يضلُّوا^(٨).

١ - وإذا عرفت الصراط فجزاها في الدنيا وخذ هذا مِمَّن يمرُّ على الصراط متعلقاً قد اخذت منه النار، نجاة الله من النار وحشره مع الأبرار والأخيار. منه «قدس سره».

٢ - معاني الأخبار: ص ٣٦، ح ٩. ٣ - النساء: ٦٩.

٤ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٧ - ٤٨، ح ٢٢.

٥ - المائدة: ٦٠. ٦ - المائدة: ٧٧.

٧ - تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٥٠، ح ٢٣. ٨ - معاني الأخبار: ص ٣٦، ح ٨.

وعن الصادق عليه السلام: يعني محمداً وذريته (١).

والقمي: عنه عليه السلام إنَّ المغضوب عليهم: النصاب، والضَّالِّين: أهل الشُّكوك الذين لا يعرفون الإمام (٢).

أقول: ويدخل في صراط المنعم عليهم: كلَّ وسط واستقامة في اعتقاد أو عمل فهم الذين «قالوا ربُّنا الله ثُمَّ اسْتَقَمُوا» (٣)، وفي صراط المغضوب عليهم: كلَّ تفريط وتقصير، ولا سيما إذا كان عن علم كما فعلت اليهود بموسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، وفي صراط الضَّالِّين: كلَّ إفراط وغلوَ، لا سيما إذا كان عن جهل كما فعلت النَّصارى بعيسى، وذلك لأنَّ الغضب يلزمه البعد والطرد، والمقصر هو المدير المعرض فهو البعيد، والضَّلال: هو الغيبة عن المقصود، والمفرط: هو المقبل المجاوز فهو الذي غاب عنه المطلوب.

والعياشي: عن النبي ﷺ إنَّ أَمَّ الكتاب أفضل سورة أنزلها الله في كتابه، وهي شفاء من كلِّ داءٍ إلَّا السَّام، يعني الموت (٤).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: من لم يبرأه الحمد لم يبرأه شيء (٥).

وعن الصادق عليه السلام: لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرَّةً ثُمَّ رَدَّتْ فيه الرُّوح ما كان عجيباً (٦).

وفي رواية أنَّها من كنوز العرش (٧).

وفي العيون (٨)، وتفسير الإمام عليه السلام: عن الصادق عليه السلام، عن آبائه صلى الله عليهم، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عزَّ وجلَّ: قَسَمْتُ فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل. إذا قال العبد: «بِسْمِ اللَّهِ

١ - معاني الاخبار: ص ٣٦، ح ٧. ٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٢٩.

٣ - فصلت: ٣٠. ٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٠، ح ٩.

٥ - الكافي: ج ٢، ص ٦٢٦، ح ٢٢. ٦ - الكافي: ج ٢، ص ٦٢٢، ح ١٦.

٧ - تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٥-٦، ح ١٠، ومستدرک الوسائل: ج ٤، ص ١٦٨، ح ١٦.

٨ - عيون اخبار الرضا: ج ١، ص ٣٠٠، ح ٥٩، باب ٢٨ - فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليه السلام من الأخبار المتفرقة.

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» قال الله جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ أن أتمم له أموره وأبارك له في أحواله، فإذا قال: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» قال الله جلّ جلاله: حمدني عبدي وعلم أن النعم التي له من عندي، وأنّ البلايا التي اندفعت عنه فبتطوّلي أشهدكم أنّي أضيف له إلى نعم الدّنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدّنيا، وإذا قال: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» قال الله جلّ جلاله: شهد لي عبدي بأنّي الرحمن الرحيمُ أشهدكم لأوفرّن من نعمتي حظّه ولأجزلّن من عطائي نصيبه، فإذا قال: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» قال الله تعالى: أشهدكم كما اعترف بأنّي أنا الملك يوم الدين لأسهلّن يوم الحساب حسابه، ولأقبلن حسناته، ولأتجاوزنّ عن سيئاته، فإذا قال العبد: «إِنِّي أَنَا عَبْدُكَ» قال الله عزّ وجلّ: صدق عبدي إياي يعبد، أشهدكم لأثبّنه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: «وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» قال الله تعالى: بي استعان وإيّيّ إلتجأ أشهدكم لأعينّه على أمره، ولأغيثّه في شدائده، ولأخذنّ بيده يوم نوائبه، فإذا قال: «إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» إلى آخر السورة قال الله جلّ جلاله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل، فقد استجبت لعبدي، وأعطيته ما أمل، وآمنته ممّا منه وجل^(١).



سورة البقرة

1870
1871
1872
1873
1874
1875
1876
1877
1878
1879
1880
1881
1882
1883
1884
1885
1886
1887
1888
1889
1890
1891
1892
1893
1894
1895
1896
1897
1898
1899
1900

1901
1902
1903
1904
1905
1906
1907
1908
1909
1910
1911
1912
1913
1914
1915
1916
1917
1918
1919
1920
1921
1922
1923
1924
1925
1926
1927
1928
1929
1930

1931
1932
1933
1934
1935
1936
1937
1938
1939
1940
1941
1942
1943
1944
1945
1946
1947
1948
1949
1950
1951
1952
1953
1954
1955
1956
1957
1958
1959
1960

1961
1962
1963
1964
1965
1966
1967
1968
1969
1970
1971
1972
1973
1974
1975
1976
1977
1978
1979
1980
1981
1982
1983
1984
1985
1986
1987
1988
1989
1990

1991
1992
1993
1994
1995
1996
1997
1998
1999
2000
2001
2002
2003
2004
2005
2006
2007
2008
2009
2010
2011
2012
2013
2014
2015
2016
2017
2018
2019
2020

2021
2022
2023
2024
2025
2026
2027
2028
2029
2030
2031
2032
2033
2034
2035
2036
2037
2038
2039
2040
2041
2042
2043
2044
2045
2046
2047
2048
2049
2050

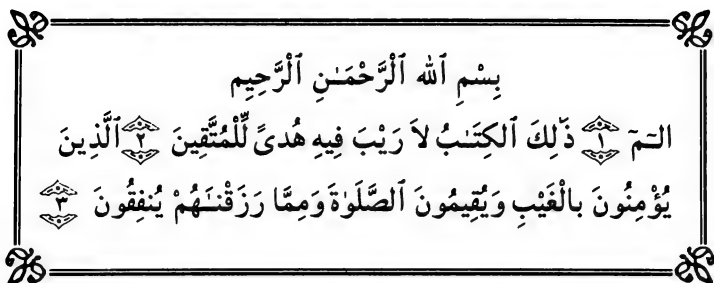
2051
2052
2053
2054
2055
2056
2057
2058
2059
2060
2061
2062
2063
2064
2065
2066
2067
2068
2069
2070
2071
2072
2073
2074
2075
2076
2077
2078
2079
2080

2081
2082
2083
2084
2085
2086
2087
2088
2089
2090
2091
2092
2093
2094
2095
2096
2097
2098
2099
2100
2101
2102
2103
2104
2105
2106
2107
2108
2109
2110

2111
2112
2113
2114
2115
2116
2117
2118
2119
2120
2121
2122
2123
2124
2125
2126
2127
2128
2129
2130
2131
2132
2133
2134
2135
2136
2137
2138
2139
2140

2141
2142
2143
2144
2145
2146
2147
2148
2149
2150
2151
2152
2153
2154
2155
2156
2157
2158
2159
2160
2161
2162
2163
2164
2165
2166
2167
2168
2169
2170

2171
2172
2173
2174
2175
2176
2177
2178
2179
2180
2181
2182
2183
2184
2185
2186
2187
2188
2189
2190
2191
2192
2193
2194
2195
2196
2197
2198
2199
2200



سورة البقرة: مدنيّة كلها إلا آية واحدة منها، وهي: «اتَّقُوا يَوْمًا تُزْجَعُونَ»^(١) الآية. وهي مائة ثان وست وثمانون آية.



﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: مضى تفسيرها^(٢).

﴿التم﴾: في المعاني: عن الصادق عليه السلام «الم»: وهو حرف من حروف اسم الله الأعظم المقطع في القرآن يؤلفه النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام فإذا دعا به أجيب^(٣).

أقول: فيه دلالة على أنّ الحروف المقطعات أسرار بين الله تعالى ورسوله، ورموز لم يقصد بها أفهام غيره، وغير الراسخين في العلم من ذريّته، والتخاطب بالحروف المفردة سنّة الأحباب في سنن المحابّ، فهو سرّ الحبيب مع الحبيب، بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر:

بين المحبّين سرّ ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه

والدليل عليه أيضاً من القرآن قوله عزّ وجلّ: «وَأُخْرُ مُتَشَبِهَتٌ»^(٤) إلى قوله: «وَمَا

٢- تفسير الامام العسكري: ص ٥٨ - ٥٩، ح ٣٠.

١- البقرة: ٢٨١.

٤- آل عمران: ٧.

٣- معاني الاخبار: ص ٢٣، ح ٢.

يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرُّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ» (١).

ومن الحديث ما رواه العياشي: عن أبي لبيد المخزومي، قال: قال: أبو جعفر عليه السلام يابا لبيد إنه يملك من ولد العباس اثنا عشر، يقتل بعد الثامن منهم أربعة تصيب أحدهم الذبحة (٢) فتذبحه، فئة قصيرة أعمارهم، خبيثة سيرتهم، منهم الفويسق الملقب بالهادي، والناطق، والغاوي، يابا لبيد إن لي في حروف القرآن المقطعة لعلماً جماً إن الله تبارك وتعالى أنزل «آلَمْ» ذَلِكَ أَلَكِتْسَبُ» فقام محمد عليه السلام حتى ظهر نوره، وثبتت كلمته، وولد يوم ولد وقد مضى من الألف السابع: مائة سنة وثلاث سنين، ثم قال: وتبيناه في كتاب الله في الحروف المقطعة إذا عدتها من غير تكرار، وليس من حروف مقطعة حرف تنقضي أيامه إلا وقائم من بني هاشم عند انقضائه، ثم قال: الألف: واحد، واللام: ثلاثون، والميم: أربعون، والصاد: تسعون، فذلك مائة وواحد وستون، ثم كان بدو خروج الحسين بن علي عليه السلام «آلَمْ الله»، فلما بلغت مدته قام قائم من ولد العباس عند «آلمص» ويقوم قائمنا عند انقضائها بـ «آلمر» فافهم ذلك وعه واكنمه (٣).

وفي تفسير الإمام عليه السلام إن معنى «آلم» إن هذا الكتاب الذي أنزلته هو الحروف المقطعة التي منها: - ألف لام ميم - وهو بلغتكم، وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين (٤).

أقول: هذا أيضاً يدل على إنها من جملة الرموز المفتقرة إلى هذا البيان فيرجع إلى الأول، وكذا سائر ما ورد في تأويلها وهي كثيرة.

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب: حروف التهجي (٥).

١ - آل عمران: ٧.

٢ - الذبحة بالضم والكسر: كهزمة وعينة: الخناق منه عليه السلام.

٣ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣، ح ٣.

٤ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٢: ح ٣٢.

٥ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٢.

أقول: ومن الأسرار الغريبة في هذه المقطعات أنها تصير بعد التركيب وحذف المكررات عليّ صراط حق نمسكه، أو صراط عليّ حق نمسكه.

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾: في تفسير الإمام عليّ يعني القرآن الذي افتتح بـ «التم» هو ذلك الكتاب الذي أخبرت به موسى عليّ ومن بعده من الأنبياء، وهم أخبروا بني اسرائيل أنني سأنزله عليك يا محمد ﷺ (١).

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه، لظهوره عندهم.

والعياشي: عن الصادق عليّ قال: كتاب عليّ لا ريب فيه (٢).

أقول: ذلك تفسيره، وهذا تأويله، وإضافة الكتاب إلى عليّ بيانية، يعني إنّ ذلك إشارة إلى عليّ، والكتاب عبارة عنه، والمعنى إنّ ذلك الكتاب الذي هو عليّ لا مرية فيه، وذلك لأنّ كمالاته مشاهدة من سيرته، وفضائله منصوص عليها من الله ورسوله، وإطلاق الكتاب على الإنسان الكامل شائع في عرف أهل الله وخواص أوليائه، قال: أمير المؤمنين عليّ: شعر

وداؤك فيك وما تشعر

وأنت الكتاب المبين الذي

وتزعم أنّك جرم صغير

وقال الصادق عليّ: الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه، وهي الكتاب

الذي كتبه. الحديث (٤).

﴿هُدًى﴾: بيان من الضلالة.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الَّذِينَ يَتَّقُونَ الموبقات، وَيَتَّقُونَ تسليط السّفة (٥) على أنفسهم حتّى إذا

علموا ما يجب عليهم علمه عملوا بما يوجب لهم رضاء ربهم.

١ - تفسير الإمام العسكري عليّ: ص ٦٢، ح ٣٢. ٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦.

٣ - راجع مرآة العقول: ج ١١، ص ٣٦١ - ٣٦٢. وديوان الإمام علي: ص ٤٥.

٤ - لم نعتز عليه.

٥ - السفه في الأصل: الخوف والطيش، والسفيه: الجاهل منه.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١﴾

وفي المعاني^(١)؛ والعياشي: عن الصادق عليه السلام: المتّقون: شيعةنا^(٢).

أقول: وإنّما خصّ المتّقين بالإهداء به لأنّهم المنتفعون به، وذلك لأنّ التّقوى شرط في تحصيل المعرفة الحقّة.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: بما غاب عن حواسّهم من توحيد الله، ونبوّة الأنبياء، وقيام القائم، والرّجعة، والبعث، والحساب، والجنة، والنار، وسائر الأمور الّتي يلزمهم الإيمان بها ممّا لا يعرف بالمشاهدة، وإنّما يعرف بدلائل نصّها الله عزّ وجلّ عليه.

﴿وَيُؤَيِّمُونَ الصَّلَاةَ﴾: باتمام ركوعها، وسجودها، وحفظ مواقيتها، وحدودها، وصيانتها ممّا يفسدها أو ينقصها.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: من الأموال، والقوى، والأبدان، والجاه، والعلم.

﴿يُفْقِنُونَ﴾: يتصدّقون يحتملون الكلّ، ويؤدّون الحقوق لأهلها^(٣)، ويقرضون، ويسعفون الحاجات، ويأخذون بأيدي الضّعفاء، يقودون الضّرائر، وينجّونهم من المهالك، ويحملون عنهم المتاع، ويحملون الرّاجلين على دوابّهم، ويؤثرون على من هو أفضل منهم في الإيمان علي أنفسهم بالمال والنّفس، ويساوون من كان في درجتهم فيه بهما ويعلمون العلم لأهله، ويروون فضائل أهل البيت عليه السلام لمحبيهم، ولمن يرجون هدايته.

وفي المعاني^(٤)، والمجمع^(٥)؛ والعياشي: عن الصادق عليه السلام: «وممّا علّمناهم يبنون»^(٦).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: من القرآن والشريعة.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦، ح ١.

١- معاني الأخبار: ص ٢٣، ح ٢.

٣- اللام متعلق بالحقوق. لاب «يؤدون». منه تذكّر.

٤- معاني الأخبار: ص ٢٣، ح ٢، وفيه ينوون.

٥- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٩.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٦، فيه ينوون.

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا
 يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
 أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: من التوراة والإنجيل والزيور، وصحف إبراهيم، وسائر

كتب الله المنزلة.

﴿وَبِالْآخِرَةِ﴾: أي الدار التي بعد هذه الدنيا التي فيها جزاء الأعمال الصالحة

بأفضل ممّا عملوه، وعقاب الأعمال السيئة بمثل ما كسبوه.

﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾: لا يشكّون.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾: على بيان، وصواب، وعلم بما أمرهم به.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون ممّا منه يوجلون، الفائزون بما يؤملون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالله وبما آمن به هؤلاء المؤمنون.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾: خوفتهم.

﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أخبر عن علمه فيهم.

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾: وسمها بسمّة يعرفها من يشاء من

ملائكته وأوليائه إذا نظر إليها بأنهم الذين لا يؤمنون.

في العيون: عن الرضا عليه السلام قال: الختم: هو الطبع على قلوب الكفار، عقوبة على

كفرهم، كما قال عز وجل: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١١)(٢).

﴿وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةً﴾: غطاء وذلك أنّهم لمّا أعرضوا عن النظر فيما كلفوه

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

وقصّروا فيما أريد منهم جهلوا ما لزمهم الإيمان به فصاروا كمن على عينيه غطاء لا يبصر ما أمامه فإن الله عز وجل يتعالى عن العبث والفساد، وعن مطالبة العباد بما قد منعهم بالقهر منه. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: يعني في الآخرة العذاب المعد للكافرين وفي الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبئه على طاعته أو من عذاب الإصطلام ليصيره إلى عدله وحكمته.

أقول: الإصطلام بالمهملتين الإستیصال، والإستصلاح: إنما يصح لمن لم يستحكم ختمه وغشاؤه، وكان ممن يرجى له الخير بعد أو هو تنبيه من الله، وإتمام للحجة وإن لم ينتفع هو به.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أقول: كابين أبي وأصحابه، وكالأول، والثاني، وأضربهما من المناققين الذين زادوا على الكفر الموجب للخنم والغشاة والنفاق، ولا سيما عند نصب أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة والإمامة^(١). ويدخل فيه كل من ينافق في الدين إلى يوم القيامة وإن كان دونهم في النفاق، كما قال الباقر عليه السلام في حكم بن عتيبة: إنه من أهل هذه الآية^(٢).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: ما ملخصه إنه لما أمر الصحابة يوم الغدير بمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام بإمرة المؤمنين وقام أبو بكر وعمر إلى تسعة من المهاجرين والأنصار فبايعوه بها ووكد عليهم بالعهود والمواثيق، وأتى عمر بالبخبخة^(٣) وتفرقوا تواطأ قوم من متمرديهم

١ - قال مجاهد: أربع آيات من أول السورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين، وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين. منه عليه السلام. ٢ - الكافي: ج ١، ص ٣٩٩، ح ٤.

٣ - البخبخة: قوله: يخ لك يا أبا الحسن. أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. منه عليه السلام.

يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

وجبايرتهم بينهم لئن كانت بمحمد ﷺ كائنة ليدفعن هذا الأمر عن علي عليه السلام ولا يتركونه له، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ ويقولون: لقد أقمت علينا أحبّ الخلق إلى الله وإليك وكفيتنا به مؤنة الظلمة لنا والجائرين في سياستنا، وعلم الله تعالى من قلوبهم خلاف ذلك، وإنّهم مقيمون على العداوة، ودفع الحق عن مستحقّه، فأخبر الله عنهم بهذه الآية (١).

﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بل تواطؤا على إهلاكك وإهلاك من أحبّك وتحبّه إذا قدروا، وعلى التمرّد عن أحكام الله خصوصاً خلافة من استخلفته بأمر الله على أمتك من بعدك لجحودهم خلافته وإمارته عليهم حسداً وعتواً.

قيل: أخرج ذواتهم من عداد المؤمنين مبالغة في نفي الإيمان عنهم رأساً (٢).

﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: يخادعون رسول الله (٣) بإبدائهم له خلاف ما

في جوانحهم.

أقول: وإنّما أضاف مخادعة الرسول إلى الله (٤) لأنّ مخادعته ترجع إلى مخادعة الله

كما قال الله عزّ وجلّ: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» (٥).

وقال: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ» (٦).

وقال: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» (٧).

١- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١١١، ح ٥٨.

٢- قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٢، س ٢٨ باختلاف.

٣- الظاهر أنّ هنا سقط. والصحيح أن يقال: يخادعون رسول الله بحذف المضاف بإبدائهم....

٤- لم تورّد إضافة المخادعة إلى رسول الله في أي مورد من الآيات حتّى يصح ما أفاده ﷺ من قوله: وإنّما

أضاف مخادعة الرسول إلى الله لأنّ مخادعته.... ٥- النساء: ٨٠.

٦- الفتح: ١٠.

٧- الأنفال: ١٧.

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا
كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

ولك أن تقول: معناه يعاملون الله معاملة المخادع كما يدل عليه مما رواه العياشي عن الصادق عليه السلام: إن النبي سئل فيما النجاة غدا؟ قال: إنما النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإن من يخادع الله يخدعه، ويخلع منه الإيمان ونفسه يخدع لو يشعر، قيل له: وكيف يخادع الله؟ قال: يعمل ما أمره الله عز وجل ثم يريد به غيره، فاتقوا الله والرياء فإنه شرك بالله (١).

﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾: ما يضرّون بتلك الخديعة، وقرئ يخادعون.

﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾: فإن الله غني عنهم، وعن نصرتهم، ولولا إمهاله لهم لما قدروا على

شيء من فجورهم وطغيانهم.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: إن الأمر كذلك وإن الله يطلع نبيه على نفاقهم وكذبهم وكفرهم،

ويأمره بلعنهم في لعنة الظالمين.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: قيل: نفاق وشك (٢).

أقول: وذلك لأن قلوبهم تغلي على النبي صلى الله عليه وآله، والوصي، والمؤمنين حقداً وحسداً وغيظاً وحنقاً، وفي تنكير المرض وإيراد الجملة ظرفية إشارة إلى إستقراره ورسوخه، وإلا لقال: قلوبهم مرضى.

﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾: بحيث تاهت له قلوبهم.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾: أي عذاب مؤلم يبلغ إيجاعه غاية

البلوغ بسبب كذبهم أو تكذيبهم على اختلاف القراءة، فإن وصف العذاب بالأليم إنما يكون للمبالغة، وهو العذاب المعد للمنافقين، وهو أشد من عذاب الكافرين لأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ
 ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: باظهار النفاق لعباد الله المستضعفين

فتشوشوا عليهم دينهم وتحيروهم في مذاهبهم.

﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: لا تألا^(١) نعتقد ديناً فنرضى محمداً ﷺ في

الظاهر ونعتقد أنفسنا من رقه في الباطن، وفي هذا صلاح حالنا.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾: بما يفعلون في أمور أنفسهم لأن الله يعرف نبيته نفاقهم

فهو يلعنهم، ويأمر المسلمين بلعنهم ولا يثق بهم أيضاً أعداء المؤمنين لأنهم يظنون أنهم ينافقوهم أيضاً كما ينافقون المؤمنين. فلا يرتفع لهم عندهم منزلة، ولهذا ردّ عليهم أبلغ رد^(٢).

﴿وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: قال لهم: خيار المؤمنين.

﴿ءَامِنُوا﴾: قيل: هو من تمام النصيح والإرشاد، فإن كمال الإيمان إنما هو

بالإعراض عما لا ينبغي^(٣) المقصود من قوله: «لا تفسدوا»، والإتيان بما ينبغي^(٤) المطلوب بقوله: «ءامنوا»^(٥).

١- هكذا في الأصل. والظاهر أن لفظ «لا» زائد.

٢- وما روته العامة: إن سلمان رضي الله عنه قال: إن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد. انظر أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٤، س ١٢. فلعله أراد أن الأصل فيها المستؤمن زوراً بخلفاء رسول الله ﷺ. وهم لم يأتوا بإفسادهم بعد هذا، إن كان قوله هذا: قبل وفاة النبي ﷺ، وإلا فأراد به أن أهلها ليس الذين كانوا فقط. بل وسيكون من بعد، أو من حاله حالهم. منه يترى. ٣ و ٤- الظاهر أن في هذين الموردين سقط، والصحيح أن يقال: والإعراض عما لا ينبغي وهو المقصود من قوله: «لا تفسدوا»، والإتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله: «ءامنوا».

٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٤، س ٢٦.

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ
قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾

﴿كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾: المؤمنون: كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمرار.

وقيل: أي الكاملون في الإنسانية العاملون بمقتضى العقل، أي آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص مبرراً عن شوائب النفاق «قالوا» في الجواب لمن يفيضون إليه: لا لهؤلاء المؤمنين فإنهم لا يجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب (١).

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾: المذلولون أنفسهم لمحمد ﷺ حتى إذا اضمحل أمره أهلكتهم أعداؤه.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾: الأخفاء العقول والآراء الذين لم ينظروا حق النظر فيعرفوا نبوته وثبوت (٢) أمره وصحة ما ناطه بوصيه من أمر الدين والدنيا فبقوا خائفين من محمد ﷺ وأصحابه، ومن مخاليفهم ولا يأمنون أنهم يغلب فيهلكون معه فإن كلاً من الفريقين يقدّر أن نفاقهم معه كنفاتهم مع الآخر.

﴿وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إن الأمر كذلك، وأن الله يطلع نبيه على أسرارهم فيخسأهم ويسقطهم.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾: بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار بعد بيان مذهبهم، وتمهيد نفاقهم فإنهم كانوا يظهرون الإسلام (٣) لسلمان، وأبي ذر، ومقداد، وعمرار. ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾: أخذانهم (٤) من المنافقين المشاركين لهم في تكذيب الرسول.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٤ - ٢٥.

٢- وفي نسخة: [ثبات]. ٣- وفي نسخة: [الإيمان].

٤- الأخدان: هم الأصدقاء في السر للزنا، واحدها خذن بالكسر. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٤٢.

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ
 تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾: أي في الدين والإعتقاد كما كنا.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾: بالمؤمنين.

﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: يجازيهم جزاء من يستهزئ به، إمّا في الدنيا فبإجراء

أحكام المسلمين عليهم، وأمره الرسول بالتعريض لهم حتّى لا يخفى من المراد بذلك التعريض، وإمّا في الآخرة فيما روي أنّه يفتح لهم وهم في النار باباً إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سدّ عليهم الباب، وذلك قوله تعالى: «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» (١)، رواه العامة (٢).

وفي تفسير الإمام (عليه السلام) ما يقرب من معناه في حديث طويل (٣).

﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يمهلهم ويتأنّى (٤) بهم برفقه ويدعوهم إلى التوبة ويعدّهم إذا أنابوا

بالمغفرة.

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾: قيل: في التعدي عن حدّهم الذي كان ينبغي أن يكونوا عليه (٥).

﴿يَعْمَهُونَ﴾: لا يراعون عن قبيح ولا يتركون أذى محمد (صلى الله عليه وآله).

قيل: تعمي قلوبهم، والعمة: عمى القلب، وهو التحير في الأمر (٦).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾: باعوا دين الله واعتاضوا منه

١- المطففين: ٣٤. ٢- الدر المنثور: ج ١، ص ٣١. وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦.

٣- راجع تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص ١٢٣ - ١٢٥.

٤- وفي نسخة: [يتأنّى]. ٥- قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦.

٦- قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٦.

مَنْهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

الكفر بالله.

﴿فَمَا رِيحَتْ تُجَرَّتُهُمْ﴾: ما ربحوا في تجارتهم في الآخرة لأنهم اشتروا النار وأصناف عذابها بالجنة التي كانت معدة لهم لو آمنوا.
﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: إلى الحق والصواب.

أقول: ولا لطرق التجارة لأن المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء أضاعوا رأس مالهم الذي هو الفطرة السليمة بما اعتقدوه من الضلالات ولم يربحوا.
﴿مَثَلُهُمْ﴾: حالهم العجيبة. قيل: إنما يضرب الله الأمثال للناس في كتبه لزيادة التوضيح والتقرير فإنها أوقع في القلب، وأقمع للخصم الألد، لأنها تري^(١) المتخيل محققاً والمعقول محسوساً^(٢).

﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾^(٣): طلب سطوع النار ليصير بها ما حوله.
﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾: قيل: أي النار ما حول المستوقد أو استضاءت الأشياء التي حوله إن جعلت أضاءت لازمة^(٤).

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: بإرسال ريح أو مطر أطفأها، وذلك أنهم أبصروا بظاهر الإيمان الحق والهدى، وأعطوا أحكام المسلمين من حقن الدم وسلامة المال، فلما أضاء إيمانهم الظاهر ما حولهم أماتهم الله، وصاروا في ظلمات عذاب الله في الآخرة لا يرون منها

١- هكذا في الأصل، والأصح: تريك، كما في المصدر.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٧.

٣- قيل: يعني بنور المستوقدين إن جعلت جواب «لما» وبنور المنافقين إن جعلت مستأنفاً أو بدلاً أو يكون جواب لما محذوفاً للإيجاز ومن الالتباس كما في قوله تعالى: «فلما ذهبوا به» وإنما لم يقل بنارهم على الأول لأن المقصود من إيقادها النور. منه يضيء.

٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٧.

صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ
فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ
مِّنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

خروجاً ولا يجدون عنها محيصاً.

﴿وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾: في العيون: عن الرضا عليه السلام: إن الله لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعم المعاونة واللفظ، وخلق بينهم وبين اختيارهم^(١).

﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾: يعني في الآخرة كما قال عز وجل: «وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُمًّا»^(٢).

أقول: وفي الدنيا أيضاً عما يتعلّق بالآخرة من العلوم والمعارف، ولذلك يحشرون يومئذ كذلك قال الله تعالى: «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا»^(٣)، يعني أمور الآخرة في الدنيا، وقال أيضاً: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»^(٤)، وقال أيضاً: «وَتَرِيَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»^(٥).
﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: عن الضلالة إلى الهدى.

﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾^(٦): قيل: يعني أو مثل ما خوطبوا به من الحق والهدى كمثل مطر إذ به حياة القلوب كما بالمطر حياة الأرض^(٧).

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٣، ح ١٦، باب ١١ - ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الأخبار في التوحيد.

٢ - الإسراء: ٩٧.

٣ - الأعراف: ١٧٩.

٤ - الحج: ٤٦.

٥ - الأعراف: ١٩٨.

٦ - صيب: فيعل من الصواب بمعنى النزول. ويقال للمطر والسحاب منه يهبط.

٧ - انظر الكشاف: ج ١، ص ٧٩؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٢٩.

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ
وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ
وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾: من العلو.

﴿فِيهِ ظُلُمْتُ﴾: مثل للشبهات والمصيبات المتعلقة به.

﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾: مثل للتخويف، والوعيد، والآيات الباهرة المتضمنة للتبصير

والتسديد.

﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾: لئلا يخلع الرعد أفئدتهم أو ينزل البرق بالصاعقة^(١) عليهم فيموتوا فإن هؤلاء المنافقين فيما هم فيه من الكفر والنفاق كانوا يخافون أن يعثر النبي ﷺ على كفرهم ونفاقهم فيقتلهم ويستأصلهم، فإذا سمعوا منه لعناً أو وعيداً لمن نكث البيعة جعلوا أصابعهم في أذنانهم لئلا يسمعوها فيتغير ألوانهم فيعرفهم المؤمنون أنهم المعنيون بذلك.

﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: مقتدر عليهم إن شاء أظهر لك نفاق منافقيهم، وأبدى لك أسرارهم، وأمرك بقتلهم.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ﴾: يذهب بها، وذلك لأن هذا مثل قوم ابتلوا ببرق فظنوا إلى نفس البرق ولم يغضوا عنه أبصارهم، ولم يستروا منه وجوههم لتسلم عيونهم من تلافؤه، ولم ينظروا إلى الطريق الذي يريدون أن يتخلصوا فيه بضوء البرق هؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدالة على صدق النبي ﷺ التي يشاهدونها، ولا يتبصرون بها، ويجحدون الحق فيها يبطل عليهم سائر ما عملوه من الأشياء التي يعرفونها، فإن من جحد حقاً أداه ذلك إلى أن يجحد كل حق فصار جاحده في

١ - الصاعقة: قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء إلا حرّقه من الصق. وهو شدة الصوت. منه يَجُرُّ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾

بطلان سائر الحقوق عليه كالناظر إلى جرم الشمس في ذهاب نور بصره.
﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ﴾: ظهر لهم ما اعتقدوه أنه الحقّة.
﴿مَشَوْا فِيهِ﴾: وهؤلاء المنافقين إذا رأوا ما يحبّون في دنياهم فرحوا ببيعتهم
وبتمنّوا بإظهار طاعتهم.

﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾: وقفوا وتحيروا، وهؤلاء المنافقين إذا رأوا في
دنياهم ما يكرهون وقفوا وتشأموا ببيعتهم التي بايعوها.
قيل: مثل اهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رقد يتطلّع إليه أبصارهم بمشيهم في
مطرح ضوء البرق كلّما أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الأمر حين تعرّض لهم شبهة أو تعنّ
لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم^(١).

وإنما قال: مع الإضاءة «كلّما»، ومع الإظلام «إذا» لأنهم حرّاص على المشي، كلّما
صادفوا منه فرصة انتهزوها، ولا كذلك التوقّف.
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾: حتّى لا يتهبّأ لهم الإحتراز من
أن تقف على كفرهم أنت وأصحابك فتوجب قتلهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: لا يعجزه شيء.
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾: قيل: لما عدّد فرق المكلفين، ذكر خواصهم، ومصارف أمورهم، أقبل عليهم
بالخطاب على سبيل الالتفات هزاً للسامع وتنشيطاً له وإهتماماً بأمر العبادة، وتفخيماً
لشأنها، وجبراً لكلفة العبادة وإهتماماً بلذّة المخاطبة^(٢).

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا
لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

وفي تفسير الإمام عليه السلام لها وجهان: أحدهما خلقكم، وخلق الذين من قبلكم لتتقوا
كما قال: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»^(١)، والوجه الآخر، «أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي
خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» أي عبدوه «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» النار، ولعل من الله واجب لأنه أكرم
من أن يعنى عباده بلا منفعة، ويطمعه في فضله ثم يخيبه^(٢).

أقول: «لَعَلَّكُمْ»^(٣) على الوجه الأول: يتعلّق بخلقكم، ويراد بالتقوى: العبادة، وعلى
الوجه الثاني: يتعلّق باعبدوا ويراد بالتقوى: الحذر، نبّه عليه بقوله لها وجهان على أن القرآن
ذو وجوه، وأنّ حمله على الجمع صحيح، ويأتي نظائره في كلامهم عليه السلام وكون الكلام ذا
وجوه ممّا يزيد في بلاغته ولطافته.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾: جعلها ملائمة لطبائعكم، موافقة لأجسادكم،
مطوعة لحرثكم، وأبنيتكم، ودفن موتاكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا
شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدعها ماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم،
ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيتكم،
ودفن موتاكم، ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون بها وتتماسكون وتتماسك عليها
أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لدوركم وقبوركم، وكثير من منافعكم^(٤).

١- الذاريات: ٥٦.

٢- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٠ - ١٤٢.

٣- لعل، وعيسى، وسوف، في مواعيد الملوك يكون كالجزم بها، وإنما أطلقت إظهاراً لوقارهم وإشعاراً بأن
الرمز منهم كالصریح من غيرهم، وعليه جرى وعد الله، ووعيده. منه رحمه الله.

٤- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٢.

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾

﴿وَالسَّمَاءِ بِنَاءً﴾: سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها وقمرها، ونجومها

لمنافعكم^(١).

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: يعني المطر ينزله من علّاً ليبلغ قُللِ جبالكم وتلالكم

وهضابكم وأوهادكم، ثم فرّقه رذاذاً، ووابلاً، وهطلاً، وطلاً^(٢) لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم، وأشجاركم، وزروعكم، وثماركم^(٣).

وعن النبي ﷺ قال: ينزل مع كلّ قطرة ملك يضعها في موضعها الذي أمره به ربّه عزّ وجلّ^(٤).

﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾: أقول: لمطعمكم ومشربكم وملبسكم

وسائر منافعكم.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَاداً﴾: أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل، ولا تسمع،

ولا تبصر، ولا تقدر على شيء^(٥).

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها

عليكم ربّكم^{(٦)(٧)}.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: حتّى تجحدوا أن يكون محمّد

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٣.

٢ - الهضبة: ما يقابل الرعدة. والرذاذ: المطر الضعيف. والوابل: المطر الشديد. والهطل: تتابع المطر. والطل: أضعف المطر. منه يترسّ.

٣ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٣.

٤ - بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٩٩؛ وتفسير الإمام العسكري: ص ١٥٠.

٥ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٣. ٦ - قيل: والمعنى وأنتم من أهل العلم والنظر. منه يترسّ.

٧ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٤٣.

فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

رسول الله ﷺ وأن يكون هذا المنزل عليه كلامي مع إظهاره عليه بمكة من الآيات الباهرات كالغمامة المظنلة عليه، والجمادات المسلمة عليه، وغير ذلك.

﴿فَاتَّقُوا بُسُورَةَ مَنْ مِثْلِهِ﴾: من مثل محمد ﷺ رجل منكم لا يقرأ، ولا يكتب ولا يدرس كتاباً ولا اختلف إلى عالم، ولا تعلم من أحد، وأنتم تعرفونه في أسفاره وحضره، بقي كذلك أربعين سنة ثم أوتي جوامع العلم حتى علم علم الأولين والآخرين. أو من مثل هذا القرآن من الكتب السالفة في البلاغة والنظم. في الكافي: عن الكاظم عليه السلام ما معناه أنه لما كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام أتاهاهم الله من مواعظه وأحكامه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجّة عليهم كما أتى قوم موسى عليه السلام ما أبطل به سحرهم إذ كان الغالب عليهم السحر، وقوم عيسى عليه السلام الطب وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، إذ كان الغالب عليهم الزمانات^(١). ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أصنامكم التي تعبدونها أيها المشركون، وشياطينكم أيها اليهود والنصارى، وقرناءكم الملحدين يا منافقي المسلمين، من النصاب لآل محمد ﷺ الطيبين الذين يشهدون بزعمكم أنكم محقّون وتزعمون أنهم شهداؤكم عند رب العالمين بعبادتكم، ويشفعون لكم إليه ليشهدوا لكم أن ما أتيتم مثله^(٢).

قيل: أو لينصرونكم على معارضته كما في قوله تعالى: «قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»^(٣) فَإِنَّ الشَّهِيدَ جَاءَ بِمَعْنَى الْإِمَامِ، والناصر، والقائم بالشهادة والتركيب للحضور حساً أو خيلاً^(٤).

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: بأن محمداً ﷺ تقوله من تلقاء نفسه لم ينزله الله عليه. ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾: هذا الذي تحدّثكم به أيها المقرّعون بحجّة رب العالمين.

١- الكافي: ج ١، ص ٢٤ - ٢٥، ح ٢٠. ٢- اقتباس من تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ١٥٤.

٤- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٥.

٣- الإسراء: ٨٨.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا
قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا
أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾: ولا يكون هذا منكم أبداً ولن تقدروا عليه.

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾: حطبها.

﴿النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾: حجارة الكبريت لأنها أشد الأشياء حرّاً.

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام لقد مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بجبل وإذا
الدموع تخرج ^(١) من بعضه، فقال له: ما يبكيك يا جبل؟ فقال: يا رسول الله كان المسيح مرّاً
بي وهو يخوف الناس بنار وقودها الناس والحجارة، فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة،
قال صلى الله عليه وآله له: لا تخف، تلك حجارة الكبريت، فقرّ الجبل وسكن وهذا ^(٢).

وقيل: المراد بها الأصنام التي نحتوها، وقرنوا بها أنفسهم، وعبدوها طمعاً في
شفاعتها كما في قوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» ^(٣) ^(٤).

القمي: عن الصادق عليه السلام قال: إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وقد
أطفأت سبعين مرة بالماء ثم التهيت، ولولا ذلك لما استطاع آدمي أن يطفأها، وإنها ليؤتى بها
يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا جثا
على ركبتيه فزعاً من صرختها ^(٥).

﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: المكذّبين بكلامه ونبيّه.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ

١- وفي نسخة: [تسيل]. ٢- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٢٦. ٣- الأنبياء: ٩٨.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٣٦. ٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦٦.

تَحْتِهَا: من تحت أشجارها ومساكنها.

﴿الْأَنْهَرُ﴾: روي أنها نزلت في علي، وحمزة وجعفر، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب^(١).

أقول: وهذا لا ينافي عموم حكمها كما رويت^(٢).

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾: من تلك الجنّات.

﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾: من ثمارها.

﴿رَزَقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾: في الدنيا فأسماءه كأسمائه ولكنّها

في غاية الطيب غير مستحيل إلى ما يستحيل إليه ثمار الدنيا من العذرة والصفراء والسوداء والدم إلّا العرق الذي يجري في أعراضهم أطيب ريحاً من المسك.

أقول: العرض بالكسر: الجسد.

﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾: شبه^(٣) بعضه بعضاً بأنها كلّها خيار لا رذل فيها وبأنّ كل

صنف منها في غاية الطيب واللذة ليست كشمار الدنيا التي بعضها ني^(٤) وبعضها متجاوز لحد النضج والإدراك إلى حدّ الفساد من حموضة ومرارة، وسائر صنوف المكاره ومتشابهات أيضاً متفقات الألوان مختلفات الطعوم.

أقول: لما كانت المعرفة في الدنيا بذر المشاهدة في الآخرة جاز أن يكون

أشير بـ «هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ» لأهل المعرفة إلى ثمرة علومهم ومعارفهم التي صارت عيناً وعياناً.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَرْوَاحٌ مُطَهَّرَةٌ﴾: من الحيض والنفاس وسائر أنواع الأقدار،

١ - تفسير فرات الكوفي: ص ٥٣، ح ١١.

٢ - وفي نسخة: [درت].

٣ - وفي نسخة: [يشبه].

٤ - ناء الشيء واللحم ينيء نيئاً، بوزن ناع ينيع نيئاً: إذا لم تنضجه. لسان العرب: ج ١٤، ص ٣٤٥، مادة «نيأ».

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا
يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا
الْفَاسِقِينَ



والفواحش ولا ولآجات، ولا خَرَاجَات، ولا دَخَالَات، ولا خَتَالَات، ولا متغايرات، ولا
لأزواجهن فركات، ولا صحَابَات^(١)، ولا عَيَابَات، ولا نَخَاسَات، ومن كلّ العيوب والمكاره
بريئات.

أقول: الولآجات والخَرَاجَات: اللواتي يكثرن الظرف، والإختيال، والدَخَالَات:
الغاشّات، والخَتَالَات: الخدَاعَات، والمتغايرات: من الغيرة، وفركات: مبغضات،
والصَحَابَات: الصيَّاحَات، والعَيَابَات: من العيب، والنَخَاسَات: الدَقَاعَات.
وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام لا يحضن، ولا يحدثن^(٢).

﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لَأَنَّ نِيَّاتَهُمْ فِي الدُّنْيَا لَوْ بَقُوا فِيهَا أَنْ يَطِيعُوا اللَّهَ أَبَدًا،
فبِالنِّيَّاتِ خَلَدُوا، كَذَا فِي الْعِلَلِ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾: لِلْحَقِّ، يوضحه به لعباده المؤمنين.

١ - بالمهملة ثم المعجمة ثم الموحدة. منه يَنْفَعُ. والصخب: الصياح والضجة. لسان العرب: ج ٧، ص ٢٩٤.
مادة «صخب».

٢ - من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٥٠، ح ٤ / ١٩٥، باب ٢٠ - غسل الحيض والنفاس.

٣ - علل الشرائع: ص ٥٢٣، ح ١، باب ٢٩٩.

﴿مَا﴾: ما هو المثل.

أقول: يعني ^(١) أي مثل كان، فإن «ما» لزيادة الإيهام والشيوع في النكرة.

﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾: وهو الذباب ردّ بذلك على من طعن في ضربه الأمثال

بالذباب، والعنكبوت، وبمستوقد النار، والصيب، في كتابه.

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام إنما ضرب الله المثل بالبعوضة لانتها على صغر

حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق الله في الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين، فأراد الله أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه، وعجيب صنعه ^(٢).

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: إنه المثل المضروب

«الحقّ من ربهم» أراد به الحق، وإبانتته، والكشف عنه، وإيضاحه.

أقول: يعني يعلمون أنّ الحق ^(٣) في المثل أن يكون على وفق الممثل له في الصغر،

والعظم، والخسة، والشرف، ليبينه، ويوضحه حتّى يصير في صورة المشاهد المحسوس دون الممثل.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾: أي شيء أراد به

من جهة المثل.

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾: قيل: هو جواب ماذا، أي إضلال كثير بسبب

إنكاره، وهداية كثيرة من جهة قبوله، فهو يجري مجرى البيان للجملتين المتقدمتين يعني إنّ كلا الفريقين موصوف بالكثرة، ولسبببته لهما نسبا إليه ^(٤).

وفي تفسير الإمام عليه السلام يعني يقول الذين كفروا: لا معنى للمثل، لأنّه وإن نفع به من

يهديه فهو يضرّ به من يضلّ به فردّ الله عليهم قولهم ^(٥) فقال:

١- أي إنّ المراد من قوله سبحانه وتعالى: «إنّ الله لا يستحي أن يضرب مثلاً» أي مثل كان.

٢- مجمع البيان: ج ١، ص ٢، ص ٦٧.

٣- وفي نسخة: [إنّ المعبر في المثل].

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤١.

٥- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٠٦.

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ
 اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾: الخارجين عن دين الله، الجانين على أنفسهم بترك تأمله، وبوضعه على خلاف ما أمر الله بوضعه عليه.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾: المأخوذ عليهم الله بالربوبية، ولمحمد ﷺ بالنبوة، ولعلي ﷺ بالإمامة، ولشيعتهما بالكرامة.

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: أحكامه وتغليظه.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: من الأرحام والقرابات أن يتعاهدوهم ويقضوا حقوقهم، وأفضل رحم وأوجبهم حقاً: رحم محمد ﷺ فإنَّ حقَّهم بمحمد ﷺ كما أنَّ حقَّ قرابات الإنسان بأبيه وأمه، ومحمد ﷺ أعظم حقاً من أبويه، وكذلك حقَّ رحمه أعظم وقطيئته أقطع وأفضح^(١).

أقول: ويدخل في الآية التفريق بين الأنبياء والكتب في التصديق، وترك موالات المؤمنين، وترك الجمعة والجماعات المفروضة، وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطي شر فإنَّه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد التي هي المقصودة بالذات من كلِّ وصل وفصل.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بسبب قطع ما في وصله نظام العالم وصلاحه.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: الذين خسروا أنفسهم بما صاروا إلى النيران، وحرموا الجنان، فيآلها من خسارة ألزمتهم عذاب الأبد، وحرمتهم نعيم الأبد.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾: الخطاب لكفار قريش واليهود.

﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾: في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم.

﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾: أجرى فيكم الروح وأخرجكم أحياءاً.

﴿ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ﴾: في هذه الدنيا ويقرىكم.

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾: في القبور وينعم فيها المؤمنين، ويعذب الكافرين.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: في الآخرة بأن تموتوا في القبور بعد الإحياء، ثم تحيوا

للبعث يوم القيامة ترجعون، إلى ما وعدكم من الثواب على الطاعات إن كنتم فاعليها، ومن العقاب على المعاصي إن كنتم مقارفيها.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: قال أمير المؤمنين عليه السلام: خلق

لكم لتعتبروا به، وتتوصلوا به إلى رضوانه، وتتوقوا من عذاب نيرانه ^(١).

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ ^(٢): أخذ في خلقها وإتقانها.

﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: قيل: عدلهن مصونة عن العوج والقصور، والضمير مبهم يفسره ما

بعده ^(٣).

١- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٢ - ١٣، ح ٢٩، باب ٣٠- فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المنثورة.

٢- من قولهم: استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي على شيء. منه يقولون.

٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٤٤. وفيه: «عن العوج والفتور».

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾: الذين كانوا في الأرض مع إبليس وقد طردوا عنها
الجن بني الجان وخففت للعبادة^(١).

والقَمِّي: عن الصادق عليه السلام إن إبليس كان بين الملائكة يعبد الله في السماء، وكانت
الملائكة تظنه منهم ولم يكن منهم، وذلك إن الله خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس حاكماً
فيهم، فأفسدوا في الأرض وعتوا وسفكوا بغير حق، فبعث الله عليهم الملائكة فقتلوه،
وأسروا إبليس ورفعوه معهم إلى السماء فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله آدم فلما
أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وظهر ما كان من حسد إبليس له واستكباره علمت الملائكة
أنه لم يكن منهم، وقال إنما دخل في الأمر لكونه منهم بالولاء ولم يكن من جنسهم^(٢).

والعياشي: عنه عليه السلام إنه سئل عن إبليس أكان من الملائكة أو هل يلي شيئاً من أمر
السماء؟ قال: لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء، وكان من الجن، وكان
مع الملائكة، وكانت الملائكة ترى أنه منها، وكان الله يعلم أنه ليس منها، فلما أمر بالسجود
كان منه الذي كان^(٣).

١ - يحتمل كون البناء للفاعل. والعبادة مفعولاً، والضمير المستتر للجان بني الجان، يعني قد طردهم الملائكة
في حال إفسادهم في الأرض وتخفيفهم وتحقيرهم للعبادة وعدم اعتنائهم بها أو تقليلهم للعبادة بالنسبة إلى
سابق الزمان. وكون البناء للمفعول: والعبادة نائب الفاعل، والفاعل الحقيقي أيضاً الجن بني الجان بأحد
المعنيين، أو للمفعول ونائب الفاعل مستتر يرجع إلى الملائكة والعبادة منصوب على أنه مفعول ثانٍ. أي وقد
خفف الله على الملائكة العبادة بالنسبة إلى عبادتهم في عالم الملكوت. منه عليه السلام.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٤، ح ١٦.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٣٥ - ٣٦.

وفي الكافي: عنه عليه السلام مثله إلى قوله: ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء، وزاد بعده ولا كرامة^(١).

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾: بدلاً منكم، ورافعكم منها فاشتد ذلك عليهم لأن العباداة عند رجوعهم إلى السماء تكون أثقل عليهم^(٢).

وفي رواية: «خليفة» تكون حجة لي في أرض على خلقي كما يأتي^(٣).
﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾: كما فعلته الجن بني الجان الذين قد طردناهم عن هذه الأرض.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: ننزهك عما لا يليق بك من الصفات.
﴿وَتُقَدِّسُ لَكَ﴾: تطهر أرضك ممن يعصيك.
﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: من الصلاح الكامن فيه، ومن الكفر الباطن في من هو فيكم، وهو إبليس لعنه الله.

القمي: عن الباقر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٤).
ورواه في العلل أيضاً عنه عليه السلام على اختلاف في ألفاظه، قال: إن الله لما أراد أن يخلق خلقاً بيده وذلك بعدما مضى عن الجنّ والنسنان في الأرض سبعة آلاف سنة فرفع سبحانه حجاب السماوات وأمر الملائكة أن انظروا إلى أهل الأرض من الجنّ والنسنان فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق عظم ذلك عليهم وغضبوا لله تعالى، وتأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم، وقالوا ربنا أنت العزيز القادر العظيم الشأن، وهذا خلقك الذليل الحقير المتقلب في نعمتك المتمتع بعافيتك المرتهن في قبضتك، وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب ويفسدون في الأرض ولا تغضب ولا تنتقم لنفسك؟ وأنت تسمع وترى وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه لك، فقال جلّ جلاله: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» تكون حجة لي في أرضي على خلقي، قالت الملائكة: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن

٢- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢١٥.

١- الكافي: ج ٨، ص ٢٧٤، ح ٤١٣.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦.

٣- راجع تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦.

يُفْسِدُ فِيهَا» كما أفسد هؤلاء «وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» كما فعل هؤلاء، ويتحاسدون، ويتباغضون، فاجعل ذلك الخليفة منّا فإنّا لا نتحاسد ولا نتباغض ولا نسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك، قال تبارك وتعالى: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» إِنِّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي، وأجعل من ذريّته الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، وأئمة مهديين، وأجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي يهدونهم إلى طاعتي، وينهونهم عن معصيتي، وأجعلهم حجّة لي عليهم عذراً ونذراً وأبين الناس عن أرضي وأطهرها منهم، وأنقل الجنّ المردة العصاة من بريتي وخيرتي من خلقي، وأسكنهم في الهواء وفي أقفار الأرض فلا يجاورون خلقي، وأجعل بين الجنّ وبين نسل خلقي حجاباً، ومن عصاني من نسل خلقي الذين اصطفتهم أسكنتهم مسكن العصاة وأوردتهم مواردهم، فقالت الملائكة: «سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا» قال: فباعدهم الله عزّ وجلّ من العرش مسيرة خمسمائة عام فلاذوا بالعرش، وأشاروا بالأصابع فنظر الربّ جلّ جلاله إليهم ونزلت الرحمة فوضع لهم البيت المعمور فقال: طوفوا به ودعوا العرش، فإنّه لي رضاً، فطافوا به وهو البيت الذي يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً ووضع الله تعالى البيت المعمور توبة لأهل السماء، والكعبة توبة لأهل الأرض فقال الله تبارك وتعالى: «إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ»^(١)، قال: وكان ذلك من الله تعالى تقدمة في آدم قبل أن يخلقه، واحتجاجاً منه عليهم، قال: فاغترف جلّ جلاله من الماء العذب الفرات غرقة يمينه وكلتا يديه يمين^(٢)

١ - الحجر: ٢٨. وروى العياشي هذه الرواية في سورة الحجر من قوله: قال الله تعالى: «إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا» إلى قوله: و«هما سلالة من طين». منه رحمه الله. والصحيح أن يقال: إلى قوله: «ثم كفاهما قدام عرشه». راجع تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٤٠ - ٢٤١، ح ٧.

٢ - قال الجزري في النهاية: ج ٥، ص ٣٠١، ومنه الحديث الآخر: «وكلتا يديه يمين» أي أنّ يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما، لأنّ الشمال تنقص عن اليمين. وكلّ ما جاء في القرآن والحديث من إضافة اليد والأيدي، واليمين، وغير ذلك من أسماء الجوارح إلى الله تعالى فإنّما هو على سبيل المجاز والاستعارة، والله منزّه عن التشبيه والتجسّم.

وقال العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار: ج ٥، ص ٢٣٨: لما كانت اليد كناية عن القدرة، ويحتمل أن يكون المراد باليمين: القدرة على الرحمة والنعمة والفضل، وبالشمال: القدرة على العذاب والقهر ➞

فصلصلها^(١) فجمدت، وقال الله جلّ جلاله: منك أخلق النّبیین والمرسلين، وعبادي الصالحين، والأئمة المهديين الدعاة إلى الجنّة وأتباعهم إلى يوم القيامة، «ولا أسئل عمّا أفعل وهم يسألون»^(٢)، ثم اغترف من الماء المالح الأجاج غرفة فصلصلها فجمدت، فقال تعالى: «ومنك أخلق الفراغة، والجابرة، وإخوان الشياطين، والعنّة، والدعاة إلى النار، وأشياءهم إلى يوم القيامة» «ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون»، قال: وشرط في ذلك البدء فيهم ولم يشترط^(٣) في أصحاب اليمين، ثم خلط الماء بين جميعاً في كفّه فصلصلهما ثم كفأهما قدام عرشه، وهما سلالة من طين، ثم أمر ملائكة الجهات: الشمال، والجنوب، والصبا، والدبور، أن يجولوا على هذه السلالة من الطين فأبرؤوها وأنشؤوها، ثم جزؤوها وفصلوها، وأجروا فيها الطبائع الأربع: المرتين والدم والبلغم، فجالت الملائكة عليها وأجروا فيها الطبائع الأربع: فالدم من ناحية الصبا، والبلغم من ناحية الشمال، والمرّة الصفراء من ناحية الجنوب، والمرّة السوداء من ناحية الدبور، فاستقلّت النسمة وكمل البدن فلزمه من جهة الريح حبّ النساء وطول الأمل والحرص، ومن جهة البلغم: حبّ الطعام والشراب والبر والحلم والرفق، ومن جهة المرّة الغضب والسفه والشبونة والتجبر والتمرّد والعجلة، ومن جهة الدم: حبّ الفساد واللذات وركوب المحارم والشهوات، قال أبو جعفر عليه السلام: وجدنا هذا في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام^(٤).

وزاد القمي في روايته: فخلق الله آدم عليه السلام وبقي أربعين سنة مصوراً وكان يمرّ به إبليس اللعين فيقول: لأمر ما خلقت؟ قال العالم عليه السلام: فقال إبليس: لئن أمرني الله بالسجود لهذا عصيته، قال: ثم لما نفخ فيه الروح وبلغت دماغه عطس عطسةً وجلس منها مستوياً،

جـ والإبتلاء، فالمعنى: أنّ عذابه وقهره وإمراضه وإماتته وسائر المصائب والعقوبات لطف ورحمة لاشتمالها على الحكم الخفية والمصالح العامة، وبه يمكن أن يفسّر ما ورد في الدعاء: «والخير في يديك».

١ - الصلصال: الطين اليابس الذي لم يطبخ. إذا نقر به صوت كما يصوت الفخار، والفخار ما طبخ من الطين. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٠٦، مادة «صلل».

٢ - مقتبس من قوله تعالى: «لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ». الأنبياء: ٢٣.

٣ - وفي نسخة: [يشرط].

٤ - علل الشرائع: ص ١٠٤-١٠٦، باب ٩٦، ح ١.

فقال: الحمد لله، فقال الله عز وجل: يرحمك الله ربك يا آدم، فقال الإمام عليه السلام: فسبقت له من الله الرحمة^(١).

أقول: أكثر ما تضمنه هذا الحديث قد روي في أخبار كثيرة عنهم عليهم السلام، وفي رواية العياشي: إن الملائكة منوا على الله بعبادتهم إياه فأعرض عنهم، وأنهم قالوا في سجودهم في أنفسهم: ما كنا نظن أن يخلق الله خلقاً أكرم عليه منا، نحن خزائن الله وجيرانه، وأقرب الخلق إليه، فلما رفعوا رؤوسهم قال الله: وأعلم ما تبدون من ردكم عليّ، وما كنتم تكتمون من ظنكم إني لا أخلق خلقاً أكرم عليّ منكم، فلما عرفت الملائكة أنها وقعت في خطيئة لاذوا بالعرش، وأنها كانت عصابة من الملائكة ولم يكن جميعهم^(٢).

وعن الباقر عليه السلام: كان ذلك تعصياً منهم فاحتجب عنهم سبع سنين فلاذوا بالعرش، يقولون: لبيك ذا المعارج لبيك، حتى تابع عليهم، فلما أصاب آدم الذنب طاف بالبيت حتى قبل الله منه^(٣).

وفي الكافي^(٤)، والعياشي: عنه عليه السلام فغضب الله عليهم ثم سألوه التوبة فأمرهم أن يطوفوا بالضراح^(٥) وهو البيت المعمور فمكثوا يطوفون به سبع سنين يستغفرون الله ممّا قالوا، ثم تاب الله عليهم من بعد ذلك، ورضي عنهم فكان هذا أصل الطواف ثم جعل الله تعالى البيت الحرام حذاء الضراح توبة لمن أذنب من بني آدم وطهوراً لهم^(٦).

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام^(٧) فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم وتاب عليهم، وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٣٤-٤١. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠-٣١، ح ٧. بتفاوت.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٩-٣٠، ح ٥. وفيه: «كان ذلك من يعصي منهم».

٤- الكافي: ج ٤، ص ١٨٨، ح ٢.

٥- الضراح: بضم الضاد المعجمة، ثم الراء، ثم الحاء المهملة. منه يُزْرَعُ.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠، ح ٦.

٧- لعل سبعة آلاف سنة: كناية عن عمر الدنيا فإن هذه المدة يتكامل هذا النوع وتتل الملائكة المسخرون له قسطهم من الكمال، ولعل البيت المعمور كناية عن ملكوت قلوب الأولياء وروحانياتها. منه يُزْرَعُ.

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ
أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾

فجعلله مثابة لهم وأمناء، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناء، فصار الطواف سبعة أشواط أوجب على العباد لكل ألف سنة شوطاً^(١).

أقول: لا منافاة بين السبع سنين وسبعة آلاف عام لأن مدة السنين والأيام تختلف باختلاف النشآت والعوالم، قال الله تعالى: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(٢)، وقال: «وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ»^(٣) فيجوز أن يكون تارة عدّه بسني نشأة، وأخرى بسني أخرى.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ (٤) الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾: القمّي: قال عليه السلام: أسماء الجبال والبحار والأودية والنبات والحيوان^(٥).

وفي المجمع^(٦)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل ماذا علّمه؟ قال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية، ثم نظر إلى بساط تحته، فقال: وهذا البساط ممّا علّمه^(٧). وفي تفسير الإمام، عن السجاد عليه السلام: علّمه أسماء كلّ شيء^(٨). وفيه أيضاً: أسما أنبياء الله، وأوليائه، وعتاة أعدائه^(٩).

أقول: تحقيق المقام والتوفيق بين روايتي الإمام يقتضي بسطاً من الكلام، وذكر نبذ

١- العلل: ص ٤٠٦-٤٠٧، باب ١٤٣، ح ١. ٢- المعارج: ٤.

٣- الحج: ٤٧.

٤- في العلل: ص ٢ و ١٤ عن الصادق عليه السلام إنما سمّي آدم لأنه خلق من أديم الأرض. منه تنبيه.

٥- تفسير القمّي: ج ١، ص ٤٥. ٦- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٧٦.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٢، ح ١١. ٨- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢١٧.

٩- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢١٧.

من الأسرار. فنقول وبالله التوفيق: ليس المراد بتعليم الأسماء تعليم الألفاظ الدالة على معانيها فحسب، كيف وهو يرجع إلى تعليم اللغة، وليس هو علماً يصلح لأن يتفاخر به على الملائكة ويتفَضَّل به عليهم، بل المراد بالأسماء: حقائق المخلوقات الكائنة في عالم الجبروت المسماة عند طائفة بالكلمات وعند قوم بالأسماء وعند آخرين بالعقول.

وبالجملة: أسباب وجود المخلوقات وأرباب أنواعها التي بها خلقت، وبها قامت وبها رزقت فإنها أسماء الله تعالى، لأنها لا تدلّ على الله بظهورها في المظاهر دلالة الاسم على المسمّى، فإنّ الدلالة كما تكون بالألفاظ كذلك تكون بالذوات من غير فرق بينهما فيما يؤول إلى المعنى، وأسماء الله تعالى لا تشبه أسماء خلقه وإنما أُضيفت في الحديث تارة إلى المخلوقات كلّها لأنّ كلّها مظاهرها التي فيها ظهرت صفاتها متفرقة وأخرى إلى الأولياء والأعداء لأنّهم مظاهرها التي فيها ظهرت صفاتها مجتمعة، أي ظهرت صفات اللطف كلّها في الأولياء، وصفات القهر كلّها في الأعداء، وإلى هذا أشير في الحديث القدسي الذي يأتي ذكره في تفسير آية سجود الملائكة لآدم عليه السلام من قوله سبحانه: «يا آدم هذه أشباح أفضل خلقتي وبرياتي، هذا محمد ﷺ وأنا الحميد المحمود في فعالِي شققت له إسماً من إسمي، وهذا علي وأنا العليّ العظيم شققت له إسماً من إسمي»^(١)، إلى آخر ما ذكر من هذا القبيل.

فإنّ معنى الإشتقاق في مثل هذا يرجع إلى ظهور الصفات وإنشاء المظهر على الظاهر فيه أو هما سببان للإشتقاق أو مسببان عنه، وإنما يقول بالسببية من لم يفهم العينية، والمراد بتعليم آدم الأسماء كلّها: خلقه من أجزاء مختلفة، وقوى متباينة حتّى استعدّ لإدراك أنواع المدركات من المعقولات، والمحسوسات، والتمخيلات، والموهومات، وإلهامه معرفة ذوات الأشياء وخواصّها، وأصول العلم، وقوانين الصناعات، وكيفية آلائها، والتمييز بين أولياء الله وأعدائه فتأتي له معرفة ذلك كلّ مظهريته لأسماء الله الحسنى كلّها، وبلوغه مرتبة أحديّة الجمع التي فاق بها سائر أنواع الموجودات، ورجوعه إلى مقامه الأصلي الذي جاء منه وصار منتخباً لكتاب الله الكبير الذي هو العالم الأكبر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: وفيك

انطوى العالم الأكبر^(١).

إن قلت: ما نفقه كثيراً ممّا تقول فهب إن المراد بالأسماء الحقائق فأى مناسبة بين تعليم آدم أسماء المخلوقات، وبين خلقه مختلف القوى والأجزاء، وإلهامه معرفة ذوات الأشياء، والتمييز بين الأولياء والأعداء؟ فهل لك من تبيان أو تستطيع الإتيان فيه بسلطان لعل أن ينحل به هذا اللغز والمعنى أو ينجلي به عن البصائر العمه^(٢) والعمى؟ قلت: لعلك نسيت ما حققناه في المقدمة الرابعة في معنى المتشابه وتأويله، أو لم تستطع إجراء فيما نحن بسبيله، فلنورد لك ذلك بتقرير آخر يكون أظهر لك فيما نحن فيه ممّا قررناه هناك.

فنقول وبالله التوفيق: إن الاسم ما يدلّ على المسمّى، ويكون علامة لفهمه، فمنه ما يعتبر فيه صفة تكون في المسمّى وبذلك الاعتبار يطلق عليه، ومنه ما لا يعتبر فيه ذلك، فالأول: يدلّ على الذات الموصوفة بصفة معيّنة كلفظ «الرحمن»، فإنّه يدلّ على ذات متصفة بالرحمة، ولفظ «القهار»: فإنّه يدلّ على ذات لها القهر إلى غير ذلك. وقد يطلق الاسم بهذا المعنى على مظاهر صفة الذات باعتبار اتصافه بالصفة كالنبي الذي هو مظهر هداية الله سبحانه فإنّه اسم الله الهادي لعباده والأسماء الملفوظة بهذا الاعتبار هي أسماء الأسماء.

وسئل مولانا الرضا عليه السلام عن الاسم ما هو؟ قال: هو صفة لموصوف^(٣). وهذا اللفظ يحتمل المعنيين: اللفظ، والمظهر، وإن كان في المظهر أظهر، وقد يطلق الاسم على ما يفهم من اللفظ أي المعنى الذهني، وعليه ورد قول الصادق عليه السلام مَنْ عَبَدَ اللَّهَ

١ - من الشعر المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ديوان الإمام علي عليه السلام: ص ٤٥.

٢ - عمه في طفانيه، من باب تعب: إذا تردّد متحيراً. المصباح المنير: ص ٤٣١. وقال الطريحي: العماية - بفتح العين -: الضلالة، والتعمية الإخفاء والتليس. مجمع البحرين: ج ١، ص ٣٠٨، مادة «عما».

٣ - معاني الأخبار: ص ٢، باب معنى الإسم، ح ١.

بالتوهم فقد كفر، ومن عبدَ الإِسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبدَ المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه، ونطق به لسانه في سرائر وعلايته فأولئك هم المؤمنون حقاً^(١).

فإنَّ المراد بالإِسم هاهنا: ما يفهم من اللفظ لا اللفظ، فإنَّ اللفظ لا يعبد، وبالمعنى: ما يصدق عليه اللفظ، فالإِسم معنى ذهني والمعنى موجود عيني، وهو المسمّى، والإِسم غير المسمّى لأنَّ الإنسان مثلاً في الذهن ليس بإنسان، ولا له جسميّة ولا حياة ولا حسّ ولا حركة ولا نطق ولا شيء من خواص الإنسانية، فتدبّر فيه تفهم معنى الحديث ومن الله الإعانة.

إذا تمهّد هذا فاعلم إنَّ لكلَّ اسم من الأسماء الإلهيّة مظهراً من الموجودات باعتبار غلبة ظهور الصفة التي اشتمل عليها ذلك الإِسم فيه، وهو اسم الله، باعتبار دلالاته على الله من جهة اتصافه بتلك الصفة، وذلك لأنَّ الله سبحانه إنَّما يخلق ويدبّر كلّ نوع من أنواع الخلاق باسم من أسمائه، وذلك الإِسم هو ربّ ذلك النوع، والله سبحانه ربّ الأرباب، وإلى هذا أُشير في كلام أهل البيت عليه السلام في أدعيتهم بقولهم وبالإِسم الذي خلقت به العرش، وبالإِسم الذي خلقت به الكرسي، وبالإِسم الذي خلقت به الأرواح^(٢)، إلى غير ذلك من هذا النمط.

وعن مولانا الصادق عليه السلام: نحن والله الأسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا^(٣).

وذلك لأنَّهم عليه السلام وسائل معرفة ذاته، ووسائط ظهور صفاته، وأرباب أنواع مخلوقاته، ولا يحصل لأحد العلم بالأسماء كلّها إلاّ إذا كان مظهراً لها كلّها، ولا يكون مظهراً لها كلّها إلاّ إذا كان في جبلّته استعداد قبول ذلك كلّ، وهو ما ذكرناه فافهم ترشد إن شاء الله تعالى.

١- الكافي: ج ١، ص ٨٧، ح ١، باب المعبود. ٢- بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٤٠٥، ح ٣٥.

٣- الكافي: ج ١، ص ١٤٣ - ١٤٤، ح ٤، باب النوادر.

قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾: أقول: أي عرض أشباح المخلوقات فرداً فرداً في عالم الملكوت المسمّى عند قوم بعالم الروحانيات المدلول عليها بذكر الأسماء إذ هي مظاهر الأسماء كلّها أو بعضها، ولهذا أورد بضمير ذوي العقول لأنّهم كلّهم ذوو عقل. وفي الرواية الأخيرة، أي عرض أشباحهم وهم أنوار في الأظلة، وهو صريح فيما قلناه.

﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾: أقول: يعني بأسماء الله التي بها خلقت هذه الأشباح فإنّها بتمامها كانت مستورة على الملائكة الأرضية إلّا نوعاً واحداً لكلّ صنف منهم، كما إنّها مستورة على سائر المخلوقات، سوى الأنبياء والأولياء.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: بأنكم أحقّ^(١) بالخلافة من آدم وأنّ جميعكم تسبحون وتقدسون وإنّ ترككم هاهنا أصلح من إيراد من بعدكم، أي: فكما لم تعرفوا غيب من في خلالكم ممّن ترون أشخاصها، فبالحري أن لا تعرفوا الغيب الذي لم يكن.

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾: بكلّ شيء.

﴿الْحَكِيمُ﴾: المصيب بكلّ فعل.

أقول: إنّما اعترفوا بالعجز والقصور لما قد بان لهم من فضل آدم، ولاحت لهم الحكمة في خلقه فصغر حالهم عند أنفسهم، وقلّ علمهم لديهم، وانكسرت سفينة جبروتهم، فغرقوا في بحر العجز، وفوضوا العلم والحكمة إلى الله. وإنّما لم يعرفوا حقائق الأشياء كلّها لاختلافها وتباينها، وكونهم وحدانيّة الصفة إذ ليس في جبلّتهم خلط وتركيب، ولهذا لا

قَالَ يَتَادُمْ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ
مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

يفعل كل صنف منهم إلا فعلاً واحداً، فالراعي منهم راعي أبداً، والساجد منهم ساجد أبداً، والقائم منهم قائم أبداً كما حكي الله عنهم بقوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ»^(١). ولهذا ليس لهم تنافس وتباغض، بل مثالهم مثال الحواس، فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات، ولا الشم يزاحمهما، ولا هما يزاحمان الشم، فلا جرم مجبولون على الطاعة، ولا مجال للمعصية في حقهم «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»^(٢)، «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»^(٣)، فكل صنف منهم مظهر لإسم واحد من الأسماء الإلهية لا يتعداه ففاقهم آدم بمعرفته الكاملة ومظهريته الشاملة.

﴿قَالَ يَتَادُمْ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾: أقول: يعني أخبرهم بالحقائق المكنونة عنهم، والمعارف المستورة عليهم، ليعرفوا جامعيتك لها، وقدرة الله تعالى على الجمع بين الصفات المتباينة، والأسماء المتناقضة، ومظاهرها بما فيها من التضاد في مخلوق واحد، كما قيل: ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد.

﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾: فعرفوها أخذ عليهم العهود والمواثيق للأنبياء والأولياء بالإيمان بهم، والتفضيل لهم على أنفسهم فعند ذلك.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: سرهما.
﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: من ردكم علي.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: من اعتقادكم أنه لا يأتي أحد يكون أفضل منكم، وعزم إبليس على الإباء على آدم إن أمر بطاعته، فجعل آدم حجة عليهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: وذلك لما كان في صلبه من أنوار نبينا ﷺ وأهل بيته المعصومين عليه السلام، وكانوا قد فضلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى في جنب الله، فكان السجود لهم تعظيماً وإكراماً، والله سبحانه عبودية، ولآدم طاعة.

قال علي بن الحسين عليه السلام: حدثني أبي، عن أبيه عليه السلام، عن رسول الله ﷺ، قال: يا عباد الله، إن آدم عليه السلام لما رأى النور ساطعاً من صلبه، إذ كان الله قد نقل أشباحنا^(١) من ذروة^(٢) العرش، إلى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح، فقال: يا رب ما هذه الأنوار؟ فقال عز وجل: أنوار، وأشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح. فقال آدم: يا رب لو بيّتها لي؟ فقال الله عز وجل:

١ - الأشباح - جمع شبح - بالتحريك وقد يسكن: وهو الشخص، مثل سبب وأسباب.

وسئل الشيخ الجليل محمد بن النعمان ما معنى الأشباح؟ فأجاب: الصحيح من حديث الأشباح الرواية التي جاءت عن الثقات بأن آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها فأوحى إليه أنها أشباح رسول الله، وأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، وفاطمة عليها السلام، وأعلمه لولا الأشباح التي رآها ما خلقه الله ولا خلق سماء ولا أرضاً. ثم قال: والوجه فيما أظهره الله من الأشباح والصور لآدم عليه السلام أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم وجعل ذلك إجلالاً لهم ومقدمة لما يفرضه من طاعتهم، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجسمة، ولا أرواحاً ناطقة، ولكنها كانت على صورهم في البشرية تدل على ما يكونون عليه في المستقبل. وقد روي أن آدم عليه السلام لما تاب إلى الله ونجاه بقبول توبته سألهم بحقهم عليه ومحلهم عنده فأجابه. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٧٨، مادة «شبح».

٢ - الذروة - بالكسر والضم من كل شيء - أعلاه، مجمع البحرين: ج ١، ص ١٥٨، مادة «ذرة».

أنظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم ﷺ ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية فرأى أشباحنا، فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟ فقال الله: يا آدم هذه أشباح أفضل خلاقي وبرياتي، هذا محمد ﷺ وأنا الحميد المحمود في فعالتي، شققت له إسماً من إسمي، وهذا علي وأنا العلي العظيم، شققت له إسماً من إسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عما يعرّهم^(١) ويشينهم، فشقت لها إسماً من إسمي، وهذا الحسن، وهذا الحسين، وأنا المحسن المجمل، شققت إسميهما من إسمي، هؤلاء خيار خليقتي، وكرام برّيتي بهم آخذ، وبهم أعطي، وبهم أعاقب، وبهم أتيب، فتوسّل بهم إلي يا آدم، وإذا دهنتك داهية فاجعله إلي شفعاء؛ فإني آليت على نفسي قسماً حقاً ألا أخيب بهم آملاً ولا أردّ بهم سائلاً، فلذلك حين زلّت منه الخطيئة دعا الله عزّ وجلّ بهم فتب عليه وغفرت له^(٢).

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: في المعاني: عن الرضا ﷺ كان اسمه الحارث وسمّى إبليس لأنّه أبليس من رحمة الله^(٣).

﴿أَبْنَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾: أخرج ما كان في قلبه من الحسد.

﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: في العيون: عن أمير المؤمنين ﷺ: أنّه أوّل من كفر وأنشأ الكفر^(٤).

والعتاشي: عن الصادق ﷺ مثله^(٥).

والقمي: عنه ﷺ، الاستكبار هو أوّل معصية عصي الله بها، قال ﷺ، فقال إبليس: ربّ

١- عَرَى يُعْرَى: الأمر القبيح المكروه، والأذى. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٠٠، مادة «عرر». وفي نسخة:

[يعيرهم]، وعيرته به: قبحته عليه ونسبته إليه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤١٨، مادة «عير».

٢- بحار الأنوار: ج ١١، ص ١٥٠ - ١٥١، ذيل ح ٢٥. وفيه: «دعا الله عزّ وجلّ بهم فتاب عليه وغفر له».

٣- معاني الأخبار: ص ١٣٨، باب معنى إبليس.

٤- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٤٤، ح ١، باب ٢٤- ما جاء عن الرضا ﷺ من خبر الشامي وما سأل عنه

٥- تفسير العتاشي: ج ١، ص ٣٤، ح ١٧.

وَقُلْنَا يٰٓآدَمُ اَسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾

إعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرب ولا نبي مرسل، فقال جلّ جلاله: لا حاجة لي في عبادتك إنما عبادتي من حيث أريد لا من حيث تريد^(١).

﴿وَقُلْنَا يٰٓآدَمُ اَسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾: في الكافي^(٢)، والعلل^(٣)، والقمي، عن الصادق عليه السلام إنها كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس، والقمر، ولو كانت من جنان الخلد ما خرج منها أبداً، وزاد القمي: ولم يدخلها إبليس^(٤).

﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾: واسعاً.

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: بلا تعب.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام يعني: لا تأكلا منها^(٥).

قيل: وإنما علّق النهي بالقرب الذي هو من مقدّمات التناول مبالغة في تحريمه، ووجوب الإجتناّب عنه، وتنبيهاً على أنّ القرب من الشيء يورث داعية وميلاناً يأخذ بمجامع القلب، ويلهيه عمّا هو مقتضي العقل والشرع^(٦).

وفي تفسير الإمام: إنها شجرة علم محمّد وآل محمّد عليه السلام أثرهم الله تعالى بها دون سائر خلقه فإنّها لمحمّد وآله خاصّة دون غيرهم ولا يتناول منها بأمر الله إلّا هم، ومنها ما كان يتناوله النبي عليه السلام وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام بعد إطعامهم المسكين، واليتيم، والأسير، حتّى لم يحسّوا بعد بجوع، ولا عطش ولا تعب، ولا نصب، وهي شجرة

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٤٢. ٢- الكافي: ج ٣، ص ٢٤٧، ح ٢.

٣- علل الشرائع: ص ٦٠٠، ح ٥٥. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٤٣.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥، ح ٢٠.

٦- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ص ٤٩، وفيه: «وميلاً يأخذ بمجامع القلب».

تميّزت من بين سائر الأشجار بأنّ كلّاً منها إنّما يحمل نوعاً من الثمار، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البرّ والعنب والتين والعنّاب، وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة.

فلذلك اختلف الحاكون بذكرها، فقال بعضهم: برّة، وقال آخرون: هي عنبّة، وقال آخرون: هي تينة، وقال آخرون: هي عنّابّة، قال الله تعالى: «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» تلتمسان بذلك درجة محمّد ﷺ وآل محمّد في فضلهم فإنّ الله عزّ وجلّ خصّهم بهذه الدرجة دون غيرهم. وهي الشجرة التي من تناول منها باذن الله ألهم علم الأوّلين والآخريين من غير تعلّم، ومن تناول بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربّه^(١).

أقول: وفي رواية: إنّها شجرة الحسد^(٢).

وفي رواية أخرى: إنّها شجرة الكافور^(٣).

وفي العيون: بإسناده إلى عبدالسلام بن صالح الهروي، قال: قلت للرضا ﷺ: يا بن رسول الله ﷺ أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحوّاء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروي إنّها الحنطة، ومنهم من يروي إنّها العنب، ومنهم من يروي إنّها شجرة الحسد، فقال: كلّ ذلك حقّ، قلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً، وكانت شجرة الحنطة، وفيها عنب ليست كشجرة الدنيا، وإنّ آدم لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاده الملائكة^(٤) له وبإدخاله الجنّة، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منّي؟ فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه فناداه إرفع رأسك يا آدم وانظر إلى ساق عرشي فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، فقال آدم: يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عزّ وجلّ: هؤلاء من ذريّتك، وهم خير منك، ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك، ولا

١- تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٢٢١-٢٢٢.

٢- تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٢٢٢. وبحار الأنوار: ج ١١، ص ١٨٧، ح ٤٢.

٣- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٨٥. ٤- وفي نسخة: [ملائكته].

خلقت الجنة والنار، ولا السماء ولا الأرض فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك عن جوارى فنظر إليهم بعين الحسد، وتمتى منزلتهم فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهى عنها، وتسلط على حواء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله تعالى عن جنته وأهبطهما عن جواره إلى الأرض ^(١).

أقول: كما أن لبدن الإنسان غذاء من الحبوب والفواكه كذلك لروحه غذاء من العلوم والمعارف، وكما أن لغذاء بدنه أشجاراً تثمر فكذلك لروحه أشجار تثمرها ولكل صنف منه ما يليق به من الغذاء، فإن من الإنسان من يغلب فيه حكم البدن على حكم الروح، ومنه من هو بالعكس، ولهم في ذلك درجات يتفاضل بها بعضهم على بعض، ولأهل الدرجة العليا كل ما لأهل الدرجة السفلى وزيادة، ولكل فاكهة في العالم الجسماني مثال في العالم الروحاني مناسب لها كما مرّت الإشارة إليه في المقدّمة الرابعة، ولهذا فسّرت الشجرة تارة بشجرة الفواكه، وأخرى بشجرة العلوم، وكان شجرة علم محمد صلى الله عليه وآله إشارة إلى المحبوبة الكاملة، المثمرة لجميع الكمالات الإنسانيّة، المقتضية للتوحيد المحمّدي الذي هو الفناء في الله، والبقاء بالله المشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ^(٢) فإن فيها من ثمار المعارف كلّها، وشجرة الكافور: إشارة إلى برد اليقين الموجب للطمأنينة الكاملة المستلزمة للخلق العظيم الذي كان لنبيّنا صلى الله عليه وآله ودونه لأهل بيته عليهم السلام وهما متلازمان فلا منافاة بين الروايات ولا بينها وبين ما قاله أهل التأويل إنّها شجرة الهوى والطبيعة لأنّ قربها إنّما يكون بالهوى والشهوة والطبيعة، وهذا معنى ما ورد إنّها شجرة الحسد فإنّ الحسد إنّما ينشأ منها.

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: بمعصيتكما وإلتماسكما درجة قد أوتر بها غيركما إذا

رمتما بغير حكم الله.

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٣٠٦ - ٣٠٧، ح ٦٧، باب ٢٨ - فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليه السلام من الأخبار المتفرقة.

٢ - بحار الأنوار: ج ٨٢، ص ٢٤٣، ح ١. ومفاتيح الغيب: ص ٤٠.

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا
أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ
وَمَتَّعُ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾: وقرئ «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا» بوسوسته، وخديعته، وإيهامه، وعداوته، وغروره بأن بدأ بآدم ﷺ فقال: «مَا تَهَيَّكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ»^(١) إن تناولتما منها تعلمان الغيب، وتقدران على ما يقدر عليه من خصه الله تعالى بالقدرة «أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ»^(٢) لا تموتان أبداً، «وَقَاسَمَهُمَا»: حلف لهما «إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ»^(٣) وكان إبليس بين لحيي الحيّة أدخلته الجنة، وكان آدم يظن أن الحيّة هي التي تخاطبه، ولم يعلم أن إبليس قد إختبأ بين لحييها، فردّ آدم على الحيّة أيّتها الحيّة هذا من غرور إبليس، كيف يخوننا ربّنا؟ أم كيف تعظمين الله بالقسم به وأنت تنسبينه إلى الخيانة، وسوء النظر وهو أكرم الأكرمين؟ أم كيف أروم التوصل إلى ما منعني منه ربّي وأعطاه بغير حكمة؟ فلمّا أيس إبليس من قبول آدم ﷺ منه عاد ثانية بين لحيي الحيّة فخاطب حواء من حيث يوهما إن الحيّة هي التي تخاطبها، وقال: يا حواء أرايت هذه الشجرة التي كان الله عزّ وجلّ حرّمها عليكما فقد أحلّها لكما بعد تحریمها لما عرف من حسن طاعتكما له وتوقيركما إيّاه، وذلك أنّ الملائكة الموكّلين بالشجرة التي معها الحراب يدفعون عنها سائر حيوانات الجنّة لا تدفعك عنها إن رمتها فاعلمي بذلك إنّ قد أحلّ لك وإبشري بأنك إن تناولتها قبل آدم ﷺ كنت أنت المتسلّطة عليه الأمرة الناهية فوقه، فقالت حواء: سوف أُجرب هذا فرامت الشجرة فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها فأوحى الله إليها إنّما تدفعون بحرابكم من لا عقل له يزجره، فأما من جعلته متمكناً مميّزاً مختاراً

فكلوه إلى عقله الذي جعلته حجة عليه، فإن أطاع استحقَّ ثوابي وإن عصى وخالف أمري استحقَّ عقابي وجزائي، فتركوها ولم يتعرّضوا لها بعدما همّوا بمنعها بحرّابهم، فظنّنت أنّ الله نهاهم عن منعها لأنّه قد أحلّها بعدما حرّمها، فقالت: صدقت الحيّة، وظنّنت أنّ المخاطب لها هي الحيّة فتناولت منها ولم تنكر من نفسها شيئاً، فقالت لآدم عليه السلام: ألم تعلم أنّ الشجرة المحرّمة علينا قد أبيحت لنا؟ تناولت منها ولم يمنعني املاكها، ولم أنكر شيئاً من حالي، فلذلك اغترّ آدم عليه السلام وغلط فتناول^(١).

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: من النعم.

﴿وَقُلْنَا﴾: يا آدم، ويا حوّاء، ويا أيّتها الحيّة، ويا إبليس.

﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: فآدم، وحوّاء وولدهما عدوّ للحيّة وإبليس،

وإبليس والحيّة وأولادهما أعداؤهم، وكان هبوط آدم وحوّاء والحيّة من الجنّة فإنّ الحيّة كانت من أحسن دوابّها، وهبوط إبليس من حوالها، فإنّه كان يحرم عليه دخول الجنّة^(٢).

أقول: لعلّه إنّما يحرم عليه دخول الجنّة بارزاً بحيث يعرف، وذلك لأنّه دخلها مختفياً في فم الحيّة ليدليهما بغرور كما ورد في حديث آخر، وبهذا يرتفع التنافي بين هذا الحديث، وبين الحديث الذي مرّ أنّها لو كانت من جنان الخلد لم يدخلها إبليس، أراد به دخولها وهو في فم الحيّة، فليتدبّر.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: منزل ومقرّ للمعاش.

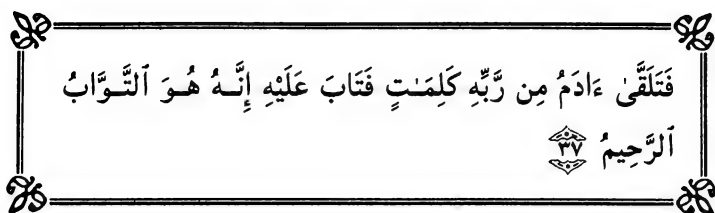
﴿وَمَتَّعٌ﴾: منفعة.

﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: حين الموت يخرج الله منها زروعكم وثماركم، وبها ينزهكم وينعمكم،

وفيها بالبلايا يمتحنكم بلذّكم بنعيم الدنيا تارة لتذكروا به نعيم الآخرة الخالص ممّا ينغص نعيم الدنيا ويطله ويُرّده فيه ويصغّره، ويمتحنكم تارة ببلايا الدنيا التي تكون في خلالها الزحمت وفي تضاعفها التقمات ليحذّركم بذلك عذاب الأبد الذي لا يشوبه عافية.

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

٢ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢٢ - ٢٢٤.



وفي رواية القمّي: «إلى حين» يعني: إلى يوم القيامة^(١).

أقول: لا منافاة بين الروایتين، لأنَّ الموت هو القيامة الصغرى للأكثرين، والكبرى للآخرين، ولذا ورد من مات فقد قامت قيامته^(٢).

﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾: يقولها، فقالها، وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات.
﴿فَتَابَ﴾: الله.

﴿عَلَيْهِ﴾: بها.

﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾: الكثير القبول للتوبة.

﴿الرَّحِيمُ﴾: بالنائبين.

أقول: التوبة: بمعنى الرجوع والإنابة فإذا نسبت إلى الله تعالى تعدّت بـ«على»، وإذا نسبت إلى العبد تعدّت بـ«إلى»، ولعلّ الأوّل لتضمن معنى الإشفاق والعطف، ومعنى التوبة من العبد: رجوعه إلى الله بالطاعة والإنقياد بعدما عصى وعتا، ومعناها من الله: رجوعه بالعطف على عبده بإلهامه التوبة أولاً ثمّ قبوله إياها منه آخراً، فله توبتان، وللعبّد واحدة بينهما، قال الله تعالى: «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا»^(٣)، أي ألهمهم التوبة ليرجعوا، ثمّ إذا رجعوا قبل توبتهم لأنّ الله «هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» ولهذه الآية معنى آخر يأتي في سورة التوبة إن شاء الله تعالى.

وفي الكافي: عن أحدهما عليه السلام: إِنَّ الْكَلِمَاتَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٤٣.

٢ - بحار الأنوار: ج ٦١، ص ٧، باب ٤٢ - حقيقة النفس والروح وأحوالهما. وهكذا في ج ٧٣، ص ٦٧، ح ٣٤، باب ١٢٢ - حب الدنيا وذمّها. ومفاتيح الغيب: ص ٦٢٩. ٣ - التوبة: ١١٨.

عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لِي وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ
وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَتُبَّ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(١).

وفي رواية: بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ^(٢).

وفي أخرى: بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ^(٣).

وفي تفسير الإمام عليّ^(٤): لَمَّا زَلَّتْ مِنْ آدَمَ الْخَطِيئَةُ، وَاعْتَذَرَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: يَا
رَبِّ تَبَّ عَلَيَّ وَأَقْبَلَ مَعْذِرَتِي وَأَعَدَنِي إِلَى مَرْتَبَتِي، وَارْفَعْ لَدَيْكَ دَرَجَتِي فَلَقَدْ تَبَيَّنَ نَقْصُ
الْخَطِيئَةِ وَذَلَّهَا بِأَعْضَائِي وَسَائِرِ بَدَنِي.

قال الله تعالى: يَا آدَمُ أَتَذْكُرُ أَمْرِي إِثَّاكَ بِأَنْ تَدْعُونِي بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ عِنْدَ
شِدَائِكَ وَدَوَاهِيكَ وَفِي النَّوَازِلِ الَّتِي تَنْهَضُكَ^(٥)، قَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ بَلَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَهُمْ
بِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ خُصُوصاً صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَادْعَنِي أَجِبْكَ إِلَى
مِلْتَمَسِكَ، وَأَزِدْكَ فَوْقَ مَرَادِكَ، فَقَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ إِلَهِي وَقَدْ بَلَغَ عِنْدَكَ مِنْ مَحَلِّهِمْ إِنَّكَ بِالتَّوَسُّلِ
بِهِمْ تَقْبَلُ تَوْبَتِي، وَتَغْفِرُ خَطِيئَتِي وَأَنَا الَّذِي أَسْجَدْتُ لَهُ مَلَائِكَتَكَ وَأَبَاحْتَهُ جَنَّتَكَ وَزَوَّجْتَهُ
حَوَّاءَ أَمْتِكَ وَأَخْدَمْتَهُ كِرَامَ مَلَائِكَتِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ إِنَّمَا أَمَرْتُ الْمَلَائِكَةَ بِتَعْظِيمِكَ
بِالسُّجُودِ لَكَ إِذْ كُنْتَ وَعَاءً لِهَذِهِ^(٥) الْأَنْوَارِ، وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَنِي بِهِمْ قَبْلَ خَطِيئَتِكَ أَنْ أَعْصِمَكَ
مِنْهَا وَأَنْ أَفْطَنُكَ لِدَوَاعِي عِدْوِكَ إِبْلِيسَ حَتَّى تَحْتَرِزَ مِنْهَا لَكُنْتَ قَدْ جَعَلْتَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ
الْمَعْلُومُ فِي سَابِقِ عِلْمِي يَجْرِي مُوَافَقاً لِعِلْمِي فَالآنَ فَهُمْ فَادْعَنِي لِأُجِيبَكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ
آدَمُ ﷺ: اللَّهُمَّ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ الطَّيِّبِينَ مِنْ آلِهِمْ لَمَّا تَفَضَّلْتَ

١- الكافي: ج ٨، ص ٣٠٤ - ٣٠٥، ح ٤٧٢.

٢- الكافي: ج ٨، ص ٣٠٥، ذيل ح ٤٧٢. وتفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٢٢٥.

٣- تفسير الإمام العسكري: ص ٣٩١.

٤- نَهَضَ كَمَنَعَ نَهَضاً وَنَهَضاً قَامَ. وَنَاهَضَهُ: قَاوَمَهُ. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ: ج ٢، ص ٣٤٧ - ٣٤٨، مَادَّةُ
«نَهَضَ». وَفِي نَسْخَةِ: [الَّتِي تَبْهُطُكَ]. وَبِهَضْنِي الْأَمْرَ - كَمَنَعَ وَأَبْهَضَنِي -: أَيِ فَدَحَنِي. الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ: ج ٢،

ص ٣٢٥، مَادَّةُ «بِهَضَ». ٥- وَفِي نَسْخَةِ: [وَعَاءَ هَذِهِ].

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

بقبول توبتي، وغفران ذلتي، وإعادتي من كراماتك إلى مرتبتي، فقال الله عز وجل: قد قبلت توبتك وأقبلت برضواني عليك وصرفت آلائي ونعمائي إليك وأعدتك إلى مرتبتك من كراماتي، ووفرت نصيبك من رحماتي فذلك قوله عز وجل: «فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(١).

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾: أمروا أولاً بالهبوط، وثانياً بأن لا يتقدم أحدهم الآخرين.
﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: قيل: «ما» مزيدة لتأكيد الشرط ولذلك حسن النون وإن لم يكن فيه معنى الطلب، والشرط الثاني مع جوابه جواب للشرط الأول^(٢).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: ولا آئنا.
﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: ذكر العياشي حديثاً طويلاً في محاجة آدم ربّه في خطيئته، قال في آخره: بلى يا ربّ الحجّة لك علينا ظلمنا أنفسنا وعصينا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا نكن من الخاسرين^(٣).

والقسي: عن الصادق عليه السلام أن آدم هبط على الصفا، وحوّاء على المروة، فمكث آدم أربعين صباحاً ساجداً يبكي على خطيئته وفراقه للجنة، قال: فنزل جبرئيل على آدم عليه السلام وقال: يا آدم ألم يخلقك الله بيديه، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته؟ قال: بلى، قال: وأمرك أن لا تأكل من تلك الشجرة فلم عصيته؟ فقال: يا جبرئيل إن إبليس حلف لي بالله أنه

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

٢ - راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٠.
٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٥، ح ٢١، س ٢٠.

لي ناصح، وما ظننت أن أحداً خلقه الله يحلف بالله عزّ وجلّ كاذباً، فقال له جبرئيل عليه السلام: يا آدم تب إلى الله (١).

وعنه عليه السلام قال: سألت موسى ربه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع فقال له موسى: يا أبت ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من تلك الشجرة فلم عصيته؟

قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين ألف سنة، قال: فهو ذلك، قال الصادق عليه السلام: فحجّ آدم موسى عليه السلام (٢).

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إن الله تعالى قال لهما: «لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» وأشار لهما إلى شجرة الحنطة، ولم يقل لهما: ولا تأكلا من هذه الشجرة، ولا ممّا كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة، وإنّما أكلا من غيرها لَمّا أن وسوس الشيطان إليهما ثم قال: وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك منه بذنب كبير استحقّ به دخول النار، وإنّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي إليهم، فلمّا اجتنباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله تعالى: «وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ» ثُمَّ اجْتَنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (٣)، وقال: «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا» الآية (٤) (٥).

وفي رواية: إن الله عزّ وجلّ خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض ليتمّ مقادير أمر الله عزّ وجلّ فلمّا أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عزّ وجلّ: «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا» الآية (٦) (٧).

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٤٣- ٤٤.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٤٤.

٣- طه: ١٢١- ١٢٢.

٤- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٦، ح ١، باب ١٥- ذكر مجلس آخر للرّضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٥- آل عمران: ٣٣.

٦- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٢- ١٩٣، ح ١، باب ١٤- ذكر مجلس آخر للرّضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقاتلات، وما أجاب به علي بن محمّد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين.

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا
بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَازَهُبُونِ ﴿٤٠﴾

والقمي: عن الباقر عليه السلام كان عمر آدم منذ خلقه الله إلى أن قبضه تسعمائة وثلاثين سنة، ودفن بمكة، ونفخ فيه يوم الجمعة بعد الزوال، ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه وأسكنه جنته من يومه ذلك، فما استقرّ فيها إلا ستّ ساعات من يومه ذلك حتى عصى الله فأخرجهما من الجنة بعد غروب الشمس وما باتا فيها^(١).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام إن الله تعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال الشمس من يوم الجمعة، ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه الحديث كما مرّ، وزاد في آخره وصيراً بفناء الجنة حتى أصبحا و«بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ أَتُهُمَا... وَنَادَيْتُهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ»^(٢) فاستحى آدم من ربه فخضع وقال: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا»^(٣) واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا، قال الله لهما: «اهبطا من سماواتي إلى الأرض فإنه لا يجاورني في جنتي عاصٍ ولا في سماواتي»، ثم قال عليه السلام: إن آدم لما أكل من الشجرة ذكر ما نهاه الله عنها فندم فذهب ليتنحى من الشجرة فأخذت الشجرة برأسه فجرّته إليها وقالت له: أفلا كان فرارك من قبل أن تأكل مني؟^(٤).

﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾: ولد يعقوب. في العلل: عن الصادق عليه السلام في حديث يعقوب هو إسرائيل، ومعنى إسرائيل: عبد الله، لأنّ اسرا: هو العبد، وإيل: هو الله^(٥). وفي رواية أخرى: اسرا: هو القوة، وإيل: هو الله^{(٦)(٧)}.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٤٥. ٢- الأعراف: ٢٢.

٣- الأعراف: ٢٣. ٤- تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠-١١، ح ١١.

٥- علل الشرائع: ص ٤٣. ٦- علل الشرائع: ص ٤٣.

٧- وذكر العياشي: ج ١، ص ٤٤، ح ٤٣ و ٤٥، عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن قول الله: «يا بني إسرائيل»، فقال: هم نحن خاصّة. وعن النبي صلى الله عليه وآله: إنه سمع يقول أنا عبدك اسمي أحمد، وأنا عبد الله اسمي إسرائيل، فما أمره فقد أمرني وما عناه فقد عتاني. منه عليه السلام.

وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ
بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِأَيْتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: أن بعثت محمداً وأقررت في مدينتكم ولم أجسمكم الحط والترحال إليه، وأوضحت علاماته، ودلائل صدقه كيلا يشتهه عليكم حاله.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾: الذي أخذه على أسلافكم أنبياءهم وأمرهم أن يؤدوه إلى أخلافهم ليؤمنن بمحمد العربي القرشي الهاشمي، المبان بالآيات، والمؤيد بالمعجزات الذي من آياته علي بن أبي طالب عليه السلام شقيقه ورفيقه، عقله من عقله، وعلمه من علمه، وحلمه من حلمه، مؤيد دينه بسيفه.

﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: الذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة.
﴿وَإِنِّي فَارْهَبُونِ﴾: في مخالفة محمد صلى الله عليه وآله فإني القادر على صرف بلاء من يعاديكم على موافقتي، وهم لا يقدرّون على صرف انتقامي عنكم إذا آثرتم مخالفتي.
والعياشي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية فقال: أوفوا بولاية علي فرضاً من الله، أوف لكم بالجنة^(١).

أقول: ويجري في كل عهد لله على كل أحد.

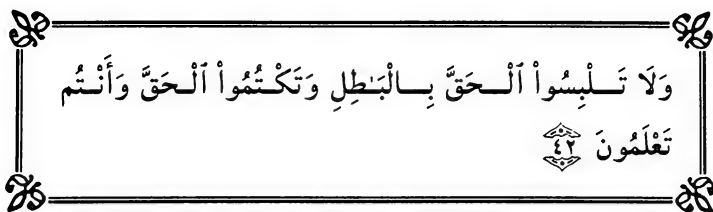
القمي: قال رجل للصادق عليه السلام: يقول الله عز وجل: «أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»^(٢) وإنا ندعو فلا يستجاب لنا، فقال: إنكم لا تفون لله تعالى بعهد فإنه تعالى يقول: «أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ» والله لو وفيتم لله سبحانه لوفى لكم^(٣).

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ﴾: على محمد من ذكر نبوته صلى الله عليه وآله وإمامة أخيه، وعترته عليهم السلام.

٢ - غافر: ٦٠.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٢، ح ٣٠.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٤٦.



﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾: فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الذِّكْرِ فِي كِتَابِكُمْ.

﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾^(١): قِيلَ: تعريض بأنَّ الواجب أن تكونوا أوَّل من آمن به لأنَّهم كانوا أهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه^(٢). وفي تفسير الإمام عليه السلام: هؤلاء يهود المدينة جحدوا نبوة محمد عليه السلام وخانوه، وقالوا: نحن نعلم أنَّ محمداً نبي، وأنَّ عليّاً وصيّهُ، ولكن لست أنت ذلك، ولا هذا ولكن يأتيان بعد وقتنا هذا بخمسمائة سنة^(٣).

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيسَى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية إنَّ حبيبي بن أخطب، وكعب بن أشرف، وآخرين من اليهود كان لهم مأكلة على اليهود في كلِّ سنة فكروها بطلانها بأمر النبي عليه السلام فحرّفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي أريد به في الآية^(٤).

﴿وَإِيسَى فَاتَّقُونِ﴾: في كتمان أمر محمد عليه السلام وأمر وصيّهِ عليه السلام.

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾: ولا تخلطوه به بأن تقرّوا به من وجه، وتجحدوه

من وجه.

﴿وَتَكْتُمُوا﴾: عطف على النهي أو نصب بإضمار «أن».

﴿الْحَقَّ﴾: من نبوة هذا وإمامة هذا.

١- أوَّل أفعل لا فعل له، وقيل: أصله أوَّل فأبدلت همزته واواً تخفيفاً بغير قياس، أو أوَّل من آل يزول: أي رجع فقلبت همزته واواً فأدغمت منه يَزُولُ.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٣.

٣- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٣٠. ٤- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٩٥.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾
 أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ
 الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم تكتُمونه، وتكبرون علومكم وعقولكم.
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: المكتوبة التي جاء بها محمد ﷺ، وأقيموا أيضاً الصلاة
 على محمد وآله الطاهرين.
 ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: عن أموالكم إذا وجبت، ومن أبدانكم إذا الزمت، ومن معونتكم
 إذا التمت.

وفي الكافي: عن الكاظم ﷺ أنه سئل عن صدقة الفطرة أهي مما قال الله تعالى:
 «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ»؟ فقال: نعم (١).
 والعبّاشي: عنه ﷺ مثله (٢).

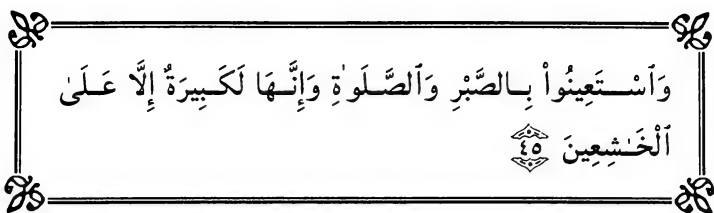
وعن الصادق ﷺ: هي الفطرة التي افترض الله على المؤمنين (٣).
 وفي رواية: نزلت الزكاة وليست للناس الأموال وإنما كانت الفطرة (٤).
 ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾: تواضعوا مع المتواضعين لعظمة الله في الإنقياد لأوليائه
 الله، وقيل: أي في جماعاتهم للصلاة (٥).

أقول: وهذا فرد من أفراد ذاك.
 ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾: بالصدقات وأداء الأمانات.
 ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾: تتركونها.

١- لم نثر عليه في الكافي، بل ورد في تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٨٩، ح ٢٦٢.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٢، ح ٣٣. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٢، ح ٣٢.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٣، ح ٣٥. ٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٣.



﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: التوراة الآمرة لكم بالخيرات الناهية عن المنكرات.
﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: ما عليكم من العقاب في أمركم بما به لا تأخذون وفي نهيككم عما
أنتم فيه منهمكون، نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم المردة المنافقين المحتجنين^(١) أموال
الفقراء المستأكلين للأغنياء الذين كانوا يأمرون بالخير ويتركونه، وينهون عن الشر ويرتكبونه.
القمي: نزلت في الخطباء^(٢) والقصاص، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: وعلى كل منبر
منهم خطيب مصقّع^(٣) يكذب على الله وعلى رسوله وعلى كتابه^(٤).

أقول: وهي جارية في كل من وصف عدلاً وخالف إلى غيره.
وفي مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام قال: من لم ينسلخ من هواجسه، ولم يتخلص
من آفات نفسه، وشهواتها، ولم يهزم الشيطان، ولم يدخل في كنف الله وأمان عصمته لا
يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة، فكل ما أظهر يكون
حجة عليه ولا ينتفع الناس به، قال الله تعالى: «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ»،
ويقال له: يا خائن أطلب خلقي بما خنت به نفسك، وأرخت عنه عنانك^(٥).

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾: عن الحرام على تأدية الأمانات، وعن الرياسات الباطلة

١- الإحتجان: ضم الشيء واحتواؤه. منه صبر.

٢- وفي المجمع: عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مرت ليلة أُسري بي على أناس تقرض
شفاهم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون
الناس بالبر وينسون أنفسهم. منه صبر. راجع مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٩٨.

٣- الصاقع: الكذاب - صه صاقع - تقوله العرب للرجل تسمعه يكذب، أي اسكت يا كذاب. تاج العروس:
ج ٢١، ص ٣٤١، مادة «صقع».

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٤٦.

٥- مصباح الشريعة: ص ١٨.

على الاعتراف بالحق، واستحقاق الغفران والرضوان ونعيم الجنان.
أقول: وعن سائر المعاصي، وعلى أصناف الطاعات، وأنواع المصيبات، وعلى قرب الوصول إلى الجنان.
وفي الكافي^(١)، والفتية^(٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: إن الصبر: الصيام^(٣).

وفيها: وقال عليه السلام: إذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة فليصم فإن الله تعالى يقول: «أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ»، يعني الصيام^(٤).
والعياشي: عن الكاظم عليه السلام مثله^(٥).

﴿وَالصَّلَاةُ﴾: الصلوات الخمس، والصلاة على النبي وآله الطاهرين.
أقول: وكل صلاة فريضة أو نافلة لما روي في المجمع^(٦)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غم من غموم الدنيا أن يتوضأ، ثم يدخل مسجده فيركع ركعتين فيدعو الله فيهما، أما سمعت الله يقول: «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»^(٧).
وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: كان علي عليه السلام إذا هاله شيء فزع إلى الصلاة، ثم تلا هذه الآية: «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»^(٨).
﴿وَأَنْتَ﴾: القمي: يعني الصلاة^(٩). وقيل: الإستعانة بهما^(١٠).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: إن هذه الفعلة من الصلوات الخمس، والصلاة على محمد وآله مع الإنقياد لأوامرهم، والإيمان بسرهم وعلانياتهم، وترك معارضتهم بلم وكيف^(١١).

١- الكافي: ج ٤، ص ٦٣، ح ٧-٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٥، ح ٦/٢٠١، باب ٢٢- فضل الصيام.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٣، ح ٤٠.

٤- الكافي: ج ٤، ص ٦٣، ح ٧. ومن لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٥، ح ٦/٢٠١، باب ٢٢- فضل الصيام.
وفيه: «استعينوا بالصبر والصلاة».

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٣، ح ٤١.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٣، ح ٣٩.

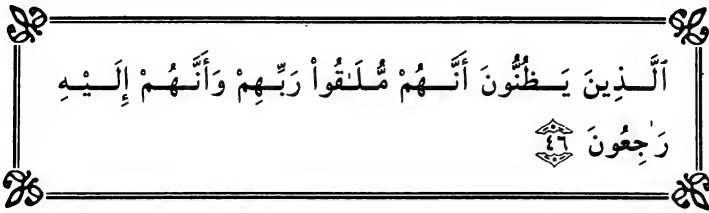
٦- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ١٠٠.

٩- تفسير القمي: ج ١، ص ٤٦.

٨- الكافي: ج ٣، ص ٤٨٠، ح ١.

١٠- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٤.

١١- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٣٨.



﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: عظيمة.

أقول: يعني لتقلية شاقة كقوله تعالى: «كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ»^(١).

﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾: الخائفين عقاب الله في مخالفتهم في أعظم فرائضه.

أقول: وذلك لأن نفوسهم مرتاضة بأمثالها متوقّعة في مقابلتها ما يستخفّ لأجله مشاقّها، ويستلذّ بسببه متاعها، كما قال نبيّنا ﷺ: «جعلت قرة عيني في الصلاة»^(٢).

وكان يقول: «روحنا أو أرحنا يا بلال»^(٣).

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ﴾: في التوحيد^(٤)، والإحتجاج^(٥).

والعياشي: عن أمير المؤمنين ﷺ: يوقنون أنهم يبعثون، والظنّ منهم يقين^(٦).

وفيها^(٧): قال ﷺ: اللقاء البعث، والظنّ هنا اليقين^(٨).

وفي تفسير الإمام ﷺ: يقدرون ويتوقعون أنهم يلقون ربهم اللقاء الذي هو أعظم كرامته لعباده^(٩).

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: إلى كراماته ونعيم جنّاته، قال: وإنما قال: يظنون لأنهم لا

١- الشورى: ١٣. ٢- الكافي: ج ٥، ص ٣٢١، ح ٧ و ٩. وفيه: «جعل». وراجع الكشف: ج ١، ص ١٣٤.

٣- الكشف: ج ١، ص ١٣٤ - ١٣٥.

٤- التوحيد: ص ٢٦٧، ح ٥، باب ٣٦- الرد على الثنية والزنادقة.

٥- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، باب احتجاجة على زنديق جاء مستدلاً بأي من القرآن متشابهة. وفيه:

«مبعوثون». ٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٤، ح ٤٢. وفيه: «مبعوثون».

٧- التوحيد: ص ٢٦٧، ح ٥، باب ٣٦- الرد على الثنية والزنادقة.

٨- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٧٢، باب احتجاجة على زنديق جاء مستدلاً بأي من القرآن متشابهة.

٩- تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٢٣٨.

يَسْبِيئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْسَى
فَضْلَتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

يدرون بماذا يختم لهم، لأنَّ العاقبة مستورة عنهم لا يعلمون ذلك يقيناً، لأنَّهم لا يأمنون أن يغيروا ويبدلوا، قال رسول الله ﷺ: لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، ولا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتَّى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له، الحديث (١).
ويأتي تمامه في سورة «حتم السجدة» إن شاء الله عند تفسير «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا» الآية (٢).

﴿يَسْبِيئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾: إذ بعثت موسى وهارون إلى أسلافكم بالنبوة فهدياهم إلى نبوة محمد ﷺ وإمامة وصيه علي عليه السلام وإمامة عترته الطيبين الطاهرين (٣) وأخذوا عليهم بذلك العهد التي إن وفوا بها كانوا ملوكاً في الجنان. ﴿وَأَنْسَى فَضْلَتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: هناك أي فعلته بأسلافكم فضلتهم في دينهم بقبول ولاية محمد وآله عليه السلام، وفي دنياهم بتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، وسقيهم من الحجر ماءً أهدباً، وخلق البحر لهم وإنجائهم، وغرق أعدائهم، فضلتهم بذلك على عالمي زمانهم الذين خالفوا طريقهم وحادوا عن سبيلهم.

أقول: وإنما خاطب الله الأخلاف بما فعل بالأسلاف أو فعلوه هم من الخير والشر لأنَّ القرآن نزل بلغة العرب وهم يخاطبون بمثل ذلك، يقول الرجل للتميمي الذي أغار قومه على بلدة وقتلوا من فيها: أغرتم على بلدة كذا وفعلتم كذا وقتلتم أهلها وإن لم يكن هو معهم، مع أن الأخلاف راضون بما فعل بالأسلاف وفعلوه. كذا في تفسير الإمام عليه السلام (٤) عن

١- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

٢- فصلت: ٣٠.

٣- وفي نسخة: [الطيبين].

٤- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٢.

وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

السجاد عليه السلام ^(١)، وقد مضى تحقيقه في المقدمة الثالثة.

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾: وقت النزع.

﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾: لا تدفع عنها عذاباً قد استحقت.

﴿وَلَا يُقْبَلُ﴾: وقرئ بالتاء.

﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾: بتأخير الموت عنها.

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: أي فداء مكانها تمت وتترك هي.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: أقول: يعني في دفع الموت والعذاب، وفي تفسير الإمام

قال الصادق عليه السلام: هذا يوم الموت فإنَّ الشفاعة والفداء لا يغني عنه فأما في القيامة، فإنَّا وأهلنا نجزي عن شيعتنا كلَّ جزاء لنكوننَّ على الأعراف بين الجنة والنار «محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبون من آلهم عليهم السلام» فرى بعض شيعتنا في تلك العرصات فمن كان منهم مقصراً وفي بعض شدائدنا فنبعث عليهم خيار شيعتنا كسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمار، ونظرناهم في العصر الذي يليهم، ثم في كلّ عصر إلى يوم القيامة، فينقضون ^(٢) عليهم كالبزة والصقور، ويتناولونهم كما يتناول البزة والصقور صيدها، فيزفونهم إلى الجنة زفاً، وإنَّا لنبعث إلى ^(٣) آخرين من محبينا خيار شيعتنا كالحمّام فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطير الحب، وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا، وسيؤتى بالواحد من مقصري شيعتنا في أعماله بعد أن حاز الولاية والثقيّة وحقوق إخوانه ويوقف

١ - أورده عند قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ»، البقر: ٦٥. منه عليه السلام.

٢ - ينقضون - بتشديد الضاء المعجّمة - أي يسقطون ويهونون منه عليه السلام. وفي لسان العرب: ج ١١، ص ٢٠٣.
انتقض الطائر: قيل: هو إذا هوى من طيرانه ليسقط على شيء. ٣ - وفي المصدر، وفي نسخة: [على].

وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

بإزائه ما بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصاب فيقال له: هؤلاء فداؤك من النار، فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصاب النار. وذلك ما قال الله عز وجل: «رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني بالولاية «لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ»^(١)، في الدنيا متقادين للإمامة ليجعل مخالفوهم من النار فداؤهم^(٢).

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ﴾: واذكروا إذ أنجينا أسلافكم.

أقول: هذا تفصيل لما أجمله في قوله: «واذكروا نعمتي».

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: وهم الذين كانوا يدنون إليه بقرابته بدينه ومذهبه.

﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: كانوا يعدّونكم.

أقول: يعني يكلفونكم العذاب، من سامة الأمر: كلّفه إياه وأكثر ما يستعمل في العذاب والشر.

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: شدة العذاب وكان من عذابهم الشديد أنه كان فرعون يكلفهم عمل البناء والطين ويخاف أن يهربوا عن العمل فأمر بتقييدهم، وكانوا ينقلون ذلك الطين على السلالم إلى السطوح فربما سقط الواحد منهم فمات أو زمن ولا يحفلون^(٣) بهم إلى أن أوحى الله إلى موسى عليه السلام، قل لهم: لا يتبدأون عملاً إلا بالصلاة على محمد وآله الطيبين فيخفف عليهم فكانوا يفعلون ذلك فيخفف عليهم.

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾: وذلك لما قيل لفرعون: إنه يولد في بني إسرائيل مولود

٢ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٤١ - ٢٤٢.

١ - الحجر: ٢.

٣ - الحفل: المبالاة. ما أخفل بفلان: ما أبالي به، لسان العرب: ج ٣، ص ٢٤٨، مادة «حفل».

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾

يكون على يده هلاكك وزوال ملكك، فأمر بذبح أبنائهم^(١).

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ﴾: يبقونهن ويتخذونهن إماءاً، ثم قال ﷺ ما ملخصه: إنه ربما يسلم أبناؤهم من الذبح وينشؤون في محل غامض بصلاتهم على محمد وآله الطيبين، وكذلك نساؤهم يسلمن من الإغتراش بصلاتهن عليه وآله.

﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾: وفي ذلك: الإنجاء منهم.

﴿بَلَاءٌ﴾: نعمة.

﴿مَنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: كبير. قال الله تعالى: «يا بني إسرائيل اذكروا» إذ كان البلاء يصرف عن أسلافكم، ويخف^(٢) بالصلاة على محمد وآله الطيبين، أفما تعلمون أنكم إذا شاهدتموهم فأنتم بهم كانت النعمة عليكم أعظم وأفضل، وفضل الله لديكم أجزل؟

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾: واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقاً ينقطع بعضه من بعض. ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾: هناك.

﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾: فرعون وقومه.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: إليهم وهم يغرقون، وذلك أن موسى لما انتهى إلى البحر أوحى

الله إليه قل لبني إسرائيل: جددوا توحيدى وأقروا بقلوبكم ذكر محمد سيّد عبيدي وإمامي وأعقدوا^(٣) على أنفسكم ولاية علي أخي محمد وآله الطيبين، وقلوا اللهم جوزنا على متن هذا الماء، فإن الماء يتحوّل لكم أرضاً، فقال لهم موسى ذلك، فقالوا: تورد علينا ما نكرهه وهل فررنا من فرعون إلا من خوف الموت؟ وأنت تقتحم بنا هذا الماء الغمر بهذه الكلمات

١- تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٢٤٣. ٢- وفي نسخة: [يخفف].

٣- وفي المصدر، وفي نسخة أخرى: [وأعيدوا].

وما يدرينا ما يحدث من هذه علينا؟ فقال لموسى كالب بن يوحنا وهو على دابة له وكان ذلك الخليج أربعة فراسخ: يا نبي الله، الله أمرك بهذا أن نقوله وندخل؟ قال: نعم، قال: وأنت تأمرني به؟ قال: بلى، فوقف وجدّد على نفسه من توحيد الله ونبوة محمد ﷺ وولاية علي والطيبين من آلهم ما أمره به، ثم قال: اللهم بجاههم جوّزني على متن الماء، ثم أقحم فرسه فركض على متن الماء وإذا الماء من تحته كأرض ليّنة حتّى بلغ آخر الخليج ثم عاد راكضاً، ثم قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل أطيعوا موسى فما هذا الدعاء إلّا مفتاح أبواب الجنان، ومغاليق أبواب النيران، ومستنزل الأرزاق والجالب على عباد الله وإمائه رضاء الرحمن المهيمن الخلاق، فأبوا وقالوا: نحن لا نسير إلّا على الأرض، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، وقل: اللهم صلّ على محمد وآله الطيبين لمّا فلقته، ففعل فانفلق وظهرت الأرض إلى آخر الخليج، فقال موسى: أدخلوها، قالوا: الأرض وحلة نحاف أن نرسب فيها، فقال الله تعالى: يا موسى قل: اللهم بحقّ محمد وآله الطيبين جفّفها، فقالها، فأرسل الله عليها ريح الصبا فجفّت، وقال موسى: أدخلوها، قالوا: يا نبي الله نحن اثنتا عشرة قبيلة بنو اثني عشر أباً، فإن دخلنا رام كلّ فريق منّا تقدّم صاحبه، ولا نأمن وقوع الشر بيننا، فلو كان لكل فريق منّا طريق على حدة لأمنّا ممّا نخافه، فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعددهم اثنتي عشرة ضربة في اثني عشر موضعاً إلى جانب ذلك، ويقول: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين بين لنا الأرض، وأمط^(١) الماء عنّا، فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً وجفّ قرار الأرض بريح الصبا، فقال: أدخلوها، قالوا: كلّ فريق منّا يدخل سكّة من هذه السكك، لا يدري ما يحدث على الآخرين، فقال الله عزّ وجلّ: فاضرب كلّ طود من الماء بين هذه السكك، فضرب، وقال: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لمّا جعلت في هذا الماء طيقاناً^(٢) واسعة يرى بعضهم بعضاً، ثم دخلوها فلمّا بلغوا آخرها جاء فرعون وقومه فدخل بعضهم فلمّا دخل آخرهم وهم بالخروج أولهم أمر الله تعالى البحر فانطبق عليهم فغرقوا، وأصحاب

١ - ماط: أي بعد وذهب. الصحاح: ج ٣، ص ١١٦٢، مادة «ميط».

٢ - الطاق: ما عطف من الأنبياء، والجمع: الطاقات والطيقان، فارسي معرّب. الصحاح: ج ٤، ص ١٥١٩.

وَإِذْ وَاعِدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾

موسى ينظرون إليهم، قال الله عز وجل لبني إسرائيل في عهد محمد ﷺ: فإذا كان الله فعل هذا كله بأسلافكم لكرامة محمد ﷺ ودعاء موسى، دعاء تقرب بهم أفما تعقلون إن عليكم الإيمان بمحمد وآله صلى الله عليهم إذ قد شاهدتموه الآن؟ (١).

﴿وَإِذْ وَاعِدْنَا مُوسَىٰ﴾: وقرئ: وعدنا بغير ألف.

﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾: كان موسى بن عمران يقول لبني إسرائيل: إذا فرج الله عنكم وأهلك أعداءكم أتيتكم بكتاب من ربكم يشتمل على أوامره، ونواهيه، ومواعظه، وعبره، وأمثاله، فلما فرج الله عنهم أمره الله عز وجل أن يأتي للميعاد ويصوم ثلاثين يوماً عند أصل الجبل وظن موسى أنه بعد ذلك يعطيه الكتاب، فصام ثلاثين يوماً فلما كان في آخر الأيام استاك قبل الفطر فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى أما علمت أن خلوف (٢) فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، صم عشرة آخر ولا تستك عند الإفطار، ففعل ذلك موسى فكان وعد الله عز وجل أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة، فأعطاه إياه فجاء السامري فشبهه على مستضعفي بني إسرائيل.

وقال: وعدكم موسى أن يرجع إليكم بعد أربعين ليلة، وهذه عشرون ليلة وعشرون يوماً تمت أربعون، أخطأ موسى ربه وقد أتاكم ربكم أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه فأظهر لهم العجل الذي كان

١ - تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

٢ - وفي نسخة: [خلوق]. والخلوف - بضم الخاء على الأصح، وقيل بفتحها -: هو رائحة الفم المستغفر، من قولهم خلف فم الصائم خلواً، من باب قعد: أي تغيرت رائحة فمه. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٥٣، مادة «خلف».

عمله فقالوا له: فكيف يكون العجل إنها؟ قال لهم: إنما هذا العجل يكلمكم منه ربكم كما كلم موسى من الشجرة، فالإله في العجل كما كان في الشجرة، فضلوا بذلك وأضلوا، فقال موسى: يا أيها العجل أكان فيك ربنا كما يزعم هؤلاء؟ فنطق العجل، وقال: عز ربنا عن أن يكون العجل حاوياً له أو شيء من الشجرة، والأمكنة عليه مشتملاً، لا والله يا موسى، ولكن السامري نصب عجلاً مؤخره إلى حائط، وحفر في الجانب الآخر في الأرض وأجلس فيه بعض مردته فهو الذي وضع فاه على دبره وتكلم بما تكلم لما قال: «هذا الإلهكم وإله موسى» يا موسى بن عمران ما خذل هؤلاء عبادتي واتخاذي إنها إلا لتهاونهم بالصلاة على محمد وآله الطيبين، وجحودهم لموالاتهم، ونبوة النبي ﷺ، ووصية الوصي، قال الله تعالى: فإذا خذل عبدة العجل بتهاونهم بالصلاة على محمد وعلي فما تخافون من الخذلان الأكبر في معاندتكم لهما، وقد شاهدتموهما وتبينتم آياتهما ودلائلها^(١)؟

والقمي: إن بني إسرائيل لما ذهب موسى إلى الميقات ليأتيهم بألواح التوراة، ووعدهم بالرجعة بعد ثلاثين يوماً فعندما انتهت الثلاثون يوماً ولم يرجع موسى إليهم جاءهم إبليس في صورة شيخ، وقال لهم: إن موسى قد هرب ولا يرجع إليكم أبداً فاجمعوا إلي حليكم حتى أتخذ لكم إلهاً تعبدونه، وكان السامري يوم أغرق الله فرعون وأصحابه على مقدمة موسى وهو من خيار من اختصه موسى، فنظر السامري إلى جبرئيل عليه السلام وهو على مركوب في صورة رمكة^(٢) فكانت كلما وضعت حافرهما على موضع من الأرض تحرك موضع حافرهما، فجعل السامري يأخذ التراب من تحت حافر رمكة جبرئيل عليه السلام فصره في صرة وحفظه وكان يفتخر به على بني إسرائيل، فلما اتخذ إبليس لهم العجل قال للسامري: هات التراب الذي عندك، فأتاه به، فألقاه في جوف العجل، فتحرك وخار ونبت له الوبر والشعر فسجد بنو إسرائيل للعجل، وكان عدد من سجد له سبعين ألفاً^(٣).

١- راجع تفسير العسكري عليه السلام ص ٢٤٨ - ٢٥٢.

٢- الرمك والرمكة - بالتحريك فيهما -: الأثني من البراذين. منه يبرئ.

٣- تفسير القمي: ج ٢، ص ٦١ - ٦٢.

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ
ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي عفونا عن أوائلكم عبادتهم العجل لعلكم يا أيها الكائنون في عصر محمد ﷺ من بني إسرائيل تشكرون تلك النعمة على أسلافكم، وعليكم بعدهم، وإنما عفا الله عز وجل عنهم لأنهم دعوا الله بمحمد وآله صلى الله عليهم وجددوا على أنفسهم الولاية بمحمد ﷺ وعلي وآلهما الطاهرين فعند ذلك رحمهم وعفا عنهم (١).

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: واذكروا إذ آتينا موسى التوراة المأخوذ عليكم الإيمان به والإتياد لما يوجبه.

﴿وَالْفُرْقَانَ﴾: آتيناه أيضاً فرّق ما بين الحقّ والباطل، وفرّق ما بين المحقّ والمبطل، وذلك أنّه لما أكرمهم الله بالكتاب والإيمان به أوحى الله إلى موسى هذا الكتاب قد أقرّوا به، وقد بقي الفرقان، فرق ما بين المؤمنين والكافرين، فجدد عليهم العهد به، فإني آليت على نفسي قسماً حقاً لا أتقبّل من أحد إيماناً ولا عملاً إلاّ به.

قال موسى: ما هو يا ربّ؟

قال الله: يا موسى تأخذ عليهم أنّ محمداً ﷺ خير النبيين، وسيّد المرسلين، وأنّ أخاه ووصيه عليّاً خير الوصيين، وأنّ أولياءه الذين يقيمهم سادة الخلق، وأنّ شيعته المنقادين له ولخلفائه نجوم الفردوس الأعلى وملوك جنّات عدن.

قال: فأخذ عليهم موسى ذلك، فمنهم من اعتقده حقاً، ومنهم من اعتقده (٢) بلسانه دون قلبه.

قال: فالفرقان: النور المبين الذي كان يلوح على جبين من آمن بمحمد وعلي

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ
الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ
عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

وعترتهما وشيعتهما، وفقده من جبين من أعطى ذلك بلسانه دون قلبه^(١).

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: أي لعلكم تعلمون أن الذي يشرف العبد عند الله هو اعتقاد
الولاية كما تشرف به أسلافكم.

وقيل: أريد بالكتاب: التوراة، وبالفرقان: المعجزات الفارقة بين المحق والمبطل في
الدعوى، وبالإهتداء: الإهتداء بتدبر الكتاب، والتفكر في الآيات^(٢).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾: واذكروا يا بني إسرائيل إذ قال موسى لقومه عبدة العجل.

﴿يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: أضررتهم بها.

﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾: الذي برأكم^(٣) وصوّركم.

قيل: فأعزموا على التوبة والرجوع إلى من خلقكم^(٤).

﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: يقتل بعضكم بعضاً، يقتل من لم يعبد العجل من عبده.

﴿ذَلِكَ﴾: ذلك القتل.

﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾: لأنه كفّارتكم فهو خير من أن تعيشوا في الدنيا ثم

تكونوا في النار خالدين.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: قبل توبتكم، قبل استيفاء القتل

١ - تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٦.

٣ - يعني من خلقكم برئاً من التفاوت مميّزاً بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة، وأصل تركّب برئ
٤ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٦ - ٥٧.

لجماعتكم، وقبل اتيانه على كافتكم وأمهلكم للتوبة واستبقاكم للطاعة، وذلك أن موسى عليه السلام لما أبطل الله عز وجل على يديه أمر العجل فأنطقه بالخبر عن تمويه السامري، وأمر موسى عليه السلام أن يقتل من لم يعبد من عبده، تبرأ أكثرهم، وقالوا: لم نعبد، ووشى بعضهم ببعض، فقال الله عز وجل لموسى عليه السلام: أبرد هذا العجل المذهب بالحديد برداً^(١) ثم ذره في البحر، فمن شرب ماءه اسودّ شفتاه وأنفه إن كان أبيض اللون، وبيضاً إن كان أسود وبان ذنبه، ففعل فبان العابدون فأمر الله الاثنى عشر ألفاً أن يخرجوا على الباقيين شاهرين السيوف ويقتلونها ونادى مناديه: ألا لعن الله أحداً اتقاهم بيد أو رجل، ولعن الله من تأمل المقتول لعلّه تبيّنه حميماً أو قريباً فيتعده إلى الأجنبي، فاستسلم المقتولون، فقال القاتلون: نحن أعظم مصيبة منهم، نقتل بأيدينا آباءنا وأبناءنا وإخواننا وقراباتنا، ونحن لم نعبد فقد ساوى بيننا وبينهم في المصيبة فأوحى الله إلى موسى: يا موسى إني إنما امتحتهم بذلك لأنهم ما اعتزلوهم لما عبدوا العجل، ولم يهجروهم، ولم يعادوهم على ذلك، قل لهم: من دعا الله بمحمد ﷺ وآله الطيبين يسهّل عليه قتل المستحقين للقتل بذنوبهم، فقالوها فسهّل عليهم ولم يجدوا لقتلهم ألماً، فلما استمر^(٢) القتل فيهم وهم ستمائة ألف إلا اثني عشر ألفاً وفق الله الذين عبدوا العجل بمثل هذا التوسّل، فتوسّلوا بهم واستغفروا لذنوبهم فأزال الله القتل عنهم^(٣).

والقمي: إن موسى لما رجع من الميقات وقد عبد قومه العجل، قال لهم بعد الغضب عليهم والعتب لهم: «توبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم»، قالوا: وكيف نقتل أنفسنا؟ قال لهم: ليعمد^(٤) كل واحد منكم إلى بيت المقدس ومع سيف أو سكّين فإذا صعدت المنبر تكونوا أنتم متلتّمين لا يعرف أحدكم صاحبه، فاقتلوا بعضكم بعضاً، فاجتمع الذين عبدوا العجل وكانوا سبعين ألفاً، فلما صلى بهم موسى عليه السلام وصعد المنبر أقبل بعضهم يقتل بعضاً حتى نزل الوحي: قل لهم يا موسى: ارفعوا القتل، فقد تاب الله عليكم، وكان قد قتل منهم عشرة آلاف^(٥).

١ - البرادة السحالة بالمهملتين، وهي فتات الذهب والفضّة، والمبرد بكسر الميم: السوهان. منه يورث. والسوهان: كلمة فارسيّة.

٢ - وفي نسخة: [استحزّ]، أي اشتد. منه يورث.

٣ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

٤ - وفي نسخة: [ليعد].

٥ - تفسير القمي: ج ١، ص ٤٧.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمْ الصَّيْقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ
مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾: قال أسلافكم.

﴿يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾: عياناً.

﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّيْقَةُ﴾: أخذتهم.

﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: وهم ينظرون إلى الصاعقة تنزل بهم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾: بسبب الصاعقة. أقول: قيّد البعث بالموت لأنّه قد يكون عن إغماء ونوم وفيه دلالة واضحة على جواز الرجعة التي قال بها أصحابنا نقلاً عن أئمتهم، وقد احتج بهذه الآية أمير المؤمنين عليه السلام على ابن الكواحين أنكرها كما رواه عنه الأصمغيني بن نباتة^(١).

والقمتي: وهذا دليل على الرجعة في أمة محمد صلى الله عليه وآله فإنه قال: لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا وفي أمتي مثله، يعني دليل على وقوعها^(٢).

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعل أسلافكم يشكرون الحياة التي فيها يتوبون ويقلعون وإلى ربهم ينيبون، لم يدم عليهم ذلك الموت فيكون إلى التار مصيرهم وهم فيها خالدون. وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إنهم السبعون الذين اختارهم موسى وصاروا معه إلى الجبل، فقالوا له: إنك قد رأيت الله فأرنا كما رأيته، فقال لهم إني لم أره، فقالوا له: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»^(٣)، ويأتي تمام القصة إن شاء الله تعالى في سورة الأعراف.

١ - البرهان في تفسير القرآن: ج ١، ص ١٠٠، ح ٣.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٤٧. ٣ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٠٠، ح ١، باب ١٥ - ذكر

مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

وَوَهَبْنَا لَكُمْ أَلْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ كُلُوا
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

وفي تفسير الإمام عليه السلام: إن موسى لما أراد أن يأخذ عليهم عهد الفرقان فرّق ما بين المحقّين والمبطلين لمحمّد عليه السلام بنبوّته ولعلي والأئمّة عليهم السلام بإمامتهم، قالوا: لن نؤمن لك إن هذا أمر ربك حتّى نرى الله عياناً يخبرنا بذلك، فأخذتهم الصاعقة معانيّة، فقال موسى عليه السلام للباقيين الذين لم يصعقوا: أتقبلون وتعترفون؟ وإلا فأنتم بهؤلاء لاحقون، فقالوا: لا ندري ما حلّ بهم فإن كانت إنّما أصابتهم لردّهم عليك في أمر محمّد عليه السلام وعلي عليه السلام فاسأل الله ربك بمحمّد وآله الطيبين أن يحييهم لنسألهم لماذا أصابهم ما أصابهم فدعا الله موسى عليه السلام فأحياهم فسألوه، فقالوا: أصابنا ما أصابنا لإبائنا اعتقاد إمامة علي عليه السلام بعد اعتقاد نبوّة محمّد عليه السلام لقد رأينا بعد موتنا هذا ممالك ربّنا من سماواته وحجبه وعرشه وكرسيّه وجنانه ونيرانه، فما رأينا أنفذاً أمراً في جميع الممالك وأعظم سلطاناً من محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأنا لما متنا بهذه الصاعقة ذهبنا إلى النيران فناداهم محمّد وعلي كفّوا عن هؤلاء عذابكم فإنّهم يحيون بمسألة سائل سأل ربّنا عزّ وجلّ بنا وبآلنا الطيبين، قال الله عزّ وجلّ لأهل عصر محمّد عليه السلام فإذا كان بالدعاء بمحمّد وآله الطيبين نشر ظلمة أسلافكم المصعوقين بظلمهم فإنّما يجب عليكم أن لا تتعرضوا المثل ما هلكوا به إلى أن أحياهم الله ^(١).

﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ أَلْعَمَامَ﴾: لما كنتم في التيه يقيكم من حرّ الشمس وبرد القمر.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾: الترنجيب كان يسقط على شجرهم فيتناولونه.

﴿وَالسَّلْوى﴾: السمانى أطيّب طير كان يسترسل بهم فيصطادونه.

وَإِذْ قُلْنَا أَذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾: قال الله تعالى: «كلوا»، والقمي: لما عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة، فقالوا: يا موسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظلَّ فيها ولا شجر ولا ماء فكانت تجيء بالنهار غمامة تظللهم من الشمس وتنزل عليهم بالليل المنّ فيأكلونه، وبالعشي يجيء طائر مشوي فيقع على موادهم فإذا أكلوا وشبعوا طار عنهم، وكان مع موسى عليه السلام حجر يضعه في وسط العسكر ثم يضربه بعصاه فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً فيذهب الماء إلى كل سبط، وكانوا اثنا عشر سبطاً فلما طال عليهم ملّوا، وقالوا: يا موسى «لن نصبر على طعام واحد»^(١).

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: لما بدّلوا وغيروا ما به أمروا، ولم يفوا بما عليه عوهدوا، لأن كفر الكافر لا يقدح سلطاننا وممالكنا كما أن إيمان المؤمن لا يزيد في سلطاننا.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: يضرون بها بكفرهم وتبديلهم.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام في قوله عز وجل: «﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾» قال: إن الله أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم، ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته حيث يقول: «﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾»^(٢) يعني الأئمة منا^(٣).

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾: واذكروا يا بني إسرائيل إذ قلنا لأسلافكم.

﴿أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: وهي إريحا من بلاد الشام، وذلك حين خرجوا من التيه.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: واسعاً بلا تعب.

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

﴿وَأَدْخُلُوا الْآبَابَ﴾: باب القرية.

﴿سُجِّدُوا﴾: مثل الله تعالى على الباب مثال محمد وعلي وأمرهم أن يسجدوا تعظيماً
لذلك، ويجددوا على أنفسهم بيعتهما وذكر موالاتهما، ويذكروا العهد والميثاق الأخوذين
عليهم لهما.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: وقولوا: سجدونا لله تعظيماً للمثال، واعتقادنا الولاية حِطَّةً
لذنوبنا، ومحو لسيئاتنا.

﴿تَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾: السالفة، ونزيل عنكم آثامكم الماضية، وقرئ بضم الياء
وفتح الفاء.

﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾: من لم يقارف منكم الذنب، وثبت على عهد الولاية ثواباً.
﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: لم يسجدوا كما أمروا، ولا
قالوا ما أمروا، بل دخلوها بأستاهم^(١)، وقالوا: ما معناه حنطة حمراء نتقوتها أحب إلينا من
هذا الفعل وهذا القول^(٢).

وفي موضع آخر من تفسير الإمام عليه السلام وكان خلافهم أنهم لما بلغوا الباب رأوا باباً
مرتفعاً قالوا: ما بالنا نحتاج أن نركع عند الدخول هاهنا ظننا أنه باب متظام^(٣) لا بد من

١ - الأس: العجز، ويراد به حلقة الدبر، والأصل: سَنَّةٌ بالتحريك، ولهذا يجمع على أستاذة مثل سبب وأسباب.
المصباح المنير: ص ٢٦٦. وسَنَّةٌ يفتح السين المهملة وفتح التاء الفوقانية، أصل الأستاذ جمعه أستاذة. منه يَنْزِلُ.

٢ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٦٠.

٣ - المتظام: المنخفض. قال صاحب القاموس: طَأْطَأَ رأسه: طامته وخفظه، القاموس المحيط: ج ١، ص ٢١.
مادة «طأطأ». وقال أيضاً في ضمن طمان ظهره: طامنه، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٤٥. مادة «طمن». منه يَنْزِلُ.
وفي لسان العرب: ج ٨، ص ٢٠٤. طامن ظهره: إذا حنى ظهره.

وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا
وَأَشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

الركوع فيه وهذا باب مرتفع، وإلى متى يسخر بنا هؤلاء يعنون موسى عليه السلام، ثم يوشع بن نون، ويسجدوننا في الأباطيل، وجعلوا أستاذهم نحو الباب، وقالوا بدل قولهم حطة ما معناه: حنة حمراء، فذلك تبديلهم (١).

﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: وبدلوا ما قيل لهم، ولم ينقادوا لولاية محمد صلوات الله عليه وآله، وعلي عليه السلام، وآلهما، قيل: كرهه مبالغة في تقييح أمرهم، وإشعاراً بأن الإنزال عليهم بظلمهم بوضع غير الأمور به موضعه، أو بظلمهم على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب هلاكها (٢).

﴿رَجِزاً مِّنَ السَّمَاءِ﴾: قيل: أي عذاباً مقدراً من السماء، وهو في الأصل لما يعاف عنه كالرجس (٣).

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: يخرجون من أمر الله وطاعته، والرجز الذي أصابهم أنه مات منهم بالطاعون في بعض يوم مائة وعشرون ألفاً، وهم الذين كان في علم الله أنهم لا يؤمنون، ولا يتوبون ولم ينزل على من علم أنه يتوب أو يخرج من صلبه ذرية طيبة.

والعياشي: عن الباقر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية: فبدل الذين ظلموا آل محمد صلوات الله عليهم حقهم غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمد صلوات الله عليهم حقهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون (٤).

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ﴾: واذكروا اذ استسقى.

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٤٥. ٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٨.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٨. ٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٥، ح ٤٩.

﴿مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾: طلب لهم السقيا لما عطشوا في التيه ضجّوا إليه بالبكاء.
﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: أي فضربه بها داعياً بمحمّد وآله الطيبين فانفجرت.

وفي المجمع^(١)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام نزلت ثلاثة أحجار من الجنّة: مقام إبراهيم، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأسود^(٢).

وفي الكافي^(٣)، والإكمال: عنه عليه السلام إذا خرج القائم عليه السلام من مكّة ينادي مناديه: ألا لا يحملن أحد طعاماً ولا شرباً، وحمل معه حجر موسى بن عمران وهو وقر^(٤) بعير، ولا ينزل منزلاً إلا انفجرت منه عيون، فمن كان جائعاً شبع، ومن كان ظمآنًا روى، ورويت دوابهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة^(٥).

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: كلّ قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب.

﴿مَشْرَبُهُمْ﴾: ولا يزاحم الآخرين في مشربهم.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: قال الله تعالى: «كلوا واشربوا».

﴿مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ﴾: الذي آتاكموه.

قيل: أي من المنّ، والسلوى، والماء^(٦).

﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: ولا تسعوا فيها وأنتم مفسدون عاصون،

قيل: هو من العثو بمعنى الإعتداء، ويقرب منه العيث، غير أنّه يغلب على ما يدرك بالحس^(٧).

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٠٣. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٤.

٣- الكافي: ج ١، ص ٢٣١، ح ٣.

٤- الورق - بالكسر -: الحمل. يقال: جاء يحمل وقره، وقد أقر بعيره. وأكثر ما يستعمل الورق في حمل البغل والحصار، والوسق في حمل البعير. الصحاح: ج ٢، ص ٨٤٨، مادة «ورق».

٥- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٧٠- ٦٧١، ح ١٧.

٦- قاله الزمخشري في تفسيره الكشف: ج ١، ص ١٤٤.

٧- قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٥٩.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا وَفُومِهَا
وَعَدْسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي
هُوَ خَيْرٌ أَحْبَبُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الَّذِلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾: وإذكروا إذ قال أسلافكم.

﴿يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَحِدٍ﴾: أي: المن، والسلوى، ولا بد لنا من

خلط معه.

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَائِهَا
وَفُومِهَا﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام ^(١)، والقمي: الفوم: الحنطة ^(٢). وقيل: هو الثوم ^(٣).

﴿وَعَدْسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾: أتستدعون الأدون؟
﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾: ليكون لكم بدلاً من الأفضل.

﴿أَحْبَبُوا﴾: من هذه التيه.

﴿مِصْرًا﴾: من الأمصار.

﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾: الجزية، والفقر.

﴿وَبَاءُ وَبَغْضَبٍ﴾: احتملوا الغضب، واللّعة.

﴿مَنْ أَلَّهِ﴾: أقول: يعني ورجعوا وعليهم الغضب كما يأتي في مثله في هذه

السورة، فالمذكور هنا محصل المعنى.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾:

بلا جرم منهم، إليهم ولا إلى غيرهم، وقرئ النبيين بالهمزة حيث وقع في سائر تصاريفها أجمع.

﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون أمر الله إلى أمر إبليس.

قيل: جرّم العصيان والإعتداء فيه إلى الكفر بالآيات، وقتل النبيين فإنّ صغار

الذنوب يؤدّي إلى كبارها كما إنّ صغار الطاعات تؤدّي إلى كبارها^(١).

وفي تفسير الإمام عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله يا عباد الله فاحذروا الإنهماك في المعاصي

والتهاون بها، فإنّ المعاصي يستولي بها الخذلان على صاحبها حتّى توقعه فيما هو أعظم

منها، فلا يزال يعصي ويتهاون ويخذل ويوقع فيما هو أعظم ممّا جنى حتّى توقعه في ردّ

ولاية وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع نبوة نبي الله، ولا يزال أيضاً بذلك حتّى توقعه في دفع

توحيد الله، والإلحاد في دين الله^(٢).

قيل: المراد بآيات الله: المعجزات والكتب المنزلة وما فيها من نعت نبينا صلى الله عليه وآله، وبقتل

النبيين: قتل شعيب، وزكريّا، ويحيى، وغيرهم^(٣).

وفي الكافي^(٤)، والعبّاشي: عن الصادق عليه السلام أنّه تلا هذه الآية، فقال: والله ما ضربوهم

بأيديهم، ولا قتلوهم بأسياهم، ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها، فقتلوا

فصار قتلاً واعتداءً ومعصية^(٥).

١- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٠. ٢- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٦٤.

٣- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٠.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٣٧١، ح ٦.

٥- تفسير العبّاشي: ج ١، ص ٤٥، ح ٥١.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَنْ
ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: بالله وبما فرض عليهم الإيمان به.

﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: اليهود.

﴿وَالنَّصَارَى﴾: الذين زعموا أنهم في دين الله متناصرون. وفي العيون: عن

الرضا عليه السلام إنهم من قرية اسمها ناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم، وعيسى بعد رجوعهما
من مصر (١).

﴿وَالصَّبِيَّانَ﴾: الذين زعموا أنهم صَبَّوْا إلى دين الله، وهم كاذبون.

أقول: صَبَّوْا أي: مالوا إن لم يهزم، وخرجوا: إن قرئ بالهمزة.

والقمتي: إنهم ليسوا من أهل الكتاب ولكنهم يعبدون الكواكب والنجوم (٢).

﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: منهم ونزع عن كفره.

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: في الآخرة

حين يخاف الفاسقون.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: إذا حزن المخالفون.

١ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٧٩، ح ١٠، باب ٣٢ - في ذكر ما جاء عن الرضا عليه السلام من العلل.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٤٨.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾: واذكروا إذ أخذنا.

﴿مِيثَاقَكُمْ﴾: عهدكم أن تعلموا بما في التوراة، وما في الفرقان^(١) الذي أعطيته موسى مع الكتاب، وتقرّوا بما فيه من نبوة محمد ﷺ ووصيه علي، والطيبين من ذريتهما، وأن تؤدّوه إلى أخلافكم قرناً بعد قرن، فأبىتم قبول ذلك واستكبرتموه.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾: الجبل أمرنا جبرئيل أن يقلع من جبل فلسطين^(٢) قطعة على قدر معسكر أسلافكم فرسخاً في فرسخ فقطعها، وجاء بها فرفعها فوق رؤوسهم. ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾: فقال لهم موسى: إمّا أن تأخذوا بما أمرتم به فيه، وإمّا أن ألقي عليكم هذا الجبل، فألجؤوا إلى قبوله كارهين إلّا من عصمه الله من العناد فإنّه قبله طائعاً مختاراً، ثمّ لما قبلوه سجدوا وعفّروا وكثير منهم عفر خديّه لا لإرادة الخضوع لله ولكن نظراً إلى الجبل هل يقع أم لا.

﴿بِقُوَّةٍ﴾: من قلوبكم ومن أبدانكم. في المحاسن^(٣)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عن هذه الآية أقوّة في الأبدان أم قوّة في القلوب؟ فقال: فيهما جميعاً^(٤).

﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾: من جزيل ثوابنا على قيامكم به وشديد عقابنا على إباءكم له.

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام واذكروا ما في تركه من العقوبة^(٥).

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لتتقوا المخالفة الموجبة للعقاب، فتستحقّوا بذلك الثواب.

١- وفي نسخة: [القرآن].

٢- فلسطين وفلسطين، قد يفتح فائهما: كورة بالشام، وبلدة بالعراق، تقول في حال الرفع: بالراو، وفي النصب والجر: بالياء، أو تلزمها الياء في كلّ حال، والنسبة فلسطيني. القاموس المحيط: ج ٢، ص ٣٧٨.

٣- المحاسن: ج ١، ص ٤٠٧، ح ٩٢٣ / ٣٢٥، باب ٣٣- النية.

٤- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٤٥، ح ٥٢.

٥- مجمع البيان: ج ١، ص ٢٨٨.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
 لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ
 فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا
 نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذْ
 قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا
 أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: يعني تولّى أسلافكم.

﴿مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: عن القيام به والوفاء بما عاهدوا عليه.

﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾: بإمهالكهم للتوبة، وإنظاركم للإنابة.

﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾: المغبونين.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾: لما اصطادوا السموك فيه.

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: مبعدين عن كلّ خير.

﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: أي المسخة التي أخزيناها ولعناهم بها.

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام فجعلنا الأمة ^(١).

﴿نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾: عقوبة لما بين يدي المسخة من ذنوبهم

الموبقات التي استحقّوا بها العقوبة، وردعاً للذين شاهدوهم بعد مسخهم، وللذين يسمعون
 بها من بعدها لكي يرتدعوا عن مثل أفعالهم.

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: وسيأتي قصّتهم في سورة الأعراف إن شاء الله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾: واذكروا إذ قال موسى.

﴿لَقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾: تضربون ببعضها هذا المقتول بين أظهركم ليقوم حيًّا سويًّا بإذن الله عزَّ وجلَّ، ويخبركم بقاتله وذلك حين ألقى القتل بين أظهركم فالزم موسى ﷺ أهل القبيلة بأمر الله أن يحلف خمسون من أمثالهم بالله القوي الشديد إنه بني إسرائيل مفضل محمد وآله الطيبين على البرايا أجمعين إنَّما ما قتلناه ولا علمنا له قاتلاً فإن حلفوا ذلك غرموا دية المقتول، وإن نكلوا نصَّوا على القاتل أو أقرَّ القاتل فيقاد منه، فإن لم يفعلوا حبسوا في محبس ضنك إلى أن يحلفوا أو يقرَّوا أو يشهدوا على القاتل، فقالوا: يا نبي الله أما وَقَّتْ إيماننا أموالنا، ولا أموالنا إيماننا، قال: لا، هذا حكم الله، وكان السبب إنَّ امرأةً حسناء ذات جمال وخلق كامل وفضل بارع، ونسب شريف، وستر ثخين، كثر خطاياها، وكان لها بنو أعمام ثلاثة فرضيت بأفضلهم علماً، وأثنهم سترًا وأرادت التزويج به فاشتدَّ حسد ابني عمِّه الآخرين له وغطاه عليها لا يثارها إيَّاه فعمداً إلى ابن عمِّها المرضي فأخذه إلى دعوتهما، ثم قتلاه وحمله إلى محلَّة تشتمل على أكثر قبيلة من بني إسرائيل، فألقياه بين أظهرهم ليلاً، فلمَّا أصبحوا وجدوا القتل هناك، فعرف حاله فجاء ابنا عمِّه القاتلان له فمزقاً على أنفسهما، وحثيا التراب على رؤسهما، واستعديا عليهما، فأحضرهم موسى ﷺ وسألهم فأنكروا أن يكونوا قتلوه وعلموا قاتله، فقال: فحكم الله عزَّ وجلَّ على من فعل هذه الحادثة ما عرفتموه فالتزموه، فقالوا: يا موسى أي نفع في إيماننا إذا لم تدرأ عنا الغرامة الثقيلة؟ أم أي نفع في غرامتنا إذا لم تدرأ عنا الإيمان؟ فقال موسى ﷺ: كلَّ النفع في طاعة الله، والإلتزام^(١) لأمره، والإنتهاء عمَّا نهى عنه، فقالوا: يا نبي الله غرم ثقیل ولا جناية لنا، وإيمان غليظة ولا حقَّ في رقابنا، لو أنَّ الله عزَّ وجلَّ عرفنا قاتله بعينه وكفانا مؤنته فادع لنا ربَّك أن يبين لنا هذا القاتل لينزل به ما يستحقُّه من العذاب وينكشف أمره لذوي الألباب، فقال موسى ﷺ: إنَّ الله قد بيَّن ما أحكم به في هذا، فليس لي أن أقترح عليه غير ما حكم، ولا أعترض عليه فيما أمر، ألا ترون أنَّه لما حرَّم العمل في يوم السبت، وحرَّم لحم الجمل لم يكن لنا أن نقترح عليه أن نغيِّر ما حكم به علينا من ذلك، بل علينا أن

نسلم له حكمه، ونلتزم ما ألزمناه، وهم بأن يحكم عليهم بالذي كان يحكم به على غيرهم في مثل حادثتهم، فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى: أجبهم إلى ما اقترحوا، وسلني أن أبين لهم القاتل ليقتل، ويسلم غيره من التهمة والغرامة، فأتى إنما أريد بإجابتهم إلى ما اقترحوا توسعة الرزق على رجل من خيار أمتك، دينه الصلاة على محمد وآله الطيبين والتفضيل لمحمد ﷺ وعلي بعده على سائر البرايا، وأغنيه في الدنيا في هذه القضية ليكون بعض ثوابه عن تعظيمه لمحمد ﷺ فقال موسى: يا رب بين لنا قاتله، فأوحى الله عز وجل إليه، قل لبني إسرائيل إن الله يبين لكم ذلك بأن يأمركم أن تذبحوا بقرة فتضربوا ببعضها المقتول فيحیی، أفتسلمون لرب العالمين ذلك، وإلا فكفوا عن المسألة والتزموا ظاهر حكمي فذلك ما حكى الله عز وجل «وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم» أي سيأمركم «أن تذبحوا بقرة» إن أردتم الوقوف على القاتل (١).

والقمي: عن الصادق عليه السلام إن رجلاً من خيار بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة منهم فأنعمت له، وخطبها ابن عم ذلك الرجل وكان فاسقاً فردته فحسد ابن عمه الذي أنعموا له فقد ردوه (٢) وقتله غيلة ثم حمله إلى موسى عليه السلام فقال: يا نبي الله إن هذا ابن عمي قد قتل، فقال: من قتله؟ قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً، فعظم قتل ذلك الرجل على موسى عليه السلام، فاجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا: ما ترى يا نبي الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة، وكان له ابن بار وكان عند ابنه سلعة، فجاء قوم يطلبون سلعته، وكان مفتاح بيته في تلك الحال تحت رأس أبيه، وهو نائم فكره ابنه أن ينتهه، وينغص عليه نومه، فانصرف القوم ولم يشترؤا سلعته، فلما انتبه أبوه قال: يا بني ما صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها لأن المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أزعجك من رقدتك وأنغص عليك نومك، قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عما فاتك من ربح سلعتك، وشكر الله للإبن ما فعل بأبيه،

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

٢ - هكذا في الأصل، وفي المصدر: «أنعموا له فقعد له فقتله». وفي نسخة: [ابن عمه الذي أنعمت إليه فرصده وقتله].

قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا
فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ
صَفْرَاءُ فَاقْعُ لُونُهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾

فأمر الله جلّ جلاله موسى ﷺ أن يأمر بني إسرائيل بذبح تلك البقرة بعينها، ليظهر قاتل ذلك الرجل الصالح، فلما اجتمع بنو إسرائيل إلى موسى وبكوا وضجّوا، قال لهم موسى: «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» فتعجبوا وقالوا: «أنتخذنا هزواً» نأتيك بقتيل فتقول اذبحوا بقرة^(١).
﴿قَالُوا﴾: يا موسى.

﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزْوَاً﴾: سخريةً تزعم أن الله يأمر بذبح^(٢) بقرة وتأخذ قطعة من ميت وتضرب بها ميتاً فيحیی أحد الميتين بملاقة بعض الميت له فكيف يكون هذا؟ وقرئ بإسكان الزاي وبغير همز.

﴿قال﴾: موسى.
﴿أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾: أنسب إلى الله ما لم يقل لي أعارض أمر الله بقياسي على ما شاهدت دافعاً لقول الله عز وجل وأمره، ثم قال موسى: أوليس ماء الرجل نقطة ميتة وماء المرأة كذلك ميتان يلتقيان فيحدث الله من الالتقاء الميتين بشراً حياً سويّاً؟ أوليس بذوركم التي تزرعونها في أرضكم تتفسخ في أرضكم وتتعفّن، وهي ميتة، ثم يخرج منها هذه السنابل الحسنة البهيجة، وهذه الأشجار الباسقة المونقة فلما بهرهم موسى^(٣).

﴿قَالُوا أَذْعُ لَنَا رَبُّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ﴾: ما صفتها لنقف عليها؟ وفي رواية

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٤٩.

٢ - في المصدر: «بأمرنا أن نذبح بقرة». وفي نسخة: [يأمر أن نذبح بقرة ونأخذ قطعة من ميت ونضرب بها].

٣ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا
وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾

القَمِي: فعلموا أَنَّهُم قد أخطأوا^(١).

﴿قَالَ إِنَّهُ﴾: إِنَّ اللَّهَ.

﴿يَقُولُ﴾: بعدما سأل رَبَّهُ.

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾: لا كبيرة.

﴿وَلَا بِكَرٌّ﴾: ولا صغيرة.

﴿عَوَانٌ﴾: وسط.

﴿بَيِّنَ ذَلِكَ﴾: بين الفارض والبكر.

﴿فَفَاعَلُوا مَا تَوَمَّرُونَ﴾: إذا أمرتهم به.

﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا﴾: أي لون هذه البقرة التي تريد أن تأمرنا

بذبحها.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ﴾: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ.

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾: حسنة الصفرة ليس بناقص يضرب إلى

البياض، ولا بمشبع يضرب إلى السواد.

﴿تَسَرُّ النَّظِيرِينَ﴾: إليها لبهجتها وحسنها وبريقها.

﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾: ما صفتها يزيد في صفتها.

﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾: وفي الحديث النبوي:

لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الأبد^(٢).

قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي
الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ
فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: لم تذلل لاثارة الأرض، ولم
تَرْض بها.

﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾: ولا هي مما تجرّ به الدلاء للزرع، ولا تدير النواير، قد
أعفيت من ذلك أجمع.
﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: من العيوب كلها.

﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾: من غيرها، في العيون^(١)، والعياشي: عن الرضا عليه السلام لو عمدوا إلى
أي بقرة أجزأهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم^(٢).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: فلما سمعوا هذه الصفات، قالوا: يا موسى أفقد أمرنا ربنا
بذبح بقرة هذه صفتها؟ قال: بلى، ولم يقل موسى في الابتداء: إن الله قد أمركم، بل قال:
يأمركم، لأنه لو قال: إن الله أمركم لكانوا إذ قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما هي وما لونها؟
كان لا يحتاج أن يسأله ذلك عز وجل، ولكن كان يجيبهم هو بأن يقول: أمركم ببقرة فأى
شيء وقع عليه اسم البقرة فقد خرجتم من أمره إذا ذبحتموها، فلما استقر الأمر عليهم طلبوا
هذه البقرة فلم يجدوها إلا عند شاب من بني إسرائيل أراه الله في منامه محدداً وعلياً
وطيباً ذريتهما عليهما السلام فقالا له: إنك كنت لنا محبباً مفضلاً، ونحن نريد أن نسوق إليك بعض
جزائك في الدنيا، فإذا راموا شراء بقرتك فلا تبعها إلا بأمر أمك فإن الله يلقنها ما يفتيك به

١ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٣، ح ٣١، باب ٣٠ - ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المنثورة. وفيه:
«أي بقرة أجزأتهم».

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٦، ح ٥٧.

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٧٧﴾

وعقبك، ففرح الغلام، وجاء القوم يطلبون بقرته فقالوا بكم تبيع بقرتك هذه؟ قال: بدينارين والخيار لأُمِّي، قالوا: رضينا بدينار، فسألها، فقالت: بأربعة، فأخبرهم، فقالوا: نعطيك دينارين، فأخبر أمه، فقالت: ثمانية، فمازالوا يطلبون النصف^(١) ممّا تقول أمه ويرجع إلى أمه، فتضعف الثمن حتّى بلغ ثمنها ملئ مسك ثور أكبر ممّا يكون ملئ دنانير فأوجبت لهم البيع ثم ذبحوها^(٢).

﴿قَالُوا أَلَشَّنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾: في رواية القمّي: عرفناها هي بقرة فلان، فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلّا بملئ جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى فأخبروه، فقال لهم موسى: لا بدّ لكم من ذبحها بعينها، فاشتروها بملئ جلدها ذهباً^(٣).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: إنه بلغ خمسمائة ألف ألف دينار^(٤).

﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾: فأرادوا أن لا يفعلوا ذلك من عظم ثمن البقرة، ولكن اللّجاج حملهم على ذلك، واتهامهم موسى حداهم عليه.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا﴾: اختلفتم وتدارأتم، ألقى بعضكم ذنب القتل على بعض، وأدراه عن نفسه وذويه.

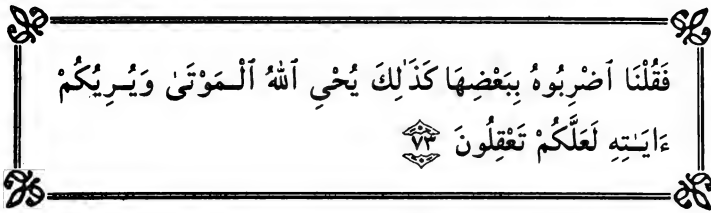
﴿وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾: من خير القاتل وإرادة تكذيب موسى

١- هكذا في الأصل، وفي المصدر ونسخة أخرى: [على النصف].

٢- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٧-٢٧٨.

٣- تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٠.

٤- هكذا في الأصل. والصحيح: خمسة آلاف ألف دينار. كما ورد في المصدر. تفسير الإمام العسكري عليه السلام:



بإقتراحكم عليه ما قدّرتُم أن ربّه لا يجيبه إليه.

﴿قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾: اضربوا الميت ببعض البقرة ليحيى، وقولوا له: من

قتلك؟ فأخذوا الذنب وضربوه به.

والعياشي: عن الرضا عليه السلام إن الله أمرهم بذبح بقرة، وإنما كانوا يحتاجون بذنبها

فشدّدوا فشدد الله عليهم ^(١).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: أخذوا قطعة وهي عجز ^(٢) الذنب الذي منه خلق ابن آدم،

وعليه يركب إذا أعيد خلقاً جديداً، فضربوا بها، وقالوا: اللهم بجاه محمّد وعليّ والطيبين من

آلهما ^(٣) لما أحيت هذا الميت، وأنطقته ليخبر عن قاتله، فقام سالماً سوياً، وقال يا نبي الله

قتلني هذان ابنا عمّي حسداني على بنت عمّي فقتلاني، وألقياني في محلّة هؤلاء ليأخذوا

ديّتي، فأخذ موسى الرجلين فقتلهما ^(٤).

وفي رواية القميّ: ابن عمّي فلان بن فلان الذي جاء به ^(٥).

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٧، ح ٥٨. وفيه: «يحتاجون إلى ذنبها».

٢ - عجز الذنب، ويقال: عجب الذنب بالتسكين، وهو العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز. وفي الحديث

النبي: «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب»، وكأنّه كناية عما يقوم به البدن. منه عليه السلام. راجع الجامع الصغير:

ج ٢، ص ٢٧٥، ح ٦٢٧٠. وفيه: «كل ابن آدم يأكله التراب...»، وفي مصابيح السنة: ج ٣، ص ٥٢٢، ح

٤٢٧٦: «وليس من الإنسان شيء لا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب...».

٣ - هكذا في الأصل. وفي المصدر ونسخة أخرى: [بجاه محمّد وآله الطيبين لما].

٤ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٧٨.

٥ - هكذا في الأصل، وفي نسخة: [قتلني ابن عمّي فلان بن فلان]. وفي المصدر: «قالوا من قتلك يا فلان؟

فقال: فلان بن فلان ابن عمّي الذي جاء به». تفسير القميّ: ج ١، ص ٥٠.

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾: في الدنيا والآخرة كما أحى الميت بملاقاة ميت آخر له أما في الدنيا، فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحيي الله الذي كان في الأصلاب والأرحام حياً، وأما في الآخرة: فإن الله ينزل بين نفختي الصور بعد ما ينفخ النفخة الأولى من دوين^(١) السماء من البحر المسجور الذي قال الله: «وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ»^(٢) وهو^(٣) مني كمني الرجال فيمطر ذلك على الأرض فيلقى^(٤) الماء المني مع الأموات البالية، فينبتون من الأرض ويحييون.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: سوى هذه من الدلالات على توحيده، ونبوة موسى، وفضل محمد ﷺ وآله عليه السلام على سائر خلق الله أجمعين.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: وتفكّرون أنّ الذي يفعل هذه العجائب لا يأمر الخلق إلا بالحكمة، ولا يختار محمداً وآله عليه السلام إلا لأنهم أفضل أولي الأبواب^(٥).

وقيل: لكي يكمل عقلكم وتعلموا أنّ من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلّها^(٦).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: إنّ المقتول المنشور توّسل إلى الله سبحانه بمحمد وآله أن يقيه في الدنيا متمتعاً بآبنة عمّه، ويجزي عنه^(٧) أعداءه، ويرزقه رزقاً كثيراً طيباً فوهبه الله له سبعين سنة بعد أن كان قد مضى عليه ستون سنة، قبل قتله صحيحة حواسه فيها قوّة شهواته، فتمتّع بحلال الدنيا وعاش ولم يفارقها ولم تفارقه، ومات جميعاً معاً، وصارا إلى الجنة، وكانا زوجين فيها ناعمين^(٨).

وإن أصحاب البقرة ضجّوا إلى موسى، وقالوا: افتقرت القبيلة وانسلخنا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا، فأرشدهم موسى عليه السلام إلى التوسّل بنبيّنا وآله عليه السلام، فأوحى الله إليه ليذهب

١- دوين: مصفّر دون. وهو نقيض فوق. منه نيز. ٢- الطور: ٦.

٣- في المصدر ونسخة أخرى: [وهي]. ٤- وفي نسخة: [فيلتي].

٥- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٨٢ - ٢٨٣، وفيه: «أفضل ذوي الأبواب».

٦- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٣.

٧- وفي نسخة: [يجزي]. ٨- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٨٠.

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ
قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا
لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

رؤسأوهم إلى خربة بني فلان، ويكشفوا عن موضع كذا ويستخرجوا ما هناك، فإنه عشرة آلاف ألف دينار، ليردوا على كل من دفع في ثمن هذه البقرة ما دفع لتعود أحوالهم على ما كانت، ثم ليتقاسموا بعد ذلك ما يفضل، وهو خمسة آلاف ألف دينار على قدر ما دفع كل واحد منهم في هذه المحنة، كذا في نسخة من تفسير الإمام عليه السلام ليتضاعف أموالهم جزاء على توصلهم بمحمد وآله عليه السلام واعتقادهم لتفضيلهم^(١).

﴿ثُمَّ قَسَتْ﴾: غلظت، وجفت، ويبست من الخير والرحمة.

﴿قُلُوبُكُمْ﴾: معاشر اليهود.

﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾: من بعد ما تبينَت الآيات الباهرات في زمن موسى عليه السلام، والمعجزات التي شاهدتموها من محمد ﷺ.

﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾: اليابسة لا يترشح برطوبة ولا ينتفض^(٢) منها ما يستنفع به

أي أنكم لا حق الله تؤدون، ولا من أموالكم ولا من مواشيها تتصدقون، ولا بالمعروف تنكرومون وتجودون، ولا الضيف تقرون^(٣) ولا مكروباً تغيثون، ولا بشيء من الإنسانية

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٨١ - ٢٨٢.

٢ - نفضت الثوب والشجر أنفضه نفضاً، إذا حركته لينتفض. والنفض بالتحريك: ما تساقط من الورق والثمر. الصحاح: ج ٣، ص ١١٠٩، مادة «نفض».

٣ - وقرئت الضيف قرئ، مثال قليتة قلئ، وقرأ: أحسنت إليه. إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت. الصحاح: ج ٦، ص ٢٤٦١.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ
كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^{٧٥}

تعاشرون وتعاملون.

﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾: أبهم على السامعين أولاً، ثم بين ثانياً إن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة بقوله:

﴿وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾: فيجيء بالخير والنبات لبني آدم.
﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾: وهو ما يقطر منه الماء دون الأنهار، وقلوبكم لا يجيء منها الكثير من الخير ولا القليل.

﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: إذا أقسم عليها باسم الله وبأسماء أوليائه محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: بل عالم بها يجازيكم بالعدل، وقرئ بالياء.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾: يا محمد ﷺ أنت وأصحابك.

﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: هؤلاء اليهود، ويصدقكم بقلوبهم.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: طائفة من أسلافهم.

﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾: في أصل جبل طور سيناء، وأوامره ونواهيته.

﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾: عما سمعوه إذا أدّوه إلى من ورائهم من سائر بني إسرائيل.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه بعقولهم.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم في تقولهم كاذبون، قيل: معنى الآية إن أحبار هؤلاء

ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم؟^(١).

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضُهِمْ إِلَى
بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ
عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: كسلمان، وأبي ذر، ومقداد.

﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾: كإيمانكم، وأخبروهم بما بين الله لهم من الدلالات على نعت

محمد ﷺ.

﴿وَإِذَا خَلَا بِغَضُهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾: أي كباروهم أي شيء صنعتم؟

﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: من الدلالات الواضحة على صدقه.

﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: بأنكم قد علمتم هذا وشاهدتموه فلم لم تؤمنوا به

ولم تطيعوه؟ وقد رأوا بجهلهم أنهم إن لم يخبروهم بتلك الآيات لم تكن لهم عليه حجة في
غيرها.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: إن هذا الذي تخبرونهم به حجة عليكم عند ربكم.

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾: هؤلاء القائلون لإخوانهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم.

﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾: من عداوة محمد ﷺ وإن إظهارهم الإيمان به أمكن

لهم من اصطلامه وإبادة أصحابه.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: من الإيمان به ظاهراً ليونسوهم ويقفوا به على أسرارهم،

ويذيعوها بحضرة من نصرهم^(١).

١- هكذا في الأصل، وفي المصدر ونسخة أخرى: [يضرهم].

وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَظُنُّونَ

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾: لا يقرأون الكتاب، ولا يكتبون، والأُمِّي: منسوب إلى الأم أي هو كما خرج من بطن أمه لا يقرأ ولا يكتب.

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾: المنزل من السماء، ولا المكذّب به لا يميزون بينهما.
﴿إِلَّا أَمَانِي﴾: إلّا أن يقرأ عليهم ويقال لهم: هذا كتاب الله وكلامه لا يعرفون إنّ ما قرئ من الكتاب خلاف ما فيه.

أقول: هو استثناء منقطع، يعني إلّا ما يقدرونه في أنفسهم من منى أخذوها تقليداً من المحرّفين للتوراة واعتقدوها ولم يعرفوا أنّه خلاف ما في التوراة.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: ما يقلّدونه من رؤسائهم مع أنّه محرّم عليهم تقليدهم، قال ﷺ: قال رجل للصادق ﷺ: فإذا كان هؤلاء العوامّ من اليهود لا يعرفون الكتاب إلّا بما يسمعون من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره فكيف ذمّهم بتقليدهم؟ والقبول من علمائهم وهل عوامّ اليهود إلّا كعوامنا يقلّدون علماءهم؟ فإن لم يجز لأولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم، فقال ﷺ: بين عوامنا وعلمائنا وبين عوامّ اليهود وعلمائهم فرق من جهة، وتسوية من جهة، أمّا من حيث استتوا فإنّ الله قد ذمّ عوامنا بتقليدهم علماءهم كما قد ذمّ عوامّهم، وأمّا من حيث افترقوا فلا، قال: بين لي ذلك يابن رسول الله ﷺ قال: إنّ عوامّ اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح^(١)، وبأكل الحرام والرشا وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات^(٢)، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وأنهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصّبوا عليه، وأعطوا ما

١- هكذا في الأصل والمصدر. وفي نسخة أخرى: [الصريح].

٢- المصانعة: الرشوة، والمداينة، والمدارة. منه يتعلّق.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ أَلْكِتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ
أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

لا يستحقّه من تعصّبوا له من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم يقارفون المحرّمات واضطّروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يصدّق على الله، ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله، فلذلك ذمّمهم لما قلّدوا من قد عرفوا، ومن قد علموا أنّه لا يجوز قبول خبره، ولا تصديقه في حكايته، ولا العمل بما يؤدّيه إليهم عمّن لم يشاهدوه، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله ﷺ إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى، وأشهر من أن لا تظهر لهم، وكذلك عوامّ أمّتنا إذا عرفوا من فقهاءهم الفسق الظاهر، والعصبية الشديدة، والتكالب^(١) على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصّبون عليه، وإن كان لإصلاح أمره مستحقاً وبالترقّب بالبرّ والإحسان على من تعصّبوا له، وإن كان للإذلال والإهانة مستحقاً فمن قلّد من عوامّنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمّمهم الله بالتقليد لفسقة فقهاءهم، فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلّا في بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فإنّ من يركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً ولا كرامة لهم^(٢).

﴿فَوَيْلٌ﴾: شدة من العذاب في أسوء بقاع جهنّم.

﴿لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ أَلْكِتَبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾: يحرفون من أحكام التوراة.

﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: وذلك أنّهم كتبوا صفة زعموا أنّه صفة

وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ
 اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا
 تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

النبي ﷺ وهو خلاف صفته، وقالوا للمستضعفين: هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان
 إنه طويل عظيم البدن والبطن أصهب^(١) الشعر، ومحمد ﷺ بخلافه، وإنه يجيء بعد هذا
 الزمان بخمسائة سنة^(٢).

﴿لَيْشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: لتبقى لهم على ضعفائهم رياستهم، وتدوم^(٣) لهم منهم
 إصاباتهم، ويكفوا أنفسهم مؤونة خدمة رسول الله ﷺ.

﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: يعني المحرف.

﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾: شدة من العذاب ثانية مضافة إلى الأولى.

﴿مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾: من الأموال التي يأخذونها إذا ثبتوا عوامتهم على الكفر.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾: لما قال لهم ذووا أرحامهم: لم

تفعلون هذا النفاق الذي تعلمون أنكم به عند الله مسخوط عليكم معذبون؟ أجابهم هؤلاء
 اليهود: بأن مدة العذاب الذي نعذب به لهذه الذنوب أيام معدودة وهي التي عبدنا فيها العجل
 وهي تنقضي ثم نصير بعده في النعمة في الجنان ولا نستعمل^(٤) المكروه في الدنيا للعذاب
 الذي هو بقدر أيام ذنوبنا فإنها تفني وتنقضي ونكون قد حصلنا لذات الحرية من الخدمة

١ - الصبهة: الشقرة في شعر الرأس. الصحاح: ج ١، ص ١٦٦. والشقرة: لون الأشقر، وهي في الإنسان خفرة
 صافية وبشرته مائلة إلى البياض. الصحاح: ج ٢، ص ٧٠١.

٢ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٢.

٣ - أي تدوم للرؤساء «منهم» أي من ناحية الضعفاء إصابتهم. أي مقاصدهم وحوائجهم وأمانيتهم، والمراد
 بالضعفاء: الضعفاء في الرأي. منه يفر.

٤ - وفي نسخة: [ولا نستعمل].

بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾

ولذات نعمة الدنيا، ثم لا نبالي بما يصيبنا بعد فإنه إذا لم يكن دائماً فكأنه قد فنى.

﴿قُلْ﴾: يا محمد.

﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾: إن عذابكم على كفركم منقطع غير دائم.

﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾: يعني: إن اتخذتم عهداً فلن يخلف الله عهده.

﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: اتخذتم عهداً؟ أم تقولون؟ بل أنتم في

أيهما إدعيتهم كاذبون، إذ ما هو إلا عذاب دائم لا نفاذ له^(١).

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾: وقرئ خطيئاته بالجمع، قيل:

أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه^(٢).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: السيئة المحيطة به: أن تخرجه عن جملة دين الله، وتنزعه

عن ولاية الله، ولا تؤمنه من سخط الله، وهي الشرك بالله والكفر به، ونبوة محمد ﷺ،

وولاية علي عليه السلام وخلفائه عليهم السلام، كل واحدة من هذه سيئة تحيط به، أي تحيط بأعماله

فتبطلها وتمحقها^(٣).

قيل: وتحقيق ذلك إن من أذنب ذنباً ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله، والإنهماك

فيه، وارتكاب ما هو أكبر منه حتى يستولى عليه الذنب، ويأخذه بمجامع قلبه فيصير بطبعه

مائلاً إلى المعاصي مستحسناً إياها، معتقداً أن لالذة سواها، مبغضاً لمن يمنعه عنها، مكذباً لمن

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٦.

٣ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِأَلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ
مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

ينصحه فيها، كما قال الله تعالى: «ثُمَّ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ أُسْتُوْا الشُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» (١)(٢).

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: أي عاملوا (٣) هذه السيئة المحيطة.

﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لأن نياتهم في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، فبالنَّيَاتِ خلدوا، كذا في الكافي عن الصادق عليه السلام (٤).

وفي التوحيد: عن الكاظم عليه السلام لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر، والجحود، وأهل الضلال، والشرك (٥).

وفي الكافي: عن أحدهما عليه السلام قال: إذا جحدوا إمامة أمير المؤمنين عليه السلام فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٦).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾ * وَإِذْ أَخَذْنَا: واذكروا إذ أخذنا.

١- الروم: ١٠. ٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٦٦.

٣- هكذا في الأصل، والأصح «عاملو» اسم مضاف إلى ما بعده - هذه السيئة المحيطة - وليس بفعل.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٨٥، ح ٥، باب النية. ٥- التوحيد: ص ٤٠٧، ح ٦.

٦- الكافي: ج ١، ص ٤٢٩، ح ٨٢.

﴿مِثْقَ بَنَىٰ آسَرَ ٖلَ﴾: عهدهم المؤكّد عليهم.

أقول: وهو جار في أخلافهم لما أدّى إليهم أسلافهم قرناً بعد قرن، وجار في هذه الأمة أيضاً كما يأتي بيانه في ذي القربى.

﴿لَا تَعْبُدُونْ﴾: وقرئ بالياء.

﴿إِلَّا اللَّهَ﴾: لا تشبهوه بخلقه ولا تجوزوه^(١) في حكمه، ولا تعملوا ما يراد به وجهه

تريدون به وجه غيره.

قال: قال رسول الله ﷺ: «من شغلته عبادة الله عن مسألته أعطاه الله أفضل ما يعطي

السائلين»^(٢).

وقال الصادق عليه السلام: ما أنعم الله على عبد أجلّ من أن لا يكون في قلبه مع الله غيره^(٣).

﴿وَبِالْوَلَدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: وإن تحسنوا بهما إحساناً مكافأةً على إنعامهما عليهم،

وإحسانهما إليهم، واحتمال المكروه الغليظ فيهم لترفيههم.

وفي الكافي: سئل الصادق عليه السلام ما هذا الإحسان؟ قال: أن تحسن صحبتهم، وأن لا

تكلفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين أليس^(٤) الله يقول: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ»^{(٥)(٦)}.

وفي تفسير الإمام عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: أفضل والديكم، وأحقّهما بشكركم

محمد ﷺ وعلي عليه السلام^(٧).

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي أبوا هذه الأمة،

١- وفي نسخة: [تجوزوه].

٢- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٧.

٣- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٨.

٤- لعله وجه الاستشهاد بالآية: إنّ ممّا يجب الإنسان لنفسه الرفاهيّة والدعة، وفراغ البال ممّا يهمله، ورعاية حال الوالدين بحيث لا يسألاه شيئاً ممّا يحتاجان إليه، وإن كانا مستغنيين لا يقتضي تفقد حالهما في كل حال، والإهتمام بشأنهما في جميع الأحوال فهذا اتفاق مما يجب. منه يورث.

٥- آل عمران: ٩٢.

٦- الكافي: ج ٢، ص ١٥٧، ح ١، باب البرّ بالوالدين.

٧- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٣٠.

ولحقنا عليهم أعظم من حق أبوي ولادتهم، فإننا ننقذهم إن أطاعونا من النار إلى دار القرار، ونلحقهم من العبودية بخيار الأحرار^(١).

أقول: ولهذه الأبوة صار المؤمنون إخوة كما قال الله عز وجل: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»^(٢).

﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾: وأن تحسنوا بقربائهما لكرامتهما، وقال: أيضاً هم قرباتك من أبيك وأمك، قيل: لك أعرف حقهم كما أخذ العهد به على بني إسرائيل، وأخذ عليكم، معاصر أمة محمد ﷺ بمعرفة حق قربات محمد الذين هم الأئمة بعده، ومن يليهم بعد من خيار أهل دينهم، قال رسول الله ﷺ من رعى حق قربات أبويه أعطي في الجنة ألف ألف درجة، ثم فسر الدرجات، ثم قال: ومن رعى حق قربي محمد وعلي أوتي من فضائل الدرجات وزيادة المثوبات على قدر زيادة فضل محمد ﷺ وعلي ﷺ على أبوي نسبه^(٣).

﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾: الذين فقدوا آباءهم الكافرين لهم أمورهم السائقين إليهم قوتهم وغذائهم المصلحين لهم معاشهم، قال ﷺ: وأشد من يتم هذا اليتيم من يتم عن إمامه لا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يتبلى به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى حدثني بذلك أبي، عن آباءه، عن رسول الله ﷺ^(٤).

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: هو سكن من الضر، والفقير: حركته، قال: ألا فمن واساهم بحواشي ماله وسع الله عليه جناحه وأناله غفرانه ورضوانه، ثم قال ﷺ: إن من محبي محمد مساكين مواساتهم أفضل من مواساة مساكين الفقر، وهم الذين سكنت جوارحهم، وضعفت قواهم عن مقابلة^(٥) أعداء الله الذين يعيرونهم بدينهم، ويسفهون أحلامهم ألا فمن قواهم بفقهه وعلمه حتى أزال مسكنتهم، ثم سلطهم على الأعداء الظاهرين من النواصب، وعلى

١- تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٣٣٠. ٢- الحجرات: ١٠.

٣- تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

٤- تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٣٣٩. ٥- وفي المصدر ونسخة أخرى: [مقاتلة].

الأعداء الباطنين إبليس ومردته حتى يهزموهم عن دين الله، ويذودوهم عن أولياء آل رسول الله حول الله تعالى تلك المسكنة إلى شياطينهم، وأعجزهم عن إضلالهم، قضى الله بذلك قضاءً حقاً على لسان رسول الله ﷺ^(١).

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾: الذين لا مؤونة لهم عليكم.

﴿حُسْنًا﴾: وقرئ بفتحيتين، عاملوهم بخلق جميل، قال: قال الصادق عليه السلام: «قولوا للناس حسناً» كلهم مؤمنهم ومخالفهم، أما المؤمنون فييسط لهم وجهه، وبشره، وأما المخالفون فيكلمهم بالمدارة لاجتذابهم إلى الإيمان، فإن يئأس من ذلك، يكف ضرورهم عن نفسه وإخوانه المؤمنين^(٢).

ثم قال عليه السلام: إن مداراة أعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه، وكان رسول الله ﷺ في منزله إذ استأذن عليه عبدالله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله ﷺ: بئس أخو العشيرة أئذنوا له، فلما دخل أجلسه وبشر في وجهه فلما خرج قالت له عائشة: يا رسول الله ﷺ قلت فيه ما قلت، وفعلت فيه من البشر ما فعلت، فقال رسول الله ﷺ: يا عويش يا حميراء إن شر الناس عند الله يوم القيامة من يكرم اتقاء شره^(٣).

وفي الكافي^(٤)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام في هذه الآية: «قولوا للناس حسناً» أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعان السبّاب الطعان على المؤمنين المتفحش السائل الملحف^(٥)، ويحب الحيي الحليم الضعيف المتعفف^(٦).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: لا تقولوا إلا خيراً حتى تعلموا ما هو^(٧).

وفيه^(٨)، وفي التهذيب^(٩)، والخصال عنه^(١٠)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: أنها نزلت

١- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٤٦. ٢- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

٣- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٥٤. ٤- الكافي: ج ٢، ص ١٦٥، ح ١٠.

٥- الحنف في المسألة يلحف إلحافاً: إذا ألح فيها ولزمها. منه يفر.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٨، ح ٦٣. ٧- الكافي: ج ٢، ص ١٦٤، ح ٩.

٨- الكافي: ج ٥، ص ١٠، ح ٢. ٩- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٣٦، ح ٢٣٠.

١٠- الخصال: ص ٢٧٥، ح ١٨، باب بعث الله النبي ﷺ بخمسة أسياف.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

في أهل الذمة ثم نسخها قوله تعالى: «فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» (٢)(١).

والقَمِّي: نزلت في اليهود ثم نسخت بقوله تعالى: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» (٣)(٤).

أقول: إن قيل: فما وجه التوفيق بين نسخها، وبقاء حكمها؟ قلنا: إنما نسخت في حق اليهود وأهل الذمة الأمور بقتالهم وبقي حكمها في سائر الناس.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: بإتمام ركوعها، وسجودها وحفظ مواقيتها وأداء حقوقها التي إذا لم تؤد لم يتقبلها ربّ الخلائق، أتدرون ما تلك الحقوق؟ هو اتباعها بالصلاة على محمد وعلي وآلهما منطويًا على الاعتقاد بأنهم أفضل خيرة الله، والقوام بحقوق الله، والنصارى لدين الله.

قال عليه السلام: وأقيموا الصلاة على محمد وآله عند أحوال غضبكم، ورضاكم، وشدتكم، ورخاكم، وهمومكم المعلقة بقلوبكم (٥).

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: من المال، والجاه، وقوة البدن.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أيها اليهود عن الوفاء بالعهد الذي أداه إليكم أسلافكم.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾: عن ذلك العهد تاركين له غافلين عنه.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٨، ح ٦٦.

١- التوبة: ٢٩.

٤- تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٠.

٣- التوبة: ٥.

٥- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٧.

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ
مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن
يَأْتُواكُم أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ
أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن
يَفْعَلُ ذَلِكَ مِّنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: واذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا ميثاقكم على
أسلافكم، وعلى كل من يصل إليه الخبر بذلك من أخلافكم الذين أنتم فيهم.
﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَ كُمْ﴾: لا يسفك بعضكم دماء بعض.
﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ﴾: لا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم.
﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: بذلك الميثاق كما أقرّ به أسلافكم، والتزمتموه كما التزموه.
﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: بذلك على أسلافكم وأنفسكم.
﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾: معاشر اليهود.
﴿هَؤُلَاءِ﴾: قيل: هو خبر أنتم على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك:
أنت ذلك الرجل الذي فعل كذا، استبعاداً لما ارتكبه (١) بعد الميثاق، والإقرار به، والشهادة
عليه.

١ - ركست الشيء ركساً - من باب قتل - أي قلبته ورددت أوله على آخره، والركس: هو رد الشيء مقلوباً.
مجمع البحرين: ج ٤، ص ٧٦. مادة «ركس».

﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: يقتل بعضكم بعضاً.

﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ﴾: غضباً وقهراً عليهم.

﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾: تظاهر بعضكم بعضاً على إخراج من تخرجونه من ديارهم.

وقتل من تقتلونه منهم بغير حق، وقرئ بتشديد الظاء، والتظاهر: التعاون.

﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾: بالتعديّ تتعاونون وتظاهرون.

﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ﴾: يعني هؤلاء الذين تخرجونهم، أي ترومون إخراجهم وقتلهم

ظلماً أن يأتوكم.

﴿أَسْرَى﴾: قد أسرهم أعداؤكم وأعداؤهم، وقرئ: أسرى.

﴿تُقْسَدُ وَهُمْ﴾: من الأعداء بأموالكم، وقرئ: تفدوهم بفتح التاء بغير ألف.

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾: أعاد قوله: «إخراجهم» لئلا يتوهم أن المحرّم

إنما هو مفاداتهم.

﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِنِعْضِ الْكِتَابِ﴾: وهو الذي أوجب عليكم المفادة.

﴿وَتَكْفُرُونَ بِنِعْضِ﴾: وهو الذي حرّم عليكم قتلهم وإخراجهم، فإذا كان قد حرّم

الكتاب قتل النفوس والإخراج من الديار كما فرض فداء الأسراء^(١) فما بالكم تطيعون في

بعض، وتعصون في بعض؟ كأنكم ببعض كافرون وببعض مؤمنون.

﴿فَمَا جَزَاء مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾: معاشر اليهود.

﴿إِلَّا خِزْيٌ﴾: ذلّ.

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: جزية تضرب عليه فيذلّ بها.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾: إلى جنس أشدّ العذاب يتفاوت

ذلك على قدر تفاوت معاصيهم.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: يعمل هؤلاء اليهود، وقرئ بالياء.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾: رضوا بالدنيا وحطامها بدلاً من نعيم الجنان المستحق بطاعات الله.

﴿فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: لا ينصرهم أحد يدفع عنهم العذاب قال ﷺ: قال رسول الله ﷺ: لما نزلت الآية في اليهود، أي الذين نقضوا عهد الله وكذبوا رسل الله، وقتلوا أولياء الله، أفلا أتبتكم بمن يضاھيهم^(١) من يهود هذه الأمة، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: قوم من أمّتي ينتحلون بأنهم من أهل ملّتي، يقتلون أفاضل ذرّيتي وأطائب ارومّتي^(٢) ويبدّلون شريعتي وستّتي، ويقتلون ولديّ الحسّن والحسين ﷺ، كما قتل أسلاف اليهود زكريّا ويحيى ألا وإنّ الله يلعنهم كما لعنهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً من ولد الحسين المظلوم ﷺ يحرفهم^(٣) بسيف أوليائه إلى نار جهنّم^(٤).

والقمي: إنّها نزلت في أبي ذرّ ﷺ، وفيما فعل به عثمان بن عفّان، وكان سبب ذلك أنّه لما أمر عثمان بنفي أبي ذرّ ﷺ إلى الرّيدة دخل عليه أبو ذرّ، وكان عليلاً وهو متكيء على عصاه، وبين يدي عثمان مائة ألف درهم أتته من بعض النّواحي، وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطعمون أن يقسمها فيهم، فقال أبو ذر لعثمان: ما هذا المال؟ فقال: حمل إلينا من بعض الأعمال مائة ألف درهم أريد أن أضمّ إليها مثلها، ثمّ أرى فيها رأيي، قال أبو ذرّ: يا عثمان أيّما أكثر مائة ألف درهم أم أربعة دنانير؟ قال عثمان: بل مائة ألف درهم، فقال: أما تذكر إذ

١- فلان ضهي فلان: أي نظيره وشبيهه. يضاھون: أي يشابهون. لسان العرب: ج ٨، ص ٩٧، مادة: «ضها».

٢- الاروم، بفتح الهمزة: أصل الشجرة، والقرن. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٦٠.

٣- التحرف: الميل إلى حرف أي طرف. وحرف كل شيء: طرفه، وشفيره، وحده. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٦، مادة «حرف».

٤- تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

أنا وأنت دخلنا على رسول الله ﷺ عشاءً فوجدناه كثيراً حزيناً فسلمنا عليه، ولم يرد علينا السلام، فلما أصبحنا أتيناه فأريناه ضاحكاً مستبشراً، فقلت له: بأبي أنت وأمي دخلنا عليك البارحة فأريناك كثيراً حزيناً وعدنا إليك اليوم فأريناك ضاحكاً مستبشراً، فقال: نعم كان قد بقي عندي من في المسلمين أربعة دنائير لم أكن قسمتها، وخفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسمتها اليوم فاسترح، ونظر عثمان إلى كعب الأبحار فقال له: يا أبا اسحق ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء؟^(١) فقال: لا، ولو اتخذ لبننة من ذهب ولبننة من فضة ما وجب عليه شيء، فرفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب، وقال: يا بن اليهودية المشركة ما أنت والنظر في أحكام المسلمين؟ قول الله عز وجل: «الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» إلى قوله: «فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ»^(٢).

قال عثمان: يا أبا ذر إنك شيخ قد خرفت، وذهب عقلك، ولولا صحبتك لرسول الله ﷺ لقتلتك، فقال: كذبت يا عثمان ويلك أخبرني حبسني رسول الله ﷺ فقال: لا يفتنونك يا أبا ذر ولا يقتلونك. أمّا عقلي فقد بقي منه ما أذكرني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ قاله: فيك وفي قومك، قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ في وفي قومي؟ قال: سمعته يقول: وهو قوله ﷺ: إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً صيروا مال الله دولا^(٣) وكتاب الله دغلاً^(٤)، وعباد الله خولاً^(٥)، والصالحين حرباً، والفاسقين حزباً، قال عثمان: يا معشر أصحاب محمد ﷺ هل سمع أحد منكم هذا الحديث من رسول الله ﷺ قالوا: لا ما سمعنا

١- وفي نسخة: [هل يجب عليه فيها بعد ذلك شيء؟].

٢- التوبة: ٣٤ - ٣٥.

٣- الدولة بالضم: في المال، يقال: صار الغني دولة بينهم يتداولونه، يكون مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع دولات ودول الصحاح: ج ٤، ص ١٦٩٩ - ١٧٠٠.

٤- الدغل بالتحريك: الفساد، مثل الدخل. يقال: قد أدغل في الأمر، إذا أدخل فيه ما يخالفه ويفسده. الصحاح: ج ٤، ص ١٦٩٧.

٥- الخول بالتحريك: ما أعطاك الله من النعم والعبيد والاماء وغيرهم. دخول الرجل: حشمه وقيل: هو مأخوذ من التخويل، وهو التملك: الصحاح: ج ٤، ص ١٦٩٠.

هذا من رسول الله ﷺ، فقال عثمان: أدعوا علياً ﷺ فجاءه أمير المؤمنين ﷺ فقال له عثمان: يا أبا الحسن اسمع ما يقول هذا الشيخ الكذاب؟ فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: مه يا عثمان لا تقل كذاب، فإني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرٍّ، قال أصحاب رسول الله: صدق عليٌّ، سمعنا هذا القول من رسول الله ﷺ فعند ذلك، بكى أبو ذرٍّ، وقال: ويلكم كلكم قد مدَّ عنقه إلى هذا المال ظننتم إني أكذب على رسول الله ﷺ، ثم نظر إليهم، فقال: من خيركم^(١)؟ فقالوا: أنت تقول إنك خيرنا؟ قال: نعم، خلّفت حبيبي رسول الله ﷺ في هذه الجبّة، وهي عليٌّ بعد، وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرة، واللّه سائلكم عن ذلك ولا يسألني، فقال عثمان: يا أبا ذرٍّ أسألك بحق رسول الله ﷺ إلّا ما أخبرني عمّا أنا سائلك عنه، فقال أبو ذرٍّ: واللّه لو لم تسألني بحق رسول الله ﷺ أيضاً لأخبرتكم، فقال: أيّ البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ فقال: مكّة حرم الله وحرّم رسوله ﷺ أعبد الله فيها حتّى يأتيني الموت، فقال: لا ولا كرامة لك، قال: المدينة حرم رسول الله ﷺ، فقال لا ولا كرامة لك، قال: فسكت أبو ذرٍّ ﷺ فقال: أيّ البلاد أبغض إليك أن تكون بها؟ قال: الرّبذة التي كنت بها على غير دين الإسلام، فقال عثمان: سر إليها، فقال أبو ذرٍّ ﷺ قد سألتني فصدّقك، وأنا أسألك فأصدقني.

قال: نعم، قال: أخبرني لو أنّك بعثتني فيمن بعثت من أصحابك إلى المشركين فأسروني وقالوا: لا نفديه إلّا بثلك ما تملك، قال: كنت أفديك، قال: فإن قالوا: لا نفديه إلّا بنصف ما تملك، قال: كنت أفديك، قال: فإن قالوا: لا نفديه إلّا بكلّ ما تملك، قال: كنت أفديك، فقال أبو ذرٍّ ﷺ: الله أكبر، قال لي حبيبي رسول الله ﷺ يوماً: يا أبا ذرٍّ كيف أنت إذا قيل لك: أيّ البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ فتقول مكّة حرم الله وحرّم رسوله ﷺ أعبد الله فيها حتّى يأتيني الموت، فيقال: لا ولا كرامة لك، فتقول: فالمدينة حرم رسول الله ﷺ، فيقال: لا ولا كرامة لك، ثمّ يقال لك: فأيّ البلاد أبغض اليك أن تكون فيها؟ فتقول: الرّبذة التي كنت فيها على غير دين الإسلام، فيقال لك: سر إليها، فقلت: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ فقال ﷺ:

١ - الظاهر هنا سقط والصحيح كما في المصدر فقالوا: من خيرنا؟ فقال: أنا فقالوا: أنت تقول إنك خيرنا.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا
جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا
كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

أي والذي نفسي بيده إنه لكانن، فقلت: يا رسول الله ﷺ أفلا أضع سيفي على عاتقي فأضرب به قدماً قدماً، قال: لا، اسمع واسكت ولو لعبد حبشي، وقد أنزل الله تعالى فيك وفي عثمان خصمك آية فقلت: وما هي يا رسول الله ﷺ؟ فقال: قول الله تعالى وتلا هذه الآية (١). وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في حديث وجوه الكفر في القرآن، قال: الرابع من الكفر ترك ما أمر الله، وهو قول الله عز وجل، وتلا هذه الآية قال: فكفروهم بترك ما أمر الله، ونسبهم إلى الإيما ن ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده (٢).

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة المشتملة على أحكامنا، وعلى ذكر فضل محمد ﷺ وأهل بيته، وإمامة علي عليه السلام، وخلفائه عليهم السلام بعده، وشرف أحوال المسلمين له وسوء أحوال المخالفين (٣) عليه.

﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾: جعلنا رسولاً في أثر رسول.
﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ﴾: أعطيناه الآيات الواضحات كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإنباء بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.
﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: وقرىء مخففاً وهو جبرئيل، وذلك حين رفعه من روزنة بيته إلى السماء، وألقى شبهه على من رام قتله، فقتل بدلاً منه، وقيل: هو المسيح (٤).

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٥١-٥٤. ٢- الكافي: ج ٢، ص ٣٩٠، ح ١، باب وجوه الكفر.

٣- وفي نسخة: [المنافقين].

٤- قاله ابن عباس كما جاء في مجمع البيان: ج ١-٢، ص ١٥٦.

أقول: وفي رواية أخرى أنه ألقي شبهه على رجل من خواصه أثر حياته على حياة نفسه كما يأتي^(١).

والقمي: عن الباقر عليه السلام ألقي شبهه على رجل من خواصه ليقتل فيكون معه في درجته^(٢) كما يأتي في سورة آل عمران^(٣) إن شاء الله.

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾: أيها اليهود.

﴿رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ﴾: أخذ عهودكم ومواثيقكم بما لا تحبون من اتباع النبي صلى الله عليه وآله وبذل الطاعة لأولياء الله.

﴿أَسْتَكْبِرْتُمْ﴾: على الإيمان والاتباع.

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾: كموسى، وعيسى.

﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: قتل أسلافكم زكريا ويحيى، وأنتم رستم قتل محمد،

وعلي عليه السلام فغيب الله سعيكم، وردّ كيدكم في نحوركم فمعنى تقتلون: قتلتم كما تقول لمن توبّخه ويلك لم تكذب ولا تريد ما يفعله بعد وأنما تريد لم فعلت وأنت عليه موطن^(٤).

ثم قال عليه السلام: ولقد رامت الفجرة الكفرة ليلة العقبة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله على العقبة، ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فما قدروا على مغالبة ربهم، حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله صلى الله عليه وآله في علي لما فخم أمره وعظم شأنه^(٥)، ثم ذكر القصة بطولها، وسيأتي ذكر ملخصها من طريق آخر من المجمع في سورة التوبة إن شاء الله.

والعياشي: عن الباقر عليه السلام قال: ضرب الله مثلاً لأمة محمد صلى الله عليه وآله، فقال لهم: فإن جاءكم محمد صلى الله عليه وآله بما لا تهوي أنفسكم بموالاة علي استكبرتم، ففريقاً من آل محمد صلى الله عليه وآله كذبتم، وفريقاً تقتلون، قال: فذلك تفسيرها في الباطن^(٦).

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٧٢.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ١٠٣.

٣ - ذيل الآية: ٥٥.

٤ - تفسير الإمام العسكري: ص ٣٧٩.

٥ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٨٠.

٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٩، ح ٦٨.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا
مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا
عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أي أوعية للخير، والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها ثم هي مع ذلك لا تعرف لك يا محمد ﷺ فضلاً مذكوراً في شيء من كتب الله ولا على لسان أحد من أنبياء الله، فردّ الله عليهم بقوله (١).

﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾: أبعدهم من الخير.

﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: يعني فإيماناً قليلاً يؤمنون ببعض ما أنزل الله، ويكفرون ببعض. قال ﷺ: وإذا قرىء غلف (٢) فأنهم قالوا: قلوبنا في غطاء فلا نفهم كلامك، وحديثك كما قال الله تعالى: «وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ» (٣) قال: وكلتا القراءتين حق وقد قالوا: بهذا وهذا جميعاً (٤).

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾: يعني اليهود.

﴿كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: القرآن.

﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: من التوراة التي بين فيها أن محمداً الأُمِّي من ولد اسماعيل

المؤيد بخير خلق الله بعده عليّ ولي الله.

﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾: أن ظهر محمد بالرسالة.

١ - تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٣٩٠.

٢ - كأن القراءة الأولى بضم اللام: جمع غلاف، والثانية بسكون اللام جمع اغلف، مستعار من الأغلف الذي لم يختن منه شيء.

٣ - فصلت: ٥.

٤ - تفسير الإمام العسكري: ص ٣٩٠.

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يسألون الله الفتح والظفر.
 ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من أعدائهم وكان الله يفتح لهم وينصرهم.
 ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾: من نعت محمد وصفته.
 ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾: جحدوا نبوته حسداً له، وبغياً عليه.
 ﴿فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: في الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: أنه قال في هذه الآية: كانت اليهود تجد في كتبها أن مهاجر محمد ﷺ ما بين غير وأحد فخرجوا يطلبون الموضع، فمروا بجبل يسمى جُبَيْلَ وَجُبَيْلَ يسمى حداد - بالفتح - قرية بين مكة وحدة، وكانت تسمى حداً حداد، فقالوا: حداد وأحد سواء فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء^(٢) وبعضهم بفدك، وبعضهم بخيبر، فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فمروا بهم أعرابي من قيس فتكاثروا منه، وقال: أمر بكم ما بين غير^(٣) وأحد؟ فقالوا له: إذا مررت بهما فأذننا بهما فلما توسط بهم أرض المدينة، قال لهم: ذلك غير وهذا أحد، فنزلوا عن ظهر إبله، وقالوا: قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيث شئت، وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر أنا قد أصبنا الموضع فهلموا إلينا، فكتبوا إليهم إنا قد استقرت بنا الدار، واتخذنا الأموال، وما أقربنا منكم فلما كان ذلك فما أسرعنا إليكم فاتخذوا بأرض المدينة الأموال فلما كثرت أموالهم بلغ تبع^(٤) فغزاهم فتحصنوا منه فحاصره وكانوا يرقون لضعفاء أصحاب تبع فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير فبلغ ذلك تبع فرق لهم، وأمنهم فنزلوا إليه فقال لهم: أني قد استطبت بلادكم ولا أراني إلا مقيماً فيكم، فقالوا له: إن ذاك ليس لك إنها مهاجر نبي وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك، فقال لهم: أني مخلف فيكم من أسرتي من

١ - الكافي: ج ٨، ص ٣٠٨، ح ٤٨١. ٢ - تيماء: اسم موضع. الصحاح: ج ٤، ص ١٨٨٠.

٣ - وغير: جبل بالمدينة. وفي الحديث «انه حزم ما بين غير أبي ثور» الصحاح: ج ٢، ص ٧٦٣.

٤ - تبع: كسرك. واحد التبابعة من ملوك حمير، سمي تبعا لكثرة اتباعه، وقيل: سُموا تبابعة لأن الأخير يتبع الأول في الملك. وهم سبعون تبعاً ملكوا جميع الأرض، ومن فيها من العرب والعجم وكان تبع الأوسط مؤمناً مجمع البحرين: ج ٤، ص ٣٠٥.

إذا كان ذلك ساعده ونصره فخلّف حَيِّين الأوس^(١) والخزرج^(٢) فلَمَّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث محمد فيكم^(٣) لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلَمَّا بعث الله مُحَمَّدًا ﷺ آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود، وهو قول الله عز وجل «وَكَاُنُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ»^(٤).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية فقال: كان قوم فيما بين محمد ﷺ وعيسى عليه السلام وكانوا يتوعدون أهل الأصنام بالنبي ﷺ ويقولون: ليخرجن نبي فليكسرن أصنامكم، وليعلنن بكم، فلَمَّا خرج رسول الله ﷺ كفروا به^(٥).

والقمي: كانت اليهود يقولون للعرب قبل مجيء النبي ﷺ: أيها العرب هذا أوان نبي يخرج من مكة، وكانت مهاجرة بالمدينة، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يلبس الشملة^(٦)، ويجتزي بالكسرة^(٧) والتّميرات، ويركب الحمار العربي، وهو الضحوك القتال، يضع سيفه على عاتقه لا يبالى من لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر، لقتلنكم به يا معشر العرب قتل عاد، فلَمَّا بعث الله نبيه بهذه الصفة حسدوه وكفروا به كما قال الله: «وَكَاُنُوا مِنْ قَبْلُ»^(٨) الآية.

وفي تفسير الإمام عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تعالى أخبر رسوله ﷺ بما كان من إيمان اليهود بمحمد ﷺ قبل ظهوره، ومن استفتاحهم على أعدائهم بذكره، والصلاة عليه وآله، قال: وكان الله عز وجل أمر اليهود في أيام موسى عليه السلام وبعده إذا دهمهم أمر أو

١- الأوس: أبو قبيلة من اليمن. وهو أوس بن قيلة. أخو الخزرج وأمه قيلة. مجمع البحرين: ج ٤، ص ٤٩ وفي الصحاح: وهما ابنا حارثة بن ثعلبة من اليمن.

٢- الخزرج: قبيلة من الأنصار هي الأوس. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٩٥.

٣- وفي نسخة: [أما لو قد بعث الله فيكم محمداً]. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٤٩-٥٠، ح ٦٩.

٥- الكافي: ج ٨، ص ٣١٠، ح ٤٨٢. ٦- والشملة: كساء يشتمل به. الصحاح: ج ٥، ص ١٧٣٩.

٧- والكسرة: القطعة من الشيء المكسور، والجمع كسرت مثل قطعة وقطع. الصحاح: ج ٢، ص ٨٠٦.

٨- تفسير القمي: ج ٢، ص ١٨٠ و ١٩١.

دهمتهـم داهية أن يدعوا الله عزّ وجلّ بمحمّد وآله الطّيبين، وأن يستنصروا بهم، وكانوا يفعلون ذلك حتى كانت اليهود من أهل المدينة قبل ظهور محمّد ﷺ بسنين كثيرة يفعلون ذلك فيكفونّ البلاء والدّهماء والداهية، وكانت اليهود قبل ظهور محمّد ﷺ بعشر سنين يعاديهم أسد، وغطفان^(١)، وقوم من المشركين، ويقصدون أذاهم فكانوا يستدفعون شرورهم، وبلاءهم بسؤالهم ربّهم بمحمّد وآله الطّيبين حتّى قصدهم في بعض الأوقات أسد وغطفان في ثلاثة آلاف فارس إلى بعض قرى اليهود حوالي المدينة فتلقّاهم اليهود، وهم ثلاثمائة فارس، ودعوا الله بمحمّد وآله فهزموهم وقطّعوهم، وقال أسد، وغطفان بعضهما لبعض: تعالوا نستعين عليهم بسائر القبائل فاستعانوا عليهم بالقبائل وأكثروا حتّى اجتمعوا قدر ثلاثين ألفاً وقصدوا هؤلاء الثّلاثمائة في قريتهم فألجأوهم إلى بيوتها وقطعوا عنها المياه الجارية التي كانت تدخل إلى قراهم ومنعوا عنهم الطعام، واستأمن اليهود منهم فلم يؤمّنوهم، وقالوا: لا، إلّا أن نقتلكم، ونسبيكم ونهيبكم، فقالت اليهود بعضها لبعض: كيف نصنع؟ فقال لهم: أمّاثلهم وذوو الرأي منهم: أمّا أمر موسى ﷺ أسلافكم فمن بعدهم بالإستنصار بمحمّد وآله الطّيبين؟ أمّا أمركم بالابتهال إلى الله عزّ وجلّ عند الشّدائد بهم؟ قالوا: بلى، قالوا: فافعلوا، فقالوا: اللهمّ بجاه محمّد وآله الطّيبين لمّا سقيتنا، فقد قطعت الظّلّة عنّا المياه حتّى ضعف شبّاننا، وتماوت ولداننا، وأشرفنا على الهلكة. فبعث الله لهم وابلاً^(٢)، هطلاً^(٣)، صبّاً، متتابعاً، ملأ حياضهم وآبارهم وأنهارهم، وأوعيتهم، وظروفهم، فقالوا: هذه إحدى الحسينين، ثمّ أشرفوا من سطوحهم على العساكر المحيطة بهم، فإذا المطر قد آذاهم غاية الأذى، وأفسد أمتعتهم وأسلحتهم وأموالهم فانصرف عنهم لذلك بعضهم، وذلك أنّ المطر أتاها في غير أوانه في حمّازة^(٤) القيظ حين لا يكون مطر، فقال الباقيون من العساكر:

١ - غطفان: بالغين المعجمة والطاء المهملة والفاء: أبو قبيلة. منه غطف. وقال الطريحي: غطفان: أبو قبيلة، وهو غطفان بن سعد بن قيس عيلان مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٠٦. مادة «غطف».

٢ - الوابل: المطر الشديد: الصحاح: ج ٥، ص ١٨٤٠. مادة «وبل».

٣ - الهطل: تتابع المطر والدمع وسيلانه. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٤٠. مادة «هطل».

٤ - حمّازة: القيظ - بالحاء المهملة والزاي - شدة الحر. منه غطف.

هَبْكُمْ سَقِيْتُمْ فَمَنْ أَيْنَ تَأْكُلُونَ؟ وَلْتَنْ أَنْصَرَفْ عَنْكُمْ هَؤُلَاءِ فَلَسْنَا نَنْصَرَفُ حَتَّى تَقْهَرَكُم عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعِبَالَا تَكُم وَأَهَالِيَكُم وَأَمْوَالِكُمْ وَنَشْفِي غِيظَنَا مِنْكُمْ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: إِنَّ الَّذِي سَقَانَا بَدَعَانَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَطْعَمَنَا، وَإِنَّ الَّذِي صَرَفَ عَنَّا مِنْ صَرْفِهِ قَادِرٌ أَنْ يَصْرِفَ الْبَاقِينَ، ثُمَّ دَعَا اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَنْ يَطْعَمَهُمْ، فَجَاءَتْ قَافِلَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَافِلِ الطَّعَامِ قَدَرُ أَلْفِي جَمَلٍ وَبَغْلٍ وَحِمَارٍ مَوْقَرَةٍ^(١) حَنْطَةً، وَدَقِيقًا، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِالْعَسَاكِرِ فَانْتَهَوْا إِلَيْهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ وَلَمْ يَشْعُرُوا بِهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ثَقَّلَ نَوْمَهُمْ حَتَّى دَخَلُوا الْقَرْيَةَ وَلَمْ يَمْنَعُوهُمْ، وَطَرَحُوا فِيهَا أَمْتَعَتَهُمْ وَبَاعَوْهَا مِنْهُمْ فَانْصَرَفُوا وَأَبْعَدُوا، وَتَرَكُوا الْعَسَاكِرَ نَائِمَةً وَلَيْسَ فِي أَهْلِهَا عَيْنٌ تَطْرَفُ فَلَمَّا أَبْعَدُوا انْتَبَهَوْا، وَنَابَذُوا الْيَهُودَ الْحَرْبَ وَجَعَلَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: الْوَحَا الْوَحَا^(٢) فَإِنَّ هَؤُلَاءِ اشْتَدَّ بِهِمُ الْجُوعُ وَسَيَذَلُّونَ لَنَا.

قَالَ لَهُمُ الْيَهُودُ: هِيَهَاتَ بَلْ قَدْ أَطْعَمْنَا رَبَّنَا وَكُنْتُمْ نِيَامًا جَاءَنَا مِنَ الطَّعَامِ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْ أَرَدْنَا قَتَلَكُمْ فِي حَالِ نَوْمِكُمْ لَهَيَّا لَنَا وَلَكِنَّا كَرِهْنَا الْبَغْيَ عَلَيْكُمْ فَانْصَرَفُوا عَنَّا وَإِلَّا دَعَوْنَا عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاسْتَنْصَرْنَا بِهِمْ أَنْ يَخْزِيَكُمْ كَمَا قَدْ أَطْعَمْنَا وَسَقَانَا، فَأَبَوْا إِلَّا طُغْيَانًا فَدَعَا اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاسْتَنْصَرُوا بِهِمْ، ثُمَّ بَرَزَ الثَّلَاثُمِائَةِ إِلَى الثَّلَاثِينَ أَلْفًا فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَأَسْرَوْا وَطَحَّطَحَوْهُمْ^(٣) وَاسْتَوْثَقُوا مِنْهُمْ بِأَسْرَائِهِمْ فَكَانَ لَا يَبْدَأُهُمْ مَكْرُوهٌ مِنْ جِهَتِهِمْ لَخَوْفِهِمْ عَلَى مَنْ لَهُمْ فِي أَيْدِي الْيَهُودِ، فَلَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ حَسَدُوهُ إِذْ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ، وَكَذَّبُوهُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذِهِ نَصْرَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى لِلْيَهُودِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِذِكْرِهِمْ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَلَا فَادْكُرُوا يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا وَآلَهُ عِنْدَ نَوَائِبِكُمْ وَشِدَائِدِكُمْ لِيَنْصُرَ اللَّهُ بِهِ مَلَائِكَتَكُمْ عَلَى الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَقْصِدُونَكُمْ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَعَهُ مَلِكٌ عَنْ يَمِينِهِ يَكْتُبُ

١ - الْوَقْرُ - بِالْكَسْرِ - الْجَنْفُ، يُقَالُ: جَاءَ يَحْمِلُ وَقْرَهُ وَقَدْ أَوْقَرَ بَعِيرَهُ، وَكَثُرَ مَا يَسْتَعْمَلُ الْوَقْرَ فِي حِمْلِ الْبَغْلِ وَالْحِمَارِ. وَهَذِهِ أَمْرَةٌ مَوْقَرَةٌ - بَفَتْحِ الْقَافِ - إِذَا حَمَلَتْ حِمْلًا ثَقِيلًا. الصَّحَاحُ: ج ٢، ص ٨٤ / مادة «وقر».

٢ - الْوَحَا الْوَحَا، بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ: الْعَجَلَةُ. مِنْهُ يَنْفَعُ. وَفِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ وَهُوَ مَنْصُوبٌ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ. أَيِ السَّرْعَةِ السَّرْعَةُ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ: ج ١، ص ٤٣٢ مادة «وَحَا».

٣ - طَحَّطَحَوْهُمْ: أَيِ مَزَقَهُ. مِنْهُ يَنْفَعُ. وَفِي الصَّحَاحِ: طَاحَ يَطُوحُ وَيَطِيحُ: هَلِكٌ وَسَقَطٌ، وَكَذَلِكَ إِذَا تَاهَ فِي الْأَرْضِ. الصَّحَاحُ: ج ١، ص ٣٨٩. مادة: «طوح».

بِسْمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ
يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ
عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾

حسانته، وملك عن يساره يكتب سيئاته، ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه، فإذا وسوسا في قلبه ذكر الله تعالى، وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله خنس^(١) الشيطانان واختفيا^(٢) الحديث.

﴿بِسْمَا أَشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: ذم الله اليهود، وعاب فعلهم في كفرهم بمحمد ﷺ يعني اشتروا أنفسهم بالهدايا والفضول التي كانت تصل إليهم، وكان الله أمرهم بشرائها من الله بطاعتهم له ليجعل لهم أنفسهم والانتفاع بها دائماً في نعيم الآخرة فلم يشتروها، بل اشتروها بما أنفقوه في عداوة رسول الله ﷺ، ليبقى لهم عزهم في الدنيا ورياستهم على الجهاد، وينالوا المحرمات وأصابوا الفضولات من السفلة، وصرفهم عن سبيل الرشاد ووقفهم على طريق الضلالات^(٣).

﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: على موسى من تصديق محمد ﷺ.

﴿بَغْيًا﴾: لبيهم وحسدهم.

﴿أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ﴾: وقرىء مخففاً.

﴿مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يعني تنزيل القرآن على محمد ﷺ

الذي أبان فيه نبوته وأظهر به آيته ومعجزاته^(٤) وفضائل أهل بيته عليه السلام.

١ - خنس عنه يخنس بالضم: أي تأخر. وأخنس غيرة: إذا خلفه ومضى عنه. الصحاح: ج ٣، ص ٩٢٥.

٢ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٩٣ - ٣٩٦.

٣ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٠١ - ٤٠٢.

٤ - وفي نسخة: [ومعجزته].

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ
عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ
فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

وفي الكافي^(١)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: قال: بما أنزل الله في علي بن أبي طالب عليه السلام.
﴿فَبَأْتُوا بَغْضَبٍ عَلَيَّ غَضَبٍ﴾: يعني رجعوا وعليهم الغضب من الله في أثر
غضب فالغضب الأول: حين كذبوا بعيسى بن مريم فجعلهم قردة خاسئين، ولعنهم على
لسان عيسى عليه السلام، والغضب الثاني: حين كذبوا بمحمد عليه السلام فسلب عليهم سيوف أصحابه
حتى ذلّلهم بها، فإما دخلوا في الاسلام طائعين، وإما أعطوا الجزية صاغرين.
قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من سئل عن علم فكتمه حيث
يجب إظهاره ويزول عنه التقيّة جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار^(٢).
﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: يعني لهم أظهر، لينبئ عن السبب كذا قيل^(٣)، وله
نظائر كثيرة في القرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ﴾: على محمد صلى الله عليه وآله من القرآن.
﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾: وهو التوراة.
﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾: ما سواه، لا يؤمنون به.
﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾: لأنه هو التاسخ للمنسوخ الذي تقدّمه.
﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾: وهو التوراة.

١- الكافي: ج ١، ص ٤١٧، ح ٢٥، واليك نصّه: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله هكذا: «بَشَرْنَا أَوْشَرْنَا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ (في علي) بَغْيًا».

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٠، ح ٧٠. ٣- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٠٢.

٤- راجع تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٢٩.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ
الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا
يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾: فلم كنتم تقتلون؟ لم كان يقتل أسلافكم.
﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بالتوراة فإن فيها تحريم قتل الأنبياء،
وفيها الأمر بالإيمان بمحمد ﷺ والقرآن فما آمنتم بعد بالتوراة.

والعياشي: عن الصادق عليه السلام: إنما نزل هذا في قوم من اليهود، كانوا على عهد رسول
الله ﷺ لم يقتلوا الأنبياء بأيديهم ولا كانوا في زمانهم، وإنما قتل أوائلهم الذين كانوا من
قبلهم فجعلهم الله منهم وأضاف إليهم فعل أوائلهم بما تبعوهم وتولّوهم^(١).

أقول: قد مضى تحقيق ذلك في المقدمة الرابعة.
﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾: إنها.
﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد إنطلاقه إلى الجبل، وخالفتم خليفته عليه السلام الذي نصّ عليه،
وتركه عليكم وهو هارون.

﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾: بما فعلتم.
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: واذكروا إذ أخذنا ميثاق أسلافكم.
﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾: فعلنا بهم ذلك لما أبوا من قبول ما جاءهم به موسى
من دين الله وأحكامه وفرض تعظيم محمد وآله.

﴿خُذُوا﴾: قلنا لهم خذوا.

﴿مَا آتَيْنَاكُمْ﴾: ما أعطيناكم من الفرائض.

﴿بِقُوَّةٍ﴾: قد أعطيناكموها، ومكنّاكم بها، وأزحنا عللكم في تركيبها فيكم.

﴿وَأَسْمِعُوا﴾: ما يقال لكم وتؤمرون به.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾: قولك.

﴿وَعَصَيْنَا﴾: أمرك أي إنهم عصوا بعد واضمروا في الحال أيضاً العصيان: قالوا:

سمعنا بأذاننا وعصينا بقلوبنا فأما في الظاهر فاعطوا كلّهم الطاعة داخرين ^(١) صاغرين.

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾: أمروا بشرب العجل الذي كان قد ذريت ^(٢)

سحالته ^(٣) في الماء الذي أمروا بشربه ليتبين من عبده ممن لم يعيده كما مرّ في تفسير قوله

تعالى: «فَأَقْضُوا أَنْفُسَكُمْ» ^(٤) قال عليه السلام: عرضوا لشرب العجل الذي عبده حتى وصل ما

شربوه من ذلك إلى قلوبهم ^(٥).

﴿يَكْفُرْهُمْ﴾: لأجل كفرهم أمروا بذلك.

أقول: لا تنافي بين هذا التفسير، وما هو المشهور في تفسير الآية، وهو أن معناه

تداخلهم حبّه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم ^(٦) به كما يتداخل الصبغ الثوب

والشراب أعماق البدن، لجواز الجمع بين الأمرين، وأن يكون الشرب ظاهراً سبباً للحبّ

باطناً، وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى: «إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً» ^(٧).

١ - الداخر: الصاغر الذليل. يقال: دخر الرجل - كمنع وفرح - : أي ذلّ وصغر. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٠٠. مادة «دخر».

٢ - ذريت: بالذال المعجمة والراء المهملة بعده ياء تحتية من الذري: أي تفرقت منه. في نسخة.

٣ - السحالة: ماسقط من الذهب والفضة ونحوهما كالبرادة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٩٤. مادة «سحل».

٤ - البقرة: ٥٤. ٥ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٢٥.

٦ - الشغف - بفتح الحين: الحب، وفلان مشغوف بفلانة: أي ذهب به الحب إلى أقصى المذاهب. مجمع

البحرين: ج ٥، ص ٧٦ مادة «شغف»، وفي نسخة [شغفهم]. والشغف - محرّكة - : شدة الحب. مجمع البحرين:

ج ٥، ص ٧٥. مادة «شغف». ٧ - النساء: ١٠.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلَدَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةٌ مِّنْ دُونِ
النَّاسِ فَتَمَتَّوْا أَلْمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾

والعياشي: عن الباقر عليه السلام قال: لَمَّا نَجَّى موسى رَبَّهُ أوحى الله تعالى إليه أن يا موسى قد فتنت قومك، قال: بماذا يا رب؟ قال: بالسَّامري، قال: وما السَّامري؟ قال: قد صاغ لهم من حليهم عجلًا، قال: يا رب إنَّ حليهم لا يحتمل أن يصاغ منه غزال، أو تمثال، أو عجل فكيف فتنتهم، قال: إنَّه صاغ لهم عجلًا فخار، قال: يا رب ومن أخاره؟ قال: أنا، فقال عندها موسى: «إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ»^(١). قال: فَلَمَّا انْتَهَى موسى إلى قومه ورآهم يعبدون العجل ألقى الألواح من يده فكسرت، قال أبو جعفر عليه السلام: كان ينبغي أن يكون ذلك عند اخبار الله تعالى إياه، قال: فعمد موسى فبرد العجل من أنفه إلى طرف ذنبه ثم أحرقه بالنَّار فذره في اليم، قال: فكان أحدهم ليقع في الماء وما به إليه من حاجة فيتعرَّض بذلك الرَّماد فيشربه، وهو قول الله تعالى: «وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ»^(٢). أقول: وعلى هذه الرواية يشبه أن يكون حبَّهم للعجل صار سبباً لشربهم إياه بالعكس ممَّا مرَّ.

﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾: بموسى والتوراة أن تكفروا بي.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: كما تزعمون بموسى والتوراة ولكن معاذ الله لا يأمركم أيمانكم بموسى والتوراة الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله.

﴿قُلْ﴾: يا محمد صلى الله عليه وآله لهؤلاء اليهود القائلين بأنَّ الجنة خالصة لنا من دونك ودون أهل بيتك، وأنا مبتلون بكم، وممتحنون، ونحن أولياء الله المخلصون، وعباد الله الخيرون، ومستجاب دعاؤنا، غير مردود علينا شيء من سؤلنا.

﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾: الجنة ونعيمها.

﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾: محمد وأهل بيته ومؤمني أمته.

﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾: للكاذب منكم، ومن مخالفكم، فإنَّ محمداً وعلياً وذويهما^(١)

يقولون: إنهم أولياء الله من دون الناس الذين هم يخالفونهم في دينهم وهم المجاب دعاؤهم فإن كنتم معاشر اليهود تدعون ذلك، فقولوا: اللهم أمت الكاذب منا، ومن مخالفينا، ليستريح منا الصادقون ولتزداد حجتك وضوحاً بعد أن وضحت.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: بأنكم أنتم المحققون المجاب دعاؤكم على مخالفكم، ثم

قال رسول الله بعدما عرض هذا عليهم: لا يقولها أحد منكم إلا غصَّ بريقه فمات مكانه، وكانت اليهود علماء^(٢) بأنهم الكاذبون وأنَّ محمداً ﷺ وأصحابه هم الصادقون فلم يجسروا أن يدعوا به^(٣).

أقول: المشهور أنَّ المراد بتمنيهم الموت: تمنيه لأنفسهم لدعواهم أنَّهم أولياء الله وأحبائهم، وقولهم: «أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا»^(٤) فإنَّ في التوراة مكتوب إنَّ أولياء الله يتمنون الموت ولا يرهبونه، والوجه في ذلك أنَّ من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحبَّ التخلص إليها من الدار ذات الشوائب كما قال أمير المؤمنين ﷺ: لا أبالي وقعت على الموت أو وقع علي الموت^(٥).

وقال عمار بصفين:

الآن ألقى الأحبَّة محمداً وحزبه^(٦)

وفي الخصال: سئل أمير المؤمنين ﷺ بماذا أحببت لقاء ربك؟ قال: لما رأيته قد

١- وفي نسخة: [وذريتهما].

٢- وفي بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٢٢٠-٢٢١، ح ٢٤، «وكانت اليهود عالمين».

٣- تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٤٤٣. ٤- البقرة: ١١١.

٥- مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ٢٠١، ح ١٢٧٣٩، باب ٧- وجوب اليقين بالله في الرزق والعمر والنفع والضرر. وتفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٣٢، وتفسير البحر المحيط: ج ١، ص ٣١١، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٠.

٦- تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٣٢، وتفسير البحر المحيط: ج ١، ص ٣١١، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٠.

وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ
مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت بأنّ الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقائه^(١).

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من موجبات النار كالكفر بمحمد وآله، والقرآن وتحريف التوراة.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عنهم هو لهم، كذا قيل^(٢).

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾: ليأسهم عن نعيم الآخرة لانهماكهم في كفرهم الذي يعلمون أنه لاحظ لهم معه في شيء من خيرات الجنة.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾: وأحرص من الذين أشركوا يعني المجوس الذين لا يرون النعيم إلا في الدنيا، ولا يأملون خيراً في الآخرة.

قيل: إفرادهم بالذكر للمبالغة فإن حرصهم شديد إذ لم يعرفوا إلا الحياة العاجلة وللزيادة^(٣) في التوبيخ والتقريع فإنهم لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دلّ ذلك على علمهم بأنهم صاثرون إلى النار^(٤).

١- الخصال: ج ١، ص ٣٣، ح ١، باب الاثنين - معرفة التوحيد بخصلتين، والتوحيد: ص ٢٨٨، ح ٦.

٢- قاله البياضوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧١.

٣- وفي نسخة: [أول الزيادة].

٤- قاله البياضوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧١.

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ﴾: أي التعمير ألف سنة.

﴿بِمَرْحَرِجِهِ﴾: مباحده.

﴿مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾: إنما أبدل من الضمير وكرر التعمير لئلا يتوهم عوده إلى

التمني.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فعلى حسبه يجازيهم ويعدل عليهم ولا يظلمهم.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾: وقرئ بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز،

وبفتحهما مهوراً بياء بعد الهمزة وبغير ياء.

﴿فَأَنَّهُ﴾: فان جبريل.

﴿نَزَّلَهُ﴾: نزل القرآن.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾: يا محمد وهذا قوله سبحانه: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى

قَلْبِكَ»^(١).

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمره.

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من كتب الله.

﴿وَهُدًى﴾: من الضلالة.

﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: بنبوة محمد ﷺ وولاية علي ﷺ، ومن بعده من

الأئمة عليهم السلام بأنهم أولياء الله حقاً.

قال: شيعة محمد ﷺ وعلي ﷺ ومن تبعهم من أخلافهم وذرائعهم^(٢).

١- الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤.

٢- القائل هو الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره: ذيل الآية «وبشري للمؤمنين»، ص ٤٥١.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ٩٨

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾: بأن يخالفه عناداً لانهامه على المقرّبين من عباده.

﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾: المبعوثين لنصرتهم.

﴿وَرُسُلِهِ﴾: المخبرين عن فضلهم الدّاعين إلى متابعتهم.

﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ﴾: خصوصاً وقرىء بغير همزة ولا ياء وبهمزة من غير ياء.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾: بهم وذلك قول من قال من التّصاب لمّا قال

النّبي ﷺ في عليّ عليه السلام: جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، واسرافيل من خلفه، وملك الموت أمامه، والله تعالى من فوق عرشه ناظر بالرضوان إليه ناصره، قال بعض النّواصب: أنا أبرء من الله وجبرئيل واسرافيل وميكائيل والملائكة الذين حالهم مع عليّ ما قاله محمّد ﷺ فقال الله: من كان عدوّاً لهؤلاء تعصّباً على عليّ عليه السلام فإنّ الله يفعل بهم ما يفعل العدو بالعدو (١).

والقّمي: أنّها نزلت في اليهود الذين قالوا لرسول الله ﷺ لو كان الملك الذي

يأتيك ميكائيل لأمّا بك، فإنّه ملك الرّحمة وهو صديقنا، وجبرئيل ملك العذاب، وهو عدونا (٢).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: إنّ الله ذمّ اليهود في بغضهم لجبرئيل الذي كان ينفذ قضاء الله

فيهم فيما يكرهون، كدفعه عن بخت نصر أن يقتله دانيال عليه السلام من غير ذنب جنّي بخت نصر حتّى بلغ كتاب الله في اليهود أجله، وحلّ بهم ما جرى في سابق علمه وذمّهم أيضاً، وذمّ النّواصب في بغضهم لجبرئيل وميكائيل وملائكة الله التّازلين لتأييد عليّ بن أبي طالب عليه السلام

على الكافرين حتّى أذلّهم بسيفه الصّارم^(١).

وفيه^(٢) وفي الاحتجاج: قال أبو محمّد: قال جابر بن عبد الله: لما قدم النّبي ﷺ المدينة أتوه بعبد الله بن سوريا غلام أعور يهودي تزعم اليهود أنّه أعلم يهودي بكتاب الله وعلوم أنبيائه، فسأله عن أشياء فأجابها رسول الله ﷺ بما لم يجد عن إنكار شيء منه سبيلاً، إلى أن قال: بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك واتّبعتك، أيّ ملك يأتيك بما تقوله عن الله؟ قال: جبرئيل عليه السلام.

قال ابن سوريا: ذاك عدوّنا من بين الملائكة ينزل بالقتل والشّدّة والحرب، ورسولنا ميكائيل يأتي بالسرور والرّخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمناً بك، وميكائيل كان يشدّ ملكنا، وجبرئيل كان يهلك ملكنا فهو عدوّنا، قال: فقال له رسول الله ﷺ: ويحك أجهلت أمر الله وما ذنب جبرئيل أن أطاع الله فيما يريده بكم أرايتم الآباء والأمّهات إذا أوجروا الأولاد الدّواء الكريه لمصالحهم يجب أن يتّخذهم أولادهم أعداء من أجل ذلك لا ولكنكم بالله جاهلون، وعن حكمه غافلون، أشهد أن جبرئيل وميكائيل بأمر الله عاملان، وله مطيعان، وإنّه لا يعادي أحدهما إلّا من عادى الآخر، وإنّه من زعم أنّه يحبّ أحدهما ويبغض الآخر فقد كذب، وكذلك محمّد رسول الله ﷺ وعليّ أخوان فمن أحبّهما فهو من أولياء الله، ومن أبغضهما فهو من أعداء الله، ومن أبغض أحدهما وزعم أنّه يحبّ الآخر فقد كذب، وهما منه بريئان، والله تعالى وملائكته وخيار خلقه منه براء.

قال الإمام عليه السلام فقال: له سلمان الفارسي عليه السلام: فما بدء عداوته لكم قال: نعم يا سلمان عادانا مراراً كثيرة، وكان من أشدّ ذلك علينا إنّ الله أنزل على أنبيائه أنّ بيت المقدس يخرب على يد رجل يقال له: بخت نصر وفي زمانه أخبرنا بالخبر الذي يخرب به، والله يحدث الأمر بعد الأمر فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء فلمّا بلغنا ذلك الخبر الذي يكون

فيه هلاك بيت المقدس بعث أوائلنا رجلاً من أقوياء بني اسرائيل وأفاضلهم كان يعدّ من أنبيائهم يقال له: دانيال في طلب بخت نصر ليقتله فحمل معه وقرة^(١) مال لينفقه في ذلك، فلما انطلق في طلبه لقيه بابل غلاماً ضعيفاً مسكيناً ليس له قوّة ولا منعة فأخذه صاحبا ليقتله، فدفع عنه جبرئيل، وقال لصاحبنا: إن كان ربكم هو الذي أمر بهلاككم فإنه لا يسلطك عليه وإن لم يكن هذا فعلى أي شيء تقتله؟ فصدّقه صاحبنا وتركه، ورجع إلينا فأخبرنا بذلك، وقوي بخت نصر وملك وغازنا وخرب بيت المقدس فلهذا نتّخذة عدوّاً، وميكائيل عدوّ لجبرئيل.

فقال سلمان: يا ابن سوريا بهذا العقل المسلوك به غير سبيله ضللتهم، رأيتم أوأيلكم كيف بعثوا من يقتل بخت نصر؟ وقد أخبر الله تعالى في كتبه على السنة رسله أنه يملك ويخرب بيت المقدس أرادوا بذلك تكذيب أنبياء الله في خبرهم واتّهموهم في أخبارهم أو صدّقوهم في الخبر عن الله، ومع ذلك أرادوا مغالبة الله هل كان هؤلاء ومن وجّهوه إلّا كفاراً بالله وأيّ عداوة يجوز أن يعتقد لجبرئيل، وهو يصدّه عن مغالبة الله عزّ وجلّ وينهى عن تكذيب خبر الله تعالى.

فقال ابن سوريا: قد كان الله أخبر بذلك على اللسان أنبيائه ولكنّه يمحو ما يشاء ويثبت.

قال سلمان: فإذا لا تثقوا بشيء ممّا في التّوراة من الأخبار عمّا مضى وما يستأنف فإنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت، وإذا لعلّ الله قد كان عزل موسى وهارون عن النّبوة وأبطل في دعواهما «لأنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت»، أولعلّ كلّ ما أخبراكم أنّه يكون لا يكون، وما أخبراكم أنّه لا يكون يكون، وكذلك ما أخبراكم عمّا كان^(٢) لعلّه لم يكن وما أخبراكم أنّه لم

١ - الورق - بالكسر - الجمل، يقال: جاء يحمل وقرة. الصحاح: ج ٢، ص ٨٤٨، مادة «وقر».

٢ - أريد «بالإخبار عمّا كان وما لم يكن»: الإخبار عمّا غاب عن الحسن بغير طريق الإحساس بكونه، أو عدم كونه. منه بعض.

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا
 الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ
 أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

يكن لعله كان، ولعل ما وعده من الثواب يمحوه، ولعل ما توعدّه به من العقاب يمحوه، «فإنّه يمحو ما يشاء ويثبت»، وأنكم جهلتم معنى «يمحو الله ما يشاء ويثبت»، فلذلك كنتم أنتم بالله كافرون، ولأخباره عن الغيوب مكذبون، وعن دين الله منسلخون.

ثم قال سلمان: فإنّي أشهد أنّ من كان عدوّاً لجبرئيل، فإنّه عدوّ لميكائيل، وإنّهما جميعاً عدوّان لمن عاداهما، سلّمان لمن سالمهما، فأنزل الله تعالى عند ذلك موافقاً لقول سلمان عليه السلام: «قل من كان عدوّاً لجبرئيل» الآية (١).

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: دالات على صدقك في نبوتك وإمامة علي عليه السلام أخيك موضّحات عن كفر من شك فيكما.

﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون عن دين الله وطاعته من اليهود والكاذبين من النواصب المتسمّين بالمسلمين.

﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهِدُوا﴾: واثقوا وعاهدوا.

﴿عَهْدًا﴾: ليكوننّ لمحمد صلى الله عليه وآله طائعين وعليّ عليه السلام بعده مؤتمرين، وإلى أمره

صائرين.

﴿نَبَذَهُ﴾: نبذ العهد.

﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: وخالفه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ
فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ
كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾: بل أكثر هؤلاء اليهود والنواصب.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: في مستقبل أعمارهم. لا يرعون ولا يتوبون مع مشاهدتهم الآيات ومعابنتهم الدلالات.

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ^(١) مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: قال ﷺ:

قال الصادق ﷺ: ولما جاءهم جاء اليهود، ومن يليهم من النواصب كتاب من عند الله القرآن مشتملاً على وصف محمد وعلي، وإيجاب ولايتهما وولاية أوليائهما، وعداوة أعدائهما^(٢).

أقول: إنما فسر ﷺ الرسول بالكتاب لإستلزامه آياه دون العكس، وليوافق ما سبق في نظيره ولموافقة المنبؤ.

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: التوراة وسائر كتب

انبيائه.

﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾: تركوا العمل بما فيها حسداً للمحمد ﷺ على نبوته ولعلي ﷺ

على وصيته، ووجدوا على ما وقفوا عليه من فضائلهما^(٣).

﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فعلوا فعل من لا يعلم مع علمهم بأنه حق.

١ - يعني أن فسر الرسول بالرسول لم تفد هذه الفائدة ولم يفهم منه الكتاب. منه ﷺ.

٢ - تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٤٧١.

٣ - تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص ٤٧١.

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ
وَلَكِنَّ الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ
الْمَلَائِكَةِ بَبَابِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ
يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ
بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ وَمَا هُمْ
بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا
يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ
وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾: ما يقرأوه كفرة الشياطين من السحر، والتيرنجات.
﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ﴾^(١): على عهده وزعموا أن سليمان كان كافراً ساحراً ماهراً
به، وبذلك السحر والتيرنجات نال ما نال، وملك ما ملك، وقدر على ما قدر، وقالوا: ونحن
أيضاً به نظهر العجائب حتى ينقاد لنا الناس ونستغني عن الانقياد لمحمد ﷺ وعلي ﷺ^(٢).
القمي^(٣)، والعياشي: عن الباقر ﷺ قال: لما هلك سليمان وضع ابليس السحر ثم
كتبه في كتاب فطواه، وكتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن
داود ﷺ من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا وكذا فليعمل^(٤) كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير،
ثم استبان^(٥) لهم فقرأه فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلا بهذا، وقال المؤمنون: بل هو

١ - «على» بمعنى «في» كما في قوله تعالى في سورة القصص: «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا» الآية:

٢ - تفسير الامام العسكري، ص ٤٧١ - ٤٧٢.

١٥.

٤ - وفي نسخة [فليعمل] وفي المصدر [فليقل].

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٥٥.

٥ - وفي نسخة [استشار] وفي المصدر [استشاره].

عبدالله ونبيه، فقال الله في كتابه: «وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ» أي السحر^(١).

وفي الإحتجاج: عن الصادق عليه السلام في حديث قال السائل: فمن أين علم الشياطين السحر؟ قال: من حيث عرف الأطباء الطبَّ بعضه وتجربة وبعضه علاج^(٢).

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾: ولا استعمل السحر كما قال هؤلاء الكافرون.
 ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾: وقرىء: «ولكن» بتخفيف النون ورفع ما بعده.
 ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ﴾: يعني كفروا بتعليمهم الناس السحر الذي نسبوه إلى سليمان بن داود.

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾: وبتعليمهم إياهم ما أنزل على الملكين.
 ﴿يَبَابِلَ هَرُوتَ وَمَرْوْتَ﴾: اسم الملكين، قال عليه السلام: قال الصادق عليه السلام: وكان بعد نوح قد كثرت السحرة والمموهون، فبعث الله تعالى ملكين إلى نبي ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة، وذكر ما يبطل به سحرهم، ويردّ به كيدهم فتلقاه النبي صلى الله عليه وآله عن الملكين وأداه إلى عباد الله بأمر الله عزّ وجلّ، وأمرهم أن يقفوا به على السحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به الناس، وهذا كما يدلّ على السّم ما هو وعلى ما يدفع به غائلة السّم، ثم يقال لمتعلّم ذلك: هذا السّم فمن رأيت سَم فادفع غائلته بكذا وكذا وإياك أن تقتل بالسّم أحداً قال: وذلك النبي أمر الملكين أن يظهرا للناس بصورة بشرين ويعلماهم ما علّمهما الله من ذلك ويعظاهم^(٣).

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾: ذلك السحر وإبطاله.
 ﴿حَتَّى يَقُولَا﴾: للمتعلّم
 ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: امتحان للعباد، وليطيعوا الله عزّ وجلّ فيما يتعلّمون من هذا ويبطلوا به كيد السحر ولا يسحروا.

١ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٢، ح ٧٤.
 ٢ - الإحتجاج: ج ٢، ص ٨٢، باب فيما احتجّ الصادق عليه السلام على الزنديق.
 ٣ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٤٧٣.

﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾: باستعمال هذا السحر وطلب الإضرار به ودعاء الناس إلى أن يعتقدوا أنك به تحيي وتميت، وتفعل ما لا يقدر عليه إلا الله فإن ذلك كفر.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾: يعني طالبي السحر.

﴿مِنْهُمْ﴾: يعني ممّا تتلو الشياطين على ملك سليمان من النيرانجات^(١) وما أنزل على الملكين بابل هاروت وماروت يتعلمون من هذين الصنفين.

﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾: هذا من يتعلم للإضرار بالناس يتعلمون التفريق بضروب من الحيل والتمائم^(٢) والإيهام أنه قد دفن في موضع كذا، وعمل يغضب قلب المرأة على الرجل، وقلب الرجل على المرأة، ويؤدي إلى الفراق بينهما^(٣).

﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾: أي ما المتعلمون لذلك بضارين به من أحد.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: يعني بتخليفة الله وعلمه فإنه لو شاء لمنعهما بالجبر والقهر.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: لأنهم إذا تعلموا ذلك السحر ليسحروا به ويضروا، فقد تعلموا ما يضرهم في دينهم ولا ينفعهم فيه، بل ينسلخون عن دين الله بذلك.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾: علم هؤلاء المتعلمون.

﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾: بدينه الذي ينسلخ عنه بتعلمه.

﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: من نصيب في ثواب الجنة. في العيون: عن الصادق عليه السلام: لأنهم يعتقدون أن لا آخرة، فهم يعتقدون أنها إذا لم تكن آخرة فلا خلاق لهم في دار بعد الدنيا، وإن كانت بعد الدنيا آخرة فهم مع كفرهم بها لا خلاق لهم فيها^(٤).

﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: رهنوها بالعذاب.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: أنهم قد باعوا الآخرة وتركوا نصيبهم من الجنة، لأن

١- النيرنج - بالكسر - أخذ كالسحر وليس به، والنيرج النمام القاموس المحيط: ج ١، ص ٢٠٩. مادة «النورج».

٢- التميمة: عوذة تعلق على الإنسان. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٧٨.

٣- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٧٤.

٤- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٨ - ٢٦٩، ح ١، باب ٢٧ - ما جاء عن الرضا عليه السلام في هاروت وماروت.

وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

المتعلمين لهذا السحر هم الذين يعتقدون أن لا رسول ولا إله ولا بعث ولا نشور.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾:

قال الراوي قلت لأبي محمد عليه السلام: فإن قوماً عندنا يزعمون أن هاروت وماروت ملكان إختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم، وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدنيا، وأنهما افتننا بالزهرة، وأرادا الزنا بها، وشربا الخمر، وقتلا النفس المحرمة، وإن الله تعالى يعذبهما ببابل، وإن السحرة منهما يتعلمون السحر، وإن الله مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة، فقال الإمام: معاذ الله من ذلك، إن ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بالطف الله تعالى، قال الله عز وجل فيهم: «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»^(١) وقال: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ» يعني الملائكة «لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ»^(٢) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»^(٣) وقال في الملائكة أيضاً: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ»^(٤) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ»^(٥) إلى قوله «مُشْفِقُونَ»^(٤) (٥).

وفي العيون: عن الصادق عليه السلام مثل ما في تفسير الإمام عليه السلام: من قوله: «وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ» إلى هنا بزيادة أشرنا إليها في محلها^(٦).

وعن الرضا عليه السلام أنه سئل عما يرويه الناس من أمر الزهرة، وأنها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت، وما يروونه من أمر سهيل وأنه كان عشيراً باليمن فقال عليه السلام: كذبوا في

١- التحريم: ٦. ٢- الأنبياء: ١٩- ٢٠.

٣- الأنبياء: ٢٦- ٢٧. ٤- الأنبياء: ٢٨.

٥- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٤٧٥.

٦- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٦- ٢٦٩، ح ١، باب ٢٧- ما جاء عن الرضا عليه السلام في هاروت وماروت.

قولهم: إنَّهما كوكبان وإنَّما كانتا دابَّتَيْنِ من دوابِّ البحر، فغلط الناس وظنَّوا أنَّهما الكوكبان، وما كان الله عزَّ وجلَّ ليمسح أعداءه أنواراً مضيئة ثم يبقها ما بقيت السموات والأرض، وأنَّ المسوخ لم يبق أكثر من ثلاثة أيَّام حتَّى ماتت، وما تناسل منها شيء وما على وجه الأرض اليوم مسخ، وإنَّ التي وقع عليها اسم المسوخية مثل القرد والخنزير والدبِّ وأشباهاها إنَّما هي مثل ما مسخ الله عزَّ وجلَّ على صورها قوماً غضب الله عليهم ولعنهم بإنكارهم توحيد الله وتكذيبهم رسله، وأمَّا هاروت وماروت فكانا ملكين علَّما الناس السحر ليحترزوا به عن سحر السحرة، ويبطلوا به كيدهم، وما علَّما أحداً من ذلك شيئاً إلَّا قالوا له: «إنَّما نحن فتنة فلا تكفر»، فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالإحراز منه وجعلوا يفرِّقون بما تعلَّموه بين المرء وزوجه (١).

أقول: وأمَّا ما كذَّبوه ﷺ من أمر هاروت وماروت ومسح زهرة وقصَّتهم المشتهرة بين الناس، فقد ورد عنهم ﷺ في صحتِّها أيضاً روايات، والوجه في الجمع والتوفيق أن يحمل روايات الصحة على كونها من مرموزات الأوائل وإشاراتهم وأنَّهم ﷺ لمَّا رأوا أنَّ حكاياتهم كانوا يحملونها على ظاهرها كذَّبوها ولا بأس بإيرادها وحلَّها فإنَّ هاهنا محلَّها. القمِّي (٢)، والعياشي: عن الباقر ﷺ أنَّه سأله عطاء: عن هاروت وماروت، فقال ﷺ: إنَّ الملائكة كانوا ينزلون من السَّماء إلى الأرض في كلِّ يوم وليلة، يحفظون أعمال أوساط أهل الأرض من ولد آدم والجنِّ ويسطرونها (٣) ويعرجون بها إلى السَّماء، قال: فضجَّ أهل السَّماء من أعمال أوساط أهل الأرض في المعاصي والكذب على الله تعالى، وجرأتهم عليه، ونزَّهوا الله ممَّا يقولون ويصفون، فقالت طائفة من الملائكة: يا ربَّنَا أما تغضب ممَّا يعمل خلقك في أرضك، وممَّا يصفون فيك الكذب، ويقولون الزُّور، وممَّا يرتكبونه من المعاصي التي نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك؟ قال: فأحبَّ الله عزَّ وجلَّ أن يري الملائكة سابق علمه في جميع خلقه، ويعرِّفهم ما منَّ به عليهم ممَّا طبعهم عليه من

١- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٧١، ح ٢. ٢- تفسير القمِّي: ج ١، ص ٥٥ - ٥٨.

٣- هكذا في الأصل. وفي العياشي والقمي [ويكتبون أعمالهم].

الطاعة وعدل به عنهم من الشهوات الإنسانية، فأوحى الله عز وجل إليهم أن انتدبوا منكم ملكين حتى أهبطهما إلى الأرض واجعل فيهما الطبائع البشرية من الشهوة والحرص والأمل كما هو في ولد آدم، ثم اختبرهما في الطاعة لي ومخالفة الهوى، قال: فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من أشد الملائكة قولاً في العيب لولد آدم واستيثار^(١) غضب الله تعالى عليهم فأوحى الله سبحانه وتعالى إليهما «اهبطا إلى الأرض» فقد جعلت فيكما طبائع الشهوات والحرص والأمل وأمثالها كما جعلت في بني آدم، وأني أمركما ألا تشركا بي شيئاً، ولا تقتلا النفس التي حرمتها، ولا تزنيا، ولا تشربا الخمر، ثم اهبطا إلى الأرض في صورة البشر ولباسهم، فهبطا في ناحية بابل فرفع لهما بناء مشرف فأقبلوا نحوه فإذا ببابه امرأة جميلة حسناء متزينة معطرة مسفرة مستبشرة نحوهما فلما تأملا حسنهما وجمالها ناطقاها وقعت في قلوبهما أشد موقع، واشتدت بهما الشهوة التي جعلت فيهما، فمالا إليها ميل فتنه وخذلان، وحادثاها وراوداها عن نفسها، فقالت لهما إن لي ديناً أدين به وليس في ديني أن أجيبكما إلى ما تريدان إلا أن تدخل في ديني، فقالا: وما دينك؟ فقالت: إن لي إلهاً من عبده وسجد له فهو ممن في ديني، وأنا مجيبة لما يسأل مني، فقالا: وما إلهك؟ قالت: إلهي هذا الصنم فنظر كل إلى صاحبه، فقال له: هاتان خصلتان ممّا نهينا عنه، الزنا، والشرك، لأننا إن سجدنا لهذا الصنم وعبدناه أشركنا بالله، وهو ذا نحن نطلب الزنا ولا نقدر على مغالبة الشهوة، فيه ولن يحصل بدون هذا قال لهما: إنا نجيبك إلى ما سألت، قالت: فدوّنكما هذا الخمر. فاشربا فإنه قربان لكما منه، وبه تبلغان مرادكما فأتما بينهما، وقالوا: هذه ثلاث خصال ممّا نهينا عنه الشرك والزنا وشرب الخمر، وأنا لا نقدر على الزنا إلا بهاتين حتى نصل إلى قضاء وطرنّا، فقالا: ما أعظم البليّة بك فقد أجبنك، قالت: فدوّنكما اشربا هذا الخمر، واسجدا للصنم، فشربا الخمر وسجدا ثم راوداها فلما تهيأت لذلك دخل عليهما سائل فرآهما على تلك الحالة، فذعرا منه، فقال: ويلكما قد خلوتما بهذه المرأة المعطرة الحسنة

١ - الثور: الهيجان، نار الشيء: هاج، وثورته واستثار غيره كما يستثار الأسد والصيد: أي هيجه. تاج العروس: ج ١٠، ص ٣٣٧ مادة «ت و ر».

وقعدتما منها على مثل هذه الفاحشة إنكما لرجلان سوء لأفعلن بكما، وخرج على ذلك، فنهضت فقالت: لا وإلهي لا تصلان الآن إليّ وقد أطلع هذا الرجل علينا وعرف مكانكما وهو لا محالة مخبر بخبركما فبادرا واقتلاه قبل أن يفضحنا جميعاً، ثم دونكما فاقضيا وطركما مطمئنين آمنين فأسرعا إلى الرجل فأدركاه وقتلاه، ثم رجعا إليها فلم يرياها وبدت لهما سواتهما ونزع عنهما رياشهما واسقطا في أيديهما، وسمعا هاتفاً إنكما اهبطتما إلى الأرض بين البشر من خلق الله تعالى ساعة من النهار، فَعَصَيْتُمَا بِأَرْبَعٍ مِنْ كِبَائِرِ الْمَعَاصِي وقد نهاكما عنها، وقَدَّمْ إليكما فيها ولم تراقباه ولا استحييتما منه، وقد كنتما أشد من نقم على أهل الأرض المعاصي وأسجر غضبه عليهم ولَمَّا جعل فيكما من طبع خلقه البشري وكان عصمكم من المعاصي كيف رأيتم موضع خذلانه فيكما؟ قال: وكان قلبهما في حُبِّ تلك المرأة أن وضعاً طرائق من السحر ما تداوله أهل تلك الناحية.

قال الإمام عليه السلام: فخيرهما الله عزّ وجلّ بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فقال أحدهما لصاحبه: تتمتع من شهوات الدنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة، فقال الآخر: إنَّ عذاب الدنيا له انقطاع، وعذاب الآخرة لا انقطاع له، وليس حقيق بنا أن نختار عذاب الآخرة الدائم الشديد على عذاب الدنيا المنقطع الفاني، قال: فاختارا عذاب الدنيا وكانا يعلمان الناس السحر بأرض بابل، ثمَّ لَمَّا علَّمَا النَّاسَ السَّحْرَ رفعَا مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْهَوَاءِ فهما معذبان منكَّسان معلقان في الهواء إلى يوم القيامة^(١).

والعياشي: عن أبي الطفيل، قال: كنت في مسجد الكوفة، فسمعت عليّاً وهو على المنبر، فناده ابن الكوّا وهو في مؤخر المسجد، فقال: يا أمير المؤمنين عليه السلام ما الهدى؟ قال: لعنك الله أولم تسمعه؟ ما الهدى تريد ولكن العمى تريد، ثمَّ قال عليه السلام له: أدن. فدنا منه فسأله عن أشياء فأخبره فقال: أخبرني عن هذه الكوكبة الحمراء يعني الزهرة؟

قال: إنَّ الله أطلع ملائكته على خلقه وهم على معصية من معاصيه، فقال: الملكان هاروت وماروت هؤلاء الذين خلقت أباهم بيدك وأسجدت له ملائكتك يعصونك؟ قال:

فلعلكم لو ابتليتم بمثل الذي ابتليتهم به عصيتموني كما عصوني، قالوا: لا وعزتك. قال: فابتلاهم بمثل الذي ابتلى به بني آدم من الشهوة، ثم أمرهم أن لا يشركوا به شيئاً، ولا يقتلوا النفس التي حرم الله، ولا يزنوا، ولا يشربوا الخمر، ثم أهبطهما إلى الأرض فكانا يقضيان بين الناس هذا في ناحية، وهذا في ناحية فكانا بذلك حتى أتت أحدهما هذه الكوكبة تخاصم إليه وكانت من أجمل الناس فأعجبته، فقال لها: الحق لك ولا أقضي لك حتى تمكيني من نفسك فواعدت يوماً، ثم أتت الآخر فلمّا خاصمت إليه وقعت في نفسه وأعجبته كما أعجبت الآخر، فقال لها: مثل مقالة صاحبه، فواعدته الساعة التي واعدت صاحبه فاتفقا جميعاً عندها في تلك الساعة فاستحى كل واحد من صاحبه حيث رآه، وطأطأ رؤوسهما ونكّسا ثم نزع الحياء منهما، فقال أحدهما لصاحبه: يا هذا جاء بي الذي جاء بك.

قال: ثم اعلمها وراودها عن نفسها فأبت عليهما حتى يسجدا لوثنها، ويشربا من شرابها، فأبيا عليها، وسألاها فأبت إلا أن يشربا من شرابها فلمّا شربا وسجدا لوثنها ودخل مسكين فراهما، فقالت لهما: يخرج هذا فيخبر عنكما، فقاما إليه فقتلاه، ثم راودها عن نفسها فأبت حتى يخبرانها بما يصعدان به إلى السماء، وكانا يقضيان بالنهار فإذا كان الليل صعدا إلى السماء فأبيا عليها وأبت أن تفعل فأخبرها، فقالت: ذلك لتجرّب^(١) مقالتهما وصعدت، ورفعاً أبصارهما إليها فرأيا أهل السماء مشرفين عليها ينظرون إليها وتناهت إلى السماء فمسخت وهي الكوكبة التي ترى^(٢).

وفي الخصال: عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال: إنّ المسوخ من بني آدم ثلاثة عشر إلى أن قال: وأمّا الزهرة فكانت امرأة فتنت هاروت وماروت فمسخها الله كوكبا^(٣).

وعنه، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسوخ؟ فقال: هي ثلاثة عشر إلى أن قال صلى الله عليه وآله: وأمّا الزهرة فكانت امرأة نصرانية وكانت

١ - يعني لتقول مثل مقالتهما، فتعلم هل يتأتى الصعود بذلك القول أم لا. منه «قدّس سرّه».

٢ - تفسير العتاشي: ج ١، ص ٥٤ - ٥٥، ح ٧٦. ٣ - الخصال: ص ٤٩٣، ح ١، أبواب الثلاثة عشر.

لبعض ملوك بني اسرائيل وهي التي فتن بها هاروت وماروت، وكان اسمها ناهيل، والناس يقولون ناهيد^(١).

وفي العلل: عن أبي الحسن عليه السلام في حديث: قال: ومسخت الزهرة لأنّها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت^(٢).

وعنه، عن أبيه، في حديث قال: وأمّا الزهرة فإنّها كانت امرأة تسمّى ناهيل، وهي التي تقول الناس إنّه افتنن بها هاروت وماروت^(٣).

أقول: في نسبة افتتانها إلى قول الناس دليل على ما قلناه من أنّها من المرموزات، وأمّا حلّها: فلعلّ المراد بالملكين: الرّوح والقلب فإنّهما من العالم الرّوحاني اهبطا إلى العالم الجسماني لاقامة الحقّ فافتتنا بزهرة الحياة الدنيا، ووقعا في شبكة الشهوة فشرّبا خمر الغفلة، وعبدا صنم الهواء، وقتلا عقلهما الناصح لهما بمنع تغذيته بالعلم والتقوى، ومحو أثر نصحه عن أنفسهما، وتهيئا للزنا ببغي الدنيا الدنيّة التي تلي تربية النشاط والطرب فيها الكوكب المسمّى بزهرة، فهربت الدنيا منهما، وفاتتهما لما كان من عاداتها أن تهرب من طالبيها لأنّها متاع الغرور، وبقي اشراق حسنهما في موضع مرتفع بحيث لا تنالها أيدي طالبا مادامت الزهرة باقية في السماء، وحملهما حبّها في قلبهما إلى أن وضعا طرائق من السحر وهو ما لطف مأخذه ودقّ فخيّر للتخلّص منها فاختارا بعد التنبّه وعود العقل إليهما أهون العذابين، ثم رفعا إلى البرزخ معذّبين ورأسهما بعد إلى أسفل إلى يوم القيامة هذا ما خطر بالبال في حل هذا الرمز، وأمّا حلّ بقيّة أجزائه التي في رواية أبي الطفيل^(٤) فموكول إلى بصيرة ذوي البصائر.

وقيل: بل هو إشارة إلى أن الشخص العالم الكامل المقرّب من حظائر القدس قد

١- الخصال: ص ٤٩٤، ح ٢، أبواب الثلاثة عشر.

٢- علل الشرائع: ص ٤٨٥، ح ١، باب ٢٣٩ علل المسوخ وأصنافها.

٣- علل الشرائع: ص ٤٨٦، ح ٢، باب ٢٣٩ علل المسوخ وأصنافها.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٤ - ٥٥، ح ٧٦.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْنَا وَقُولُوا نُنْظَرُ
وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ

يوكل إلى نفسه الغرارة ولا يلحقه العناية والتوفيق فينبذ علمه وراء ظهره ويقبل على مشتهياته الحسية الخسيسة، ويطوي كشحه عن اللذات الحقيقية والمراتب العلية فينحط إلى أسفل السافلين، والشخص الجاهل الناقص المنغمس في الأوزار قد يختلط بذلك الشخص العالم قاصداً بذلك الفساد والفحشاء فيدركه توفيق إلهي فيستفيد من ذلك العالم ما يضرب بسببه صفحاً عن أدناس دار الغرور وأرجاس عالم الزور ويرتفع ببركة ما تعلمه من حفيظ الجهل والخسران إلى أوج العز والعرفان فيصير المتعلم في أرفع درج العلا، والمعلم في أسفل درك الشقاء.

أقول: هذا الحل غير منطبق على الرمز بتمام أجزائه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: العياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام (١)، والسجاد عليه السلام ليس

في القرآن «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» إلا وهي في التوراة: «يا أَيُّهَا المساكين» (٢).

﴿لَا تَقُولُوا رِعْنَا﴾: راع أحوالنا وراقبنا وتأن بنا فيما تلقنا حتى نفهمه، واسمع منا

نسمع منك، وذلك لأن اليهود لما سمعوا المسلمين يخاطبون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم: «رَاعَنَا»

وكان «رَاعَنَا» في لغتهم سباً بمعنى اسمع لا سمعت، قال بعضهم لبعض: لو كنا نشتم

محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى الآن سرّاً، ففعلوا الآن نشتمه جهراً، فكانوا يقولون له: راعنا يريدون شتمه

ففطن لذلك سعد بن معاذ الأنصاري فلعنهم، وأوعدهم بضرب أعناقهم لو سمعها منهم

فنزلت:

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٩، ح ٤.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٢٨٩، ح ٦. وفي عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٣٩، ح ١١٩.

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ
يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ
نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

﴿وَقُولُوا أَنْظِرْنَا﴾: انظر إلينا.

﴿وَأَسْمِعُوا﴾: إذا قال لكم رسول الله ﷺ: قولوا وأطيعوا.

﴿وَالْكَافِرِينَ﴾: الشاتمين.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ

يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾: آية بيّنة، وحجة معجزة لنبوّة محمد ﷺ وشرفه
وشرف أهل بيته.

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾: بتوفيقه لدين الإسلام، وموالاته محمد ﷺ، وعليه الصلاة.

﴿مَنْ يَشَاءُ﴾: في المجمع عن أمير المؤمنين، والباقر عليه السلام يعني بنبوته (١).

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: يعني على من وفقه لدينه وموالاتهما.

أقول: أو من يختاره لنبوته، أو ما يشملهما، وغيرهما.

﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾: بأن نرفع حكمها، وقرىء بضمّ النون وكسر السين.

﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: بأن نرفع رسمها ونبلي عن القلوب حفظها، وعن قلبك يا محمد ﷺ

كما قال. «سَنُفَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى» ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (٢): أن ينسيك فرفع عن قلبك ذكره، وقرىء
ننساها بفتح النون وإثبات الألف.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا
 رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ
 بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

﴿نَأَتْ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾: بما هو أعظم لثوابكم وأجل لصالحكم.
 ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾: من الصلاح يعني إننا لا ننسخ ولا نبذل إلا وغرضنا في ذلك مصالحكم.
 أقول: وذلك لأن المصالح تختلف باختلاف الأعصار والاشخاص، فإن النافع في
 عصر وبالنسبة إلى شخص قد يضر في غير ذلك العصر وفي حق غير ذلك الشخص، ويأتي
 بيان ذلك مفصلاً من كلام المعصوم عليه السلام في تفسير آيات القبله إن شاء الله.
 قيل: إنها نزلت حين قالوا: إن محمداً عليه السلام يأمرنا بأمر، ثم ينهى عنه، ويأمر بخلافه ^(١).
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: يقدر على النسخ والتبديل
 لمصالحكم ومنافعكم.
 ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: وهو العالم بتدبيرها
 ومصالحها فهو يدبركم بعلمه.
 ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: يلي صالحكم إذ كان العالم بالمصالح هو
 دون غيره.
 ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾: ولا لكم من ناصر ينصركم من مكروه إن أراد إنزاله بكم أو عقاب
 إن أراد إحلاله بكم.
 ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾: بل تريدون يا كفار قريش واليهود.

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ
فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ



﴿أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾: ما تقترحونه من الآيات التي لا تعلمون هل فيه صلاحكم أو فسادكم.

﴿كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾: واقترح عليه لما قيل له: لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرَةً فأخذتهم الصّاعقة.

﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: بعد جواب الرسول له إنّ ما بينا له لا يصلح إقتراحه على الله فلا يؤمن إذا عرف أنّه ليس له أن يقترح أو بعد ما يظهر له ما اقترح إن كان اقتراحه صواباً فلا يؤمن عند مشاهدته ما يقترح أو لا يكتفي بما أقامه الله من الدلالات والبيّنات بأن يعاند ولا يلزم الحجّة القائمة وذلك أنّ النبي ﷺ قصده عشرة من اليهود يريدون أن يتعنّوه ويسألوه عن أشياء ويعانّوه^(١) بها، ثم ذكر ﷺ أشياء سألوها، وآيات اقترحوها، وسنذكرها إن شاء الله في مواضعها.

﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: اخطأ طريق القصد المؤدّية إلى الجنان وأخذ في الطريق المؤدّية إلى النيران.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾: بما يوردونه عليكم من الشبه.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

﴿حَسَدًا﴾: لكم بأن أكرمكم بمحمد ﷺ وعلي وآلهما الطيبين.

﴿مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾: قيل: أي تمنّوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيههم لا من عند تدبيرهم، وميلهم إلى الحق أو حسداً بالغاً منبعثاً من أصل نفوسهم (١)(٢).

﴿مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾: بالمعجزات الدالات على صدق محمد ﷺ وفضل علي وآلهما عليه السلام، وقيل: بالنعوت المذكورة في التوراة (٣).

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾: عن جهلهم وقابلوهم بحجج الله، وادفعوا بها أباطيلهم.

قيل: العفو: ترك عقوبة المذنب، والصفح: ترك تنزيهه (٤).

﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾: فيهم بالقتل يوم فتح مكة.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: قيل:

عطف على فاعفوا، كأنه أمرهم بالصبر والمخالفة واللجأ إلى الله بالعبادة والبر (٥).

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ﴾: كصلاة ومال تنفقونه في طاعة الله أو جاء

تبدلونه لإخوانكم المؤمنين تجزون به إليهم المنافع وتدفعون به المضار.

﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: تجدوا ثوابه تحط به سيئاتكم وتضاعف به حسناتكم

وترفع به درجاتكم.

١- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٦.

٢- وفي نسخة: [من أصل أنفسهم].

٣- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٦.

٤- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٦.

٥- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٦.

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ
 أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ
 أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: عالم ليس يخفى عليه ظاهر فعل ولا باطن ضمير
 فهو يجازيكم على حسب اعتقاداتكم ونياتكم.

﴿وَقَالُوا﴾: يعني اليهود والنصارى، قالت اليهود:

﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾: أي يهوديًا.

﴿أَوْ نَصْرَى﴾: يعني وقالت: النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا.

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: التي يتمنونها بلا حجة.

﴿قُلْ﴾: لهم.

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حججتكم على مقاتلكم.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في دعواكم.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾: لما سمع الحق وبرهانه.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في عمله لله.

﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾: ثوابه.

﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾: يوم الفصل والقضاء.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: حين يخاف الكافرون مما يشاهدونه من العقاب.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: عند الموت لأن البشارة بالجنان تأتيهم.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ
النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ﴾: من الذين بل دينهم باطل

وكفر.

﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾: من الدين بل دينهم باطل

وكفر لأن كلاً من الفريقين مقلد بلا حجة.

﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾: ولا يتأملونه ليعلموا ما يوجبه فيتخلصوا من الضلالة.

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الحق ولم ينظروا فيه من حيث أمره الله.

﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: يكفر بعضهم بعضاً.

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين الفريقين.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في الدنيا يبين ضلالتهم وفسقهم،

وبجazy كل واحد منهم بقدر استحقاقه قال الإمام عليه السلام: قال الحسن بن علي بن أبي

طالب عليه السلام إنما نزلت لأن قوماً من اليهود وقوماً من النصارى جاؤوا إلى رسول الله ﷺ

فقالوا: يا محمد ﷺ افض بيننا، فقال ﷺ: قصوا عليّ قصتكم، فقالت اليهود: نحن المؤمنون

بالله الواحد الحكيم وأوليائه، وليست النصارى على شيء من الدين والحق، وقالت

النصارى: بل نحن المؤمنون بالله الواحد الحكيم وأوليائه وليست هؤلاء اليهود على شيء

من الحق والدين، فقال رسول الله ﷺ: كلكم مخطئون مبطلون فاسقون عن دين الله وأمره،

فقال اليهود: وكيف نكون كافرين وفينا كتاب الله التوراة نقرأه؟ وقالت النصارى وكيف

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ
 فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ
 فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

نكون كافرين وفيينا كتاب الله الإنجيل نقرأه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنكم خالفتم أيها اليهود والنصارى كتاب الله ولم تعملوا به، فلو كنتم عاملين بالكتابين لما كفر بعضكم بعضاً بغير حجة، لأن كتب الله أنزلها شفاءً من العمى، وبياناً من الضلالة تهدي العاملين بها إلى صراط مستقيم، وكتاب الله إذا لم تعملوا به كان وبالاً عليكم، وحجة الله إذا لم تنقادوا لها كنتم لله عاصين ولسخطه متعرضين، ثم أقبل رسول الله ﷺ على اليهود فقال: إحدروا أن ينالكم لخلاف أمر الله وخلاف كتابه ما أصاب أوائلكم الذين قال الله فيهم: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ» (١)(٢).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾: هي مساجد خيار المؤمنين بمكة منعوهم من التعبد فيها بأن ألجأوا رسول الله ﷺ إلى الخروج من مكة. وفي المجمع عن الصادق عليه السلام (٣)، والقمي: إنهم قرئش حين منعوا رسول الله ﷺ دخول مكة والمسجد الحرام (٤).

وعن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام: أنه أراد جميع الأرض لقول النبي ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً (٥).

أقول: وهو عام لكل مسجد وكل مانع، وإن نزل خاصاً.
 ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾: خراب تلك المساجد لتلا تعمر بطاعة الله.

١- البقرة: ٥٩. ٢- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٤٤ - ٥٤٥.

٣- مجمع البيان: ١- ٢، ص ١٩٠. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٥٨.

٥- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ١٩٠. وعوالي اللئالي: ج ٢، ص ١٣، ح ٢٦ و ج ٢، ص ٢٠٨، ح ١٣٠.

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
وُسْعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

﴿أَوَلَيْسَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾: عن عدله^(١) وحكمه النافذ عليهم أن يدخلوها كافرين بسيوفه وسياطه.

أقول: يعني إمام العدل فهو وعد للمؤمنين بالنصرة، واستخلاص المساجد منهم، وقد أنجز وعده بفتح مكة لمؤمني ذلك العصر، وسينجزه لعامة المؤمنين حين ظهور العدل. والعتاشي: عن محمد بن يحيى يعني لا يقبلون الإيمان إلا والسيف على رؤوسهم^(٢).

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: وهو طرده إياهم عن الحرم، ومنعهم أن يعودوا إليه. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: بكفرهم وظلمهم، قال عليه السلام قال علي بن الحسين عليه السلام: ولقد كان في المنافقين والضعفاء أشباه المنافقين قصد إلى تخريب المساجد بالمدينة، وتخريب مساجد الدنيا كلها بما هموا به من قتل علي عليه السلام بالمدينة، وقتل رسول الله ﷺ في طريقهم إلى العقبة، يعني في غزوة تبوك^(٣).

هذا آخر ما وجد من تفسير أبي محمد الزكي عليه السلام مرتباً مجتمعاً، وما وجد منه متفرقاً نذكره في مواضعه إن شاء الله.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: يعني ناحيتي الأرض أي له كلها. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾: قيل: أي ذاته^(٤)، إذ لا يخلو منه مكان. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسْعٌ﴾: ذاتاً وعلماً وقدرةً ورحمةً وتوسعةً على عباده.

١- وفي نسخة: [من عدله]. ٢- تفسير العتاشي: ج ١، ص ٥٦، ج ٧٩.

٣- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٦٠.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٨، ص ٦.

﴿عَلِيمٌ﴾: بمصالح الكلّ وما يصدر عن الكلّ في كلّ مكان وجهة.

القمي: إنها نزلت في صلاة النافلة، تصلّيها حيث توجّهت إذا كنت في السفر، وأمّا الفرائض فقولہ تعالى: «وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»^(١) يعني الفرائض لا تصلّيها إلّا إلى القبلة^(٢).

وفي المجمع: مثله، قال: هذا هو المروي عن أنتمنا عليه السلام^(٣).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام أنزل الله هذه الآية في التطوّع خاصّة «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلِيمٌ»، وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله إيماءً على راحلته أينما توجّهت به حيث خرج إلى خيبر، وحين رجع من مكّة وجعل الكعبة خلف ظهره^(٤).

قال زرارة: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الصلاة في السفر والسفينة والمحمل سواء؟ قال: النافلة كلّها سواء تؤمي إيماءً أينما توجّهت دابّتك وسفّينتك، والفريضة تنزل بها عن المحمل إلى الأرض إلّا من خوف فإن خفت أومات، وأمّا السفينة فصلّ فيها قائماً وتوخّ القبلة بجهدك، أن نوحاً عليه السلام قد صلى الفريضة فيها قائماً متوجّهاً إلى القبلة وهي مطبقة^(٥) عليهم، قال قلت: وما كان علمه بالقبلة فيتوجّهها وهي مطبقة عليهم؟ قال: كان جبرئيل يقومه نحوها، قال: قلت: فأتوجّه نحوها في كل تكبيرة؟ قال: أمّا في النافلة فلا إنّما تكبّر في النافلة على غير القبلة أكثر، ثم قال: كل ذلك قبلة للمتنقّل إنّ قال: «أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلِيمٌ»^(٦).

وفي العلل^(٧)، والعياشي: عنه عليه السلام: إنّهُ سئل عن رجل يقرأ السّجدة، وهو على ظهر دابّته؟ قال: يسجد حيث توجّهت، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي على ناقته النافلة وهو مستقبل المدينة، يقول: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعَ عَلِيمٌ»^(٨).

١- البقرة: ١٤٤ و ١٥٠. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٥٨-٥٩.

٣- مجمع البيان: ج ١، ص ١٩١. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٦، ح ٨٠.

٥- قوله مطبقة: هي أنّ السماء كانت غيماً كلّها. منه قدّس سرّه.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٦-٥٧، ح ٨١. ٧- علل الشرائع: ص ٣٥٨، ح ١، باب ٧٦.

٨- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٧، ح ٨٢.

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿١١٦﴾

وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن رجل يقوم في الصلاة ثم ينظر بعدما فرغ فيرى أنه قد انحرف عن القبلة يمينا وشمالا فقال: قد مضت صلاته، وما بين المشرق والمغرب قبلة، ونزلت هذه الآية في قبلة المتحير «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله» (١).

وفي التوحيد: عن سلمان الفارسي عليه السلام في حديث الجاثليق الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل فأجابه عنها إن فيما سألته، أن قال: أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى؟ فدعا علي عليه السلام بنار وحطب فأضرمه فلما اشتعلت قال علي عليه السلام: أين وجه هذه النار؟ قال النصراني: هي وجه من جميع حدودها، قال علي عليه السلام: هذه النار مدبرة مصنوعة لا يعرف وجهها، وخالفها لا يشبهها «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله» لا تخفى على ربنا خافية (٢).

وقريب منه ما رواه في الخصال، عن أمير المؤمنين عليه السلام في أجوبة مسائل اليهودي (٣).

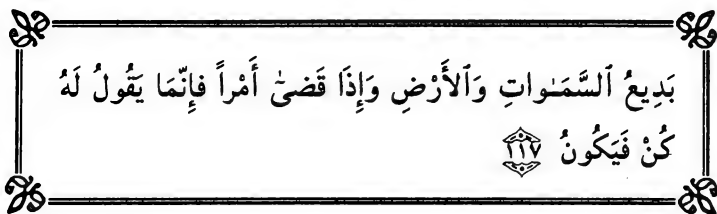
وفي الاحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام أن وجه الله: هم الحُجَج الذين قرنهم الله بنفسه وبرسوله، وفرض على العباد طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها بنفسه (٤).
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح

١- من لا يخضره الفقيه: ج ١، ص ١٧٩، ح ٨٤٦ / ٦، باب ٤٢- القبلة.

٢- التوحيد: ص ١٨٢، ح ١٦.

٣- الخصال: ص ٥٩٧، ضمن حديث ١، باب الواحد إلى المائة.

٤- الاحتجاج: ج ١، ص ٣٧٥، باب احتجاجه على زنديق جاء مستدلًا بأي من القرآن متشابهة.



ابن الله، وقالت مشركوا العرب: الملائكة بنات الله^(١).

﴿سُبْحَنَهُ﴾: تنزيه له عن ذلك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة والفناء.

﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بل كله ملك له، عزيز، والمسيح،

والملائكة، وغيرهم.

﴿كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾: منقادون مقرّون له بالعبودية طبعاً وجبلةً، لا يمتنعون عن

مشيئته وتكوينه فكيف يكونون مجانسين له، ومن حقّ الولد أن يجانس والده.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام في تفسيره: ابتدع

الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السماوات والأرض ولم يكن قبلهنّ سماوات ولا أرضون، أمّا تسمعه لقوله تعالى: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^{(٢)(٣)}.

﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾: أراد فعله وخلقه كما قال: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا»^(٤).

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: لا بصوت يقرع، ولا بنداء يسمع، وأمّا كلامه

سبحانه فعل منه انشاءً، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً.

كذا في نهج البلاغة: قال: يقول ولا يلفظ، ويريد ولا يضمّر^(٥).

وفي الكافي^(٦)، والتوحيد: عن الكاظم عليه السلام: الإرادة من المخلوق الضمير، وما يبدو

١ - قيل: إن السبب في هذه الضلالة: أن أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الأب على الله باعتبار أنّه السبب الأوّل، حتى قالوا: إنّ الأب: هو الأب الأصغر، والله سبحانه هو الأب الأكبر، ثم ظنت الجهلة منهم أنّ المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليداً منه ﷺ.
٢ - هود: ٧.

٣ - الكافي: ج ١، ص ٢٥٦، ح ٢، باب نادر في ذكر الغيب.

٤ - تيس: ٨٢.

٥ - نهج البلاغة: ص ٢٧٤، الخطبة ١٨٦ في التوحيد.

٦ - الكافي: ج ١، ص ١٠٩، ح ٣، باب الإرادة أنها من صفات الفعل.

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ
بَيَّنَّا آيَاتِنَا لِلْقَوْمِ يَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

له بعد ذلك من الفعل، وأما من الله فإرادته للفعل إحداثه لا غير ذلك، لأنّه لا يروى ولا يهّم^(١) ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفية عنه، وهي من صفات الخلق، فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك، يقول له: «كُنْ فَيَكُونُ» بلا لفظ، ولا نطق بلسان، ولا همة، ولا تفكّر، ولا كيف لذلك، كما أنّه لا كيف له^(٢).

وفي رواية: «وكن» منه صنع، وما يكون به المصنوع^(٣).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: جهلة المشركين وغير العاملين بعلمهم من أهل

الكتاب.

﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾: أقول: هذا كقوله سبحانه في المدثر: «يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشُورَةً»^(٤).

﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من الأمم الماضية.

﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾: «فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً»^(٥) وهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدةً

من السماء.

١- الهم بالأمر: حديث النفس بفعله. يقال: هم بالأمر بهمّ هاماً، وجمعه هموم، وأهمّه الأمر: إذا عنى به، يحدث به نفسه، والفرق بين الهمّ بالشئ والقصد إليه: انه قد يهّم بالشئ قبل أن يريده ويقصده بأنه يحدث نفسه به وهو مع ذلك مقبل على فعله مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٨٨.

٢- التوحيد: ص ١٤٧، ح ١٧.

٣- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٧٣ - ١٧٤، ح ١، باب ١٢ - ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان

وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون. ٤- المدثر: ٥٢. ٥- النساء: ١٥٣.

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ
الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

﴿تَتَّبِعَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد.

﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: الحقائق.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: فلا عليك إن أصرّوا أو كابرّوا.

﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنه على النهي

كما قرئ به ^(١).

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: مبالغة في

اقتناط الرسول عليه السلام عن اسلامهم، فإنهم إذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون

ملته. كذا قيل ^(٢).

﴿قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ﴾: أي الإسلام.

﴿هُوَ الْهُدَىٰ﴾: إلى الحق لا ما تدعون إليه.

﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: آراءهم الزائفة ^(٣).

﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفع

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ١٩٦.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٧٩.

٣- وفي نسخة [الزائفة]. والزيغ: الميل عن الحق. مجمع البحرين: ج ٥، ص ١٠، مادة «زيغ».

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾
يَسْبِيئِ إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي
فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةُ وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

عنك عقابه، وهذا من قبيل: إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جارة (١).

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: بالوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الأولى، ويستعيز في الأخرى. كذا في المجمع (٢)، والعياشي (٣): عن الصادق عليه السلام.

وفي الكافي: عنه عليه السلام: هم الأئمة عليهم السلام (٤)، ورواه العياشي (٥) أيضاً.

﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ * يَسْبِيئِ
إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ *
وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا
شَفْعَةُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: قد مضى تفسير الآيتين، قيل: لما صدر قصتهم بالأمر بذكر
النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضعائها، والخوف من الساعة وأهوالها كرر ذلك، وختم به

١- راجع المثل في الكافي: ج ٢، ص ٦٣٠-٦٣١، ح ١٤، باب النوادر.

٢- مجمع البيان: ج ١، ص ٢، ص ١٩٨. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٧، ح ٨٤.

٤- الكافي: ج ١، ص ٢١٥، ح ٤، باب في أن من اصطفاه الله من عباده.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٧، ح ٨٣.

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ
لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي
الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

الكلام معهم مبالغة في النصح، وإيذاناً بأنه فذلِكَ القِصَّةُ (١)، والمقصود منها (٢).

والعياشي عن الصادق عليه السلام: إنَّ العدل: الفريضة (٣).

وفيه عن الباقر عليه السلام: إن العدل: الفداء (٤).

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾: القمّي: هو ما ابتلاه به ممّا أراه في
نومه بذبح (٥) ولده فأتمّها إبراهيم عليه السلام وعزم عليها وسلّم فلما عزم قال تبارك وتعالى: ثواباً
لما صدّق وسلّم وعمل بما أمره الله: «إني جاعلك للناس إماماً» فقال إبراهيم: «ومن
ذرّيتي»؟ قال جلّ جلاله: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» أي لا يكون بعهدي امام ظالم، ثم أنزل
عليه الحنيفيّة وهي الطّهارة، وهي عشرة أشياء: خمسة في الرأس، وخمسة في البدن، فأما
التي في الرأس فأخذ الشارب، وإعفاء اللّحي، وطمّ الشعر (٦)، والسّواك، والخلال، وأما التي
في البدن: فحلق الشعر من البدن، والختان، وقلم الأظفار، والغسل من الجنابة، والطّهور
بالماء. فهذه الحنيفيّة الطاهرة التي جاء بها إبراهيم عليه السلام فلم تنسخ ولا تنسخ إلى يوم
القيامة (٧).

١ - فذلِكَ القِصَّةُ: أي تمامها. منه ﴿١٢٤﴾.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٠.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٧، ح ٨٥. ٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٧، ح ٨٦.

٥ - وفي نسخة [من ذبح]. ٦ - وطمّ الشعر: جزّه أو قصّه. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٠٧، مادة «طمم».

٧ - تفسير القمّي: ج ١، ص ٥٩.

وفي الخصال: عن الصادق عليه السلام: قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم إلا تبت علي فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم، ف قيل له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فما يعني بقوله عز وجل: «فأتهمن؟» قال: يعني أتهمن إلى القائم اثنا عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام^(١).

والعياشي: مضمراً قال: أتهمن بمحمد وعلي والأئمة من ولد علي عليه السلام قال: وقال إبراهيم: يا رب فجعل بمحمد وعلي ما وعدتني فيهما وعجل نصرك لهما^(٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولا، وأن الله اتخذ رسولا قبل أن يتخذه خليلاً، وإن الله اتخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء «قال إني جاعلك للناس إماماً» قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: «ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين»^(٣) قال: لا يكون السفيه إمام التقى^(٤).

وعنه عليه السلام: من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً^(٥).

أقول: وفيه تعريض بالثلاثة حيث عبدوا الأصنام قبل الإسلام.

في العيون: عن الرضا عليه السلام في حديث طويل: إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفها بها وأشاد^(٦) بها ذكره فقال عز وجل: «إني جاعلك للناس إماماً» فقال الخليل عليه السلام سروراً بها: «ومن ذريتي» قال الله عز وجل: «لا ينال عهدي الظالمين» فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة.

١- الخصال: ص ٣٠٥، ح ٨٤، باب الكلمات التي ابتلى إبراهيم به.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٧، ح ٨٨.

٣- الكافي: ج ١، ص ١٧٥، ح ٤، باب طبقات الانبياء والرسول.

٤- الكافي: ج ١، ص ١٧٥، ح ٢، باب طبقات الانبياء والرسول.

٥- الكافي: ج ١، ص ١٧٥، ح ١، باب طبقات الانبياء والرسول.

٦- الإشادة: رفع الصوت بالشيء وأشاد بذكره: أي رفع من قدره الصحاح: ج ٢، ص ٤٩٥.

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ
 إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ
 لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾

وصارت في الصفوة^(١).

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾: أي الكعبة.

﴿مَثَابَةً﴾: مرجعاً، ومحلّ عود.

﴿لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام من دخل الحرم من الناس مستجيراً به فهو آمن من سخط الله عزّ وجلّ، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم^(٢).

﴿وَاتَّخِذُوا﴾: وقرئ بفتح الخاء.

﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾: وهو الحجر الذي عليه أثر قدمه صلوات الله عليه.

في التهذيب: عن الصادق عليه السلام يعني بذلك ركعتي طواف الفريضة^(٣).

ومثله في الكافي^(٤)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: ما أعظم فريّة أهل الشّام على الله تعالى يزعمون أنّ الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على صخرة فأمرنا الله أن نتّخذّه مصليّ الحديث^(٥).

وفي المجمع^(٦)، والعيّاشي: عنه عليه السلام قال: نزلت ثلاثة أحجار من الجنّة: مقام

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢١٧، ح ١، باب ٢٠ - ما جاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمامة والإمام وذكر فضل الإمام ورتبته.
 ٢ - الكافي: ج ٤، ص ٢٢٦، ح ١، باب من دخله كان آمناً.

٣ - تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ١٣٨، ح ٤٥٤. ٤ - الكافي: ج ٤، ص ٤٢٣، ح ٢.

٥ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٤. ٦ - مجمع البيان: ج ١، ص ٢٠٣.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

إبراهيم، وحجر بني اسرائيل، والحجر الأسود^(١).

﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: القمي: عن الصادق عليه السلام نَحْيًا عَنْهُ الْمُشْرِكِينَ، وَقَالَ لَمَّا بَنَىٰ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام الْبَيْتَ وَحَجَّ النَّاسَ شَكَتِ الْكَعْبَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا تَلْقَى مِنْ أَنْفَاسِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا قَرَىٰ كَعْبَتِي فَإِنِّي أَبْعَثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمًا يَنْتَظِفُونَ بِقُضْبَانِ^(٢) الشَّجَرِ وَيَتَخَلَّلُونَ^(٣).

وفي العِلَلِ^(٤)، والعيّاشي: عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ أَيَقْتَسِلُنَ النِّسَاءُ إِذَا أُتِينَ الْبَيْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يَدْخُلَ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ قَدْ غَسَلَ عَنْهُ الْعِرْقَ وَالْأَذَىٰ وَتَطَهَّرَ^(٥)، وَمِثْلُهُ فِي الْكَافِي^(٦).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: في العِلَلِ: عَنْ الرِّضَا عليه السلام لَمَّا دَعَا إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَ أَهْلَهُ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ أَمَرَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْأُرْدَنِ^(٧) فَسَارَتْ بِشِمَارِهَا حَتَّى طَافَتْ بِالْبَيْتِ، ثُمَّ أَمَرَهَا أَنْ تَنْصَرِفَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي سَمَّيَ بِالطَائِفِ وَلِهَذَا^(٨) سَمَّيَ طَائِفًا^(٩).

١ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٣. ٢ - القضيبي واحد القُضْبَانِ، وَهِيَ الْأَغْصَانُ؛ الصَّحَاحُ: ج ١، ص ٢٠٣.

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٥٩.

٤ - علل الشرائع: ص ١١٤، ح ١، باب ١٥١. عِلَّةُ غَسْلِ دُخُولِ الْبَيْتِ.

٥ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٥. ٦ - الكافي: ج ٤، ص ٤٠٠، ح ٣، باب دُخُولِ مَكَّةَ.

٧ - الْأُرْدُنُ بِالضَّمِّ وَالتَّشْدِيدِ: اسْمُ نَهْرٍ وَكَوْرَةٌ بِأَعْلَى الشَّامِ. الصَّحَاحُ: ج ٥، ص ٢١٢٢.

٨ - فِي الْمَصْدَرِ، وَنَسْخَةٌ أُخْرَى [فَلَذَلِكَ].

٩ - علل الشرائع: ص ٤٤٢ - ٤٤٣، ح ٢، باب ١٨٩. الْعِلَّةُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا سَمِيَ الطَّائِفُ طَائِفًا.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾

والقَمِي: عن الصادق عليه السلام يعني من ثمرات القلوب، أي حبّهم إلى الناس ليستنبوا إليهم ويعودوا^(١).

أقول: هذا تأويل، وذاك تفسير، وشاهد التأويل قوله في سورة إبراهيم عليه السلام: «فَجَعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ»^(٢).

وفي العوالي^(٣): حديث آخر يأتي هناك إن شاء الله.

﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: العياشي: عن السجّاد عليه السلام قال: إِيَّانَا عَنِ بَذَلِك، وَأَوْلِيَانَهُ، وَشِبَعَةَ وَصِيَّهِ^(٤).

﴿قَالَ﴾: قال الله.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾: أرزقه أيضاً.

﴿فَأَمْتَعَهُ﴾: وقرىء بالتخفيف.

﴿قَلِيلًا ثُمَّ اضْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾: عذاب النار، قال: عني بذلك من جحد وصيّهِ ولم يتّبعه من أمته، كذلك والله حال هذه الأمة^(٥)^(٦).

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾: تقرّبنا إليك ببناء البيت.

٢- إبراهيم: ٣٧.

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٦٢.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٦.

٣- عوالي اللئالي: ج ٢، ص ٩٦، ح ٢٥٧.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٩، ح ٩٦.

٦- أعلم أنّ هنا خلط ومزج بين تفسير الآية وبين الإستهزاء بالرواية المنقولة عن السجّاد عليه السلام: فكان الأنسب منه ^{عليه السلام} أن يتم الرواية أولاً ثم يبدأ بشرح بقية ألفاظ الآية المباركة.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾: لدعائنا.

﴿الْعَلِيمُ﴾: بنيّاتنا، القمّي: عن الصادق عليه السلام قال: لما بلغ إسماعيل مبلغ الرجال أمر الله إبراهيم أن يبني البيت فقال: يا رب في أي بقعة؟ قال: في البقعة التي أنزلت بها على آدم القبة فأضاء لها الحرم فلم يدر إبراهيم عليه السلام في أي موضع يبنيه؟ فإنّ القبة التي أنزلها الله على آدم كانت قائمة إلى أيام الطوفان أيام نوح عليه السلام فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وبقي موضعها لم يغرق، ولهذا سمّي البيت العتيق لأنّه أعتق من الغرق فبعث الله جبرئيل عليه السلام فخطّ له موضع البيت فأنزل الله عليه القواعد من الجنة وكان الحجر لما أنزل الله على آدم أشدّ بياضاً من الثلج فلما مسّه أيدي الكفار اسودّ، فبنى إبراهيم عليه السلام البيت، ونقل إسماعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة أذرع ثمّ دلّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم عليه السلام، ووضعه في موضعه الذي هو فيه الآن فلما بنى جعل له بابين باباً إلى المشرق، وباباً إلى المغرب، والباب الذي إلى المغرب يسمّى المستجار، ثمّ ألقى عليه الشجر والإذخر^(١)، وعلقت هاجر على بابه كساءً أكان معها وكانوا يكتنون تحته^(٢).

وفي الكافي: عنه عليه السلام في حديث فلما أذن الله له في البناء قدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا بنيّ قد أمرنا الله ببناء الكعبة وكشفا عنها فإذا هو حجر واحد أحمر، فأوحى الله تعالى إليه ضع بناءها عليه، وأنزل الله تعالى أربعة أملاك يجمعون إليه الحجارة، فكان إبراهيم وإسماعيل يضعان الحجارة والملائكة تناولهما حتّى تمّت اثنا عشر ذراعاً وهيئاً له بابين: باباً يدخل منه، وباباً يخرج منه، ووضعاً عليه عتبا^(٣) وشرجاً^(٤) من حديد على أبوابه^(٥). وعن أحدهما: عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أمر إبراهيم ببناء الكعبة وأن يرفع قواعدها.

١- الإذخر - بكسر الهمزة والهاء - نبات معروف عريض الأوراق، طيب الرائحة، يسقّف به البيوت، يحرقه الحداد بدل الحطب والفحم. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٣٠٦، مادة «ذخر».

٢- تفسير القمّي: ج ١، ص ٦١-٦٢. ٣- العتب محرّكة: عتبة الباب. منه يذخر.

٤- شرجاً بالمعجمة ثمّ المؤخّدة ثمّ الجيم محرّكة: العرى، وقال الطريحي: الشريعة: ما يضمّ من القصب يجعل على الحوانيت كالأبواب، ومنه حديث إبراهيم وإسماعيل عليه السلام في البيت «فجعلاً عليه عتباً وشرجاً» مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣١٢ مادة «شرح». ٥- الكافي: ج ٤، ص ٢٠٣، ح ٣.

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ
وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

ويُري الناس مناسكهم، فبنى إبراهيم وإسماعيل البيت كل يوم سافاً^(١) حتى انتهى إلى موضع الحجر الأسود^(٢).

وقال أبو جعفر عليه السلام: فنادى أبو قبيس إبراهيم عليه السلام إن لك عندي وديعة فأعطاه الحجر فوضعه موضعه^(٣).

وفي العلل^(٤)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: قال: إن الله عز وجل أنزل الحجر لآدم عليه السلام من الجنة وكان البيت درة بيضاء فرفعه الله إلى السماء، وبقي أشبهه فهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً فأمر الله إبراهيم وإسماعيل بينان البيت على القواعد^(٥).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: إن إسماعيل أول من شق لسانه بالعربية، وكان أبوه يقول وهما بينان: هاي ابني، أي أعطني حجراً، فيقول له إسماعيل بالعربية: يا أَبَتِ هَاكَ حجراً، فإبراهيم يبني وإسماعيل يناوله^(٦).

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾: منقادين مخلصين.

﴿لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾: واجعل بعض ذرريتنا.

﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة^(٧) يؤمنون: أي يُفْصَدُونَ، ويُقْتَدُونَ بهم^(٨).

١- الساف: كل غرق من الحائط. الصحاح: ج ٤، ص ١٣٧٨.

٢- الكافي: ج ٤، ص ٢٠٥، ح ٤. ٣- الكافي: ج ٤، ص ٢٠٥، ح ٤.

٤- علل الشرائع: ص ٣٩٩، ح ١، ب ١٤٠. اللغة التي من أجلها سمي البيت العتيق.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٠، ح ٩٨. ٦- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٢٠٧.

٧- وسميت الأمة جماعة لأن الفرق تأمها. مجمع البحرين: ج ٦، ص ١١، مادة «أم».

٨- وفي نسخة: [يُقْتَدَى بهم].

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

﴿مُسْلِمَةً لَّكَ﴾: وهم أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً
كذا عن الصادق عليه السلام (١).

وفي رواية العياشي: عنه عليه السلام: أراد بالامة: بني هاشم خاصة (٢).
﴿وَأَرْنَا﴾: عرّفنا، وقرىء باسكان الراء حيث وقع.
﴿مَنَاسِكُنَا﴾: متعبداتنا، والنسك في الأصل: العبادة، وشاع في الحج لما فيه من
الكلفة والبعد عن العادة.

﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا﴾: عملاً لا ينبغي.
﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: لمن تاب.
﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾: في الأمة المسلمة.
﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: يعني من تلك الأمة كذا عن الصادق عليه السلام رواه العياشي (٣).
ولم يبعث من ذريتهما غير نبيّنا ﷺ. والقمّي: يعني ولد إسماعيل قال: فلذلك قال:
رسول الله ﷺ أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام (٤).
﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ﴾: يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد
والنبوة.

١- الكافي: ج ٥، ص ١٤، ح ١، باب من يجب عليه الجهاد. ونور الثقلين: ج ١، ص ١٣٠، ح ٣٨٠.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٠، ح ١٠١. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٠، ح ١٠١.

٤- تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٢.

وَمَنْ يَرْغُبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ
 اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: ما تكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام.

﴿وَيُرَكِّبُهُمْ﴾: عن الشرك والمعاصي.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد.

﴿أَلْحَكِيمُ﴾: المحكم للأمر، والصانع على وفق الحكمة.

﴿وَمَنْ يَرْغُبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: استبعاد وإنكار يعني لا يرغب عن ملته.

﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: إلا من استمهنها^(١)، وأذلها واستخف بها.

قيل: أصله سفه نفسه بالرفع نصب على التمييز مثل غبن رأيه^(٢).

وقيل: سفه بالكسر: متعد، وبالضم: لازم، ويشهد له ما جاء في الحديث الكبير: أن

تسفه الحق وتغصص الناس^(٣).

في المحاسن: عن السجّاد عليه السلام: ما أحد على ملّة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر

الناس منها براء^(٤).

وفي الكافي: عن الصادق، والكاظم عليه السلام ما في معناه^(٥).

١- وفي نسخة: [إلا من استهانها]. ٢- أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٣.

٣- قاله المبرد وثعلب، كما جاء في أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٣ والحديث مروي أيضاً في الكافي: ج ٢، ص ٣١٠، ح ٨، مع تقديم وتأخير وإليك نصّه: الكبير: أن تغصص الناس، وتسفه الحق. وبهذا النص ذكره الماتن في كتابه الوافي: ج ٥، ص ٨٧١. وقال: الفصص - بالمعجمة ثم المهملة -: الإحتقار والإستصغار، والسفه: الجهل وأصله الخفة والطيش، ومعنى سفه الحق: الإستخفاف به وأن لا يراه على ما هو عليه من الرجعان والزمانة.

٤- المحاسن: ج ١، ص ٢٤٣ - و٢٤٤، ح ٤٥٠.

٥- الكافي: ج ١، ص ٤٣٥، ذيل ح ٩١.

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾
وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَسْبِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ
شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾

﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: حجة
وبيان لذلك فإن من كان بهذه الصفة فهو حقيق بأن يتبع لا يرغب عن أتباعه إلا سفيهه أو
متسفه.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ﴾: مبادراً إلى الإذعان، وإخلاص السر.
﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾: أي بالملة أو بهذه الكلمة أي
بكلمة أسلمت لرب العالمين، وقرىء أوصى.

﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾: ووصى بها يعقوب أيضاً بنيه.
﴿يَسْبِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾: دين الإسلام.
﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾: أمرهم بالثبات على الإسلام بحيث لا
يتطرق إليه الزوال بحال.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾: على الإنكار أي ما كنتم
حاضرين.

قيل: إن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا
تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

يوم مات؟ فنزلت^(١).

﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾: أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام، وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالْآلِهَةَ آبَاءُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾: عداسماعيل من آباءه لأن العرب تسمي العمّ أبا كما تسمي الجدّ أبا، وذلك لوجوب تعظيمهما كتعظيمه وفي الحديث: عمّ الرجل: صنو أبيه^(٢).

﴿إِلَيْهَا وَحِدًا﴾: تصريح بالتوحيد.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام أنها جرّت في القائم عليه السلام^(٣).

أقول: لعل مراده عليه السلام أنها جارية في قائم آل محمد عليه السلام فكلّ قائم منهم يقول حين موته^(٤) ذلك لبنيه ويجيبونه بما أجابوا به.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: يعني إبراهيم، ويعقوب، وبنيهما.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾: لكلّ أجر عمله.

أقول: يعني انتسابكم إليهم لا ينفعكم وأنما الانتفاع بالأعمال.

﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون

بحسناتهم.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٣.

٢- مجمع البحرين: ج ١، ص ٢٦٩، بمعنى «المثل». وهكذا راجع النهاية لابن الأثير ج ٣، ص ٥٧. وأنوار

التنزيل: ج ١، ص ٨٤. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦١، ح ١٠٢.

٤- وفي نسخة [حين الموت].

وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
 أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ
 آلُيُسُوفَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
 مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾: قالت اليهود: كونوا هوداً تهتدوا،

وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا.

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾: بل نكون أهل ملة إبراهيم، متبعين له.

﴿حَنِيفاً﴾: ما يلاً عن كل دين إلى دين الحق.

العيّاشي: عن الصادق عليه السلام قال: الحنيفيّة هي الإسلام^(١).

وعن الباقر عليه السلام قال: ما أبقت الحنيفيّة شيئاً حتّى أن منها قصّ الشارب، وقلم

الأظفار، والختان^(٢).

﴿وَمَا كَانَ﴾: إبراهيم.

﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض بأهل^(٣) الكتّابين فإنهم كانوا يدعون أتباع ملة

إبراهيم، وهم مع ذلك كانوا على الشرك.

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾: في الكافي^(٤)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام: إنّما عنى بذلك

٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦١، ح ١٠٤.

١- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦١، ح ١٠٣.

٤- الكافي: ج ١، ص ٤١٥، ح ١٩.

٣- وفي نسخة: [تعريض لأهل].

علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجرت بعدهم في الأئمة عليهم السلام ثم يرجع القول من الله في الناس، فقال: «فان آمنوا» يعني الناس بمثل «ما آمنتم به» الآية ^(١).

والعياشي: مضمراً، وأما قوله: «قولوا» فهم آل محمد عليهم السلام ^(٢).

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾: يعني القرآن.

﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾: يعني

الصحف، والأسباط: حفدة يعقوب.

العياشي: عن الباقر عليه السلام أنه سئل هل كان ولد يعقوب أنبياء؟ قال: لا، ولكنهم كانوا

أسباطاً أولاد الأنبياء، ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا ^(٣).

﴿وَمَا أَوْتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَى﴾: التوراة والإنجيل.

﴿وَمَا أَوْتِيَ النَّبِيُّونَ﴾: جملة المذكورون منهم وغير المذكورين.

﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾: منزل عليهم من ربهم.

﴿لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾: كاليهود يؤمن ببعض ويكفر ببعض، و«أحد» لوقوعه

في سياق النفي عم فساغ أن يضاف إليه «بين».

﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾: لله.

﴿مُسْلِمُونَ﴾: مذعنون مخلصون، في الخصال: فيما علم أمير المؤمنين عليه السلام

أصحابه إذا قرأتهم: «قولوا آمناً» فقولوا: «آمناً بالله» إلى قوله: «مسلمون» ^(٤).

وفي الفقيه: في وصاياه لابنه محمد بن الحنفية: وفرض على اللسان الإقرار والتعبير

عن القلب بما عقد عليه، فقال عز وجل: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا» ^(٥).

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١٠٧.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٦١-٦٢، ح ١٠٥.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١٠٦.

٤ - الخصال: ص ٦٢٩. حديث أربعاءة.

٥ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٨٢، ح ١٦٢٧/١، باب ٢٢٧ - الفروض على الجوارح.

فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾
صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾

﴿فَإِنْ ءَامَنُوا﴾: أي سائر الناس.

﴿بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾: بما آمنتم به، والمثل مقحم في مثله، كما في قوله تعالى: «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ»^(١) أي عليه، وقرىء بحذفه.

﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أعرضوا.

﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾: في كفر، كذا في المجمع، عن الصادق عليه السلام: وأصله المخالفة والمناوأة فإن كل واحد من المتخالفين في شقٍّ غير شقٍّ الآخر^(٢).

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾: تسليّة وتسكين للمؤمنين، ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناوأهم.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالكم.

﴿الْعَلِيمُ﴾: باخلاصكم.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: صبغنا الله صبغة وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وفسرها الصادق عليه السلام: بالإسلام كما في الكافي^(٣)، ورواه العياشي^(٤).

وعنه: هي صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق^(٥).

وقيل: سمي صبغة لأنه ظهر عليهم أثره ظهور الصبغ على المصبوغ، وتداخل قلوبهم

١- الاحقاف: ١٠. ٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢١٨.

٣- الكافي: ج ١، ص ١٤، باب في ان الصبغة هي الإسلام ح ١، ٢، ٣.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١٠٨.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١٠٩.

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلْنَا
وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا
أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ
شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾

تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكله فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر
يسمونه المعمودية، ويقولون: هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم^(١).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾: لا صبغة أحسن من صبغته.

﴿وَنَحْنُ لَهُ عِبِيدُونَ﴾: تعريض بهم أي لا نشرك به كشرركم.

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا﴾: أتجادلوننا.

﴿فِي اللَّهِ﴾: في شأنه واصطفائه نبياً من العرب؟

قيل: إن أهل الكتاب قالوا: الأنبياء كلهم منا وديننا أقدم، وكتابنا أسبق، فلو كنت

نبياً؟ لكنت منا فنزلت^(٢).

﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: لا اختصاص له بقوم دون قوم، يصيب برحمته من يشاء.

﴿وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾: فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾: موحدون به، نخلصه بالإيمان والطاعة دونكم.

﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾: وقرىء بالياء.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٥. وفيه: «لأنه ظهر أثره عليهم... وتداخل في

٢ - أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٥.

قلوبهم تداخل... وبه تحقق نصرانيتهم».

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا
تُسْأَلُونَ عَنْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ
مَا وَلَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾

نَصْرِي قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ؟ وقد نفى الله عز وجل عن إبراهيم اليهودية والنصرانية بقوله سبحانه: «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا»^(١).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: قيل: يعني لا أحداً أظلم من أهل الكتاب حيث كتموا شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية أو منّا لو كتمنا هذه الشهادة، وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد ﷺ بالنبوة، ولعليّ بالإسلام بالصيانة في كتبهم وغيرها^(٢).

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وقرىء بالياء وعيد لهم.
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾: قيل: التكرير للمبالغة في التحذير، والزجر عمّا استحکم في الطباع من الإفتخار بالأباء والإتكال عليهم، أو الخطاب فيما سبق لهم، وفي هذه الآية لنا تحذير عن الاقتداء بهم أو المراد بالأمة في الأول: الأنبياء، وفي الثاني: أسلاف اليهود والنصارى^(٣).
﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾: الذين خفّ أحلامهم أو استمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر، يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشرّكين، وفائدة

١ - آل عمران: ٦٧.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٦.

٣ - قاله البيضاوي في تفسير أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٦.

تقديم الإخبار به توطئ النفس وإعداد الجواب .

﴿ مَا وَلَّهُمْ ﴾ : ما صرفهم .

﴿ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ : يعني بيت المقدس .

﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ : لا يختص به مكان دون مكان .

﴿ يَهْدِي ﴾ : به .

﴿ مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ : وهو ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من

التوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة أخرى .

وفي تفسير الإمام عليه السلام : عند قوله عز وجل : « ما ننسخ من آية أو ننسها » ^(١) .

وفي الاحتجاج : عنه عليه السلام قال : لما كان رسول الله ﷺ بمكة أمره الله عز وجل أن

يتوجه نحو بيت المقدس في صلواته ، ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن وإذا لم يمكن

استقبل بيت المقدس كيف كان ، وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشرة

سنة . فلما كان بالمدينة وكان متعبداً باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة

سبعة عشر شهراً ، وجعل قوم من مرّة اليهود يقولون : والله ما يدري محمد كيف صلى حتى

صار يتوجه إلى قبلتنا ويأخذ في صلاته بهدانا ونسكنا ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ لما

اتصل به عنهم ، وكره قبلتهم وأحب الكعبة فجاءه جبرئيل ، فقال له رسول الله ﷺ : يا

جبرئيل لوددت لو صرفني الله عز وجل عن بيت المقدس إلى الكعبة فلقد تأذيت بما يتصل

بي من قبل اليهود من قبلتهم ، فقال جبرئيل عليه السلام : فسل ربك أن يحولك إليها فإنه لا يردك عن

طلبك ولا يخيبك عن بغيتك ، فلما استتم دعاؤه صعد جبرئيل ثم عاد من ساعته فقال : اقرأ

يا محمد ﷺ « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ » ^(٢) الآيات .

فقلت اليهود عند ذلك : « ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها » فأجابهم الله بأحسن

جواب فقال : « قل لله المشرق والمغرب » وهو يملكهما وتكليفه التحول إلى جانب كتحويله

لكم إلى جانب آخر « يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » وهو مصلحهم ومؤديهم بطاعته

إلى جنّات النعيم.

قال أبو محمّد عليه السلام: وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمّد هذه القبلة بيت المقدس قد صلّيت إليها أربع عشرة سنة، ثم تركتها الآن أفحقاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل، فإنّ ما يخالف الحقّ فهو باطل أو كان باطلاً فقد كنت عليه طول هذه المدة فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله ﷺ: بل ذلك كان حقاً وهذا حقّ، يقول الله تعالى: «قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» إذا عرف صلاحكم يا أيّها العباد في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله تعالى في عباده وقصده إلى مصالحكم.

ثمّ قال لهم رسول الله ﷺ: لقد تركتم العمل يوم السبت، ثم عملتم بعده في سائر الأيام، ثم تركتموه في السبت، ثم عملتم بعده أفتركتم الحقّ إلى الباطل أو الباطل إلى حقّ أو الباطل إلى باطل أو الحقّ إلى حقّ؟ قولوا كيف شئتم فهو قول محمّد ﷺ وجوابه لكم، قالوا: بل ترك العمل في السبت حقّ، والعمل بعده حقّ، فقال رسول الله ﷺ: فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حقّ، ثم قبلة الكعبة في وقتها حقّ.

فقالوا: يا محمّد ﷺ أفبدا لربّك فيما كان أمرك به بزعمك من الصلاة إلى بيت المقدس حين نقلك إلى الكعبة؟ فقال رسول الله ﷺ: ما بدا له عن ذلك فإنه العالم بالعواقب، والقادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطاً، ولا يستحدث رأياً بخلاف المتقدّم جلّ عن ذلك ولا يقع عليه أيضاً مانع يمنعه من مراده وليس يبدو إلّا لمن كان هذا وصفه وهو جلّ وعزّ يتعالى عن هذه الصفات علواً كبيراً.

ثمّ قال لهم رسول الله ﷺ: أيّها اليهود أخبروني عن الله ليس يُمرض ثم يُصحّ ويُصحّ ثم يُمرض أبداً له في ذلك؟ أليس يحيي ويميت أبداً له في كلّ واحد من ذلك؟ قالوا: لا.

قال: فكذلك الله تعيّد نبيّه محمّداً ﷺ بالصلاة إلى الكعبة بعد أن كان تعيّده بالصلاة إلى بيت المقدس، وما بدا له في الأوّل.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ
عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ
وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

قال: أليس الله يأتي بالشتاء في أثر الصيف، والصيف بعد الشتاء أبدا له في كل واحد من ذلك؟ قالوا: لا، قال: فكذلك لم يبد له في القبله.

ثم قال: أليس قد ألزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة، وألزمكم في الصيف أن تحترزوا من الحر فبداله في الصيف حتى أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء؟ قالوا: لا.

فقال رسول الله ﷺ: فكذلك^(١) الله في تعبدكم في وقت لصلاح يعلمه بشيء ثم تعبدكم في وقت آخر لصلاح آخر يعلمه بشيء آخر، فإذا أطعتم الله في الحالين استحققتن ثوابه، وأنزل الله: «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله» إذا توجهتم بأمره فثم الوجه الذي تقصدون منه الله، وتأملون ثوابه.

ثم قال رسول الله ﷺ: يا عباد الله أنتم كالمرضى، والله رب العالمين كالطبيب، وصلاح المريض فيما يعلمه الطبيب ويدبره، لا فيما يشتهي المريض ويقترحه، ألا فسلموا لله أمره تكونوا من الفائزين^(٢).

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً﴾: القمّي: يعني أئمة^(٣).

١- هكذا في الأصل. وفي المصدر ونسخة أخرى [فكذلككم].

٢- الاحتجاج: ج ١، ص ٤٣-٤٥، احتجاج النبي ﷺ على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك.

٣- تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٣.

﴿وَسَطًا﴾: قال: أي عدلاً وواسطَةً بين الرسول والناس^(١).

أقول: فالخطاب للمعصومين عليهم السلام خاصة.

﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾: يعني يوم القيامة.

﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾: في الكافي^(٢)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام:

نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحججه في أرضه وسمائه^(٣).

وفي حديث ليلة القدر عنه عليه السلام: وأيم الله لقد قضى الأمر أن لا يكون بين المؤمنين

اختلاف، ولذلك جعلهم شهداء على الناس ليشهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم علينا، ولنشهد على شيعتنا،

ولتشهد شيعتنا على الناس^(٤).

أقول: أراد عليه السلام بالشيعة: خواص الشيعة الذين معهم وفي درجتهم كما قالوا: شيعتنا

معنا وفي درجتنا لئلا ينافي الخبر السابق، والأخبار الآتية.

وفي شواهد التنزيل: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إيانا عنى بقوله: «لتكونوا شهداء على

الناس» فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في أرضه، ونحن

الذين قال الله: «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً»^(٥).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام: نحن نمط الحجاز، قيل: وما نمط الحجاز؟ قال: أوسط

الأنماط، إن الله يقول: «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً» قال: إلينا يرجع الغالي، وبنا يلحق

المقصر^(٦).

وفي المناقب: عنه عليه السلام: إنما أنزل الله: «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ

عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» قال: ولا يكون شهداء على الناس إلا

١ - تفسير القمي: ج ١، ص ٦٣. ٢ - الكافي: ج ١، ص ١٩١، ح ٤.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٢، ح ١١٠.

٣ - الكافي: ج ١، ص ٢٥١، ذيل ح ٧.

٥ - شواهد التنزيل: ج ١، ص ١١٩، ح ١٢٩.

٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٣، ح ١١١.

الأئمة عليهم السلام، والرسول، فأما الأمة فإنه غير جائز أن يستشهدوا الله، وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل (١)(٢).

أقول: لعل المراد بهذا المعنى أنزل الله، وقد مضى في دعاء إبراهيم عليه السلام: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ» (٣) وقد عرفت هناك أن الأمة بمعنى المقصود سميت بها الجماعة لأن الفرق تؤمها.

والعياشي: عن الصادق عليه السلام: فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدین أفترى أن من لا يجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة؟ ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلاً لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام «كنتم خير أمة أخرجت للناس» (٤) وهم الأئمة الوسطى، وهم خير أمة أخرجت للناس (٥).

أقول: لما كان الأنبياء والأوصياء عليهم السلام معصومين عن الكذب وجاز الوشوق بشهادتهم لله سبحانه على الأمم دون سائر الناس جعل الله تعالى في كل أمة منهم شهيداً ليشهد عليهم، بأن الله أرسل رسوله إليهم وأتم حجتهم عليهم، وبأن منهم من أطاعه ومنهم من عصاه، لئلا ينكرونه غداً، فالتبني يشهد الله على الأئمة بأن الله أرسله إليهم وأنهم أطاعوه، والأئمة يشهدون الله على الأمم بأن الله أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم، وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه بلغهم وأن منهم من أطاعه ومنهم من عصاه وكذلك يشهد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لسائر النبيين عليهم السلام على أممهم بأن النبيين بلغوا رسالات ربهم إلى أممهم، ويأتي تمام الكلام في سورة النساء (٦) إن شاء الله.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾: يعني بيت المقدس.

١- الحزمة: بضم الحاء المهملة: ما شد من حطب وغيره.

٢- مناقب ابن شهر آشوب: ج ٤، ص ١٧٩. ٣- البقرة: ١٢٨.

٤- آل عمران: ١١٠. ٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٣، ح ١١٤.

٦- ذيل الآية: ١٤٣.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: يردّد عن دينه ألفاً بقبلة آبائه.

في تفسير الإمام^(١)، وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام يعني ألاّ نعلم ذلك منه وجوداً بعد أن علمناه سيوجد، قال: وذلك إنّ هوى أهل مكّة كان في الكعبة فأراد الله أن يبيّن متّبع محمّد ممّن خالفه باتّباع القبلة التي كرهها، ومحمّد عليه السلام يأمر بها ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجّه إلى الكعبة ليتبيّن من يوافق محمّداً عليه السلام فيما يكرهه فهو مصدّقه وموافقه^(٢).

﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾: الصلاة إلى بيت المقدس في ذلك الوقت.

﴿لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾: وعرف أنّ الله يتعبّد بخلاف ما يريده المرء ليلتلي طاعته في مخالفة هواه.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: يعني صلاتكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عن الإيمان؟ أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عمل كلّ، والقول بغض ذلك العمل، مفترض من الله، مبين في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجّته، يشهد له بها الكتاب ويدعو إليه، ولما انصرف نبيّه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبيّ عليه السلام: أرايت صلاتنا التي كنّا نصلّي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها، وحال من مضى من أمواتنا وهم يصلّون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله «وما كان الله ليضيع إيمانكم» فسمّي الصلاة إيماناً، فمن لقي الله حافظاً لجوارحه موفياً كلّ جارحة من جوارحه ما فرض الله عليه، لقي الله مستكماً لإيمانه، وهو من أهل الجنّة، ومن خان في شيء منها أو تعدّى ما أمر الله فيها لقي الله ناقص الإيمان^(٣).

١- تفسير الإمام العسكري: ص ٤٩٥.

٢- الإحتجاج: ج ١، ص ٤٥-٤٦، احتجاج النبي عليه السلام على اليهود في جواز نسخ الشرائع وفي غير ذلك.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٣، ح ١١٥.

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾: قيل: أي تردّد وجهك في جهة السماء
تطلّعا للوحي^(١).

وقيل: كان رسول الله ﷺ يقع في روعه ويتوقّع من ربّه أن يحوّلّه إلى الكعبة
لأنّها كانت قبله أبيه إبراهيم عليه السلام وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة
اليهود^(٢).

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾: تحبّها وتشوّق إليها لمقاصد دينيّة وافقت مشيئة الله
تعالى وحكمته.

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾: اصرف وجهك.

﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: نحوه وأنما ذكر المسجد اكتفاء بمراعاة الجهة.

والقمتي: إن هذه الآية متقدمة على آية سيقول السفهاء^(٣).

وفي الفقيه: إن النبي ﷺ صلّى إلى بيت المقدس بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة بمكّة،
وتسعة عشر شهراً بالمدينة، ثم غيّرته اليهود، فقالوا له: أنّك تابع لقبلتنا فاغتمّ لذلك غمّاً
شديداً، فلما كان في بعض الليل خرج ﷺ يقلّب وجهه في آفاق السماء، فلما أصبح صلّى

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٨.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٨٨.

٣- تفسير القمّي: ج ١، ص ٦٢.

وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ
وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ
اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

الغداة فلما صلى من الظهر ركعتين جاء جبرئيل عليه السلام فقال له: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» ثم اخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحول وجهه إلى الكعبة وحول من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء، والنساء مقام الرجال، فكان أول صلاته إلى بيت المقدس وأخرها إلى الكعبة، وبلغ الخبر مسجداً بالمدينة، وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو الكعبة فكانت أول صلاتهم إلى بيت المقدس وأخرها إلى الكعبة، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين^(١).

والقمتي ما يقرب منه قال: وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسجد بني سالم^(٢).

﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: خص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالخطاب تعظيماً له وإيجاباً لرغبته، ثم عمّ تصريحاً بعموم الحكم لجميع الأمة وسائر الأمكنة، وتأكيذاً لأمر القبلة، وتخصيصاً للأمة على المتابعة.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾: ليعلمهم بأن عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة، ولتضمن كتبهم أنه يصلّي إلى القبلتين.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: وعد ووعد للفريقين، وقرئ بالتاء.

﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾: برهان وحجة.

١ - من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٧٨ - ١٧٩، ح ٨٤٣/٣، باب ٤٢ - القبلة.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٦٣.

الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾: لأن المعاند لا تنفعه الدلالة.

﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾: قطع لأطماعهم.

﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾: لتصلب كل حزب فيما هو فيه.

﴿وَلَسِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: على

سبيل الفرض المحال أو المراد به غيره من أمته من قبيل إياك أعني واسمعي يا جارة.

﴿إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾: أكد تهديده وبالغ فيه تعظيماً للحق، وتحريصاً على

اقتفائه، وتحذيراً عن متابعة الهوى، واستعظاماً لصدور الذنب عن الأنبياء.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: يعني علماءهم.

﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: يعرفون محمداً ﷺ بنعته، وصفته، ومبعثه، ومهاجره، وصفة أصحابه

في التوراة والإنجيل.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾: في منازلهم.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ﴾: وهم المعاندون دون المؤمنين.

﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: أنك الرسول (١) إليهم.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكين.

وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

﴿وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ﴾: ولكل قوم قبلة، وملة، وشرعة، ومنهاج يتوجهون إليها.
 ﴿هُوَ مُوَلِّيُّهَا﴾: الله مواليها إياهم، وقرئ مولاها بالألف أي: قد وليها^(١).
 ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: الطاعات. وفي الكافي: عن الباقر: الخيرات: الولاية^(٢).
 ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾: قيل: أينما مِتُّم في بلاد الله يأت بكم الله إلى المحشر يوم القيامة^(٣).
 وفي أخبار أهل البيت: إن المراد به أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان^(٤).
 وفي المجمع^(٥)، والعيّاشي: عن الرضا عليه السلام أن لو قام قائمنا لجمع الله جميع شيعتنا من جميع البلدان^(٦).
 وفي الاكمال^(٧)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: لقد نزلت هذه الآية في أصحاب القائم، وأتاهم المفتقدون من فرشهم ليلاً فيصبحون بمكة، وبعضهم يسير في السحاب نهاراً نعرف اسمه واسم أبيه وحليته ونسبه^(٨).
 ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: على الإماتة، والإحياء، والجمع.

١- وفي نسخة: [قد ولّاها].

٢- الكافي: ج ٨، ص ٣١٣، ح ٤٨٧.

٣- قاله ابن عباس كما جاء في مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٣١.

٤- الكافي: ج ٨، ص ٣١٣، ح ٤٨٧.

٥- مجمع البيان: ١- ٢، ص ٢٣١.

٦- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٦، ح ١١٧ بتفاوت.

٧- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٧٢، ح ٢٤.

٨- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٧، ح ١١٨.

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ
 لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ
 حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا
 كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ
 إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأَتِمَّ
 نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾: للسفر في البلاد.

﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: إذا صليت.

﴿وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ﴾: وإن التوجه إلى الكعبة للحق الثابت المأمور به من ربك.

﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وقرء بالياء.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ

فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾: قيل: كثر الحكم لتعدد علله فإنه تعالى ذكر للتحويل ثلاث

علل: تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته^(١)، وجري العادة الإلهية على أن يولي أهل كل ملّة

وصاحب دعوة جهة يستقبلها ويتميّز بها، ودفع حجج المخالفين كما يأتي، وقرن بكلّ علّة

معلولها كما يقرن المدلول بكلّ واحد من دلائله تقريباً وتقريراً، مع أنّ القبلة لها شأن والنسخ

من مظان الفتنة والشبهة فبالحريّ أن يؤكد أمرها ويعاد ذكرها مرّة بعد أخرى^(٢).

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾: علّة لقوله تعالى: «فَوَلُّوا»، والمعنى: إنّ

التولية عن بيت المقدس إلى الكعبة يدفع احتجاج اليهود بأنّ المنعوت في التوراة قبلته

١- وفي نسخة: [ابتغاء أمرضاته].

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٠.

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا
وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ
تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا
تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

الكعبة وأنَّ محمداً ﷺ يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا، واحتجاج المشركين بأنه يدعي ملّة إبراهيم ويخالف قبلته (١).

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: القمي: «إلا» هاهنا بمعنى ولا، وليست استثناء، يعني: ولا الذين ظلموا منهم (٢).

وقيل: معناه: إلا الحجّة الداحضة من المعاندين بأن قالوا: ما تحوّل إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه، وحبّاً لبلده، أو بداله فرجع إلى قبله آبائه، ويوشك أن يرجع إلى دينهم (٣).

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: فإنّ مطاعهم لا تضرّكم.

﴿وَأَخْشَوْنِي﴾: فلا تخالفوا ما أمرتكم به.

﴿وَلَا تُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: عن النبي ﷺ: تمام النعمة: دخول الجنة (٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: تمام النعمة: الموت على الإسلام (٥).

أقول: لا تنافي بين الخبرين لتلازم الأمرين.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾: أي ولأتمّ نعمتي عليكم كما أتممتها

بإرسال رسول منكم.

١- راجع تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٧٨. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٦٣.

٣- قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٠ وراجع تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٧٨.

٤- تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٧٨. ٥- تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٧٨.

﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يحملكم على ما تصيرون به أذكىاء، قدّمه على التعليم باعتبار القصد وآخره في دعوة إبراهيم عليه السلام باعتبار الفعل.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾: بالفكر والنظر إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي، وكرّر الفعل ليدلّ على أنّه جنس آخر.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾: بالطاعة.

﴿أَذْكُرْكُمْ﴾: بالثواب.

﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾: ما أنعمت به عليكم.

﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾: بجحد النعم، وعصيان الأمر، أراد بالكفر: كفر النعم كذا في الكافي^(١)، والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام^(٢)، والقميّ: عن الباقر عليه السلام ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم أيّاه، ألا ترى أنّه يقول: «أذكروني أذكركم»^(٣).

وفي الخصال: عن أمير المؤمنين عليه السلام: أذكروا الله في كلّ مكان فإنّه معكم^(٤).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ: يا بن آدم اذكرني في ملأ أذكرك في ملأ خير من ملئك^(٥).

وعنه عليه السلام في حديث عيسى: يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، وأذكرني في ملئك أذكرك في ملأ خير من ملأ الآدميين^(٦).

وعنه عليه السلام: إنّ الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلّا ذكره بخير، فاعطوا الله من أنفسكم الإجتهد في طاعته^(٧).

وفي المجمع^(٨)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام قال: قال النبيّ ﷺ: إنّ الملك ينزل الصحيفة من أوّل النهار وأوّل الليل يكتب فيها عمل ابن آدم، فأملّوا في أولها خيراً، وفي

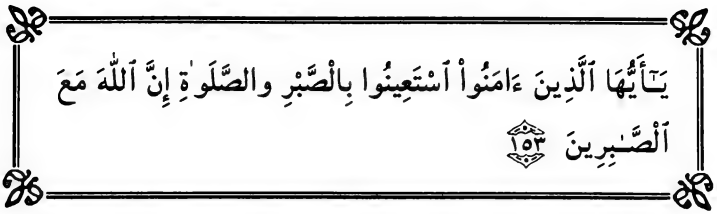
١- الكافي: ج ٢، ص ٣٩٠، باب وجوه الكفر. ٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٧، ح ١٢١.

٣- تفسير القميّ: ج ٢، ص ١٥٠. ٤- الخصال: ص ٦١٣، ح ١٠، باب أربعمائة.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٤٩٨، ح ١٢، باب ما يجب من ذكر الله عزّ وجلّ في كلّ مجلس.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٥٠٢، ح ٣، باب ذكر الله عزّ وجلّ في السر.

٧- الكافي: ج ٨، ص ٧، ح ١. ٨- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٢٣٤.



آخرها خيراً فإن الله يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله فإنه يقول: «اذكروني أذكركم»^(١).
 وفي الخصال: عنه عليه السلام في البلاء من الله، الصبر: فريضة، وفي القضاء من الله، التسليم: فريضة، وفي النعمة من الله، الشكر: فريضة^(٢).
 وعن السجّاد عليه السلام: من قال: الحمد لله فقد أدى شكر كل نعم الله^(٣).
 وعن أمير المؤمنين عليه السلام: شكر كل نعمة الورد عما حرم الله^(٤).
 والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: انه سئل هل للشكر حد إذا فعله الرجل كان شاكرًا؟ قال: نعم، قيل: وما هو؟ قال: الحمد لله على كل نعمة أنعمها عليّ، وان كان له فيما أنعم عليه حقّ أدّاه. ومنه قول الله: «الحمد لله الذي سخّر لنا هذا» حتى عدّ آيات^(٥).
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾: عن المعاصي وحظوظ النفس.
﴿وَالصَّلَاةِ﴾: التي هي أمّ العبادات، ومعراج المؤمنين، ومناجاة ربّ العالمين.
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: بالتّصر وإجابة الدعوة.
 في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام في كلام له: قال: فمن صبر كرهاً ولم يشك إلى الخلق ولم يجزع بهتك ستره فهو من العامّ ونصيبه ما قال الله: «وبشر الصّابرين» أي بالجنة ومن استقبل البلياء بالرحب، وصبر على سكينته ووقار، فهو من الخاصّ ونصيبه ما قال الله: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصّابِرِينَ»^(٦).

١ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٧، ح ١١٩. ٢ - الخصال: ص ٨٦، ح ١٧، باب ٣ - ثلاث خصال العبد بينهن.
 ٣ - الخصال: ص ٢٩٩، ح ٧٢، باب ٥ - الأمر بتمجيد الله عزّ وجلّ في خمس كلمات. وفيه: «كل نعمة لله عزّ وجلّ عليه».
 ٤ - الخصال: ص ١٤، ح ٥٠، باب ١ - خصلة هي الزهد في الدنيا وخصلة هي شكر كل نعمة.
 ٥ - تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٦٧، ح ١٢٠. ٦ - مصباح الشريعة: ص ١٨٦. وفيه: «بالجنة والمغفرة».

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾: أي هم أموات.
﴿بَلْ أَحْيَاءٌ﴾: بل هم أحياء.

﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: ما حالهم. في الكافي^(١)، والتهذيب: عن يونس بن ظبيان، عن الصادق عليه السلام: أنه قال له: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ قال: يقولون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال: سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، يا يونس إذا كان ذاك أتاه محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم والملائكة المقربون فإذا قبضه الله تعالى صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا^(٢).

وفي التهذيب: عنه عليه السلام أنه سئل عن أرواح المؤمنين؟ فقال: في الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان^(٣).

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: ولنصيبنكم إصابة المختبر هل تصبرون على البلاء وتستسلمون

للقضاء؟

﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾: أي بالجنة كما مر. وفي نهج البلاغة: إن الله يبتلي عباده عند الأعمال

١- الكافي: ج ٣، ص ٢٤٥، ح ٦، باب في ارواح المؤمنين.

٢- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٤٦٦، ح ١٥٢٦ / ١٧١، باب ٢٣ - تلقين المحتضرين.

٣- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٤٦٦، ح ١٥٢٧ / ١٧٢، باب ٢٣ - تلقين المحتضرين.

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر (١).

وفي الإكمال: عن الصادق عليه السلام إن هذه علامات قيام القائم يكون من الله عز وجل للمؤمنين، قال: «بشيء من الخوف» من ملوك بني أمية في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم «ونقص من الأموال»: فساد التجارات وقلة الفضل، ونقص من الأنفس: الموت الذريع، ونقص من الثمرات: بقلة ريع ما يزرع، «وبشر الصّبرين» عند ذلك: بتعجيل خروج القائم عليه السلام، ثم قال: هذا تأويله إن الله عز وجل يقول: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» (٢) (٣).

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾: في الحديث كل شيء يؤدي المؤمن فهو له مصيبة (٤).

﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: في نهج البلاغة: إن قولنا: «إنا لله»، إقرار على أنفسنا بالملك، وقولنا: «إنا إليه راجعون»، إقرار على أنفسنا بالهلك (٥).

وفي المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله: من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته، وأحسن عقابه، وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه، وقال صلى الله عليه وآله: من أصيب بمصيبة فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب (٦).

١ - نهج البلاغة: ص ١٩٩، الخطبة: ١٤٣. ٢ - آل عمران: ٧.

٣ - إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٦٤٩، ح ٣. ٤ - تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٨٠.

٥ - نهج البلاغة: ص ٤٨٥، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، رقم ٩٩.

٦ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٣٨.

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكره المصيبة ويصبر حين تفجأه إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وكل ما ذكر مصيبته فاسترجع عند ذكر المصيبة غفر الله له كل ذنب فيما بينهما ^(١).

وعن الصادق عليه السلام: من ذكر مصيبة ولو بعد حين فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين اللهم أجرني على مصيبي وأخلف علي أفضل منها، كان له من الأجر مثل ما كان عند أول صدمة ^(٢).

وفي الخصال ^(٣)، والعياشي: عنه عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله: أربع خصال من كن فيه كان في نور الله الأعظم: من كانت عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله، وإني رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله، ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله وأتوب إليه ^(٤).

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾:
قيل: الصلاة من الله: التزكية والمغفرة والرحمة، والطف والإحسان ^(٥).

وفي الخصال ^(٦)، والعياشي: عن النبي صلى الله عليه وآله قال الله تعالى: إِنِّي جَعَلْتُ الدُّنْيَا بَيْنَ عِبَادِي فِضًّا ^(٧) فمن أقرضني منها قرصاً أعطيته بكل واحدة منها عشر إلى سبعمائه ضعف،

١- الكافي: ج ٣، ص ٢٢٤، ح ٥. ٢- الكافي: ج ٣، ص ٢٢٤، ح ٦.

٣- الخصال: ص ٢٢٢، ح ٤٩، باب ٤- أربع خصال من كن فيه كان في نور الله الأعظم.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٩، ح ١٢٨. ٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩١.

٦- الخصال: ص ١٣٠، ح ١٣٥، باب ٣- ثلاث خصال لمن يؤخذ منه شيء من دنياه قسراً.

٧- فيضاً: أي مفيضاً عليهم فيضاً منه تعالى.

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ أَلْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ
شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

وما شئت من ذلك ومن لم يقرضني منها قرضاً فأخذت منه قسراً أعطيته ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهن للملائكتي لرضوا: الصلاة، والهداية، والرحمة، إِنَّ اللَّهَ تعالى يقول: «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ» الآية (١).

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾: هما علما جبلين بمكة.

﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: من أعلام مناسكه، جمع شعيرة، وهي العلامة.

﴿فَمَنْ حَجَّ أَلْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾: الحج لغة: القصد. والإعتمار: الزيارة، فغلبا شرعاً

على قصد البيت، وزيارته على الوجهين المخصوصين.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام: أي لا حرج عليه

أن يطوف بهما (٢).

وفي الكافي (٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام أَنَّهُ سئل عن السعي بين الصفا والمروة فريضة أم سنة؟ فقال: فريضة، قيل: أوليس قال الله عز وجل: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»؟ قال: كان ذلك في عمرة القضاء، إِنَّ رسول الله ﷺ شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة فتشاغل رجل عن السعي حتى انقضت الأيام وأعيدت الأصنام فجاؤوا إليه فقالوا: يا رسول الله إِنَّ فلانا لم يسع بين الصفا والمروة وقد أعيدت الأصنام فأنزل الله تعالى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ» إلى قوله: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» أي وعليهما الأصنام (٤).

والقمي: إِنَّ قريشاً كانت وضعت أصنامهم بين الصفا والمروة ويتمسحون بها إذا سعوا.

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٨، ح ١٢٦. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٦٩-٧٠، ح ١٣١.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٤٣٥، ح ٨، باب السعي بين الصفا والمروة. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٠، ح ١٣٣.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ
مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
اللِّلْعُونُونَ ﴿١٥٩﴾

فلما كان من أمر رسول الله ﷺ في غزوة الحديبية ما كان وصدّوه عن البيت وشرطوا له أن
يخلوا له البيت في عام قابل حتى يقضي عمرته ثلاثة أيام ثم يخرج عنه فلما كانت عمرة القضاء
في سنة سبع من الهجرة دخل مكة، وقال لقريش: ارفعوا أصنامكم حتى أسعى فرفعوها،
الحديث (١).

كما في الكافي بأدنى تفاوت (٢).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إن المسلمين كانوا يظنون إن السعي ما بين الصفا والمروة
شيء صنعه المشركون، فأُنزل الله هذه الآية (٣).

وعنه عليه السلام: جعل السعي بين الصفا والمروة مذلةً للجبارين (٤).

﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: فأكثر الطواف، أو فعل طاعة أخرى، وقرئ بالياء وتشديد
الطاء وجزم العين.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾: مثيب عليه لا يخفى عليه.

أقول: الآية الآتية وما بعدها إلى قوله سبحانه «كتب عليكم إذا حضر أحدكم
الموت» مما وجد من تفسير أبي محمد الزكي تفسيره (٥) ويكون بناء تفسيرنا فيها عليه كما كان
فيما سبق فيما يوجد منه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾: كأخبار اليهود الكاتمين للآيات

١- تفسير التمي: ج ١، ص ٦٤. ٢- الكافي: ج ٤، ص ٢٣٥، ح ٨، باب السعي بين الصفا والمروة.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٢٤٥، ح ٢، باب حج النبي ﷺ.

٤- الكافي: ج ٤، ص ٤٣٤، ح ٥، باب السعي بين الصفا والمروة. ٥- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٦٩.

الشاهدة على أمر محمد وعلي عليهما السلام ونعتها وحليتها، وكانوا صاب الكافرين لما نزل في فضل علي.

﴿وَأَلْهَدَى﴾: وكل ما يهدي إلى وجوب اتباعها والإيمان بها.

﴿مِنْ بَعْدَ مَا بَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ فِي التَّوْرَةِ وَغَيْرِهِ﴾: في التوراة وغيره.

﴿أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾: أي الذين يتأتى منهم اللعن عليهم

من الملائكة والثقلين حتى أنفسهم فإن الكافرين يقولون: «لعن الله الكافرين».

والعياشي: عن الصادق عليه السلام في قوله: «اللَّعْنُونَ» قال: نحن هم، وقد قالوا: هوام

الأرض^(١).

وفي الإحتجاج^(٢)، وتفسير الإمام عليه السلام: في غير هذا الموضع، قال أبو محمد عليه السلام: قيل

لأمير المؤمنين عليه السلام: من خير خلق الله بعد أئمة الهدى، ومصابيح الدجى عليه السلام؟ قال: العلماء؛ إذا

صلحوا، قيل: فمن شرّ خلق الله بعد إبليس وفرعون وثمود، وبعد المتسمين بأسمائكم والمتلقين

بألقابكم والآخذين لأمكنثكم، والمتأمرين في ممالككم؟ قال: العلماء إذا فسدوا هم المظهرون

للأباطيل، الكاثمون للحقائق، وفيهم قال الله عز وجل: «أَوَلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

اللَّعْنُونَ»^(٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من سئل عن علم يعلمه فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار^(٤).

والقمي: مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله: إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، ومن لم

يفعل فعليه لعنة الله^(٥).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام: إن رجلاً أتى سلمان الفارسي عليه السلام فقال: حدثني فسكت

عنه، ثم عاد فسكت، ثم عاد فسكت، فأدبر الرجل وهو يتلو هذه الآية: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ»

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٢، ح ١٤١.

٢- الإحتجاج: ج ٢، ص ٢٦٤ - ٢٦٥، احتجاج أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام في أنواع شتى من علوم الدين.

٣- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٢، ح ١٤٤.

٤- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ١٥٩.

٥- بحار الأنوار: ج ٢، ص ٧٢، ح ٣٥. والمراد من القمي: محمد بن جمهور القمي.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ
وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾
خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾
وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

فقال له: أقبل إنا لو وجدنا أميناً لحدثناه ^(١)، الحديث.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: عن الكتان.

﴿وَأَصْلَحُوا﴾: ما أفسدوا بالتدارك.

﴿وَبَيَّنُّوا﴾: ما ذكره الله من نعت محمد ﷺ، وصفته، وما ذكره رسول الله ﷺ من

فضل علي وولايته لتتم توبتهم.

﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: بالقبول والمغفرة.

﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في ردّهم نبوة محمد ﷺ، وولاية علي عليه السلام.

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾:

استقرّ عليهم البعد من الرحمة.

﴿خَلِدِينَ فِيهَا﴾: في اللعنة في نار جهنم.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾: يوماً ولا ساعة.

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾: لا يمهلون.

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: قيل: أي المستحق منكم للعبادة واحد لا شريك له يصحّ

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِنْ كُلِّ دَآئَةٍ وَتَضْرِيفَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

أن يعبد أو يسمى إلها^(١).

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: تقرير للوحدانية وإزاحة لأن يتوهم أن في الوجود إلهاً ولكن لا

يستحق منهم العبادة.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: كالحجة عليها.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بلا عمد من تحتها تمنعها من السقوط، ولا

علاقة من فوقها تحبسها من الوقوع عليكم، وأنتم أيها العباد والإماء أسرائي في قبضتي الأرض من تحتكم، لا منجى لكم منها، أين هربتم، والسماء من فوقكم لا محيص لكم عنها أين ذهبتم، فإن شئت أهلكتكم بهذه، وإن شئت أهلكتكم بتلك، ثم ما في السماوات من الشمس المنيرة في نهاركم لتنتشروا في معاشكم، ومن القمر المضيء في ليالكم لتبصروا في ظلماته^(٢) وأجأتكم بالإستراحة في الظلمة إلى ترك مواصلة الكد الذي ينهك أبدانكم.

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: المتتابعين الكارين عليكم بالعجائب التي يحدثها

ربكم في عالمه من إسعاد، وإشقاء، وإعزاز، وإذلال، وإغناء، وإفقار، وصيف، وشتاء، وخريف، وربيع، وخصب، وقحط، وخوف، وأمن.

﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: التي جعلها الله مطاياكم لا

تهدأ ليلاً ولا نهياراً ولا تقتضيكم علفاً ولا ماء، وكفاكم بالرياح مؤنة تسيرها بقواكم التي كانت لا تقوم بها لو ركدت عنها الرياح لتقام مصالحكم ومنافعكم وبلوغكم الحوائج لأنفسكم.

﴿وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ أَلْسَمَاءٍ مِنْ مَّاءٍ﴾: وإبلاً^(١) وهطلاً^(٢) ورذاذاً^(٣) لا ينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معاشكم، لكنه ينزل متفرقاً من علا حتى يعم الأوهاد^(٤) والتلال والتلاع^(٥).

﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: فيخرج نباتها وحبوبها وثمارها.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾: منها ما هي لأكلكم ومعاشكم، ومنها سباع ضارية حافظة عليكم أنعامكم لئلا تشذ^(٦) عليكم خوفاً من افتراسها لها.

﴿وَنَضْرِبُ الرِّيحَ﴾: المربة لحبوبكم، المبلغة لثماركم، النافية لركود الهواء والإقنار عنكم، وقرئ بتوحيد الريح.

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾: المذلل الواقف.

﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: يحمل أمطارها، ويجري بإذن الله، ويصبها حيث يؤمر.

﴿لَا يَتَّخِذُ﴾: دلائل واضحات.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتفكرون فيها بعقولهم.

١- الوابل: المطر الشديد. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٤٠، مادة «وبل».

٢- الهطل: تتابع المطر، والدمع وسيلانه. الصحاح: ج ٥، ص ١٨٥٠، مادة «هطل».

٣- الرذاذ: المطر الضعيف. الصحاح: ج ٢، ص ٥٦٥، مادة «رذذ».

٤- الوهدة: المكان المظلم والجمع وهْدٌ ووهاد. الصحاح: ج ٢، ص ٥٥٤، مادة «وهد».

٥- التلاع: مجاري أعلى الأرض إلى بطون الأودية، وأحدثها تلة، والتلعة: ما ارتفع من الأرض. وما انهبط منها أيضاً وهو من الأضداد. الصحاح: ج ٣، ص ١١٩٢. وذكر الماتن بَيَّنَّ في هامش المخطوط: بأن الوابل: المطر الشديد الضخم القطر، والهطل: المطر الضعيف، الدائم، والرذاذ: المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغبار، وهو بعد الهطل، والتلعة: القطعة المرتفعة من الأرض وكأنها دون التل.

٦- شَذَّ الحصى: إذا تفرَّق، وأشدَّتْه الناقة إذا فَرَّقَتْه. وأشدَّ الشيء: نَحَّاه وأقصاه، وقال ابن القطاع: أشدُّه: فَرَّقْه. تاج العروس: ج ٩، ص ٤٢٤ - ٤٢٥، مادة «شذذ».

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ١٦٥

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾: من الأصنام، ومن الرؤساء الذين يطيعونهم.

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: هم والله أولياء فلان وفلان اتخذوهم أئمة دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً فلذلك قال: «لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» الآية، ثم قال: والله يا جابر هم أئمة الظلمة وأشياعهم^(٢).

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾: قيل: أي يعظمونهم ويطيعونهم كتعظيمه والميل إلى طاعته، أي يسوون بينهم وبينه في المحبة والطاعة^(٣).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾: من هؤلاء المتخذين الأنداد مع الله لأندادهم لأن المؤمنين يرون الربوبية والقدرة لله لا يشركون به شيئاً، فحببتهم خالصة له. والعياشي: عن الباقر والصادق عليه السلام، هم آل محمد عليه السلام^(٤).

أقول: يعني الذين آمنوا، وبأتي تحقيق معنى محبة الله عز وجل في سورة آل عمران عند تفسير قوله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ»^(٥) إن شاء الله.

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: باتخاذ الأصنام أنداداً لله سبحانه، والكفار والفجار أمثالاً لمحمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، وقرئ بالتاء.

١ - الكافي: ج ١، ص ٣٧٤، ح ١١، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهلها.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٢، ح ١٤٢. وفيه: «أئمة الظلم».

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٤.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٢، ح ١٤٣. ٥ - آل عمران: ٣١.

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا
كَرَّهْنَا فَنَتَّبِعَهُم مِّنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ
حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾: حين يرون العذاب الواقع بهم لكفرهم وعنادهم، وقرئ بضم

الياء.

﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾: يعلمون أَنَّ القُوَّةَ لله.

﴿جَمِيعًا﴾: يذل^(١) من يشاء ويكرم من يشاء، ولا قُوَّةَ للكفار يمتنعون بها من عذابه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾: ويعلمون أَنَّ الله شديد العذاب، وقيل: جواب لو

محذوف، أي لندموا أشدَّ الندم^(٢).

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: أي لو يرى هؤلاء المتخذون الأنداد حين يتبرأ^(٣)

الرؤساء.

﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: الرعايا والأتباع.

﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾: الوصلات التي كانت بينهم

يتواصلون بها ففנית حيلتهم ولا يقدرّون على النجاة من عذاب الله بشيء.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾: الأتباع.

﴿لَوْ أَنَّا كَرَّهْنَا فَنَتَّبِعُهُم مِّنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾: هناك.

١- وفي نسخة: [يعذب من يشاء]، وهكذا جاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٧٨.

٢- ذكره العبادي في تفسيره أبي السعود: ج ١، ص ١٨٦.

٣- وفي نسخة أخرى: [تبرأ]، وهكذا جاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٧٨.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾

﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾: هنا.

﴿كَذَلِكَ﴾: كما تبرأ بعضهم من بعض.

﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ﴾: وذلك أنهم عملوا في الدنيا لغير الله، أو على غير الوجه الذي أمر الله به فيرونها لا ثواب لها، ويرون أعمال غيرهم التي كانت لله قد عظم الله ثواب أهلها.

وفي الكافي^(١)، والفتاوى^(٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام في قوله عز وجل: «يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ»، هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله بخلاً، ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعة الله، أو معصية الله فإن عمل به في طاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرة، وقد كان المال له، وإن كان عمل به في معصية الله قواه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله عز وجل^(٣).

﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾: كان عذابهم سرمداً دائماً إذ كانت ذنوبهم كفرة، لا تلحقهم شفاعة نبي، ولا وصي، ولا خير من خيار شيعتهم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾: من أنواع ثماره وأطعمتها.

﴿حَلَلًا طَيِّبًا﴾: لكم إذا أطعتم ربكم في تعظيم من عظمه، والاستخفاف بمن أهانه وصغره، وقيل: نزلت في قوم حرّموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس^(٤).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾: ما يخطو بكم إليه ويغريكم به من مخالفة الله عز وجل.

١- الكافي: ج ٤، ص ٤٢، ح ٢، باب الإنفاق.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٤، ح ١٤٠/٧، باب ١٦ - فضل السخاء والجلود.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٢-٧٣، ح ١٤٤. ٤- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٢٥٢.

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ
نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

العياشي: عن الباقر عليه السلام: كلّ يمين بغير الله فهي ^(١) من خطوات الشيطان ^(٢).

وفي المجمع: عنها عليه السلام ما في معناه ^(٣).

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ: قيل: كاتخاذ الأنداد، وتحليل المحرمات، وتحريم الطيبات ^(٤).

أقول: فيه دلالة على المنع من اتباع الظنّ في المسائل الدينية رأساً.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إِيَّاكَ وَخَصْلَتَيْنِ، ففيهما هلك من هلك: إِيَّاكَ أَنْ تَفْتِيَ
الناس برأيك، أو تدين بما لا تعلم ^(٥).

وعن الباقر عليه السلام: إِنَّهُ سئلَ عَنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْعِبَادِ، قَالَ: أَنْ يَقُولُوا مَا يَعْلَمُونَ
وَيَقْفُوا عِنْدَ مَا لَا يَعْلَمُونَ ^(٦).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾: في كتابه، قيل: الضمير للناس، وعدل عن
الخطاب عنهم للنداء على ضلالتهم كأنه التفت إلى العقلاء، وقال لهم: انظروا إلى هؤلاء الحمقى
ماذا يجيبون ^(٧)؟

١- وفي نسخة: [فهو من خطوات]. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٤، ح ١٥٠.

٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٥٢. ٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٩.

٥- الكافي: ج ١، ص ٤٢، ح ٢، باب النهي عن القول بغير علم.

٦- الكافي: ج ١، ص ٤١، ح ٧، باب النهي عن القول بغير علم.

٧- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٥.

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً
وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُنًى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٧١﴾

﴿قَالُوا بَلْ تَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾: حسبنا ما وجدنا.

﴿عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا﴾: من الدين والمذهب.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾: إلى الحق والصواب.

أقول: فيه دلالة على وجوب إعمال البصيرة ولو في معرفة من يقلده.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: في عبادتهم الأصنام، واتخاذهم الأنداد من دون محمد

وعلي صلوات الله عليهما.

﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾: يصوت^(١).

﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾: بصوت لا يسمع منه.

﴿إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾: لا يفهم ما يراد منه فيغيث المستغيث، ويعين من استعانه.

وفي الجمع: عن الباقر عليه السلام أي مثلهم في دعائكم إيتاهم إلى الإيمان كمثال الناق في دعائه

المنعوق به من البهائم التي لا تفهم وإنما تسمع الصوت^(٢).

أقول: يعني بذلك إن مثل داعيهم كمثال داعي البهائم فإنهم لأنهم كالمثل في التقليد لا

يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم، ولا يتأملون فيما يقرّر معهم، فهم في ذلك كالبهائم التي ينطق

عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه^(٣)، وتحس النداء ولا تفهم معناه، وهذا المعنى مع

افتقاره إلى الإضمار أوضح من الأول، لأن الأصنام لا تسمع دعاءاً ولا نداءاً، كما أنها لا تفهم ما

يراد منها إلا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب أو يجعل اتخاذهم الأنداد في الحديث تفسيراً

لعبادتهم الأصنام، وأريد بالأنداد والأصنام جميعاً: أئمة الظلال.

١ - النعق: مأخوذ من نعق الراعي لغنمه إذا صاح بها. منه نَعَقٌ.

٢ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٥٢.

٣ - المفزى بالمعجمتين: المقصد والمراد. منه نَعَقٌ.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ
الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٧﴾

﴿صُمْ بُكُمْ عُمَى﴾: عن الهدى.

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أمر الله سبحانه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾: على

ما رزقكم، وأحل لكم.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: أقول: يعني واشكروا له نعمه إن صح إنكم تختصونه

بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم، فإن عبادته لا تتم إلا بالشكر بأن تعتقدوا بأن النعمة من الله

وتصرفوا النعمة^(١) فيما خلقت له، وتحمدوا الله^(٢) بالسننكم، وروي عن النبي ﷺ يقول الله

تعالى: إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويبعد غيري، وأرزق ويشكر غيري^(٣).

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾: التي ماتت حتف أنفها بلا ذباجة من حيث أذن الله.

﴿وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾: ما ذكر اسم غير الله عليه من

الذبائح، وهي التي يتقرب بها الكفار بأسامي أنداهم التي اتخذوها من دون الله.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾: إلى شيء من هذه المحرمات.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾: وهو غير باغ عند الضرورة على إمام هدى ولا عادٍ معتد

قوال بالباطل في نبوة من ليس بنبي وإمامة من ليس بإمام.

١- وفي نسخة: [النعم]. ٢- وفي نسخة: [الله].

٣- جوامع الجامع: ج ١، ص ٩٧.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام، الباغي الذي يخرج على الإمام، والعادي الذي يقطع الطريق، لا تحلّ لهما الميتة^(١).

والعياشي: عنه عليه السلام ما في معناه^(٢).

وفي رواية: الباغي: الظالم، والعادي: الفاسد^(٣).

وفي التهذيب^(٤)، والعياشي: عنه عليه السلام الباغي: باغي الصيد، والعادي: السارق، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّ، هي حرام عليهما ليس هي عليهما كما هي على المسلمين^(٥).

وفيه^(٦)، وفي الفقيه: عن الجواد، عن أبيه، عن آبائه عليه السلام، سئل رسول الله ﷺ فقيل له: إنّا نكون بأرض فتصيبنا المحمصة فتى تحلّ لنا الميتة؟ قال: ما لم تصطبحو أو تغتبقوا^(٧)، أو تحتقبوا^(٨) بقلأ فشانكم بهذا، قال عبد العظيم: فقلت له: يا بن رسول الله ﷺ فما معنى قول الله عز وجل: «مَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ»؟ فقال: العادي: السارق، والباغي: الذي يبغي الصيد بطراً ولهو لا ليعود به على عياله، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرّ هي حرام عليهما في حال الإضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختيار، وليس لهما أن يقصّرا في صوم ولا صلاة في سفر^(٩)، الحديث.

﴿فَلَا أَثْمَ عَلَيْهِ﴾: في تناول هذه الأشياء.

١- الكافي: ج ٦، ص ٢٦٥، ح ١، باب ذكر الباغي والعادي.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٤، ح ١٥٤. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٤، ح ١٥١.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٧٨-٧٩، ح ٣٣٤/٦٩، باب ٢- بأدنى تفاوت.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٥، ح ١٥٦، بأدنى تفاوت.

٦- تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ٨٣-٨٤، ح ٣٥٤/٨٩، باب ٢- الذبائح والأطعمة وما يحل من ذلك وما يحرم منه. وفيه: «أو تحتفوا».

٧- الصبوح بالفتح: الشرب بالغداة، خلاف الغبوق، ومنه الحديث وقد سئل متى تحل الميتة؟ قال: ما لم تصطبحو أو تغتبقوا. فالإصطباح أكل الصبوح. وهو الغداء، والغبوق أكل العشاء وأصلها الشرب ثم استعمالها الأكل. مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٨٢-٣٨٣.

٨- تحتقبوا: أي تدخروا من الإحتقاب بمعنى الإذخار. منه قوله.

٩- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢١٧، ح ١٠٧/٩٧، باب ٩٦- الصيد والذبائح. وفيه: «أو تحتفوا».

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا
 قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
 اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ
 الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا
 أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: ستار لعبوبكم (١).

﴿رَحِيمٌ﴾: حين أباح لكم في الضرورة ما حرّمه في الرخاء.

في الفقيه: عن الصادق عليه السلام: من اضطرّ إلى الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل شيئاً من
 ذلك حتى يموت فهو كافر (٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾:
 عرضاً من الدنيا يسيراً، وينالون به في الدنيا عند الجهال رياسة.

﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾: قيل: أي ملئ بطونهم، يقال: أكل في بطنه
 وأكل في بعض بطنه (٣). وفي الحديث: كلوا في بعض بطنكم تعفوا (٤).

﴿إِلَّا النَّارَ﴾: بدلاً من إصابتهم اليسير من الدنيا لكتائبهم الحق.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: بكلام خير، بل يلعنهم ويخزيهم، وقيل: هو
 كناية عن غضبه تعالى عليهم وتعريض لحرمانهم عن الزلفى من الله (٥).

١ - الغفور: اسم من أسماء الله تعالى، وهو الذي تكثر مغفرته، وأصل الغفر: التغطية، يقال: غفر الله له ذنبه من
 باب ضرب، غفراناً: ستر عليه ذنبه، وغطاه، وصفح عنه، والمغفرة اسم منه. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٢٧، مادة
 «غفر». ٢ - من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢١٨، ح ١٠٠٨ / ٩٨، باب ٩٦ - الصيد والذبائح.

٣ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧.

٤ - انظر أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧، وتفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٩١.

٥ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي
الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٣﴾

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: من ذنوبهم، قيل: ولا ينفي عنهم^(١).
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: موجع في النار.
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾: في الدنيا.
﴿وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ﴾: في الآخرة بكتان الحق للأغراض الدنيوية.
﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾: ما أجراهم على عمل يوجب عليهم عذاب النار. وفي
الكافي^(٢)، والعتاشي: ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنه يصيرهم إلى النار^(٣).
والقمي: ما أجراهم على النار^(٤).
وفي المجمع: ما أعملهم بأعمال أهل النار، عن الصادق عليه السلام^(٥).
﴿ذَلِكَ﴾: العذاب.
﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾: أي ما يوعدون به يصيبهم ولا يخطيهم، قيل:
نزل بالحق فرفضوا بالكذب والكتان^(٦).
﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾: بأن قال بعضهم: إنه سحر، وقال آخر: إنه
شعر، وقال آخر: أنه كهانة، إلى غير ذلك^(٧).
﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾: خلاف.
﴿بَعِيدٍ﴾: عن الحق كأن الحق في شق وهم في شق غيره يخالفه.

١- قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٢٦٨-٢٩٦، ح ٢. ٣- تفسير العتاشي: ج ١، ص ٧٥، ح ١٥٧.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٦٤. ٥- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٢٥٩.

٦ و ٧- قاله البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧.

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَتِئِكَهٖ وَآلَكْتَبِ
وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾: الفعل المرضي.

﴿أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾: إلى الكعبة. قيل: ردّ على الذين
أكثرُوا الخوض في أمر القبلة من أهل الكتاب حين حوّلت إلى الكعبة مدّعيًا كلّ طائفة أن البرّ
هو التوجّه إلى قبلتها^(١)، والمشرق قبلة النصارى، والمغرب قبلة اليهود.

وفي تفسير الإمام عن السجاد عليه السلام: قالت اليهود قد صلّينا في^(٢) قبلتنا هذه الصلاة
الكثيرة وفيما من يحيي الليل صلاة إليها وهي قبلة موسى التي أمرنا بها، وقالت النصارى: قد
صلّينا إلى^(٣) قبلتنا هذه الصلاة الكثيرة، وفيما من يحيي الليل صلاة إليها وهي قبلة عيسى التي
أمرنا بها، وقال كلّ واحد من الفريقين: أترى ربّنا يبطل أفعالنا هذه الكثيرة، وصلاتنا إلى
قبلتنا لأنّا لا نتبع محمّدًا صلّى الله عليه وآله على هواه في نفسه وأخيه، فأنزل الله يا محمّد قل: ليس البر
الطاعة التي تنالون بها الجنان، وتستحقّون بها الغفران والرضوان أن تولّوا وجوهكم
بصلاتكم قبل المشرق، يا أيّها النصارى، وقبل المغرب يا أيّها اليهود، وأنتم لأمر الله مخالفون

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧، بتفاوت.

٢ - وفي نسخة: [على قبلتنا]. وفي المصدر: [إلى قبلتنا].

٣ - وفي نسخة: [على قبلتنا].

وعلى ولي الله مغتاظون^(١).

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾: قرئ بتخفيف لكن، ورفع البرّ.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: قيل: يعني البرّ الذي ينبغي أن يهتمّ به برّ من آمن^(٢).

﴿بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى أَمْالَ عَلَىٰ

حُبِّهِ﴾: أعطى في الله تعالى المستحقين من المؤمنين على حبّه للمال وشدة حاجته إليه

يأمل الحياة ويخشى الفقر لأنّه صحيح صحيح.

﴿ذَوَى الْقُرْبَى﴾: أعطى قرابة النبي ﷺ الفقراء هديّة وبرّاً لا صدقة، لأنّ الله أجّلهم

عن الصدقة، وأعطى قرابة نفسه صدقة وبرّاً.

﴿وَالْيَتَامَى﴾: من بني هاشم الفقراء برّاً لا صدقة، ويتمى غيرهم صدقة وصلة.

﴿وَالْمَسْكِينِ﴾: الناس.

﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾: المجتاز المنقطع به لا نفقة معه.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: الذين يتكفّفون.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: في تخليصها، يعني: المكاتبين يعينهم ليؤدّوا حقوقهم فيعتقوا.

﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾: بمحدودها.

﴿وَوَاتَى الزَّكَاةَ﴾: الواجبة عليه لإخوانه المؤمنين.

﴿وَالْمُؤَفَّرُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾: قيل: عطف على من آمن^(٣)، يشمل عهد الله

والناس.

﴿وَالصَّابِرِينَ﴾: نصبه على المدح، ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الأعمال.

﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾: يعني في محاربة الأعداء، ولا عدوّ يحاربه أعدى من إبليس ومردته،

ويهتف به، ويدفعه وإيّاهم بالصلاة على محمّد وآله الطيّبين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: الفقر والشدة، ولا فقر أشدّ من فقر مؤمن يلجأ إلى التكفّف من أعداء

١- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٥٨٩ - ٥٩٠. ٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٧.

٣- قاله الزمخشري في تفسيره الكشاف: ج ١، ص ٢٢٠.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْثُ
بِالْحَرْثِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُتِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ
شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾

آل محمد ﷺ يصبر على ذلك، ويرى ما يأخذه من ما لهم مغناً يلعنهم به ويستعين بما يأخذ على
تجديد ذكر ولاية الطيبين الطاهرين.

﴿وَحِينَ الْبَاسِ﴾: عند شدة القتال يذكر الله ويصلي على رسول الله ﷺ، وعلى علي
ولي الله، يوالي بقلبه ولسانه أولياء الله، ويعادي كذلك أعداء الله.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾: في إيمانهم، وصدقوا أفعالهم بأفعالهم.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾: لما أمروا باتقائه، قيل: الآية كما ترى جامعة للكلمات
الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحاً أو ضمناً فإنها بكثرتها وتشعبها^(١) منحصرة في ثلاثة
أشياء: صحة الاعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس، وقد أشير إلى الأول بقوله «مَنْ
ءَامَنَ» إلى «وَالنَّبِيِّينَ» وإلى الثاني بقوله: «وَعَاتَى أَمَالًا» إلى «وَفِي الرِّقَابِ» وإلى الثالث بقوله:
«وَأَقَامَ الصَّلَاةَ» إلى آخرها، ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى إيمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتباراً بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه أشار النبي ﷺ بقوله: من عمل
بهذه الآية فقد استكمل الإيمان^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾: قيل: أي فرض أوجب عليكم^(٣).

١- وفي نسخة: [وتشعبها].

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٨.

٣- قاله الطبرسي في مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٦٥، س ٥؛ وانظر تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٩٥.

﴿الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾: يعني المساواة وأن يسلك بالقاتل في طريق المقتول الذي

سلكه به لما قتله.

﴿الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام

يعني^(١) لجماعة المسلمين، ما هي للمؤمنين خاصة^(٢).

وفي التهذيب: عنه عليه السلام: لا يقتل حرّ بعبد، ولكن يضرب ضرباً شديداً، ويغرم دية

العبد^(٣).

ولا يقتل الرجل بالمرأة إلا إذا أدّى أهلها إلى أهله نصف دية^(٤).

والعياشي: ما في معناه^(٥)، قيل: كان بين حَيٍّ من أحياء العرب دماء، وكان لأحدهما

على الآخر طول فأقسموا ليقتلن الحرّ بالعبد، والذكر بالأنثى، والرجلين بالرجل، فلما جاء

الإسلام تحاكموا إلى رسول الله ﷺ فنزلت، فأمرهم أن يتكافؤوا^(٦).

﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾: أي الجاني الذي عفي له.

﴿مِنْ أَخِيهِ﴾: الذي هو ولي الدم، قيل: ذكر بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على

صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من إخوة الإسلام^(٧).

﴿شَيْءٍ﴾: من العفو، وهو العفو من القصاص، دون الدية.

١- وفي نسخة: [هي لجماعة].

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٥، ح ١٥٩، بتفاوت. وإليك نصّه: أي جماعة المسلمين؟ قال: هي للمؤمنين خاصة. وفي البرهان: ج ١، ص ١٧٦، عن الصادق عليه السلام: أي لجماعة المسلمين؟ قال: هي للمؤمنين خاصة. والظاهر أنّ هذا النص هو الصحيح.

٣- تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ١٩١، ح ٧٥٤ / ٥١، باب ١٤ - القود بين الرجال والنساء، والمسلمين والكفار، والعبيد والأحرار. وفيه: «ويغرم ثمن العبد». نعم نص الحديث أخرجه الطبرسي في مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٦٥.

٤- مضمون هذا القول أخرجه الشيخ في تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ١٨١، ذيل ح ٧٠٦ / ٣، وح ٧٠٧ / ٤، وح ٧٠٨ / ٥، باب ١٤ - القود بين الرجال والنساء، والمسلمين والكفار، والعبيد والأحرار.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٥، ح ١٥٨. ٦- راجع مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

٧- انظر مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٦٥؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٩.

﴿فَاتَّبَاعُ﴾: إليه فليكن إِتِّباع من العافي أي مطالبته بالدية.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: هي وصية للولي بأن يطلب الدية بالمعروف بأن لا يظلم الجاني بالزيادة ولا يعتقه.

﴿وَأَدَاءُ إِلَيْهِ﴾: من الجاني إلى العافي.

﴿بِإِحْسَانٍ﴾: وصية للجاني بأن لا يماطله، ولا يبخس حقه بل يشكره على عفوهِ.
في الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: ينبغي للذي له الحق أن لا يعسر أخاه إذا كان قد صالحه على دية، وينبغي للذي عليه الحق أن لا يطل أخاه إذا قدر على ما يعطيه ويؤدي إليه بإحسان^(٢).

﴿ذَلِكَ﴾: التخيير.

﴿تُخَفِّفُ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةً﴾: لما فيه من التسهيل والنفع، فإنه لو لم يكن إلا القتل أو العفو لقل ما طابت نفس ولي المقتول بالعفو بلا عوض يأخذه فكان قل ما يسلم القاتل من القتل.

في العوالي: روي أن القصاص كان في شرع موسى حتماً، والدية كان حتماً في شرع عيسى، فجاءت الحنفية السمحة بتسوية الأمرين معاً^(٣).

قيل: كتب على اليهود القصاص وحده، وعلى النصارى العفو، وخيرت هذه الأمة بينها وبين الدية تيسيراً عليهم^(٤).

﴿فَمَنْ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بأن يقبل الدية أو يعفو أو يصلح، ثم يجيء بعد ذلك فيمثل أو يقتل، كذا في الكافي^(٥)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام^(٦).

١- الكافي: ج ٧، ص ٣٥٨، ح ١، باب الرجل يتصدق بالدية على القاتل.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٥-٧٦، ح ١٦٠. ٣- عوالي اللئالي: ج ١، ص ٣٨٧، ح ١٨.

٤- ذكره البضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٩.

٥- الكافي: ج ٧، ص ٣٥٩، ح ٤، باب الرجل يتصدق بالدية على القاتل.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٦، ح ١٦٢.

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾
 كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ
 لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾

﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ * وَلَكُمْ: يا أئمة محمد.

﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾: لأن من هم بالقتل فعرف أنه يقتص منه فكفّ لذلك عن القتل كان حياة للذي هم بقتله، وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس إذا علموا أن القصاص واجب لا يجزأون^(١) على القتل مخافة القصاص. قيل: وهذا من أوجز الكلام وأفصح^(٢).

وفي الأمالي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال: أربع قلت: فأنزل الله تصديقي في كتابه وعدّ منها قلت: القتل يقلّ القتل، فأنزل الله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ»^(٣).

﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أولي العقول، قيل: ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الأرواح وحفظ النفوس^(٤).

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ * كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ: حضر أسبابه وظهر إماراته.

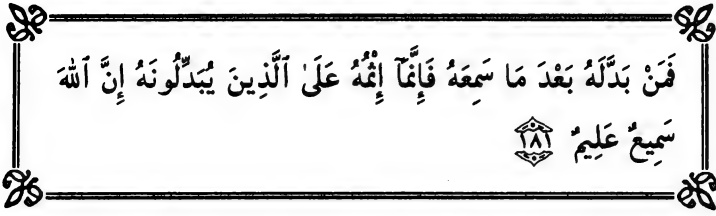
﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالا كثيرا، في المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنه دخل على مولى له في مرضه وله سبع مائة درهم أو ستمائة درهم، فقال: ألا أوصي؟ قال: لا، إنما قال الله: «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا» وليس لك كثير مال^(٥).

١- وفي نسخة: [لا يجزأون]. ٢- انظر مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٦٦.

٣- الأمالي للشيخ الطوسي: ص ٤٩٤، ح ١٠٨٢ / ٥١. وفيه: «قال: قلت أربعاً».

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ٩٩.

٥- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٦٧.



﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالشيء الذي يعرف العقل أنه لا جور فيه ولا حيف^(١).

﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: العياشي: عن أحدهما عليه السلام: هي منسوخة بآية المواريث^(٢). وحملت على التقية لموافقتها مذهب العامة، ومخالفتها القرآن. ولما في الكافي^(٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن الوصية للوارث فقال: تجوز، ثم تلا هذه الآية^(٤). وفي معناه أخبار أخر كثيرة.

أقول: نسخ الوجوب لا ينافي بقاء الجواز.

وفي المجمع^(٥)، والعياشي: عن الصادق، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية^(٦).

وفي الفقيه^(٧)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: إنه شيء جعله الله تعالى لصاحب هذا الأمر، قيل: هل لذلك حد؟ قال: أدنى ما يكون ثلث الثلث^(٨).

والعياشي: عنه عليه السلام: حق جعله الله في أموال الناس لصاحب هذا الأمر، قيل لذلك حد محدود؟ قال: نعم، قيل: كم؟ قال: أدناه السدس وأكثره الثلث^(٩).

﴿فَنَ بَدَلُهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

١- وفي نسخة: [جنف]. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٧، ح ١٦٧.

٣- الكافي: ج ٧، ص ١٠، ح ٥. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٦، ح ١٦٤.

٥- مجمع البيان: ج ١، ص ٢٦٧. ٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٦، ح ١٦٦.

٧- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٧٥، ح ١٦٥/١٦، باب ١٢٧ - نادر الوصايا.

٨- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٧، ح ١٦٨. ٩- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٦، ح ١٦٣.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٢﴾

وعيد للمبدل بغير حق، في الكافي: عن أحدهما عليه السلام (١)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: في رجل أوصى بماله في سبيل الله، قال: أعطه لمن أوصى به له وإن كان يهودياً أو نصرانياً، إن الله يقول: وتلا هذه الآية (٢). وفي معناه أخبار كثيرة، وفي عدة منها أنه يغرمها إذا خالف (٣).

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ﴾: توقّع وعلم، وقرئ بفتح الواو وتشديد الصاد.
﴿جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾: ميلاً عن الحق بالخطأ أو التعمد، كذا في المجمع عن الباقر عليه السلام (٤).
وفي العلل (٥)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام يعني إذا اعتدى في الوصية (٦). وزاد العياشي: وزاد على الثلث، ويأتي له معنى آخر.

وفي الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام إن الحنف في الوصية من الكبار (٧).
﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الورثة، والموصى لهم.
﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: في التبديل، لأنه تبديل باطل إلى الحق.
﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: وعد للمصلح، وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم عليه.
وفي الكافي (٨)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: أنه سئل عن قول الله تعالى: «فَمَنْ بَدَّلَهُ»،

١- الكافي: ج ٧، ص ١٤، ح ١، باب إنفاذ الوصية.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٧، ح ١٦٩. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٧، ح ١٧٠.

٤- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٢٦٧.

٥- علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٦٧، ح ٤، باب ٣٦٩، العلة التي من أجلها صارت الوصية بالثلث.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٨، ح ١٧٣.

٧- من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ١٣٦، ح ٤٧١/١، باب ٨٣- في أن الحيف في الوصية من الكبار. وفيه: «الحيف في الوصية من الكبار».

٨- الكافي: ج ٧، ص ٢١، ح ٢، باب أن من حاف في الوصية فللوصي أن يردّها إلى الحق.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

قال: نسختها الآية التي بعدها: «فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»، قال: يعني الموصى إليه إن خاف جنفاً من الموصى فيما أوصى به إليه فيما لا يرضى الله به من خلاف الحق فلا إثم على الموصى إليه، أن يردّه إلى الحق، وإلى ما يرضى الله به من سبيل الخير^(١).

وفي رواية الكافي: إن الله أطلق للموصى إليه أن يغيّر الوصيّة إذا لم تكن بالمعروف وكان فيها جنف ويردّها إلى المعروف، لقوله تعالى: «فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»^(٢).

والقمي: عن الصادق عليه السلام: إذا أوصى الرجل بوصيّة فلا يحلّ للموصى أن يغيّر وصيّته بل يمضيها على ما أوصى إلا أن يوصي بغير ما أمر الله فيعصى في الوصيّة، ويظلم فالموصى إليه جائز له أن يردّها إلى الحقّ مثل رجل يكون له ورثة فيجعل المال كلّه لبعض الورثة^(٣) ويحرم بعضها فالوصي جائز له أن يردّها إلى الحق وهو قوله تعالى: «جَنَفًا أَوْ إِثْمًا»، فالجنف: الميل إلى بعض ورثتك دون بعض، والإثم: أن تأمر بعمارة بيوت النيران، واتخاذ المسكر، فيحلّ للموصي أن لا يعمل بشيء من ذلك^(٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام: إنّه سئل عن هذه الآية، وعن قوله سبحانه: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ» فقال: هذه كلّها يجمع

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٨، ح ١٧٢.

٢- الكافي: ج ٧، ص ٢٠، ح ١، باب أن من حاف في الوصيّة فللموصى أن يردّها إلى الحق.

٣- في المصدر ونسخة أخرى: [ورثته].

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٦٥.

أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ
مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ
تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

الضلال^(١) والمنافقين، وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة^(٢).

وفي المجمع: عنه عليه السلام قال: لذة النداء أزال تعب العبادة والعناء^(٣).

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: من الأنبياء والأمم، وعن أمير المؤمنين عليه السلام
إنّ أولهم آدم يعني إنّه عبادة قديمة ما أدخل الله أمة من إيجابها عليهم لم يوجبها عليكم
وحدكم^(٤)، وفيه ترغيب وتطبيب^(٥).

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: المعاصي فإنّ الصيام يكسر الشهوة التي هي معظم أسبابها وفي
الحديث من لم يستطع الباه^(٦) فليصم فإنّ الصوم له وجاء^{(٧) (٨)}.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: قيل: أي قلائل فإنّ القليل يعد عدداً، والكثير يهال هيلاً أو
موقتات بعدد معلوم^(٩).

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾: مرضاً يضرب الصوم ويعسر كما يدلّ عليه قوله تعالى:

١- لعل التذكير باعتبار المضاف إليه، منه عليه السلام. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٧٨، ح ١٧٥.

٣- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٧١.

٤- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٣. ٥- وفي نسخة: «وفيه ترغيب على الفعل وتطبيب عن النفس».

٦- الباه مثال الجاه: لغة في الباء، وهي الجماع. الصحاح: ج ٦، ص ٢٢٢٨.

٧- الوجاء - بالكسر والمد - : رض عروق البيضتين حتّى تنفضح فيكون شبيهاً بالخصاء. الصحاح: ج ١، ص ٨٠، مادة «وجأ».

٨- الكافي: ج ٤، ص ١٨٠، ح ٢، باب النوادر؛ والمجازات النبوية: ص ٨٥، ح ٥٣.

٩- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٠.

«وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ»^(١).

﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾: راكب سفر.

﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: فعليه عدّة من أيّام أخر، وهذا نصّ في وجوب الإفطار على المريض، والمسافر كما ورد عن أئمتنا عليهم السلام في أخبار كثيرة حتّى قالوا: الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر. رواه في الكافي^(٢)، والتهذيب^(٣)، والفتاوى^(٤)، وفي الثلاثة في حديث الزهري عن السجاد عليه السلام من صام في السفر أو المرض فعليه القضاء لأنّ الله تعالى يقول: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ»^(٥).

وعن الباقر عليه السلام قال: سمى رسول الله صلى الله عليه وآله قوماً صاموا حين أفطر وقصّر: عصاة، وقال: هم العصاة إلى يوم القيامة وإنّا لنعرف أبناءهم وأبناء أبنائهم إلى يومنا هذا^(٦).

وعن الصادق عليه السلام: أنّه سئل عمّن صام في السفر، فقال: إذا كان بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك فعليه القضاء، وإن لم يكن بلغه فلا شيء عليه^(٧). وفي رواية أخرى: وإن صامه بجهالة لم يقض^(٨).

وعنه عليه السلام: إنّه سئل ما حدّ المرض الذي يفطر فيه الرجل ويدع الصلاة من قيام؟ قال: بل الإنسان على نفسه بصيرة وهو أعلم بما يطيقه^(٩).

وفي الكافي: عنه عليه السلام هو مؤتمن عليه مفوّض إليه فإن وجد ضعفاً فليفطر، وإن وجد قوّة

١- البقرة: ١٨٥.

٢- الكافي: ج ٤، ص ١٢٧، ح ٣، باب كراهية الصوم في السفر.

٣- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٢١٧، ح ٦٣٠، باب ٥٧ حكم المسافر والمريض في الصيام.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٩٠، ح ١/٤٠٣، باب ٤٧- وجوب التقصير في الصوم في السفر.

٥- الكافي: ج ٤، ص ٨٦، ح ١، باب وجوب الصوم؛ ومن لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٨، ح ١/٢٠٨، باب

٢٣- وجوه الصوم؛ وتهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٢٩٧، ح ٨٩٥، باب ٦٧، وجوه الصيام.

٦- الكافي: ج ٤، ص ١٢٧-١٢٨، ح ٦، باب كراهية الصوم في السفر.

٧- الكافي: ج ٤، ص ١٢٨، ح ١، باب من صام في السفر بجهالة.

٨- الكافي: ج ٤، ص ١٢٨، ح ٣، باب من صام في السفر بجهالة. وفيه: «لم يقضه».

٩- الكافي: ج ٤، ص ١١٨، ح ٢، باب حد المرض الذي يجوز للرجل أن يفطر فيه.

فليصم، كان المريض على ما كان^(١).

وفيه: أنه ﷺ سئل عن حدّ المرض الذي يترك منه الصوم؟ قال: إذا لم يستطع أن يتسحّر^(٢).

وفي الفقيه: عنه ﷺ: الصائم إذا خاف على عينيه من الرمد أفطر^(٣).

وعنه ﷺ: كلّما أضرب به الصوم فالإفطار له واجب^(٤).

وأما حدّ السفر الذي يفطر فيه فقصد ثمانية فراسخ فصاعداً ذهاباً أو مع الإياب ما لم ينقطع سفره دونها بعزم إقامة عشرة أيّام أو مضي ثلاثين يوماً عليه متردداً في بلد أو بالوصول إلى بلد يكون له فيه منزل يقيم فيه ستّة أشهر، فإن انقطع بأحدها فقد صار سفرين بينها حضور، وأن لا يكون السفر عمله إلّا إذا جدّ به السير، وشقّ عليه مشقة شديدة، وأن يكون السفر جائزاً له، وأن يتوارى عن جدران البلد أو يخفي عليه أذانه.

هذا ما استفدناه من أخبار أئمتنا ﷺ في شرائط السفر الموجب للإفطار في الصيام والتقصير في الصلاة، وبَيّناه في كتابنا المسمّى بالوافي^(٥) من أراد الإطلاع عليه فليراجع إليه.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾: إن أفطروا.

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾: في الجوامع: عن الباقر ﷺ: طعام مساكين^(٦).

وقيل: كان القادر على الصيام الذي لا عذر له مخيراً بينه وبين الفدية لكلّ يوم نصف

صاع^(٧)، وقيل: مد^(٨)، وكان ذلك في بدو الإسلام حين فرض عليهم الصيام ولم يتعودوا

١- الكافي: ج ٤، ص ١١٨، ح ٣، باب حد المرض الذي يجوز للرجل أن يفطر فيه. وفيه: «كان المرض ما كان».

٢- الكافي: ج ٤، ص ١١٨، ح ٦، باب حد المرض الذي يجوز للرجل أن يفطر فيه.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٨٤، ح ٣٧٣ / ٥، باب حد المرض الذي يفطر صاحبه.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٨٤، ح ٣٧٤ / ٦، باب حد المرض الذي يفطر صاحبه.

٥- راجع الوافي: ج ١١، ص ٩١-٩٧، باب ١١- صيام المسافر.

٦- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٣.

٧- عند أهل العراق. انظر تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٩٩؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠١.

٨- عند أهل الحجاز. انظر تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٩٩؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠١.

فرخص لهم في الإفطار والفدية، ثم نسخ ذلك بقوله عز وجل: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»^(١).

قيل: إنه غير منسوخ بل المراد بذلك الحامل المقرب، والمرضة القليلة اللبن، والشيخ، والشيخة، فإنه لما ذكر المرض المسقط للفرض، وكان هناك أسباب أخر ليست بمرض عرفاً لكن يشق معها الصوم، وذكر حكمها فيكون تقديره «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» أي ثم عرض لهم ما يمنع الطاقة فدية^(٢).

وهذا هو المروي عن الصادق عليه السلام^{(٣)(٤)}.

ويؤيده ما ورد من شواذ القراء عن ابن عباس: «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» أي يتكففونه^(٥).

وعلى هذا يكون قوله: «وإن تصوموا خير لكم» كلاماً مستأنفاً لا تعلق له بما قبله، وتقديره: وإن صومكم خير عظيم لكم هذا ما قالوه في معنى الآية، ويخطر بالبال أنه لا حاجة بنا إلى مثل هذه التكلفات البعيدة من القول بالنسخ تارة مع دلالة الأخبار المعصومية على خلافه، والتزام الحذف والتقدير، وفصل ما ظاهره الوصل أخرى مع عدم ثبوت صحة تلك الرواية المشار إليها، وذلك إن الله سبحانه لا يكلف نفساً إلّا وسعها كما قاله في محكم كتابه^(٦). والوسع: دون الطاقة كما ورد في تفسيره عن أهل البيت عليه السلام^(٧)، فلا تكلف نفس بما هو

١- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٣.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠١؛ وراجع تفسير أبي السعود: ج ١، ص ١٩٩.

٣- الرواية هكذا: عن أبي عبد الله عليه السلام وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش أو شبه ذلك فدية لكل يوم مد من الطعام. منه رواه. راجع جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٣ - ١٠٤، وفي المجمع هكذا: وعلى الذين كان يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش وشبه ذلك فعليه كل يوم مد. مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٧٤.

٤- القمي: «وعلى الذين يطيقونه فدية» يعني من مرض في شهر رمضان فأفطر ثم صم فلم يقض ما فاتة حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه أن يقضي ويتصدق عن كل يوم بمد من الطعام. فلا يخفى ما فيه من التعبد. منه رواه.

٥- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٧٢، في القراءة. ٦- البقرة: ٢٨٦.

٧- التوحيد: ص ٣٦٢، ح ٩، باب ٥٩- نفي الجبر والتفويض.

على قدر طاقتها، أي بما يشقّ عليها تحمّله عادة ويعسر، فالذين يطيقون الصوم، يعني يكون الصوم بقدر طاقتهم، ويكونون معه على مشقّة وعلى عسر لم يكلفهم الله على سبيل الحتم كالشيخ والحامل، ونحوهما بل خيرّهما بينه وبين الفدية توسيعاً منه ورحمة، ثمّ جعل الصوم خيراً لهم من الفدية في الأجر والثواب إذا اختاروا المشقّة على السعة، ويؤيّد القراءة الشاذّة كما يؤيّد ما ذكره.

ويدلّ على هذا أيضاً ما رواه في الكافي^(١)، والعيّاشي: عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» قال: الشيخ الكبير والذي يأخذه العطاش^(٢).

وفي رواية: المرأة تخاف على ولدها والشيخ الكبير^(٣).

وقوله تعالى: «وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ» فإنّه يدلّ على أنّ المطيق هو الذي يقدر على الصيام حدّاً في القدرة دون الحدّ الذي أوجب عليه التكليف.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في رجل كبير ضعف عن صوم شهر رمضان، قال: يتصدّق عن كلّ يوم بما يجزي من طعام مسكين^(٤).

وفي رواية: لكلّ يوم مدّ^(٥).

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾: أي زاد في مقدار الفدية، وقرئ «يَطَوَّعَ» كما في آية الحج. ﴿فَهُوَ﴾: فالتطوّع.

﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾: أيّها المطيقون.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من الفدية، وتطوّع الخير.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ما في الصيام من الفضيلة إن صمتم أو إن كنتم من أهل العلم

علمتم ذلك.

١- الكافي: ج ٤، ص ١١٦، ح ١، باب الشيخ والعجوز يضعفان عن الصوم.

٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٩، ح ١٧٩. ٣- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٧٩، ح ١٨٠.

٤- الكافي: ج ٤، ص ١١٦، ح ٣، باب الشيخ والعجوز يضعفان عن الصوم.

٥- الكافي: ج ٤، ص ١١٦، ح ٢، باب الشيخ والعجوز يضعفان عن الصوم.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن
كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
عَلَىٰ مَا هَدَيْكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾: أي الأيام المعدودات هي شهر رمضان.

وفي الفقيه: عن الصادق عليه السلام إنما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضل الله به هذه الأمة وجعل صيامه فرضاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أمته ^(١).

﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾: أي بيانه وتأويله كما مضى تحقيقه في المقدمة التاسعة من هذا الكتاب، وقرئ القرآن بغير الهمزة حيث وقع.

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾: قد مضى تفسيره في تلك المقدمة.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾: فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافراً.

﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ في الكافي ^(٢)، والفقيه ^(٣)، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام ما أبينها، من

شهد فليصمه ومن سافر فلا يصمه ^(٤).

وفي التهذيب: عنه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان فلله فيه شرط، قال الله تعالى: «فَمَن

شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» فليس للرجل إذا دخل شهر رمضان أن يخرج إلا في حج أو

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١-٦٢، ح ٢٦٧/١٤، باب ٢٨- فضل شهر رمضان وثواب صيامه.

٢- الكافي: ج ٤، ص ١٢٦، ح ١، باب كراهية الصوم في السفر.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٩١، ح ٤٠٤/٢، باب ٤٧- وجوب التقصير في الصوم في السفر.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٢١٦، ح ٦٢٧/٢، باب ٥٧- حكم المسافر والمريض في الصيام.

عمرة أو مال يخاف تلفه أو أخ يخاف هلاكه، وليس له أن يخرج في إتلاف مال أخيه، فإذا مضت ليلة ثلاث وعشرين فليخرج حيث شاء^(١).

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾: كَرَّرَ ذلك تأكيداً للأمر بالإفطار وأنه عزيمة لا يجوز تركه.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾: يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر، فلذلك أمركم بالإفطار في المرض والسفر.

في الكافي عن الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَصَدَّقَ عَلَى مَرَضَى أُمَّتِي وَمَسَافِرِيهَا بِالتَّقْصِيرِ وَالْإِفْطَارِ أَيْسَرَ أَحَدِكُمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَنْ تَرَدَّ عَلَيْهِ^(٢).

وفي الخصال: عن النبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَهْدَى إِلَيَّ وَأَمْتِي هَدِيَّةٌ لَمْ يَهْدِهَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ لَنَا، قَالُوا: وَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْإِفْطَارُ فِي السَّفَرِ، وَالتَّقْصِيرُ فِي الصَّلَاةِ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ هَدِيَّتَهُ^(٣).

﴿وَلْتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾: وشرع جملة ما ذكر لتكملوا عدة أيام الشهر، وقرئ لتكملوا مثقلاً.

﴿وَلْتَكْبِرُوا لِلَّهِ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ﴾: ولتعظموا الله وتعجده على هدايته إياكم.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: تسهيله الأمر لكم. في الفقيه: عن الرضا عليه السلام: وإِنَّمَا جَعَلَ

التكبير في صلاة العيد أكثر منه في غيرها من الصلوات لِأَنَّ التَّكْبِيرَ إِنَّمَا هُوَ تَعْظِيمُ اللَّهِ، وَتَمْجِيدُ عَلَى مَا هَدَى، وَعَافَى كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلْتَكْبِرُوا لِلَّهِ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٤).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: أَمَّا إِنْ فِي الْفِطْرِ تَكْبِيرٌ وَلَكِنَّهُ مَسْنُونٌ قَالَ: قُلْتُ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي لَيْلَةِ الْفِطْرِ، فِي الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَفِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَفِي صَلَاةِ الْعِيدِ، ثُمَّ يَقْطَعُ

١- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٢١٦، ح ١/٢٢٦، باب ٥٧- حكم المسافر والمريض في الصيام.

٢- الكافي ج ٤، ص ١٢٧، ح ٢، باب كراهية الصوم في السفر.

٣- الخصال: ص ١٢، ح ٤٣، باب إن الله تبارك وتعالى أهدى إلى محمد ﷺ وإلى أمته.

٤- الفقيه: ج ١، ص ٣٣١، ح ١٤٨٨ / ٣٢، باب ٧٩- باب صلاة العيدين.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

قال: قلت: كيف أقول؟ قال: تقول الله أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، اللهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانَا، وهو قول الله تعالى: «وَلْتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ» يعني الصيام ولتكبروا الله على ما هداكم^(١).

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾: فقل لهم: إِنِّي قَرِيبٌ روي: إِنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَقْرَبُ رَبَّنَا فَنَنَاجِيهِ؟ أَمْ بَعِيدٌ فَنَنَادِيهِ فَتَزِلْتُ^(٢).

أقول: قربه تعالى عبارة عن معيَّته عزَّ وجلَّ كما قال سبحانه: «وهو معكم أينما كنتم»^(٣) فكما أَنَّ معيَّته للأشياء ليست بمجازة، ومداخلته، ومفارقته عنها ليست بمباينة، ومزايلة فكذلك قربه ليس باجتماع، وأين وبعده ليس بافتراق، وبين بل بنحو آخر أقرب من هذا القرب، وأبعد من هذا البعد، ولهذا قال تعالى: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»^(٤) وقال: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ»^(٥).

وفي مناجاة شَيْد الشهداء عليه الصلاة والسلام: إِلَهِي مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي وَأَبْعَدَنِي عَنْكَ، وَمَا أَرَأْفَكَ بِي، فَمَا الَّذِي يَحْجُبُنِي عَنْكَ^(٦).

وإنما يجد قربه مَنْ عَبْدُهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ كما قال نَبِيُّنَا ﷺ: أُعْبِدُ اللهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ^(٧).

١- الكافي: ج ٤، ص ١٦٦-١٦٧، ح ١، باب التكبير ليلة الفطر ويومه.

٢- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٢٧٨. ٣- الحديد: ٤.

٤- ق: ١٦. ٥- الواقعة: ٨٥.

٦- إقبال الأعمال: ص ٣٤٨ سطر ١٥ في ضمن دعاء عرفة.

٧- الجامع الصغير: ج ١، ص ١٧١، ح ١١٣٣.

إن قيل: كيف يكون الشيء قريباً من الآخر ويكون ذلك الآخر بعيداً عنه؟ قلنا: هذا كما يكون لك محبوب وهو حاضر عندك، وأنت عنه في عمى لا تراه ولا تشعر بحضوره، فإنه قريب منك وأنت بعيد عنه.

﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: تقرير للقرب ووعده للداعي بالإجابة.
 ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾: إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجبتهم إذا دعوني لمهامهم.
 ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾: في المجمع عن الصادق عليه السلام أي وليتحققوا أنني قادر على إعطائهم ما سألوه^(١).

والعياشي ما في معناه^(٢).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: قال^(٣): أي لعلهم يصيبون الحق ويهتدون إليه^(٤).
 وروي: إن الصادق عليه السلام قرأ «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا»^(٥) فسئل ما لنا ندعو ولا يستجاب لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفون، وتسألون ما لا تفهمون^(٦).

فالإضطرار عين الدين، وكثرة الدعاء مع العمى عن الله من علامة الخذلان، من لم يشهد ذلّة نفسه وقلبه وسرّه تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال وظنّ أنّ سؤاله دعاء والحكم على الله من الجرأة على الله.

وفي الكافي: عنه عليه السلام: إنه قيل له في قوله سبحانه: «ادعوني استجب لكم» ندعوه ولا نرى إجابة، قال: أفترى الله عزّ وجلّ أخلف وعده؟ قيل لا، قال: فمَ ذلك؟ قيل: لا أدري قال: لكنّي أخبرك من أطاع الله عزّ وجلّ فيما أمره ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه، قيل: وما جهة الدعاء؟ قال: تبدأ وتحمد الله وتذكر نعمه عندك، ثم تشكره، ثم تصلي على النبي ﷺ ثم تذكر ذنوبك فتقرّ بها، ثم تستعيذ منها، فهذا جهة الدعاء^(٧).

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٧٨. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٣، ح ١٩٦.

٣- أي الصادق عليه السلام. ٤- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٥.

٥- النمل: ٦٢.

٦- التوحيد: ٢٨٨، ح ٧، باب ٤١- أنه عزّ وجلّ لا يعرف إلا به.

٧- الكافي: ج ٢، ص ٤٨٦، ح ٨، باب الثناء قبل الدعاء.

أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ
وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ
الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا
تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

١٨٧

وعنه عليه السلام: إنَّ العبد ليدعو فيقول الله للملكين: قد استجبت له ولكن احبسوه بحاجته
فإني أحبُّ أن أسمع صوته، وإنَّ العبد ليدعو فيقول الله تبارك وتعالى: عجلوا له حاجته فإني
أبغضُ صوته ^(١).

والقمي عنه عليه السلام: إنَّه قيل له: إنَّ الله تعالى يقول: «ادعوني استجب لكم» وإنا ندعوه فلا
يستجاب لنا فقال: لأنكم لا توفون بعهده وإنَّ الله يقول: «أو فوا بعهدي أوف بعهدكم» ^(٢) والله
لو وفيت لله لوفى لكم ^(٣).

وفي الكافي: عنه عليه السلام: إنَّ من سرَّه أن يستجاب دعوته فليطِيبْ مكسبه ^(٤).
وروي عنه عليه السلام: إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربَّه شيئاً إلا أعطاه فليأْس من الناس
كلَّهم، ولا يكون له رجاء إلا عند الله عزَّ وجلَّ، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا

١- الكافي: ج ٢، ص ٤٨٩، ح ٣، باب من أبطأت عليه الاجابة.

٢- البقرة: ٤٠

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٤٦.

٤- الكافي: ج ٢، ص ٤٨٦ - ٤٨٧، ح ٩، باب النناء قبل الدعاء.

أعطاه^(١) ويأتي حديث آخر في هذا الباب في سورة المؤمن إن شاء الله.
﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ أَصْيَامٌ﴾: أي الليلة التي تصبح منها صائماً.
﴿أَلَرَّفْتُ إِلَىٰ يَسَآئِكُمْ﴾: كنى به عن الجماع لأنه قلماً يخلو من رث وهو الإفصاح بما
يجب أن يكتفى عنه وعدى بـ «إلى» لتضمّنه معنى الإفضاء^(٢).
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ﴾: استيناف يبيّن سبب الاحلال وهو قلّة
الصبر عنهنّ، وصعوبة اجتنابهنّ لكثرة المخالطة وشدة الملابس^(٣).
﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾: من الخيانة وهو أبلغ منها أي
تظلمونها بتعريضها للعقاب، وتنقيص حظّها من الثواب.
﴿فَتَأَبَّ عَلَيْنَكُمْ﴾: لما تبتم، ورخص لكم، وأزال التشديد عنكم.
﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾: محى أثره عنكم.
﴿فَالْتَنَّ بَسِيراً وَهُنَّ﴾: كنى بالمباشرة عن الجماع، وهي الصاق البشرة بالبشرة.
﴿وَأَبْتَنُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: قيل: يعني اطلبوا ما قدر لكم وأثبتته في اللوح من
الولد بالمباشرة أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لا ابتغاء ما وضع الله النكاح له من
التناسل^(٤).

وقيل: وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر فإن الله يحبّ أن يؤخذ برخصه
كما يحب أن يؤخذ بعزائمه^(٥).

**﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ
الْفَجْرِ﴾**: شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتدّ معه من ظلمة الليل بخيطين
أبيض وأسود، واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله: «(مِنَ الْفَجْرِ)» عن بيان الخيط الأسود لدلالته

١- الكافي: ج ٢، ص ١٤٨، ح ٢، باب الاستغناء عن الناس.

٢- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٣. ٣- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٣.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٣.

٥- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٨١.

عليه، في الكافي: عن الصادق عليه السلام هو بياض النهار من سواد الليل ^(١).

وفي رواية: هو الفجر الذي لا شك فيه ^(٢).

وفي أخرى: ليس هو الأبيض صعداء إن الله لم يجعل خلقه في شبهة من هذا، وتلا هذه الآية فقال: المعترض ^(٣).

وفي التهذيب: عنه عليه السلام أنه سئل آكل في شهر رمضان بالليل حتى أشك؟ قال: كل حتى لا تشك ^(٤).

وفيه ^(٥): وفي الكافي ^(٦)، والعياشي عنه عليه السلام: أنه سئل عن رجلين قاما في رمضان فقال أحدهما: هذا الفجر، وقال الآخر ما أرى شيئاً قال: ليأكل الذي لم يستيقن الفجر، وقد حرم الأكل على الذي زعم أنه رأى الفجر لأن الله يقول: «كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ» الآية ^(٧). وفي الكافي ^(٨)، والفقيه ^(٩)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: إنها نزلت في خوات ^(١٠) بن جبير الأنصاري، وكان مع النبي صلى الله عليه وآله في الخندق، وهو صائم فأمسى وهو على تلك الحال، وكانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حرم عليه الطعام والشراب، فجاء خوات إلى أهله حين أمسى فقال: هل عندكم طعام؟ فقالوا: لا تنم حتى نصلح لك طعاماً فاتكى فنام، فقالوا: له قد فعلت، فقال: نعم فبات على تلك الحال، فأصبح ثم غدا إلى الخندق فجعل يغشى

١- الكافي: ج ٤، ص ٩٨، ح ٣، باب الفجر ما هو؟

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٨٢، ح ٣٦٤ / ٤، باب ٣٩- الوقت الذي يحرم فيه الأكل.

٣- الكافي: ج ٣، ص ٢٨٢، ح ١، باب وقت الفجر.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٣١٨، ح ٩٦٩ / ٣٧، باب ٧٢- في الزيارات.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ٣١٧- ٣١٨، ح ٩٦٧ / ٣٥، باب ٧٢- في الزيارات.

٦- الكافي: ج ٤، ص ٩٧، ح ٧، باب من أكل أو شرب وهو شاك في الفجر.

٧- العياشي: ج ١، ص ٨٣، ح ١٩٩.

٨- الكافي: ج ٤، ص ٩٨- ٩٩، ح ٤، باب الفجر ما هو؟

٩- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٨١- ٨٢، ح ٣٦٢ / ٢، باب ٣٩- الوقت الذي يحرم فيه الأكل.

١٠- خوات - بالهاء المعجمة وتشديد الواو -: «ابن جبير» بالجيم والياء الموحدة: اسم رجل من الأنصار، صحابي من الخزرج يجمع البحرين: ج ٢، ص ٢٠٠، مادة «خوت».

عليه، فمر به رسول الله ﷺ فلما رأى الذي به أخبره كيف كان أمره فأنزل الله فيه الآية^(١).
وزاد القمي فيما زاد وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان قال: وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل في شهر رمضان فأنزل الله^(٢).
وفي الجوامع: عن الصادق عليه السلام قال: كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم، وكان النكاح حراماً بالليل والنهار، وكان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له: مطعم ابن جبير^(٣)، نام قبل أن يفطر، وحضر حفر الخندق فأغمي عليه، وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل سراً في شهر رمضان، فنزلت الآية، فأحل النكاح بالليل، والأكل بعد النوم، فذلك قوله: «وَعَفَا عَنْكُمْ»^(٤).

وفي المجمع: اختلفت العامة في اسم هذا الرجل ثم ذكر قصته عنهم بنحو آخر، قال: فقال عمر: يا رسول الله أعتذر إليك من مثله، رجعت إلى أهلي بعد ما صليت العشاء فأتيت امرأتى، وقام رجال فاعترفوا بمثل الذي سمعوا، فنزلت^(٥).

﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾: بيان لآخر وقت الصيام.
﴿وَلَا تَبْسِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾: معتكفون فيها، والإعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد الجامع للعبادة.

﴿تِلْكَ﴾: أي الأحكام التي ذكرت.
﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: حرمة الله ومناهيه.
﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾: في الحديث النبوي: إن لكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه، فمن

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٣، ح ٩٩٧. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٦٦-٦٧.

٣- وفي المجمع: روى القصة من طريق الخاصة عن القمي. وذكر فيه اسم الرجل: «مطعم بن جبير» مع أن الموجود في نسخ تفسير القمي التي رأيناها ليس إلا خوات بن جبير موافقاً للكافي، والفقيه. وأما العامة فذكر بعضهم أنه قيس بن صرمة، وقيل: أبو صرمة، وقيل: أبو قيس بن صرمة، وقيل: صرمة بن إياس منه رضي الله عنه. راجع مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٢٨٠ في شأن نزول الآية.

٤- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٦.

٥- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٢٨٠، في شأن نزول الآية.

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ
لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ^(١).

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التبيين.

﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾: حججه ودلائله.

﴿لِلنَّاسِ﴾: على ما أمرهم به ونهاهم عنه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: مخالفة أوامره ونواهي.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾: لا يأكل بعضكم مال بعض.

﴿بِالْبَاطِلِ﴾: بالوجه الذي لا يحل ولم يشرعه الله.

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: يعني - بالباطل - : اليمين الكاذبة تقتطع بها الأموال ^(٢).

وفي الفقيه ^(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل الرجل منّا يكون عنده الشيء

يتبلغ به وعليه الدين أيطعمه عياله حتى يأتيه الله عز وجل بميسرة فيقضي دينه؟ أو

يستقرض على ظهره في خبث الزمان وشدة المكاسبة؟ أو يقبل الصدقة؟ فقال: يقضي بما عنده

دينه ولا يأكل أموال الناس إلا وعنده ما يؤدي إليهم إن الله عز وجل يقول: «وَلَا تَأْكُلُوا

أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ» ^(٤).

﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾: عطف على المنهي، أو نصب بإضمار «أن»، والإدلاء:

الإلقاء، أي ولا تلقوا أمرها، والحكومة فيها إلى الحكّام.

﴿لِتَأْكُلُوا﴾: بالتحاكم.

١- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٦. ٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٨٢.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١١٢، ح ٤٧٦/١٢، باب ٦٠ - الدين والقروض. وفيه: «شدة المكاسب».

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٥، ح ٢٠٧.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّ وَلَيْسَ
الْبَرُّ بِأَنْ تَأْتُوا النَّبِيِّاتِ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبَرَّ مَنْ اتَّقَى
وَأَتُوا النَّبِيِّاتِ مِنْ أُبُوبِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

﴿فَرِيقًا﴾: طائفة.

﴿مَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾: بما يوجب إثماً كشهادة الزور، واليمين الكاذبة أو
بالصلح مع العلم بأن المضي له ظلم.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنكم مبطلون في الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام في هذه
الآية قال: إن الله عز وجل قد علم أن في الأمة حكماً يمجرون أما أنه لم يعن حكماً أهل العدل
ولكنه عنى حكماً أهل الجور^(٢).

والقمي: قال العالم عليه السلام: قد علم الله أنه يكون حكماً يحكمون بغير الحق فنهى أن
يتحاكم إليهم لأنهم لا يحكمون بالحق فيبطل الأموال^(٣).

وفي التهذيب^(٤)، والعياشي: عن الرضا عليه السلام أنه كتب في تفسيرها أن الحكماء القضاة، ثم
كتب تحته وهو أن يعلم الرجل أنه ظالم فيحكم له القاضي فهو غير معذور في أخذه ذلك الذي
حكم له إذا كان قد علم أنه ظالم^(٥).

وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام: كانت قريش تقامر الرجل في أهله وماله، فنهاهم الله^(٦).
أقول: الآية تعم الكل، ولا تنافي بين الأخبار.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ﴾: عن أحوالها في زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في ذلك.

١- الكافي ج ٧، ص ٤١١، ح ٣، باب كراهية الارتفاع إلى قضاة الجور.

٢- تفسير العياشي: ج ١ ص ٨٥، ح ٢٠٥. ٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٦٧.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٢١٩، ح ٥١٨ / ١٠، باب ٨٧- من إليه الحكم وأقسام القضاة.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٥، ح ٢٠٦. ٦- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٨٢.

﴿قُلْ هِيَ مَوْقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ﴾: أي معالم يوقَّت بها الناس عباداتهم، ومزارعهم، ومتاجرهم، ومحالّ ديونهم، وعِدَدِ نسائهم.

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام: لصومهم وفطرهم وحبّهم^(١).

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ﴾: وقرئ بكسر الباء حيث وقع.

﴿مِنْ ظُهُورِهَا﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام: كانوا إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ولكنهم كانوا ينقبون في ظهور بيوتهم أي في مؤخرها نقباً يدخلون ويخرجون منه فنها عن التدين بها^(٢).

﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾: ما حرّم الله كذا عن الصادق عليه السلام^(٣).

﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾: في المحاسن^(٤)، والمجمع^(٥)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام: يعني أن يأتي الأمر من وجهه أي الأمور كان^(٦).

أقول: ومنه أخذ أحكام الدين عن أمير المؤمنين وعترته الطيبين عليه السلام لأنهم أبواب مدينة علم النبي صلى الله عليه وعليهم أجمعين، كما قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها ولا يؤتى المدينة إلّا من بابها^(٧).

وفي الإحتجاج: عن أمير المؤمنين عليه السلام: قد جعل الله للعلم أهلاً، وفرض على العباد طاعتهم بقوله: «وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» والبيوت: هي بيوت العلم الذي استودعته الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم^(٨).

وعنه عليه السلام: نحن البيوت التي أمر الله أن يؤتى أبوابها نحن باب الله، وبيوته التي يؤتى منه فمن تابعتها وأقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها، إنّ الله عزّ وجلّ لو شاء عرّف الناس نفسه حتّى يعرفونه

١- تهذيب الأحكام: ج ٤، ص ١٦٦، ح ٤٧٢ / ٤٤، باب ٤١- علامة أول شهر رمضان.

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٨٤. ٣- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٠٧.

٤- المحاسن: ج ١، ص ٣٥٢، ح ٤٤/٧٤٢، باب ١١- الاحتياط بالدين والأخذ بالنسبة.

٥- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٨٤. ٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٦، ح ٢١١.

٧- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٨٤. ٨- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٦٩.

وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا
تُقْتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ
فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾

ويأتونه من بابه، ولكن جعلنا أبوابه، وصراطه وسبيله، وبابه الذي يؤتى منه، قال: فمن عدل عن ولايتنا، وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها، وإتهم عن الصراط لناكون^(١).

وفي المجمع^(٢)، والعبّاشي: عن الباقر عليه السلام: آل محمد صلوات الله عليهم أبواب الله وسبيله، والدعاة إلى جنته، والقادة إليها، والأدلاء عليها إلى يوم القيامة^(٣).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في تغيير أحكامه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾: لكي تظفروا بالهدى والبر.

﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: جاهدوا لإعلاء كلمته، وإعزاز دينه.

﴿الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ﴾: هي ناسخة لقوله تعالى: «كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ» كذا في المجمع

عنهم عليهم السلام^(٤).

﴿وَلَا تَعْدُوا﴾: بابتداء القتال، والمفاجأة به من غير دعوة، والمثلة، وقتل من نهيتهم

عن قتله من النساء والصبيان والمشائخ والمعاهدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ * وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم هي

٢- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٨٤.

١- الاحتجاج: ج ١، ص ٣٣٨.

٤- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٨٥.

٣- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ٨٦، ح ٢١٠.

فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَسَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا
تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى
الْظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾

ناسخة لقوله عز وجل: «وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ»^(١) كذلك في المجمع
عنهم عليهم السلام^(٢).

﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾: أخرجوهم من مكة كما أخرجوكم منها،
وقد فعل ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم منهم.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾: قيل: معناه شركهم في الحرم وصدّهم إياكم عنه أشدّ
من قتلهم إياهم فيه^(٣).

﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَتِّلُوكُمْ فِيهِ﴾: لا تفتحوهم بالقتال،
وهتك حرمة الحرم.

﴿فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾: فلا تبالوا بقتلهم ثمّة فانهم الذين هتكوا حرمة،
وقري: «ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم» فيه فإن قتلوكم بدون الألف.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك.

﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾: جزاؤهم يفعل بهم ما فعلوا.

﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾: عن القتال والشرك.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يغفر لهم ما قد سلف.

﴿وَقَسَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: شرك، كذا في المجمع: عن الباقر عليه السلام^(٤).

٢- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٨٧.

١- الاحزاب: ٤٨.

٣- قاله الطبرسي في مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٨٦؛ وذكره البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٥.

٤- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٨٧.

﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ: أَي الطاعة والعبادة لله.

﴿لِلَّهِ: وحده خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب.

﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا: عن الشرك.

﴿فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ: فلا تعتدوا على المنتهين، سُمِّيَ الجزء باسم

الإعتداء للمشاكلة وازدواج الكلام، كما في قوله سبحانه: «وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِثْلُهَا»^(١)، ومثله: «فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ»^(٢) كما يأتي.

والعياشي عن أحدهما عليه السلام: أي لا عدوان إلا على ذرية قتلة الحسين عليه السلام^(٣).

وفي رواية: لا يعتدي الله على أحد إلا على نسل ولد قتلة الحسين عليه السلام^(٤).

وفي العلل: عن الرضا عليه السلام أنه سئل يا ابن رسول الله عليه السلام ما تقول في حديث روي عن

الصادق عليه السلام إنه قال: إذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟ فقال:

هو كذلك، فقيل: فقول الله عز وجل «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^(٥) ما معناه؟ فقال: صدق

الله في جميع أقواله، لكن ذراري قتلة الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم كذلك، ويفتخرون

بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب

لكان الراضي عند الله عز وجل شريك وإنما يقتلهم القائم عليه السلام إذا خرج لرضاهم بفعل

آبائهم^(٦).

أقول: وذلك لأنهم إنما يكونون من سنخهم وحقيقتهم بحيث لو قدروا على ما قدر

عليه أولئك فعلوا ما فعلوا كما حقق في المقدمة الثالثة.

٢- البقرة: ١٩٤.

١- الشورى: ٤٠.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٦، ح ٢١٤.

٤- تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ١٧٨، ح ٦٢٨.

٥- الأنعام: ١٦٤.

٦- علل الشرائع: ص ٢٢٩، ح ١، باب ١٦٤، العلة التي من أجلها يقتل القائم عليه السلام ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم.

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ
 اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

«الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ»: قيل: قاتلهم المشركون في عام الحديبية في ذي القعدة، واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه فكرهوا أن يقاتلوهم فيه لحرمة، فقبل لهم: هذا الشهر بذلك، وهتكه بهتكه فلا تبالوا به^(١). وفي المجمع روي مثله عن الباقر^(٢).

«وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ»: أي كل حرمة وهي ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيه القصاص، فلما هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثله. وفي التهذيب^(٣)، والعياشي: مضراً أنه سئل عن المشركين أيبتدوهم المسلمون بالقتال في الشهر الحرام؟ فقال: إذا^(٤) كان المشركون إبتدأوهم باستحلالهم ثم رأى المسلمون أنهم يظهرون عليهم فيه، وذلك قوله سبحانه: «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ»^(٥).

«فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»: فذلكه وتأکید لما سبق في التهذيب: عن الصادق^(٦) في رجل قتل رجلاً في الحرم، وسرق في الحرم فقال: يقام عليه الحد، وصغار له لأنه لم ير للحرم حرمة، وقد قال الله: «فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ح ١، ص ١٠٦.

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٨٧- ٢٨٨.

٣- تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٤٢، ح ٣/ ٢٤٣، باب ٦٣، كيفية قتال المشركين.

٤- جواب إذا محذوف يعني فنعم، والبارز في أنهم للمسلمين، وفي عليهم للمشركين. منه^(٧).

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٦- ٨٧، ح ٢١٥.

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

عَلَيْهِ عِثْلٌ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ» يعني في الحرم، وقال: «فلا عدوان إلا على الظالمين» (١)(٢).
«وَأَتَّقُوا اللَّهَ»: في الانتصار فلا تعتدوا إلى ما لم يرخّص لكم.
«وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»: فيحرّسهم ويصلح شأنهم.
«وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: في الجهاد وسائر أبواب البرّ.
«وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»: بالإسراف وتضييع وجه المعاش وبكلّ ما
يؤدّي إلى الهلاك في المجالس عن النبي ﷺ قال: طاعة السلطان واجبة، ومن ترك طاعة
السلطان فقد ترك طاعة الله، ودخل في نهيه إن الله يقول: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (٣).
«وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»: في الكافي (٤)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام
قال: لو أنّ رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل من سبيل الله ما كان أحسن، ولا وفق للخير أليس
يقول الله: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» يعني
المقتصدين (٥).

وفي المحاسن: عنه عليه السلام قال: إذا أحسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله بكلّ حسنة
سبعمائه، وذلك قول الله تعالى «يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ» فأحسنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب الله،
فقليل له: وما الإحسان؟ فقال: إذا صليت فأحسن ركوعك وسجودك، وإذا صمت فتوقّ كلّ ما
فيه فساد صومك، وإذا حججت فتوقّ ما يحرم عليك في حجّك وعمرتك، قال: وكلّ عمل

١- البقرة: ١٩٣.

٢- تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤١٩، ح ١٤٥٦/١٠٢، باب ٢٦- من الزيادات في فقه الحج.

٣- الأمانى للشيخ الصدوق: ص ٢٧٧، ح ٢٠، المجلس الرابع والخمسون.

٤- الكافي: ج ٤، ص ٥٣، ح ٧، باب فضل القصد. ٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٧، ح ٢١٧.

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ
 الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ
 مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ
 صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا
 اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ
 وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ
 حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ



تعمله لله فليكن نقيّاً من الدنس (١).

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ﴾: إئتوا بهما تامين كاملين بشرائطها وأركانها ومناسكها.

﴿لِلَّهِ﴾: لوجه الله خالصاً، وهو نص في وجوب العمرة كوجوب الحج. في الكافي (٢).

والعياشي: سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال: هما مفروضان (٣).

وفيه (٤)، وفي العلل (٥)، والعياشي: عنه عليه السلام قال: العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج

على من استطاع لأن الله يقول: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ» (٦).

١- المحاسن: ج ١، ص ٣٩٦، ح ٨٨٧ / ٢٨٩، باب ٣٠ الإخلاص.

٢- الكافي: ج ٤، ص ٢٦٥، ح ٢، باب فرض الحج والعمرة.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٨، ح ٢٢٤.

٤- الكافي: ج ٤، ص ٢٦٥، ح ٤، باب فرض الحج والعمرة.

٥- علل الشرائع: ص ٤٠٨، ح ١، باب ١٤٤ العلّة التي من أجلها صارت العمرة واجبة على الناس.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٨، ح ٢٢٣.

قيل: فمن تمتع بالعمرة إلى الحج أيجزي ذلك عنه؟ قال: نعم^(١).
وفي رواية: قال يعني بتمامها أداؤها واتقاء ما يتقي المحرم فيها^(٢).
وفي المجمع: عن أمير المؤمنين، والسجّاد صلوات الله عليهما يعني أقيموها إلى آخر ما فيها^(٣).
وفي الخصال^(٤)، والعيون^(٥): عنه عليه السلام تمامها اجتناب الرفث والفسوق، والجidal في الحجّ.
والعياشي: عنها ما في معناه^(٦).
وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيراً وقلة الكلام إلا بخير، فإن من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلا من خير كما قال الله تعالى: «فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ»^(٧).
وفيه: عن الباقر عليه السلام قال: تمام الحج لقاء الإمام^(٨).
وعن الصادق عليه السلام: إذا حج أحدكم فليختم حجّه بزيارتنا، لأن ذلك من تمام الحج^(٩).
أقول: وفي هذا الزمان زيارة قبورهم تنوب مناب زيارتهم ولقائهم كما يستفاد من أخبار آخر، ولا منافاة بين هذه الأخبار ولأن ذلك كلّ من تمام الحجّ.
﴿فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ﴾: منعكم خوف عدوّ أو مرض عن المضي إليه وأنتم محرمون بحجّ أو عمرة فامتنعتم لذلك كذا عنهم عليهم السلام، رواه في المجمع^(١٠).

-
- ١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٨، ح ٢٢٢.
 - ٢ - الكافي: ج ٤، ص ٢٦٥، ح ١، باب فرض الحج والعمرة.
 - ٣ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٩٠.
 - ٤ - الخصال: ص ٦٠٦، ح ٩، في حديث طويل ٩.
 - ٥ - لم نعثّر عليه في العيون، والظاهر أنّه سهو من قلّمه الشريف.
 - ٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٨٨، ح ٢٢٥.
 - ٧ - الكافي: ج ٤، ص ٣٣٨، ح ٣، باب ما ينبغي تركه للمحرم من الجidal.
 - ٨ - الكافي: ج ٤، ص ٥٤٩، ح ٢، باب اتباع الحج بالزيارة.
 - ٩ - عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٢٦٢، ح ٢٨، باب ٦٦ - في ذكر ثواب زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.
 - ١٠ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٩٠.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام المحصور: غير المصدود، والمحصور: المريض، والمصدود: الذي يردّه المشركون، كما ردّوا رسول الله صلى الله عليه وآله والصحابة ليس من مرض، والمصدود: تحلّ له النساء والمحصور: لا تحلّ له النساء ^(١).

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾: فعليكم إذا أردتم التحلل من الإحرام ما تيسّر من الهدى من بعير، أو بقرة، أو شاة.

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام: يعني شاة وضع على أدنى القوم قوّة ليسع القويّ والضعيف ^(٢).

والعتاشي: عن الصادق عليه السلام: يجزيه شاة والبدنة، والبقرة أفضل ^(٣).

وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: المصدود يذبح حيث صدّ ويرجع صاحبه فيأتي النساء، والمحصور يبعث بهديه ويعدهم يوماً فإذا بلغ الهدى أحلّ هذا في مكانه ^(٤).

وعنه عليه السلام: إذا أحصر الرجل بعث بهديه فإذا أفاق ووجد من نفسه خفة فليمض إن ظنّ أنّه يدرك الناس، فإن قدم مكة قبل أن ينحر الهدى فليقم على إحرامه حتى يفرغ من جميع المناسك ولينحر هديه ولا شيء عليه، وإن قدم من مكة وقد نحر هديه فإنّ عليه الحجّ من قابل، أو العمرة قيل: فإن مات وهو محرم قبل أن ينتهي إلى مكة؟ قال: يحجّ عنه إن كانت حجة الإسلام ويعتمر إنما هو شيء عليه ^(٥).

﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾: لا تحلّوا.

﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾: مكانه الذي يجب أن ينحر فيه.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا﴾: مرضاً يحوجه إلى الحلّ.

١- الكافي: ج ٤، ص ٣٦٩، ح ٣، باب المحصور والمصدود.

٢- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ١٢٠، ح ١، باب ٣٤- العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنّه سمعها من الرضا علي بن موسى عليه السلام مرّة بعد مرّة وشيناً بعد شيء فجمعها وأطلق لعلي بن محمّد بن قتيبة النيسابوري روايتها عن الرضا عليه السلام.

٣- تفسير العتاشي: ج ١، ص ٨٩، ح ٢٢٧.

٤- الكافي: ج ٤، ص ٣٧١، ح ٩، باب المحصور والمصدود.

٥- الكافي: ج ٤، ص ٣٧٠، ح ٤، باب المحصور والمصدود.

﴿أَوْ بِهِ أَذَىٰ مِّنْ رَّأْسِهِ﴾: كجراحة أو قتل.

﴿فَفِدْيَةٌ﴾: فعلية فدية إن حلق.

﴿مِّنْ صِّيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام: إذا أحصر الرجل بعث بهديه فإن أذاه رأسه قبل أن ينحر هديه، فإنه يذبح شاة في المكان الذي أحصر فيه أو يصوم أو يتصدق، والصوم ثلاثة أيام، والصدقة على ستة مساكين، نصف صاع لكل مسكين^(١).

وفيه^(٢)، والعياشي: عنه عليه السلام قال: مرّ رسول الله ﷺ على كعب بن عجرة، والقمل يتناثر من رأسه وهو محرم، فقال له: أتؤذيك هوامك فقال: نعم فانزلت هذه الآية فأمره رسول الله ﷺ أن يحلق، وجعل الصيام ثلاثة أيام، والصدقة على ستة مساكين، لكل مسكين مدين، والنسك شاة^(٣).

قال أبو عبد الله عليه السلام: وكُلُّ شيء في القرآن «أو»: فصاحبه بالخيار، يختار ما شاء، وكل شيء في القرآن «فمن لم يجد» كذا فعلية كذا، فالأول الخيار^(٤).

أقول: فالأول الخيار: أي الخير والحريّ بالإختيار.

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾: الموانع يعني إذا كنتم غير محصورين وفي حال أمن وسعة.

﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ﴾: استمتع وانتفع بعد التحلل من عمرته باستباحة ما كان محرماً عليه.

﴿إِلَى الْحَجِّ﴾: إلى أن يحرم بالحجّ.

﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِّنْ أَهْدَى﴾: فعلية دم استيسره وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام شاة^(٥).

﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾: الهدى.

١- الكافي: ج ٤، ص ٣٧٠-٣٧١، ح ٦.

٢- الكافي: ج ٤، ص ٣٥٨، ح ٢، باب العلاج للمحرم إذا مرض أو أصابه جرح أو خراج أو علة.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٠، ح ٢٣١.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٠، ح ٢٣٢. وفيه «وكل شيء في القرآن فإن لم يجد فعلية ذلك». وجاء في الكافي:

ج ٤، ص ٣٥٨، ح ٢، «فالأولى الخيار».

٥- الكافي: ج ٤، ص ٨٧، ح ١، باب أدنى ما يجزي من الهدى.

﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾: في وقت الحجّ وأيام الإشتغال به والأفضل أن يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام في المتمتع لا يجيد الهدي قال: يصوم قبل التروية بيوم، ويوم التروية، ويوم عرفة، قيل: فإنه قد قدم يوم التروية قال: يصوم ثلاثة أيام بعد التشريق قلت: لم يقم عليه جماله؟ قال: يصوم يوم الحصة وبعده يومين، قال: قلت: وما الحصة؟ قال: يوم نفره. قلت: يصوم وهو مسافر؟ قال: نعم: أليس هو يوم عرفة مسافراً أنا أهل بيت نقول ذلك بقول الله تعالى: «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ»، يقول في ذي الحجة^(١).

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾: إلى أهاليكم فإن بداله الإقامة بمكة نظر مقدم أهل بلاده فإذا ظنّ أنّهم قد دخلوا فليصم السبعة الأيام كذا في الكافي عنهم عليه السلام^(٢).

﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾: لا تنقص عن الاضحية الكاملة.

في التهذيب: عن الصادق عليه السلام: إنه سئل عن السفين الثوري أي شيء يعني بكاملة؟ قال: سبعة وثلاثة: قال عليه السلام: ويحتلّ ذا على ذي حجا أن سبعة وثلاثة عشرة قال: فأَيُّ شيء هو أصلحك الله؟ قال: أنظر قال: لا علم لي فأَيُّ شيء هو أصلحك الله؟ قال: الكاملة: كما لها كمال الاضحية سواء أتيت بها أو لم تأت^(٣).

﴿ذَلِكَ﴾: أي التمتع.

﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية: من كان منزله على ثمانية عشر ميلاً من بين يديها، وثمانية عشر ميلاً عن خلفها، وثمانية عشر ميلاً عن يمينها، وثمانية عشر ميلاً عن يسارها، فلا متعة له مثل مَرٍّ^(٤) وأشباهها^(٥).

١- الكافي: ج ٤، ص ٥٠٦ - ٥٠٧، ح ١، باب صوم المتمتع إذا لم يجز الهدي. وفيه «لقول الله تعالى».

٢- الكافي: ج ٤، ص ٥٠٩، ح ٨، باب صوم المتمتع إذا لم يجز الهدي.

٣- تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤٠، ح ٤٩/١٢٠، باب ٤- ضروب الحج.

٤- بطن مَرٍّ ويقال له: مَرُّ الظهران على مرحلة من مكة. القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٣٣.

٥- الكافي: ج ٤، ص ٣٠٠، ح ٣.

أَلْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ
اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾

وفيه: عن الباقر عليه السلام سئل عن هذه الآية قال: ذلك أهل مكة ليس لهم متعة ولا عليهم
عمرة، قيل: فما حد ذلك؟ قال: ثمانية وأربعون ميلاً من جميع نواحي مكة دون عسفان وذات
عرق^(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في المحافظة على أوامره ونواهيه خصوصاً في الحج.
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: لمن لم يتقّه وخالف أمره وتعدّى حدوده.
﴿الْحَجَّ﴾: يعني وقت إحرامه ومناسكه.
﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَتٌ﴾: وهي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة كذا عن الباقر،
والصادق عليهما السلام: في عدة أخبار، قالوا: ليس لأحد أن يحجّ فيما سواهن، ومن أحرم بالحجّ في غير
أشهر الحجّ فلا حجّ له^(٢).
﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾: في الكافي^(٣)، والعياشي: قال الصادق عليه السلام: الفرض:
التلبية، والاشعار، والتقليد، فأَيُّ ذلك فعل فقد فرض الحج^(٤).
﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾: وقرئ بالرفع والتنوين فيها.

١- تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤٩٢، ح ١٧٦٦ / ٤١٢، باب ٢٦- من الزيادات في فقه الحج. وفيه: «دون ذات
عرق».

٢- الكافي: ج ٤، ص ٢٨٩، ح ١، ٢، باب أشهر الحج.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٢٨٩، ح ٢، باب أشهر الحج.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٤، ح ٢٥٤.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ
مِنْ عَرَفْتِ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعِرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا
هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لِنَاصِيَائِينَ ﴿١٩٨﴾

﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾: في أيامه.

في الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: الرفث: الجماع، والفسوق: الكذب، والسباب، والجدال: قول الرجل لا والله، وبلى والله^(٢).

وزاد في الكافي وقال: في الجدال شاة، وفي الفسوق بقرة، والرفث: فساد الحج^(٣).

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾: حث على البر.

﴿وَتَزَوَّدُوا﴾: لمعادكم التقوى.

﴿فَإِنْ خَيْرٌ أَلْزَادِ التَّقْوَى﴾: قيل: كانوا يحجون من غير زاد فيكونون كلاً على

الناس فأمرُوا أَنْ يَتَزَوَّدُوا وَيَتَّقُوا الإِبْرَامَ وَالتَّثْقِيلَ عَلَى النَّاسِ^(٤).

﴿وَأَتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَسِ﴾: فَإِنَّ مَقْتَضَى اللَّبِّ: خَشْيَةُ اللَّهِ، عَقَبَ الْحَثَّ عَلَى

التقوى بَأَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ بِهَا هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَالتَّبَرِّيَّ عَمَّا سِوَاهُ.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا﴾: في أَنْ تَطْلُبُوا.

﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾: كانوا يَتَأَمَّنُونَ بِالتَّجَارَةِ فِي الْحَجِّ، فَرَفَعَ عَنْهُمْ الْجُنَاحَ فِي ذَلِكَ،

كَذَا فِي الْمَجْمَعِ عَنْهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٥).

١- الكافي: ج ٤، ص ٢٣٧-٢٣٨، ح ٣، باب ما ينبغي تركه للمحرم.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٥، ح ٢٥٦.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٣٣٨، ذيل ح ٣، باب ما ينبغي تركه للمحرم.

٤- ذكره البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٨.

٥- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٢٩٥.

وفي رواية: فضلاً: أي مغفرة^(١).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام فضلاً من ربكم، يعني: الرزق إذا أحلّ الرجل من إحرامه،

وقضى نسكه فليشتر وليبيع في الموسم^(٢).

﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ﴾: دفعتم أنفسكم بكثرة، من أفاض الماء، إذا صبه بكثرة.

﴿مِنْ عَرَفْتُمْ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام: ومضيتم إلى المزدلفة^(٣).

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾: قال: بآلانه ونعمائه، والصلاة على محمد

سيد أنبيائه، وعلى علي سيد أصفياه^(٤).

﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾: لدينه والإيمان برسوله ﷺ، وقيل: أي أذكروه ذكراً

حسناً، كما هداكم هداية حسنة^(٥).

وقيل: أي ذكراً يوازي هدايته إيتاكم^(٦).

أقول: ليس المراد بالكاف في مثل هذا الكلام التشبيه، بل المراد تعليل الطلب بوجود

ما يقتضيه، وأن المطلوب ليس بغريب، بل إن وقع فهو في موضعه، والمعنى أذكروه بإزاء هدايته

إيتاكم فإنه هداكم فبالحرى أن تذكروه، وله نظائر كثيرة في الكلام ولكنه اشتبه على كثير من

الأعلام.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل الهدى.

﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾: الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه.

وفي تفسير الإمام عليه السلام: الضالّين عن دينه قبل أن يهديكم لدينه^(٧).

١- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٩٥.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٦، ح ٢٦٢.

٣- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٠٥.

٤- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٠٥.

٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٩.

٦- قاله الطبرسي في تفسيره مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٩٥.

٧- تفسير الإمام العسكري: ص ٦٠٥.

﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١٩٩

﴿ثُمَّ أَفِضُوا﴾: ثم لتكن إفاضتكم.

﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾: قيل: أي من عرفات (١).

وفي الجمع: عن الباقر (عليه السلام): كانت قريش وحلفاؤهم من الحمس لا يقفون مع الناس بعرفات، ولا يفيضون منها، ويقولون: نحن أهل حرم الله فلا نخرج من الحرم فيقفون بالمشعر ويفيضون منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات ويفيضوا منه (٢).

والعياشي: عن الصادق (عليه السلام) مثله في عدة أخبار (٣).

وعنه (عليه السلام): يعني بالناس إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ومن بعدهم ممن أفاض من عرفات (٤).

وفي الكافي: عن الحسين (عليه السلام): نحن الناس (٥).

وعن الصادق (عليه السلام): في حديث حج النبي (صلى الله عليه وآله) قال: ثم غدا والناس معه، وكانت قريش تفيض من المزدلفة، وهي جمع، ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقريش ترجو أن تكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون فأنزله الله تعالى عليه «ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ» يعني إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، في إفاضتهم منها ومن كان من بعدهم (٦).

أقول: وعلى هذه الأخبار فمعنى «ثم»: الترتيب في الرتبة، لتفاوت ما بين الإفاضتين كما في قولك: أحسن إلى الناس، ثم لا تحسن إلى غير الكريم.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٠٩.

٢- مجمع البيان: ج ١، ص ٢٩٦. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٧، ح ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٨.

٤- مجمع البيان: ج ١، ص ٢٩٦. ٥- الكافي: ج ٨، ص ٢٤٤ - ٢٤٥، ح ٣٣٨.

٦- الكافي: ج ٤، ص ٢٤٧، في حديث طويل رقم ٢، باب - حج النبي.

فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ
أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾

وأورد في المجمع سؤالاً وهو: إنَّ «ثم» للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا؟ وأجاب: بأنَّ أصحابنا رَوَوْا أنَّ هاهنا تقدماً وتأخيراً تقديره «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم، ثمَّ أفيضوا من حيث أفاض النَّاسُ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَقاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ».

وذكر تفسيراً آخر وهو: أن يكون المراد: الإفاضة من المزدلفة إلى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس، قال: والآية تدلُّ عليه لأنَّ قوله «ثمَّ أفيضوا» يدلُّ على أنَّها إفاضة ثانية^(١). أقول: وهو مخالف للأخبار الواردة في سبب نزول الآية من طرق الخاصة، والعامة كما مرَّ، إلا في تفسير الإمام فإنَّ فيه «ثمَّ أفيضوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» أي ارجعوا من المشعر الحرام من حيث رجع الناس من جمع قال: والناس في هذا الموضع الحاجَّ غير الحمس فإنَّ الحمس كانوا لا يفيضون من جمع^(٢) وهو كما ترى والعلم عند الله.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾: واطلبوا المغفرة من الله من جاهليَّتكم في تغيير المناسك.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يغفر ذنب المستغفرين ويرحم عليهم.

﴿فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ﴾: فرغتم من أفعال الحج.

﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾: فاذكروا الله بآلانه لديكم

وإحسانه إليكم، وبالغوا فيه كما تفعلونه في ذكر آبائكم بأفعالهم، وما أثرهم وأبلغ منه.

في تفسير الإمام عليه السلام: خيرهم بين ذلك ولم يلزمهم أن يكونوا أشدَّ ذكراً له منهم

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾

لآبائهم وإن كانت نعم الله عليهم أكثر وأعظم من نعم آبائهم^(١).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك، يعدّون مفاخر آبائهم ومآثرهم، ويذكرون أيامهم القديمة وأيادهم الجسيمة، فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكر آبائهم في هذا الموضع أو أشدّ ذكراً ويزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله سبحانه ويعدّوا آلاؤه، ويشكروا نعماءه لأن آباءهم وإن كانت لهم عليهم أيادٍ ونعم، فنعم الله سبحانه عليهم أعظم أياديه عندهم وأفخم، ولأنه سبحانه المنعم عليهم بتلك المآثر والمفاخر على آبائهم وعليهم^(٢).

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾: فإنّ الناس من بين مقلّ لا يطلب بذكره إلا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين، فكونوا من المكثرين.

﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾: اجعل إيتاءنا ومنحتنا.

﴿فِي الدُّنْيَا﴾: خاصّة.

﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: نصيب وحظّ، لأنّ همّه مقصور على الدنيا لا يعمل للآخرة عملاً ولا يطلب منها خيراً.

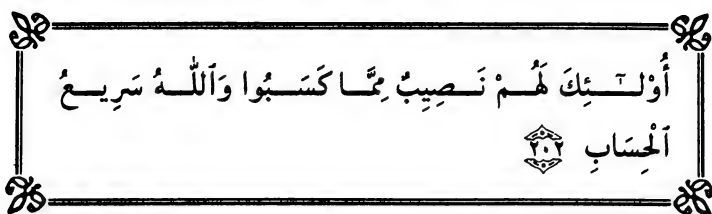
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: كالصحة، والأمن، والكفاف، وتوفيق الخير.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾: كالرحمة، والزلفة.

﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾: بالمغفرة والعفو. في الكافي^(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام

١- تفسير الإمام العسكري: ص ٦٠٦. ٢- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٢٩٧.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٧١، ح ٢، باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة.



قال: رضوان الله والجنة في الآخرة، والسعة^(١) في المعاش، وحسن الخلق في الدنيا^(٢).
وعن أمير المؤمنين عليه السلام: في الدنيا: المرأة الصالحة، وفي الآخرة: الحوراء، وعذاب النار: المرأة السوء^(٣).

وقيل: الحسنة في الدنيا: العلم والعبادة، وفي الآخرة: الجنة، وعذاب النار: الشهوات، والذنوب المؤدية إليها^(٤).

أقول: كل ذلك أمثلة للمراد بها فلا تنافي بينها.

﴿أُولَئِكَ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام أولئك الداعون بهذا الدعاء على هذا الوصف^(٥).

﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا﴾: قال: من ثواب ما كسبوا في الدنيا والآخرة^(٦).

أقول: وإنما قيل: ما كسبوا لأن الأعمال أنفسمها تتصور بصور حسنة ينتغم بها صاحبها أو بصور قبيحة يتعذب بها صاحبها، كما ورد في أخبار كثيرة عن أهل العصمة صلوات الله عليهم، وفي الحديث النبوي: إنما هي أعمالكم ترد إليكم^(٧).

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: يحاسب الخلائق كلهم على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمح البصر كما ورد في الخبر^(٨).

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنه قال: معناه أنه يحاسب الخلائق دفعة كما

١- وزاد في المعاني والسعة في الرزق قبل ذكر المعاش. منه عليه السلام. راجع معاني الأخبار: ص ١٧٤ - ١٧٥، ح ١، باب معنى حسنة الدنيا، وحسنة الآخرة، وإليك نصه: قال: رضوان الله والجنة في الآخرة، والسعة في الرزق والمعاش، وحسن الخلق في الدنيا.

٢- مجمع البيان: ج ١، ص ٢٩٧. ٣- مجمع البيان: ج ١، ص ٢٩٨، أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٠.

٤- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٠٦. ٥- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٠٦.

٦- مجمع البيان: ج ١، ص ٢٩٨. ٧- مفاتيح الغيب: ص ٩٠.

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

يرزقهم دفعة^(١).

وعنه عليه السلام: أنه سئل كيف يحاسب الله سبحانه الخلق ولا يروونه؟ قال: كما يرزقهم الله ولا يروونه^(٢).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: لأنه لا يشغله شأن عن شأن، ولا محاسبة عن محاسبة، فإذا حاسب واحداً فهو في تلك الحال محاسب للكل، يتم حساب الكل بتمام حساب الواحد، وهو كقوله: «مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْزُبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً»^(٣) (٤).
وسياتي في سورة الأنعام ما يقرب منه^(٥).

أقول: ولسرعة الحساب معنى آخر يجتمع مع هذا المعنى، ويؤيده وهو أن الله سبحانه يحاسب العبد في الدنيا في كل آن ولحظة، ويجزيه على عمله في كل حركة وسكون، ويكافئ طاعاته بالتوفيقات، ومعاصيه بالخذلانات، فالخير يجزى الخير، والشر يدعوا إلى الشر، ومن حاسب نفسه في الدنيا عرف هذا المعنى، ولهذا ورد: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا^(٦).
وهذا من الأسرار التي لا يمسه إلا المطهرون.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾: يعني أيام التشريق، وذكر الله فيها: التكبير في أعقاب الصلوات من ظهر يوم التَّحَرُّ إلى صلاة الفجر من اليوم الثالث لمن كان معنى وفي الأمصار إلى عشر صلوات، والتكبير: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٢٩٨. ٢- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٣١٣ ذيل الآية ٦٢ من سورة الانعام.

٣- لقمان: ٢٨. ٤- تفسير الإمام العسكري: ص ٦٠٦. وفيه: «ولا محاسبة أحد من محاسبة آخر».

٥- ذيل الآية: ٦٢. ٦- الكافي: ج ٨، ص ١٤٣، ح ١٠٨.

أكبر، ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام.
 كذا عنهم عليه السلام: في الكافي^(١)، والعياشي^(٢)، وغيرهما^(٣).
﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾: استعجل النفر من منى.
﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾: بعد يوم النحر إذا فرغ من رمي الجمار.
﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾: حتى رمى في اليوم الثالث.
﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: قيل: معنى نفي الإثم بالتعجل والتأخر: التخير بينهما، والرد على أهل الجاهلية، فإن منهم من أتم المتعجل، ومنهم من أتم المتأخر^(٤).
 وفي الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية، فقال: ليس هو على أن ذلك واسع إن شاء صنع ذا، وإن شاء صنع ذا، لكنه يرجع مغفوراً له لا إثم عليه ولا ذنب له^(٥).
 والعياشي: عنه قال: يرجع مغفوراً له لا ذنب له^(٦).
﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾: في الفقيه: عن الباقر عليه السلام لمن اتقى الله عز وجل^(٧).
 قال: وروي: أنه يخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه^(٨).
 وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام قال: «لمن اتقى» الصيد: يعني في إحرامه فإن أصابه لم يكن له أن ينفر في النفر الأول^(٩)، والعياشي: ما في معناه^(١٠).
 وفي الفقيه: عنه عليه السلام: «لمن اتقى» الصيد حتى ينفر أهل منى في النفر الأخير^(١١).

١- الكافي: ج ٤، ص ٥١٧، باب التكبير أيام التشريق. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٩، ح ٢٧٩.

٣- الفقيه: ج ٢، ص ٣٣١، ذيل ح ١٥٥١ / ٧، باب التكبير أيام التشريق.

٤- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٠.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٩، ح ١٤٢٧ / ١٤، باب ١٩٤ - النفر الأول والأخير.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٩، ح ٢٨١.

٧- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ١٤١٧ / ٤، باب ١٩٤ - النفر الأول والأخير.

٨- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ١٤١٨ / ٥، باب ١٩٤ - النفر الأول والأخير.

٩- تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٢٧٣، ح ٩٣٣ / ٨، باب ٢٠ - النفر من منى.

١٠- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٠، ح ٢٨٦.

١١- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ١٤١٥ / ٢، باب ١٩٤ - النفر الأول والأخير.

والعياشي: عن الباقر عليه السلام: «لمن أتقى» منهم الصيد، وأتقى الرفت والفسوق والجدال، وما حرّم الله عليه في إحرامه^(١).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: فمن تعجل في يومين من أيام التشريق فانصرف من حجّه إلى بلاده التي خرج منها فلا إثم عليه، ومن تأخر إلى تمام اليوم الثالث فلا إثم عليه، أي لا إثم عليه من ذنوبه السالفة، لأنّها قد غفرت له كلّها بحجّته. هذه المقارنة لندمه عليها وتوقيه منها لمن أتقى أن يواقع الموبقات بعدها، فإنّه إن واقعها كان عليه إثمها ولم يغفر له تلك الذنوب السالفة بتوبة قد أبطلها بموبقاته بعدها؛ وإنّما يغفر بتوبة يحدّدها^(٢).

أقول: وذلك لأنّ الذنوب السالفة هي حملت صاحبها على المعادة، إذ الباعث عليها بعد التوبة إنّما هو العادة.

وفي الكافي^(٣)، والفتية: عن الصادق عليه السلام: يعني من مات قبل أن يمضي^(٤) فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه لمن أتقى الكبائر^(٥).

وعن الباقر عليه السلام: أتقى الكبر، وهو أن يجهل الحقّ ويظنّ على أهله^(٦).

وعن الصادق عليه السلام: إنّما هي لكم والناس سواد وأنتم الحاج^(٧).

أقول: أراد أن نفي الإثم في الصورتين مختصّ بأصحاب التقوى، وهم الشيعة ليس إلّا.

والعياشي: عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: أنتم والله هم، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: لا يثبت على ولاية عليّ صلوات الله عليه إلّا المتّقون^(٨).

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ٩٩، ح ٢٨٠. ٢- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦١١ - ٦١٥.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٥٢١ - ٥٢٢، ح ١٠، باب النفر من منى الأول والأخير.

٤- قوله عليه السلام: «قبل أن يمضي» يعني به المضي إلى أهله، وإنّما لا إثم عليه بخروجه من دينه بحجّه، ومن تأخر: يعني تأخر موته، فلا إثم عليه: يعني في بقية عمره إذا أتقى الكبائر. منه. رحمه الله.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٨٨، ح ١٤٢٠/٧، باب ١٩٤ - النفر الأول والأخير. والنص للكافي.

٦- الكافي: ج ٤، ص ٢٥٢ - ٢٥٣، ح ٢، باب فضل الحج والعمرة وثوابها.

٧- الكافي: ج ٤، ص ٥٢٣، ح ١٢، باب النفر من منى الأول والأخير.

٨- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٠، ح ٢٨٥.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ
عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي
الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في مجامع أموركم. وفي تفسير الإمام عليه السلام: وَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْحَاجَّ
المَغْفُورَ لَهُمْ سَالِفَ ذُنُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِمُ الْمَقْرُونِ بِتَوْبَتِهِمْ فَلَا تَعَاوَدُوا الْمَوَاقَاتِ، فَتَعُودَ إِلَيْكُمْ أَثْقَالُهَا،
وَيَثْقُلَكُمْ إِحْتَالُهَا فَلَا تَغْفِرْ لَكُمْ إِلَّا بِتَوْبَةٍ بَعْدَهَا^(١).
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: فيجازيكم بما تعملون، والحشر: الجمع وضمَّ
المتفرِّق.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾: يروقك ويعظم في قلبك.
﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بظاهاره لك الدين والإسلام وترتيبه بحضرتك بالورع والإحسان.
﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾: بأن يحلف لك بأنه مؤمن مخلص مصدق قوله
بعمله.

﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: شديد العداوة والجدال للمسلمين، القمي: نزلت في الثاني^(٢)
وقيل: في معاوية^(٣)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: فلان وفلان^(٤).
أقول: تشمل عامة المنافقين، وإن نزلت خاصة.
﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: أدبر وانصرف عنك، وقيل: ملك الأمر وصار والياً^(٥).

١- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦١٥.
٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٧١.
٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٧١.
٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٤.
٥- راجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١١.

وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ
وَلِبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾: يعني بالكفر المخالف لما أظهر، والظلم المبين لما وعد.

﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثُ﴾: الزرع بأن يحرقه أو يفسده.
﴿وَالنَّسْلُ﴾: الذرية بأن يقتل الحيوان فيقطع نسله. وفي المجمع^(١)، والقسي: عن الصادق عليه السلام الحرت في هذا الموضع: الدين، والنسل: الناس^(٢).
وفي الكافي^(٣)، والعياشي: عن أمير المؤمنين عليه السلام: يهلك الحرث والنسل: بظلمه وسوء سيرته^(٤).

أقول: ومنه أن يمنع الله بشؤم ظلمه المطر، فيهلك الحرث والنسل، إلى غير ذلك من نتائج الظلم.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ﴾: لا يرتضيه، ولا يترك العقوبة عليه.
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾: ودع سوء صنيعتك.
﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾: حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي يؤمر باتقائه، وألزمته إرتكابه لجأجأ من قولك: أخذته بكذا، إذا حملته عليه، وألزمته إياه فيزداد إلى شره شراً، ويضيف إلى ظلمه ظلماً.

﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾: كفته جزاءً وعذاباً على سوء فعله.
﴿وَلِبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: أي الفراش يهدها، ويكون دائماً فيها. كذا فسرت الآيات

١- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٠٠. ٢- تفسير القتي: ج ١، ص ٧١.
٣- الكافي: ج ٨، ص ٢٨٩، ح ٤٣٥. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠١، ح ٢٩٠.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

الثلاث في تفسير الإمام عليه السلام (١) إلا ما نسب إلى غيره.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾: يبيع.

﴿نَفْسَهُ﴾: يبذلها لله.

﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: طلباً لرضاه، فيعمل بطاعته، ويأمر الناس بها، روت العامة، عن جماعة من الصحابة والتابعين (٢)، والعياشي (٣)، وعدة من أصحابنا، عن أئمتنا في عدة أخبار، أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام حين بات على فراش رسول الله ﷺ، وهرب النبي ﷺ إلى الغار (٤).

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إن المراد بالآية: الرجل يقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٥).

أقول: يعني هي عامة، وإن نزلت خاصة.

وفي تفسير الإمام عليه السلام هؤلاء خيار أصحاب رسول الله ﷺ عذبهم أهل مكة ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم بلال، وصهيب، وخباب، وعمار بن ياسر، وأبواه (٦).

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾: روي أنه عليه السلام لما نام على فراشه، قام جبرئيل عند رأسه،

١- تفسير الإمام العسكري: ص ٦١٨.

٢- انظر شواهد التنزيل فهناك تسعة روايات تدل على أنها نزلت في علي (ع): ج ١، ص ١٢٣-١٣٢.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠١، ح ٢٩٢ و ٢٩٣.

٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٧١، ومجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٠١.

٥- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٠١.

٦- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٢١. وفيه: «هؤلاء خيار من أصحاب رسول الله».

يُتَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾

وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي بَخُّ بَخُّ من مثلك يا علي بن أبي طالب؟ يباهي الله الملائكة بك^(١).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: أما الطالبون لرضاء ربهم فيقبلهم أقصى أمانتهم، ويزيدهم عليها ما لم يبلغه آماهم، وأما الفاجرون فيرفق بهم في دعوتهم إلى طاعته، ولا يقطع ممن علم أنه سيتوب عن ذنبه عظيم كرامته^(٢).

﴿يُتَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ﴾: في الاستسلام والطاعة، وقرئ بالفتح وهو بمعناه، وفي الكافي^(٣)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام في ولايتنا^(٤).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام: في ولاية علي عليه السلام^(٥).

وعنها عليه السلام: أمروا بمعرفتنا^(٦).

﴿كَافَّةً﴾: جميعاً.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾: بالتفرق والتفريق.

والعياشي: عن الصادق عليه السلام: ولاية علي والأئمة والأوصياء من بعده، وخطوات الشيطان: ولاية فلان وفلان^(٧).

وفي رواية: هي ولاية الثاني والأول^(٨).

وفي تفسير الإمام عليه السلام: يعني في السلم والمسالمة إلى دين الإسلام كافة جماعة، ادخلوا

٢- تفسير الإمام العسكري: ص ٦٢١.

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٠١.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٧.

٣- الكافي: ج ١، ص ٤١٧، ح ٢٩.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٥.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٤.

٨- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٩.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٢، ح ٢٩٤.

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ
مِّنَ الْغَمَامِ وَاللَّسَّتِ كَتْةٌ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

فيه وادخلوا جميع الإسلام فتقبلوه واعملوا به ولا تكونوا ممن يقبل بعضه ويعمل به وبأبي
بعضه ويهجره، قال: ومنه الدخول في قبول ولاية عليٍّ فإنه كالدخول في قبول نبوة رسول
الله ﷺ، فإنه لا يكون مسلماً من قال: إنَّ محمداً ﷺ رسول الله فاعترف به ولم يعترف بأنَّ
عليّاً وصيه وخليفته وخير أمته، وقال: «خَطُوبُ الشَّيْطَانِ»: ما يتخطى بكم إليه من طرق
الغبي والضلالة، ويأمركم من ارتكاب الآثام الموبقات (١).

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾: عن الدخول في السلم.

﴿مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: الحجج والشواهد على أنَّ ما دعيتم إليه حق.

﴿فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يعجز بالانتقام منكم (٢).

﴿حَكِيمٌ﴾: لا ينتقم إلا بالحق.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾: أي يأتيهم أمر الله أو بأسه.

﴿فِي ظُلَلٍ﴾: جمع ظلة، وهي ما أظلك.

﴿مِّنَ الْغَمَامِ﴾: من السحاب الأبيض الذي هو مظنة الرحمة، فإذا جاء منه العذاب

كان أصعب.

١ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٢٦ - ٦٢٧.

٢ - وفي نسخة: [لا يعجزه الانتقام منكم].

﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ﴾: ويأتي الملائكة إن قرئ بالرفع، وبهم إن قرئ بالجر.
وفي العيون^(١)، والتوحيد: عن الرضا عليه السلام: «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِالْمَلٰٓئِكَةِ فِي ظِلِّ مَنْ
الغمام، قال: وهكذا نزلت^(٢)».

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: واتمَّ أمر إهلاكهم، وفرغ منه.
﴿وَإِلَى اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: وقرء بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع.
وفي تفسير الإمام عليه السلام: أي هل ينظر هؤلاء المكذبون بعد ايضاحنا لهم الآيات،
وقطعنا معاذيرهم بالمعجزات: «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّ مَنْ الْغَمَامُ»، وتأتيهم الملائكة
كما كانوا اقترحوا عليك اقتراحهم^(٣) المحال في الدنيا في إتيان الله الذي لا يجوز
عليه الاتيان، واقترحهم الباطل في إتيان الملائكة الذين لا يأتون إلا مع زوال هذا
التعبد، لأنَّه وقت مجيئ الأُملاك بالهلاك فهم في اقترحهم مجيئ الملائكة جاهلون،
«وقضى الأمر»: أي هل ينظرون مجيئ الملائكة، فإذا جاؤوا وكان ذلك قضي الأمر
بهلاكهم^(٤).

القمي: عن الباقر عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ إِذَا بَدَأَ لَهُ أَنْ يَبْنِي خَلْقَهُ وَيَجْمَعُهُمْ لِمَا لَبَدَّ مِنْهُ، أَمْرٌ
منادياً ينادي فاجتمع الإنس والجن في أسرع من طرفة العين، ثم أذن للسماء الدنيا فتنزل
وكان من وراء الناس، وأذن للسماء الثانية فتنزل، وهي ضعف التي تليها فإذا رآها أهل
السماء الدنيا قالوا: جاء ربُّنا، قالوا: لا وهو آتٍ يعني أمره حتَّى تنزل كلَّ سماء تكون كل
واحدة منها من وراء الأخرى، وهي ضعف التي تليها، ثم ينزل أمر الله في ظلل من الغمام
والملائكة وقضي الأمر وإلى ربِّكم ترجع الأمور، ثم يأمر الله منادياً ينادي «يَا مَعْشَرَ الْإِنْسِ

١- عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٢٦، ح ١٩، باب ١١- ما جاء عن الرضا علي بن موسى عليه السلام من الأخبار في التوحيد.

٢- التوحيد: ص ١٦٣، باب تفسير قوله عزَّ وجلَّ «هل ينظرون إلا أن يأتيه».

٣- لعل اقترحهم ذلك في قولهم: أو يأتي بالله والملائكة قبيلًا منه عليه السلام.

٤- تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٦٢٩-٦٣٠.

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

وَالْإِنْسِ إِنْ أَشْطَطْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا وَلَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ» (١)(٢).

والعياشي: عنه عليه السلام في هذه الآية قال: ينزل في سبع قباب من نور لا يعلم في أيها هو حين ينزل في ظهر الكوفة فهذا حين ينزل (٣).

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: كأني بقائم أهل بيتي قد علا نحفكم فإذا علا فوق نحفكم نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا نشرها انحطت عليه ملائكة بدر (٤).

وقال: إنه نازل في قباب من نور حين ينزل بظهر الكوفة على الفاروق فهذا حين ينزل، وأما «فُضِيَ الْأَمْرُ» فهو الوسم على الخرطوم يوم يوسم الكافر (٥).

أقول: لعل المراد أنه ينزل على أمر يفرق به بين المؤمن والكافر، وإن المعنى بقضاء الأمر: امتياز أحدهما عن الآخر بوسمه على خرطوم الكافر، وذلك في الرجعة.

﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾: معجزة ظاهرة على أيدي أنبيائهم أو آية في التوراة شاهدة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: أنه كان يقرأ: «كم آتيناهم من آية بيّنة فهم من آمن ومنهم من جحد ومنهم من أقرّ ومنهم من بدل» (٦).

٢ - تفسير القمي: ج ٢، ص ٧٧.

١ - الرحمن: ٣٣.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٣، ح ٣٠١.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٣، ح ٣٠٢.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٣، ح ٣٠٣.

٦ - الكافي: ج ٨، ص ٢٩٠ - ٢٩١، ح ٤٤٠.

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ
يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٢﴾

والعياشي: لم يذكر القراءة، وإنما روى الزيادة^(١)، كأنها تفسير وأورد «انكر» مكان «بدل».

﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾: آياته التي هي سبب الهدى والنجاة الذين هما من أجل النعم، يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس.

﴿مِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ﴾: من بعد ما عرفها، أو تمكن من معرفتها.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: فيعاقبه أشد عقوبة لأنه ارتكب أشد جريمة.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: حسنت في أعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهلكوا عليها.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: من فقراء المؤمنين الذين لا حظ لهم منها.

﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: من المؤمنين.

﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: لأنهم^(٢) في عليين وفي الكرامة، وهم في سجين وفي الندامة.

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾: في الدارين.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجاً تارة، وابتلاءً أخرى، ويعطي أهل الجنة ما لا يحصى.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٣، ح ٣٠٤.

٢ - أي الذين اتقوا فوق الذين كفروا، لأنهم في عليين وفي الكرامة والذين كفروا هم في سجين وفي الندامة.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخْجَمَ بَيْنَ النَّاسِ
فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَتْهُمْ أَلْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا
اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: العياشي: عن الصادق عليه السلام قال: كان هذا قبل بعث نوح عليه السلام كانوا أمة واحدة فبدا لله فأرسل الرسل قبل نوح عليه السلام قيل: أعلى هدى كانوا أم على ضلالة؟ قال: بل كانوا ضلالاً لا مؤمنين ولا كافرين ولا مشركين^(١).

وفي رواية أخرى له عنه عليه السلام قال: وذلك أنه لما انقرض آدم وصالح ذريته، بقي شيث وصيه لا يقدر على إظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذريته، وذلك أن قابيل توعدّه بالقتل كما قتل أخاه هابيل فسار فيهم بالتقية والكتمان فازدادوا كل يوم ضلالاً حتّى لحق الوصي بجزيرة في البحر يعبد الله فبدا لله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل، ولو سئل هؤلاء الجهال لقالوا قد فرغ من الأمر وكذبوا إنما هي شيء يحكم به الله في كل عام، ثم قرأ: «فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ»^(٢) فيحكم الله تبارك وتعالى ما يكون في تلك السنة من شدة أو رخاء أو مطر أو غير ذلك، قيل: أفضلًا كانوا قبل النبيين أم على هدى؟ قال: لم يكونوا على هدى، كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله، ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهديهم الله، أما

تسمع يقول إبراهيم: «لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ»^(١) أي ناسياً للميثاق^(٢).

وفي الكافي: عنه عليه السلام قال: كان قبل نوح أمة ضلال فبدا لله فبعث المرسلين وليس كما يقولون: لم يزل وكذبوا يفرق في ليلة القدر ما كان من شدة أو رخاء أو مطر بقدر ما يشاء أن يقدر إلى مثلها^(٣).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضللاً فبعث الله النبيين^(٤).

أقول: أريد بالضلال المنوي في هذا الحديث: التدين بالشرك والكفر، وبالمثبت في الحديث السابق: الخلو عن الدين فلا منافاة بينهما.

والقمتي: كان الناس أمة واحدة قبل نوح عليه السلام، على مذهب واحد فاختلّفوا فبعث الله النبيين^(٥).

قيل: وأما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه عليه^(٦).

أقول: لا دلالة فيه على وقوع الاختلاف قبل البعث، بل الظاهر أن المراد بالاختلاف في الآية: اختلافهم في الدين بعد البعث، على أن ظاهر الأخبار السابقة يدلّ على أنه لم يكن قبل البعث اختلاف.

وقيل: بل اختلفوا بعد البعث على الرسل^(٧).

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: ليتخذ عليهم الحجة كذا في الكافي

١- الانعام: ٧٧

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٤ - ١٠٥، ح ٣٠٩.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٨٢، ح ٤٠.

٤- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٠٧.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٧١.

٦- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٣.

٧- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٣.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالْضَّرَّاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ
الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ
قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

عن الصادق عليه السلام (١).

﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا
اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾: جعلوا نزول الكتاب الذي أنزل لإزالة الخلاف سبباً في
شدة الاختلاف.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا﴾: حسداً وظلماً.

﴿يَبِينُهُمْ﴾: لحرصهم على الدنيا.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾: من بيان

لما.

﴿يُذْنِبُهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: قيل: أحسبتم: استبعاد للحسان، وتشجيع للنبي ﷺ والمؤمنين على الصبر
والثبات مع الذين اختلفوا عليه وعداوتهم له (٢).

﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾: متوقع اتيانه منتظر.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: حالهم التي هي مثل في الشدة.

١- الكافي: ج ٨، ص ٣٧٩، ح ٥٧٣.

٢- راجع الكشاف: ج ١، ص ٢٥٦. وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٣.

﴿مَسْتَهْمٌ﴾: بيان للمثل.

﴿الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾: القتل والخروج عن الأهل والمال.

﴿وَزَلْزَلُوا﴾: وأزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد. وفي الكافي: عن

الصادق عليه السلام أنه كان يقرأ وزلزلوا ثم زلزلوا^(١).

﴿حَتَّى يَقُولَ﴾: وقرئ بالرفع.

﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾: لتناهي الشدة، واستطالة المدة، بحيث تقطعت

حبال الصبر.

﴿مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾: استبطاء له لتأخره.

﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾: فقل: ذلك لهم، إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل

النصر^(٢).

قيل: فيه إشارة إلى أن الوصول إلى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى

واللذات ومكابدة^(٣) الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام: حقّت الجنة

بالمكاره، وحفّت النار بالشهوات^(٤)^(٥).

وفي الخرائج: عن السجّاد عليه السلام قال فما تمدّون أعينكم ألستم آمنين؟ لقد كان

من قبلكم مَن هو على ما أنتم عليه يؤخذ فيقطع يده ورجله ويصلب، ثم تلا هذه

الآية^(٦).

١- الكافي: ج ٨، ص ٢٩٠، ح ٤٣٩.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٣.

٣- الكبد: الشدة. وكابدت الأمر: إذا قاسيت شدّته الصحاح: ج ٢، ص ٥٣٠. مادة «كبد».

٤- الجامع الصغير: ج ١، ص ٥٧٦، ح ٣٧٣٢، وروضة الواعظين: ص ٣٢٦، ورياض السالكين: ج ٢، ص ٣٥١.

٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٤.

٦- الخرائج والجرائح: ج ٣، ص ١١٥٥ - ١١٥٦، ذيل ح ٦١، في العلامات الكائنة قبل خروج المهدي ومعه عليه السلام، وبحار الأنوار: ج ٦٧، ص ١٩٧. نقلاً عنه.

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ
لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا
شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾: أي شيء ينفق؟

﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ﴾: من مال.

﴿فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: سئل عن

المنفق؟ فأجيب ببيان المصروف لأنّه أهم، إذ النفقة لا تعتدّ بها إلا إذا وقعت موقعها.

قيل: وكان السؤال متضمناً للمصروف أيضاً وإن لم يكن مذكوراً في الآية على ما روي

أنّ عمرو بن الجموح الأنصاري كان هماً^(١) ذا مال عظيم فقال: يا رسول الله ماذا تنفق من أموالنا وأبين نضعها؟ فنزلت^(٢).

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: إن تفعلوا خيراً فالله يعلم كنهه ويوفّي

ثوابه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾: شاق عليكم مكروه طبعاً.

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾: في الحال.

﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: في العاقبة، وهكذا أكثر ما كلفوا به، فإن الطبع يكرهه وهو مناط

صلاحهم، وسبب فلاحهم.

١- الأهم - بالكسر والتشديد -: الشيخ الكبير، والمرأة همة: مجمع البحرين: ج ٦، ص ١٨٩، مادة «هم».

٢- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٠٩، وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٤.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ
وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ
مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ
يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرْدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ
يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾

﴿وَعَسَى أَنْ تَحْبُوا شَيْئاً﴾: في الحال.

﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾: في العاقبة، وهكذا أكثر ما نهوا عنه، فإنَّ النفس تحبُّه وتهواه وهو يفضي بها إلى الردى، وأنما ذكر «عسى» لأنَّ النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ما هو خير لكم.

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: ذلك.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾: قيل: بعث النبي ﷺ عبدالله بن جحش

ابن عمته على سرية في جمادى الآخر قبل قتال بدر بشهرين، ليرصد عيراً لقريش فيهم عمرو بن عبدالله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف، وكان ذلك في غرة رجب، وهم يظنونهم من جمادى الآخر، فقالت قريش: قد استحل محمد ﷺ الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف، ويدعر فيه الناس إلى معاشهم، وشقَّ على أصحاب السرية، وقالوا: ما نبرح حتى تنزل توبتنا، وردَّ رسول الله ﷺ مال العير والأسارى فنزلت^(١).

والقَمِي: ما يقرب منه مع زيادات، وفي آخره فكتب^(١) قريش إلى النبي ﷺ: إِنَّكَ استحللت الشهر الحرام، وسفكت فيه الدم، وأخذت المال، وكثر القول في هذا، قال الصحابة: يا رسول الله أيجل القتل في الشهر الحرام^(٢) فنزلت.

﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيم تم الكلام هاهنا، ثم ابتداء وقال:
﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يعني ولكن ما فعلوه من صدّهم عن سبيل الله، أي

الإسلام.

﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾: وكفرهم بالله.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: وبالمسجد الحرام بتقدير الباء، وصدّهم عن المسجد الحرام على أن يكون الكفر بالله عين الصدّ عن سبيل الله فلا يكون أجنبياً بين المعطوفين، أو يكون تقديمه مع أنّ حقه التأخير، لفرط العناية به كما في قوله تعالى: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»^(٣).

﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ﴾: وإخراج أهل المسجد، وهم رسول الله ﷺ والمؤمنون.
﴿مِنْهُ أَكْبَرُ﴾: أعظم وزراً.

﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: من القتل الذي وقع في الشهر الحرام.
﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾: وما ارتكبه من الإخراج والشرك أقطع ممّا وقع من القتل.

﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾: لكي يردّوكم عنه، إخبار عن دوام عداوة الكفار لهم، وإنّهم لا ينفكّون عنها حتّى يردّوهم عن دينهم هذا.
﴿إِنْ أَسْطَعُوا﴾: إستبعاد لإستطاعتهم وإيدان بأنّهم لا يردّونهم.
﴿وَمَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾: يرجع عنه.
﴿فَمِمْتٌ وَهُوَ كَافِرٌ﴾: أي على الردة.
﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾: لما يفوتهم من ثمرات الإسلام.

١- هكذا في الأصل، والصحيح: «فكتب» كما في المصدر.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٧١-٧٢. ٣- الإخلاص: ٤.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعُ
 لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ
 أَلْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

﴿وَالْآخِرَةَ﴾: لما يفوتهم من الثواب.

﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: كسائر الكفار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ
 يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾: قيل: نزلت في قصّة ابن جحش وأصحابه، وقتلهم الحضرى في
 رجب حين ظنّ قوم أنّهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر^(١).

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: لما فعلوه خطأ وقلّة احتياط.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بإجزال الأجر والثواب.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾: أي عن تعاطيها.

﴿قُلْ فِيهِمَا﴾: في تعاطيها.

﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: لأنّها مفتاح كلّ شرّ، وقرئ بالثناء المثلثة.

﴿وَمَنْفَعُ لِلنَّاسِ﴾: من الطرب وكسب المال وغيرهما.

﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾: أي المفاصد التي تنشأ منها أعظم من المنافع المتوقّعة

منها.

- وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن الخمر رأس كل إثم^(١) ومفتاح كل شر^(٢).
وقال عليه السلام: إن الله جعل للشرب أقفالاً فجعل مفاتيحها الشراب^(٣).
وقال عليه السلام: ما عصي الله بشيء أشد من شرب المسكر، إن أحدهم ليدع الصلاة الفريضة، ويشب على أمه، وأخته وبنته، وهو لا يعقل^(٤).
وقال عليه السلام: إنه أشر من ترك الصلاة، لأنه يصير في حال لا يعرف معها ربّه^(٥).
وقال عليه السلام: يغفر الله في شهر رمضان إلا لثلاثة صاحب مسكر، أو صاحب شاهين، أو مشاحن^(٦).
وقال عليه السلام: كل ما قورم عليه فهو ميسر^(٧).
وفُسر المشاحن: بصاحب البدعة المفارق للجماعة^(٨).
وعن الصادق عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً قط إلا وفي علم الله تعالى أنه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم يزل الخمر حراماً وإنما ينقلون من خصلة إلى خصلة، ولو حمل ذلك عليهم جملة لقطع بهم دون الدين^(٩).
قال عليه السلام: ليس أحد أرفق من الله تعالى، فمن رفقته تبارك وتعالى أنه ينقلهم من خصلة إلى خصلة، ولو حمل عليهم جملة هلكوا^(١٠).
وعنهم عليه السلام: إن أول ما نزل في تحريم الخمر قوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
-
- ١- الكافي: ج ٦، ص ٤٠٢، ح ٢ و ٣، باب أن الخمر رأس كل إثم.
٢- الكافي: ج ٦، ص ٤٠٣، ح ٩، باب أن الخمر رأس كل إثم.
٣- الكافي: ج ٦، ص ٤٠٣، ح ٥، باب أن الخمر رأس كل إثم.
٤- الكافي: ج ٦، ص ٤٠٣، ح ٧، باب أن الخمر رأس كل إثم. وفيه: «شرب الخمر».
٥- الكافي: ج ٦، ص ٤٠٢، ح ١، باب أن الخمر رأس كل إثم.
٦- الكافي: ج ٦، ص ٤٣٦-٤٣٧، ح ١٠، باب الرد والشرخ.
٧- الكافي: ج ٦، ص ٤٣٥، ح ١، باب أن الخمر رأس كل إثم.
٨- المفسر هنا: هو الأوزاعي كما جاء في النهاية لابن الأثير: ج ٢، ص ٤٤٩.
٩- الكافي: ج ٦، ص ٣٩٥، ح ٣، باب أن الخمر لم تزل محرمة.
١٠- الكافي: ج ٦، ص ٣٩٥، ح ٣، باب أن الخمر لم تزل محرمة، وفيه: «عن أبي جعفر عليه السلام».

قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا» فلما نزلت هذه الآية أحسَّ القوم بتحريمها وعلموا إن الإثم مما ينبغي إجتنابه، ولا يحمل الله تعالى عليهم من كلِّ طريق لأنه قال: «وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ»، ثم أنزل الله تعالى آية أخرى «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجُسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^(١)، فكانت هذه الآية أشدَّ من الأولى وأغلظ في التحريم، ثم ثلث بآية أخرى فكانت أغلظ من الآية الأولى والثانية وأشدَّ فقال: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»^(٢)، فأمر تعالى باجتناها وفسر عللها التي لها ومن أجلها حرَّمها، ثم بيَّن الله تعالى تحريمها وكشفه في الآية الرابعة مع ما دلَّ عليه في هذه الآي المذكورة المتقدمة بقوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ»^(٣)، وقال عزَّ وجلَّ في الآية الأولى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ»، ثم قال في الآية الرابعة: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأِثْمَ» فخير عزَّ وجلَّ إن الإثم في الخمر وغيرها وإنه حرام، وذلك أن الله تعالى إذا أراد أن يفترض فريضة أنزلها شيئاً بعد شيء حتى يوطِّن الناس أنفسهم عليها ويسكنوا إلى أمر الله تعالى ونهيه فيها، وكان ذلك من فعل^(٤) الله تعالى على وجه التدبير فيهم أصوب وأقرب لهم إلى الأخذ بها وأقل لنفارهم منها^(٥).

وعن علي بن يقطين، قال: سأل المهدي أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله تعالى؟ فإنَّ الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها، فقال له أبو الحسن عليه السلام: بل هي محرمة في كتاب الله يا أمير المؤمنين، فقال له: في أي موضع هي محرمة في كتاب الله عزَّ وجلَّ؟ فقال عليه السلام: قول الله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ»^(٦) إلى أن قال: وأما الإثم: فإنَّها الخمر بعينها،

١- المائدة: ٩٠.

٢- المائدة: ٩١.

٣- الأعراف: ٣٣.

٤- الكافي: ج ٦، ص ٤٠٦-٤٠٧، ح ٢، باب تحريم الخمر في الكتاب.

٥- الأعراف: ٣٣.

وقد قال الله تعالى في موضع آخر: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ» فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر، واثمها أكبر، كما قال الله تعالى، فقال المهدي: يا علي بن يقطين، فهذه فتوى هاشمية، قال: قلت له: صدقت والله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت، قال: فوالله ما صبر المهدي أن قال لي: صدقت يا رافضي^(١).

ويأتي ما طويناه من هذا الحديث في سورة الأعراف^(٢) إن شاء الله تعالى.
«وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ»: قيل: سائله أيضاً ابن الجُمُوح سأل أولاً عن المنفق والمصرف، ثم سأل عن كيفية الإنفاق وقدره^(٣).

«قُلْ أَلْعَفْوُ»: وقرئ بالرفع، والعفو: نقيض الجهد، وهو أن ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد واستفراغ الوسع، قال:
خذي العفو مني تستديمي مودتي^(٤).

وروي عن النبي ﷺ: يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به، ويجلس يتكفف الناس، إنما الصدقة عن ظهر غنى^(٥).

وفي الكافي^(٦)، والعياشي^(٧)، والمجمع: عن الصادق عليه السلام: العفو: الوسط^(٨).

وفي المجمع: عنه عليه السلام^(٩)، والقمي: قال: لا إقتار ولا إسراف^(١٠).

١- الكافي: ج ٦، ص ٤٠٦، ح ١، باب تحريم الخمر في الكتاب.

٢- ذيل الآية: ٣٣.

٣- قاله الطبرسي في جامع الجوامع: ج ١، ص ١٢٠، س ١٣؛ وهكذا انظر أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٦؛ والكشاف: ج ١، ص ٢٦٣.

٤- لأسماء بن خارجة الزاري أحد حكماء العرب يخاطب زوجته حين بنى عليها. راجع الكشف: ج ١، هامش ص ٢٦٢.

٥- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٦؛ والكشاف: ج ١، ص ٢٦٣.

٦- الكافي: ج ٤، ص ٥٢، ح ٣، باب فضل القصد.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٦، ح ٣١٤. ٨- مجمع البيان: ج ١، ص ٢، ص ٣١٦.

٩- مجمع البيان: ج ١، ص ٢، ص ٣١٦. ١٠- تفسير القمي: ج ١، ص ٧٢.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي سَمَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ
خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَنَّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢﴾

وفي التبيان^(١)، والمجمع: عن الباقر عليه السلام: إِنَّ الْعَفْوَ مَا يَفْضُلُ عَنْ قُوَّةِ السَّنَةِ^(٢).

وفي المجمع: عن الباقر عليه السلام: نَسَخَ ذَلِكَ بَايَةَ الزَّكَاةِ^(٣).

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ما بين أن العفو أصلح من الجهد.

﴿يُيَسِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْيَأْسَ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ * فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: في أمور الدارين فتأخذون بالأصلح والأُنفع.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي سَمَى﴾: القمي: عن الصادق عليه السلام: لَمَّا نَزَلَتْ «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا»^(٤) أخرج كل من كان عنده يتيم وسألوا رسول الله صلوات الله عليه وآله في إخراجهم فنزلت^(٥).

وفي المجمع: عنه وعن أبيه عليه السلام: لَمَّا نَزَلَتْ «وَأَتُوا الَّتِي سَمَى أَمْوَالَهُمْ»^(٦) كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله فنزلت^(٧).

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾: مداخلتهم لإصلاحهم خير من مجانبتهم.

﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾: تعاشرهم وتشاركوهم.

﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾: فإنهم إخوانكم في الدين، ومن حق الأخ أن يخاطب الأخ.

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣١٦.

٤- النساء: ١٠.

٦- النساء: ٢.

١- تفسير التبيان: ج ٢، ص ٢١٤.

٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣١٦.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٧٢.

٧- مجمع البيان: ج ٣- ٤، ص ٤.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام^(١)، والعياشي: عن الباقر عليه السلام قال: تخرج من أموالهم قدر ما يكفيهم، وتخرج من مالك قدر ما يكفيك، ثم تنفقه، قلت: أرايت إن كانوا يتامى صغاراً وكباراً، وبعضهم أعلى كسوة من بعض، وبعضهم أكل من بعض، ومالههم جميعاً؟ فقال: أما الكسوة: فعلى كل إنسان منهم ثمن كسوته، وأما الطعام: فاجعلوه جميعاً، فإن الصغير يوشك أن يأكل مثل الكبير^(٢).

وفي رواية: ولا يرزأن^(٣) من أموالهم شيئاً إنما هي النار^(٤).
 ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾: لا يخفى عليه من داخلهم لإصلاح أو إفساد فيجازيهم على حسب مداخلتهم.

وفي الكافي^(٥)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: إنه قيل له: إنا ندخل على أخ لنا في بيت أيتام ومعهم خادم لهم فنقعد على بساطهم، ونشرب من مائهم، ويخدمنا خادمهم، وربما طعمنا فيه الطعام من عند صاحبنا، وفيه من طعامهم فما ترى في ذلك؟ فقال: إن كان في دخولكم عليه منفعة لهم فلا بأس، وإن كان فيه ضرر فلا، وقال: «بَلِ الْأَنْسَنُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ»^(٦) فأنتم لا يخفى عليكم، وقد قال الله تعالى: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ»^(٧).

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَكُمُ﴾: لحملكم على العنت، وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب قادر على ما يشاء.

﴿حَكِيمٌ﴾: يفعل ما يقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة.

١- الكافي: ج ٥، ص ١٣٠، ح ٥، باب ما يحل لقيم مال اليتيم منه.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٧، ح ٣١٨.

٣- لا يرزأن: بتقديم الراء المهملة: أي لا ينقص ولا يصين منها شيئاً منه بُذِرَ.

٤- الكافي: ج ٥، ص ١٢٩ - ١٣٠، ح ٢، باب ما يحل لقيم مال اليتيم منه.

٥- الكافي: ج ٥، ص ١٢٩، ح ٤، باب أكل مال اليتيم.

٦- القيامة: ١٤.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٧، ح ٣٢٠.

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ
مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا
وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ
إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: لا تزوجوا الكافرات.

﴿حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أَمَةٌ﴾: مملوكة.

﴿مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾: حرة.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾: المشركة بجمالها أو مالها وتحببها.

﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾: لا تزوجوا منهم المؤمنات.

﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ﴾: مملوك.

﴿مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾: حر.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾: جمالها أو مالها أو حاله.

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة إلى المشركين والمشركات.

﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾: إلى الكفر المؤدي إلى النار فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾: إلى فعل ما يوجب الجنة والمغفرة من الإيمان

والطاعة.

﴿بِإِذْنِهِ﴾: بأمره وتوفيقه.

﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ﴾: أوامره ونواهيه.

﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ويتعظون. القمّي: هي منسوخة بقوله تعالى في سورة

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ
فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ
فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾

المائدة: «الْيَوْمَ أَجِلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ» إلى قوله: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ»^(١) قال: فنسخت هذه الآية قوله تعالى: «وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ» وترك قوله: «وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنُوا» على حاله لم ينسخ^(٢) لأنه لا يحل للمسلم أن ينكح المشرك^(٣) ويحل له أن يتزوج المشركة من اليهود والنصارى.

وكذلك قاله النعماني في كتابه^(٤) وكلاهما عدا قوله تعالى: «وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ» في المنسوخ النصف من الآيات ويأتي تمام الكلام فيه في سورة المائدة إن شاء الله تعالى.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾: هو مصدر حاضت^(٥).

﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: مستقذر يؤذي من يقربه نفرة منه له.

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾: فاجتنبوا مجامعتهن في وقت الحيض^(٦).

١- المائدة: ٥.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٧٣.

٣- هكذا في الأصل، والصحيح: «لا يحل للمسلم أن ينكح من المشرك».

٤- بحار الأنوار: ج ٩٣، ص ٢٨، نقلاً عن تفسير النعماني.

٥- إنما ذكر يسألونك ثلاثاً بغير الواو، ثم ثلاثاً بها لأنّ السؤالات الأولى كانت في أوقات مستفزة والصلاة الأخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بلفظ الجمع، كذا قيل. منه يترك. والقائل: هو البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٧، ح ١٩.

٦- عن النبي ﷺ: إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم. أقول: وهذا هو الإقتصاد بين إفراط اليهود إذ كانوا يخرجونهن من البيوت، وتفریط النصارى إذ كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض. منه يترك. راجع تفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٢٢.

﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾: بالجماع.

﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾: ينقطع الدم عنهن، ومن قرأ يطهرن فأبنا هو من يتطهرن أي

يغتسلن.

في الكافي: سئل عن الصادق عليه السلام: ما لصاحب المرأة الحائض منها؟ فقال: كل شيء ماعدا القبل بعينه^(١).

وفي رواية: فليأتها حيث شاء ما اتقى موضع الدم^(٢).

والأخبار في هذا المعنى عنهم عليه السلام كثيرة^(٣).

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾: اغتسلن.

﴿فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: يعني فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله. كذا

عن الصادق عليه السلام^(٤) كما يأتي.

وأريد: بحيث أمركم الله المأتي الذي أمركم به وحلله لكم، وإنما أستخدم طلب الولد

من لفظة «من».

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في المرأة ينقطع عنها دم الحيض في آخر أيامها، قال: إذا

أصاب زوجها شبق فليأمرها فلتغتسل فرجها ثم يمسها إن شاء قبل أن تغتسل^(٥).

وفي رواية أخرى: والغسل أحب إلي^(٦).

١- الكافي: ج ٥، ص ٥٣٨، ح ١، باب ما يحل للرجل من إمرأته وهي طامث.

٢- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ١٥٤، ح ٤٣٦ / ٨، باب ٧- حكم الحيض والإستحاضة والنفاس والطهارة من ذلك.

٣- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ١٥٤، ح ٤٣٨ / ١٠ و ٤٣٩ / ١١ و ٤٤٠ / ١٢، باب ٧- حكم الحيض والإستحاضة والنفاس والطهارة من ذلك.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٤١٤، ح ١٦٥٧ / ٢٩، باب ٣٦- السنة في عقود النكاح وزفاف النساء وآداب الخلوة والجماع.

٥- الكافي: ج ٥، ص ٥٣٩، ح ١، باب مجامعة الحائض قبل أن تغتسل.

٦- الكافي: ج ٥، ص ٥٣٩، ح ٢، باب مجامعة الحائض قبل أن تغتسل.

وسئل عنه عليه السلام: إذا تيممت من الحيض هل تحلّ لزوجها؟ فقال: نعم ^(١).

يعني بعدما طهرت.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوْبِينَ﴾: من الذنوب.

﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾: بالماء والمنزهين عن الأقدار.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُفْتَنَ التَّوَّابَ، ومن لا يكون ذلك منه

كان أفضل ^(٢).

وعنه عليه السلام: كان الناس يستنجون بالكرسف والأحجار ثم أحدث الوضوء، وهو خلق

كريم فأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وصنعه فأنزل الله في كتابه: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوْبِينَ وَيُحِبُّ

الْمُتَطَهِّرِينَ» ^(٣).

أقول: أراد بالوضوء: الإستنجاء بالماء.

وفي العلل ^(٤)، والعياشي: عنه عليه السلام قال: كان الناس يستنجون بثلاثة أحجار لأتهم

كانوا يأكلون البُسر فكانوا يبعرون بعراً فأكل رجل من الأنصار الدباء فلان بطنه واستنجى

بالماء، فبعث إليه النبي صلى الله عليه وآله ^(٥)، قال: فجاء الرجل وهو خائف أن يكون قد نزل فيه أمر يسوؤه

في استنجائه بالماء، فقال له: هل عملت في يومك هذا شيئاً؟ فقال: يا رسول الله إني والله ما

حملني على الإستنجاء بالماء إلا إني أكلت طعاماً فلان بطني فلم تغن عني الحجارة شيئاً

فاستنجيت بالماء، فقال رسول الله: هنيئاً لك فإن الله عزّ وجلّ قد أنزل فيك آية فابشر: «إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُتَوْبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» فكنت أنت أوّل من صنع هذا، أوّل التَّوَّابِينَ، وأوّل

المتطهرين ^(٦).

وفي رواية: كان الرجل: البراء بن معرور الأنصاري، وأوردهما في الفقيه مرسل ^(٧).

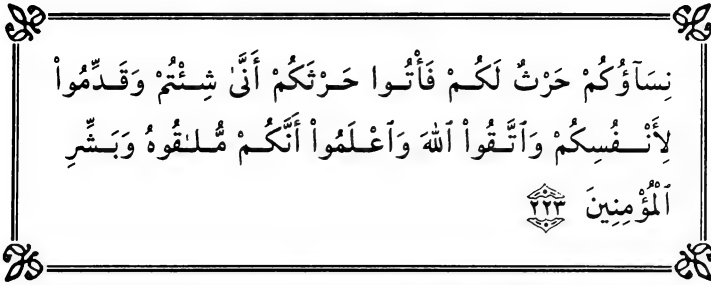
١- تهذيب الأحكام: ج ١، ص ٤٠٥، ح ١٢٦٨/٦، ب ٢٠- التيمم وأحكامه.

٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٣٥، ح ٩، باب التوبة. ٣- الكافي: ج ٣، ص ١٨، ح ١٣، باب القول عند دخول الخلاء.

٤- علل الشرائع: ص ٢٨٦، ح ١، باب ٢٠٥، العلّة التي من أجلها كان الناس يستنجون بثلاثة أحجار.

٥- وفي نسخة: [فبعث النبي صلى الله عليه وآله إليه]. ٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٠٩-١١٠، ح ٣٢٨.

٧- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٠-٢١، ح ٥٩/٢٤، باب ٢- ارتياد المكان للحدث والسنة في دخوله.



﴿نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾: مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النطف بالبذور.

﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ﴾: قيل: أي من أي جهة شئتم^(١).
والعياشي^(٢)، والقمي: عن الصادق عليه السلام: أي متى شئتم في الفرج^(٣).
وفي رواية أخرى: في أي ساعة شئتم^(٤).

وفي أخرى: من قدامها ومن خلفها في القبل^(٥).

وفي التهذيب: عن الرضا عليه السلام: إن اليهود كانت تقول إذا أتى الرجل المرأة من خلفها خرج ولده أحول، فأنزل الله عز وجل: «نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ» من خلف أو قدام، خلافاً لقول اليهود، ولم يعن في أدبارهن^(٦).

وعن الصادق عليه السلام: عن الرجل يأتي المرأة في دبرها، قال: لا بأس إذا رضيت، قيل: فأين قول الله عز وجل: «فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ»؟ قال: هذا في طلب الولد، فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله، إن الله تعالى يقول: «نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا

١ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٨.

٢ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١١١، ح ٣٣٤. وفيه: «من قبل».

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٧٣. ٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١١١، ح ٣٣٥.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١١١، ح ٣٣٢.

٦ - تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٤١٥، ح ١٦٦٠ / ٣٢، باب ٣٦ - السنة في عقود النكاح وزفاف النساء وآداب الخلوة والجماع.

حَرَّوْكُمْ أَيْ: شَيْتُمْ»^(١).

أقول: لا منافاة بين الروایتين، لأنَّ المراد بالأولى نفي دلالة هذه الآية على حلِّ الأدبار، والمراد بالثانية نفي دلالة قوله تعالى: «مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» على حرمتها، وأمَّا تلاوته ﷺ هذه الآية عقيب ذلك فاستشهاد منه ﷺ بها على أنَّ الله سبحانه إنما أراد طلب الولد إذ سَمَّاهُنَّ الحرث، ويجوز أن يكون قوله تعالى: «مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» إشارة إلى الأمر بالمباشرة وطلب الولد في قوله سبحانه وتعالى: «فَالْأَن بَشِّرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ»^(٢).

وفي الرواية الثانية: إشارة إلى أنَّ المتوقف حلّه على التطهّر هو موضع الحرث خاصة دون سائر المواضع.

وفي الكافي: سئل الصادق ﷺ عن إتيان النساء في أعجازهن؟ فقال: هي لعبتك لا تؤذيها^(٣).

وفي رواية: والمرأة لعبة لا تؤذي، وهي حرث كما قال الله^(٤).

وفي أخرى: لا بأس به، وما أحبُّ أن تفعله^(٥).

﴿وَقَدْ مَوُاْ لِأَنفُسِكُمْ﴾: قيل: أي ما يدخر لكم من الأعمال الصالحة، وقيل: هو طلب الولد، وقيل: التسمية على الوطء^(٦).

﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾: ولا تتجروا على المناهي.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلْقَوُةٌ﴾: فتزودوا ما لا تفتضحون به.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: لعلَّ المراد وبشّر من صدّقك، وامتنل أمرك بالملاقاة والكرامة والنعيم الدائم عندها.

١- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٤١٤، ح ١٦٥٧ / ٢٩، باب ٣٦- السّنة في عقود النكاح وزفاف النساء.

٢- البقرة: ١٨٧. ٣- الكافي: ج ٥، ص ٥٤٠، ح ١، باب محاش النساء.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١١١، ح ٣٣٦.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ٤١٦، ح ١٦٦٦ / ٣٨، باب ٣٦- السّنة في عقود النكاح وزفاف النساء وآداب الخلوة والجماع.

٦- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٨، س ١٠. وفيه: «عند الوطء» وهو الأصح.

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا
بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾: العرصة: تطلق لما يعترض دون الشيء فيحجز عنه، وللمعرض للأمر، والمعنى على الأول: لا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتُم عليه من أنواع الخير، فيكون المراد بالإيمان: الأمور المحلوف عليها، وعليه ورد قول الصادق عليه السلام في تفسيرها إذا دعت لصلح بين اثنين فلا تقل عليّ يمين أن لا أفعل^(١).

وعلى الثاني: لا تجعلوا الله معرضاً لأيمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف، وعليه ورد قوله عليه السلام: لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإن الله يقول: «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ»^(٢).

وفي رواية: من حلف بالله كاذباً كفر، ومن حلف بالله صادقاً أثم، إن الله تعالى يقول: وتلا هذه^(٣)، والثلاثة مروية في الكافي، وذكر العياشي الأولين في رواية واحدة^(٤).

وعنه عليه السلام: يعني الرجل يحلف أن لا يتكلم أخاه ولا يكلم أمه وما يشبه ذلك^(٥).
﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾: بيان للأيمان أي الأمور المحلوف عليها على المعنى الأول، وعلة للنهي على المعنى الثاني، أي أنها كم عن إرادة بركم وتقواكم وإصلاحكم بين الناس، فإن الحلف مجتري على الله، والمجترئ على الله تعالى لا يكون براً متقياً، ولا موثقاً به في إصلاح ذات البين ولذلك ذم الله تعالى الحلف، فقال: «وَلَا تُطِعْ كُلَّ

١- الكافي: ج ٢، ص ٢١٠، ح ٦، باب الإصلاح بين الناس.

٢- الكافي: ج ٧، ص ٤٣٤، ح ١، باب كراهية اليمين.

٣- الكافي: ج ٧، ص ٤٣٥، ح ٤، باب كراهية اليمين.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١١٢، ح ٣٤٠. ٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ١١٢، ح ٣٣٩.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ
بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ
مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾

خلافٍ مهيّن» (١)(٢).

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأيمانكم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنياتكم.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾: بالعقوبة والكفارة.

﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾: الساقط الذي لا عقد معه، بل يجري على عادة اللسان كقول

العرب: لا والله وبلى والله لمجرّد التأكيد، كذا في المجمع عنها عليه السلام (٣).

﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: بما واطأت فيها قلوبكم ألسنتكم

وعزمتوه كقوله سبحانه: «بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ» (٤) فَإِنَّ كَسْبَ الْقُلُوبِ هُوَ الْعَقْدُ وَالنِّيَّةُ وَالْقَصْدُ.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: حيث لا يؤاخذكم بلغو الأيمان.

﴿حَلِيمٌ﴾: حيث لا يعجل بالمؤاخاة على عيبين الجدّ ترصّصاً للتوبة.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾: يحلفون على أن لا يجامعوهنّ مضارّةً هنّ.

والإيلاء: الحلف، وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بـ«من».

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾: انتظارها والتوقّف فيها فلا يطالبوا بشيء.

﴿فَإِنْ فَاءُوا﴾: أي رجعوا إليهنّ بالحنث وكفارة اليمين، وجامعوا مع القدرة

٢- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١١٨.

١- القلم: ١٠.

٤- المائدة: ٨٩.

٣- مجمع البيان: ج ١، ص ٣٢٣.

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَتُ
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا
خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَعُولُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ
مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

ووعدها مع العجز.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: لا يتبعهم بعقوبة.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: بطلاقهم (١).

﴿عَلِيمٌ﴾: بضائرهم. القمي: عن الصادق عليه السلام: الإيلاء: أن يحلف الرجل على امرأته

أن لا يجامعها فإن صبرت عليه فلها أن تصبر وإن رفعته إلى الإمام أنظره أربعة أشهر، ثم يقول
له بعد ذلك: إمّا أن ترجع إلى المناكحة، وإمّا أن تطلق، فإن أبى حبسه أبداً (٢).

وفي الكافي: عنه، وعن أبيه عليه السلام: أنّها قالوا: إذا آلى الرجل أن لا يقرب امرأته فليس
لها قول ولا حق في الأربعة أشهر، ولا إثم عليه في كفّه عنها في الأربعة أشهر، فإن مضت
الأربعة أشهر قبل أن يمسه فسكتت ورضيت، فهو في حلّ وسعة، فإن رفعت أمرها، قيل
له: إمّا أن تفيء فتمسّها، وإمّا أن تطلق، وعزم الطلاق: أن يخلى عنها فإذا حاضت وطهرت
طلقها وهو أحق برجعها ما لم تمض ثلاثة قروء، فهذا الإيلاء أنزله الله تبارك وتعالى في كتابه
وسنة رسول الله ﷺ (٣).

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٧٣.

١- وفي نسخة: [طلاقهم].

٣- الكافي: ج ٦، ص ١٣١، ح ٤، باب الإيلاء.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ﴾: يعني المدخول بهنّ من ذوات الأقراء، لما دلّت الآيات والأخبار أنّ حكم غيرهنّ خلاف ذلك.

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: ينتظرن خبر في معنى الأمر للتأكيد والإشعار بأنّه مما يجب أن يمتثلن فكأنّهنّ امتثلن فيخبر عنه.

﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: تهييج وبعث لهنّ على التربّص، فإنّ نفوس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن بأن يقمعنها ويحملنها على التربّص.

﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾: فلا يتزوّجن فيها. في الكافي: عن الباقر عليه السلام قال: الإقراء هي الأطهار^(١).

وعن زرارة: قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّي سمعت ربيعة الرأي يقول: إذا رأت الدم من الحيضة الثالثة بانت منه، وإنّما القرء ما بين الحيضتين، وزعم أنّه إنّما أخذ ذلك برأيه، فقال أبو جعفر عليه السلام: كذب لعمرى ما قال ذلك برأيه، ولكنّه أخذ عن علي عليه السلام، قال: قلت له: وما قال فيها علي عليه السلام؟ قال: كان يقول: إذا رأت الدم من الحيضة الثالثة فقد انقضت عدّتها ولا سبيل له عليها، وإنّما القرء ما بين الحيضتين، وليس لها أن تتزوّج حتّى تغتسل من الحيضة الثالثة^(٢).

وفي رواية أخرى قال: سمعت ربيعة الرأي يقول: من رأيي أنّ الأقراء التي سمى الله عزّ وجلّ في القرآن إنّما هو الطهر فما بين الحيضتين، فقال عليه السلام: كذب لم يقله برأيه ولكنّه إنّما بلغه عن علي عليه السلام، فقلت له: أصلحك الله أكان علي عليه السلام يقول ذلك؟ قال: نعم إنّما القرء الطهر، يقرئ فيه الدم فتجمعه فإذا جاء المبيض دفعه^(٣).

وعن الصادق عليه السلام: عدّة المرأة التي لا تحيض، والمستحاضة التي لا تطهر ثلاثة أشهر، وعدّة التي تحيض ويستقيم حيضها ثلاثة قروء^(٤).

١- الكافي: ج ٦، ص ٨٩، ح ٤، باب معنى الأقراء.

٢- الكافي: ج ٦، ص ٨٨، ح ٩، باب الوقت الذي تبين منه المطلقة.

٣- الكافي: ج ٦، ص ٨٩، ح ١، باب معنى الأقراء.

٤- الكافي: ج ٦، ص ١٠٠، ح ٨، باب عدّة المسترابة.

والقرء جمع الدم بين الحيضتين.

﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾: من الولد، ودم الحيض استعجالاً للعدة، وإبطالاً لحق الرجعة. في المجمع: عن الصادق عليه السلام: الحبل والحيض ^(١).
والقمتي: لا يحل للمرأة أن تكتم حملها أو حيضها، أو طهرها، وقد فوّض الله إلى النساء ثلاثة أشياء: الطهر، والحيض، والحبل ^(٢).

والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام: يعني لا يحل لها أن تكتم الحمل إذا طلّقت وهي حُبلى والزوج لا يعلم بالحمل وهو أحقّ بها في ذلك الحمل ما لم تضع ^(٣).

﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: يعني ذلك ينافي الإيمان، عظم فعلهنّ ذلك.
﴿وَيُعَوِّلْتُهُنَّ﴾: أزواجهنّ.

﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: إلى النكاح، والرجعة إليهنّ.

﴿فِي ذَلِكَ﴾: في زمان التربّص.

﴿إِنْ أَرَادُوا﴾: بالرجعة.

﴿إِصْلَاحًا﴾: لما بينهنّ ولم يريدوا مضارتهنّ.

﴿وَهُنَّ﴾: حقوق عليهم.

﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾: لهم في الوجوب، والإستحقاق لا في الجنس.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي لا ينكر في الشرع، ولا في عادات الناس فلا يكلفهم ما

ليس لهنّ ولا يكلفونهنّ ما ليس لهم.

﴿وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: زيادة في الحقّ، وفضيلة بقيامهنّ عليهمّ.

في الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن حقّ المرأة على زوجها؟ قال: يشبع بطنها، ويكسو

جثتها، وإن جهلت غفر لها ^(٤).

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٢٦. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٧٤.

٣- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١١٥، ح ٣٥٦.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٧٩، ح ١٣٢٧ / ٢، باب ١٣١ - حق المرأة على الزوج.

الطَّلَاقَ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا
يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا
يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ
يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾

وفيه ^(١)، وفي الكافي: عن الباقر عليه السلام: قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه، ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيته بشيء إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض، وملائكة الغضب، وملائكة الرحمة، حتى ترجع إلى بيتها، فقالت: يا رسول الله من أعظم الناس حقاً على الرجل؟ قال: والداه، قالت: فمن أعظم الناس حقاً على المرأة؟ قال: زوجها، قالت: فمالي من الحق عليه مثل ما له علي؟ قال: لا، ولا من كلِّ مائة واحدة، فقالت: والذي بعثك بالحق نبياً لا يملك رقبتى رجل أبداً ^(٢).

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: يقدر على الانتقام ممن خالف الأحكام.

﴿حَكِيمٌ﴾: يشرعها لحكم ومصالح.

﴿الطَّلَاقَ مَرَّتَانٍ﴾: أي التطلق الرجعي إثنان، فإن الثالثة بائن.

وفي المجمع: عن النبي ﷺ أنه سئل أين الثالثة؟ فقال: أو تسريح بإحسان ^(٣).

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٢٧٧، ح ١٣١٤/١، باب ١٣٠- حق الزوج على المرأة.

٢- الكافي: ج ٥، ص ٥٠٦-٥٠٧، ح ١، باب حق الزوج على المرأة.

٣- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٣٢٦.

﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ﴾: أي بالمراجعة، وحسن المعاشرة.
 ﴿أَوْ تَسْرِجَ بِإِحْسَنِ﴾: بأن يطلّقها التطليقة الثالثة بعد الرجعة كما في الخبر النبوي المذكور، أو بأن لا يراجعها حتّى تبين منه وتخرج عن العدة، فالإمساك: هو الأخذ، والتسريح: هو الطلاق.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾: من المهر.
 ﴿شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾: التفات من الخطاب إلى الغيبة، ثمّ منها إليه، إذ الخطاب راجع إلى الحكّام لأنّ الأخذ والإعطاء إنّما يقعان بأمرهم، وقرئ بضمّ الياء.
 ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: فيما يلزمها الله من وظائف الزوجية.
 ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾: لا جناح على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها، واختلعت ولا على المرأة في إعطائه.
 ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: إشارة إلى ما حدّ من الأحكام.
 ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾: بالخالفة.

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد. العياشي: عن الصادق عليه السلام في المختلعة فقال: لا يحلّ خلعه حتّى تقول: والله لا أبرّ لك قسماً، ولا أطيع لك أمراً، ولأوطئن فراشك، ولأدخلنّ عليك بغير إذنك، فإذا هي قالت ذلك حلّ خلعه، وحلّ له ما أخذ منها من مهرها وما زاد، وهو قول الله تعالى: «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ» وإذا فعل ذلك فقد بانت منه بتطليقة، وهي أملك بنفسها إن شاءت نكحته، وإن شاءت فلا، فإن نكحته فهي عنده على اثنتين^(١).
 وفي الكافي أخبار تقرب منه^(٢).

وعن الباقر عليه السلام: إذا قالت المرأة لزوجها جملة «لا أطيع لك أمراً» مفسراً أو غير مفسر، حلّ له ما أخذ منها، وليس له عليها رجعة^(٣).

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١١٧، ح ٣٦٧. ٢ - راجع الكافي: ج ٦، ص ١٣٩ - ١٤١، باب الخلع.

٣ - الكافي: ج ٦، ص ١٤١، ح ٨٠٦، باب الخلع.

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: بعد الشنتين الثالثة. في المجمع: عن الباقر عليه السلام يعني التطليقة الثالثة ^(١).
 ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾: تزويجها.
 ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾: الزوج الثاني.
 ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾: يرجع كل واحد منهما إلى الآخر بالزواج.
 ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: إن كان في ظنهما أنها يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: أي الأحكام المذكورة.
 ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون ويعملون بمقتضى العلم.
 في الكافي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن رجل طلق امرأته طلاقاً لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، وتزوجها رجل متعة أيحل له أن ينكحها؟ قال: لا حتى تدخل في مثل ما خرجت منه ^(٢).

وزاد العياشي: قال الله تعالى: «فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ»، والمتعة ليس فيها طلاق ^(٣).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في الرجل يطلق امرأته الطلاق الذي لا تحل له حتى

١ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٢٦.

٢ - الكافي: ج ٥، ص ٤٢٥، ح ٢، باب تحليل المطلقة لزوجها وما يهدم به الطلاق الأول.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١١٨، ح ٣٧١.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ



تنكح زوجاً غيره، ثم تزوجها رجل آخر ولم يدخل بها، قال: لا حتى يذوق عسيلتها^{(١)(٢)}.
﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قاربن آخر عدتهن، فإن البلوغ قد يطلق
على الدنو كما يطلق على الوصول، والأجل يطلق على منتهى المدة كما يطلق على المدة.
﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: راجعوهن بما يجب لها من القيام بواجبها من غير طلب
ضرار بالمراجعة.
﴿أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: خلوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن أملك بأنفسهن.
﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾: ولا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن من غير رغبة
فيهن.
﴿لِتَعْتَدُوا﴾: لتظلموهن بتطويل المدة عليهن في حبالكم، أو لجائهن إلى الإفشاء.

١ - الكافي: ج ٥، ص ٢٥٥، ح ٤، باب تحليل المطلقة لزوجها وما يهدم الطلاق الأول.

٢ - العسيلة: تصغير العسل، وإنما أنت لأنه أريد قطعة منه شبه لذة الجماع بذوق العسل، فاستعير لها الذوق،
وتصغيره إشارة إلى القدر القليل الذي يحصل به الحل. منه تتبع.

وذكر الطريحي: العسيلة - تصغير العسلة - وهي القطعة من العسل، فشبه لذة الجماع بذوق العسل، وإنما
صغرت إشارة إلى القدر الذي يحلل ولو بغيبوبة الحشفة. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٤٢٣، مادة «عسل».

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ
كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ
وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

في الفقيه: سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية فقال: الرجل يطلق حتى إذا كادت أن يخلو
أجلها راجعها، ثم طلقها يفعل ذلك ثلاث مرّات فنهى الله عن ذلك^(١).
﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾: بتعريضها للعقاب.
﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾: لا تستخفوا بأوامره ونواهيه.
﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: بما أباحه لكم من الأزواج والأموال.
﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾: من القرآن والعلوم المبيّنة لكم.
﴿يَعْظُمُ بِهِ﴾: لتتّعظوا به.
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: تأكيد وتهديد.
﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدّتهنّ.
﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾: لا تمنعهنّ ظلماً عن التزوّج، قيل: هذا
إمّا أن يكون خطاباً للأزواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلماً لا يتركونهنّ
يتزوّجن من شئن من الأزواج، وإمّا أن يكون خطاباً للأولياء في عضلهنّ أن يرجعن إلى
أزواجهنّ أو لهما جميعاً أو للناس كلّهم^(٢).
والعضل: الحبس والتضييق.

١- لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٣، ح ١٥٦٧/١، باب ١٥٥ - طلاق العدة.

٢- قاله الطبرسي في جوامع الجامع: ج ١، ص ١٢٧.

وَالْوِلْدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ
يُسِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَلَدَةٌ بِوَلَدِهَا
وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا
فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ
مَاءَ أَيْتِمٍ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ



﴿إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ﴾: إذا تراضى الخطاب والنساء.
﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط.
﴿ذَلِكَ﴾: الذي سبق من الأمر والنهي.
﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: لأنه المستعظ به

والمنتفع.

﴿ذَلِكَ﴾: العمل بما ذكره.
﴿أُزَكَّى لَكُمْ﴾: أنفع.
﴿وَأَطْهَرُ﴾: من دنس الآثام.
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾: ما فيه النفع والصلاح لكم.
﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: لقصور علمكم.
﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾: خبر في معنى الأمر المؤكد، والوالدات تعم

المطلقات وغيرهن. وقيل: بل يختص بهنّ إذ الكلام فيهنّ^(١).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام لا تجبر الحرّة على إرضاع الولد، وتجبر أمّ الولد^(٢).

أقول: فيحتمل أن يكون معنى الآية أنّ الإرضاع حقّهنّ لا يمنع منه وإن أردنه، فعن النبي صلى الله عليه وآله ليس للصبي لبن خير من لبن أمّه^(٣).

وفي الكافي^(٤)، والفقهاء: عن أمير المؤمنين عليه السلام ما من لبن رضع به الصبي أعظم بركة عليه من لبن أمّه، قيل: وقد يجب عليهنّ كما إذا لم يرتضع إلّا من أمّه أو لا يعيش إلّا بلبنها أو لا يوجد غيرها^(٥).

﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: تامّين أكّده به لأنّه ممّا يتساح فيه.

﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ الرِّضَاعَةَ﴾: هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاع، أو متعلّق بيرضعن أي لأجل أزواجهنّ، فإنّ نفقة الولد على والده، وفيه تحديد لأقصى مدّة الرضاع وتجوز للنقص عنه.

﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾: الذي ولد له وهو الوالد، وفيه إشارة إلى أنّ الولد للأب، ولهذا ينسب إليه وإنّما لم يقل على الزوج لأنّه قد يكون غير الزوج كالمطلق، وللتنبية على المعنى المقتضي لوجوب الإرضاع، ومؤن المرضعة على الأب.

﴿رِزْقُهُنَّ﴾: مأكولهنّ.

﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: إذا أرضعن ولده.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بما يعرفه أهل العرف.

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: تعليل لإيجاب المؤن، والتقييد بالمعروف وما بعده

١- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٣.

٢- الكافي: ج ٦، ص ٤٠-٤١، ح ٤، باب الرضاع.

٣- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٣٤، ح ٦٩، باب ٣١- فبما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

٤- الكافي: ج ٦، ص ٤٠، ح ١، باب الرضاع.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٠٥، ح ١٤٦٥/٣، باب ١٤٦- الرضاع.

تفصيل له وتقرير أي لا يكلف كل منها الآخر ما ليس في وسعه، ولا يضارّه بسبب الولد.

﴿لَا تُضَارَّ وَلَدُهُ﴾: زوجها.

﴿يَوْلِدُهَا﴾: بسبب ولدها بأن تترك إرضاعه تعنتاً أو غيظاً على أبيه، وسيّما بعد ما ألّفها الولد أو تطلب منه ما ليس بمعروف أو تشغل قلبه في شأن الولد أو تمتع نفسها منه خوف الحمل لئلا يضّر بالمرتضع.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ﴾: أي لا يضارّ المولود له أيضاً إمرأته.

﴿يَوْلِدِهِ﴾: بسبب ولده بأن ينزعه منها، أو يمنعها عن إرضاعه إن أرادته وسيّما بعدما ألّفها الولد، أو يكرهها عليه أو يمنعها شيئاً مما وجب عليه، أو يترك جماعها خوف الحمل إشفافاً على المرتضع.

في الكافي: أَنَّ الصادق عليه السلام سئل عن هذه الآية فقال: كانت المراضع مما تدفع إحداهنّ الرجل إذا أراد الجماع تقول لا أدعك إنّي أخاف أن أحبل فأقتل ولدي هذا الذي أرضعه، وكان الرجل تدعوه المرأة فيقول أخاف أن أجامعك فأقتل ولدي فيدعها ولا يجامعها فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك بأن يضارّ الرجل المرأة والمرأة الرجل^(١).

وعنه عليه السلام: إذا طلق الرجل إمرأته وهي حبلى أنفق عليها حتّى تضع حملها فإذا وضعت أعطاهما أجرهما ولا يضارّها إلّا أن يجد من هو أرخص أجراً منها فإن هي رضيت بذلك الأجر فهي أحقّ بابنها حتّى تقطعه^(٢).

أقول: ويجوز أن يكون لا تضارّ على البناء للمفعول أي لا تضار والدته من جهة زوجها، ولا مولود له من جهة زوجته ولا يتفاوت المعنى غير أنّه يتعاكس على اللَّفْظَيْن، وقرئ لا تضارّ بالرفع بدلاً من قوله «لَا تُكَلِّفُ».

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾: وعنى وارث المولود له بعد موته.

١- الكافي: ج ٦، ص ٤١، ح ٦، باب الرضاع.

٢- الكافي: ج ٦، ص ١٠٣، ح ٢، باب نفقة الحبل المطلقة.

﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾: مثل ما كان يجب على المولود له. العياشي: عن الباقر عليه السلام أنه سئل عنه فقال: النفقة على الوارث مثل ما على الوالد^(١).

وعن الصادق عليه السلام: أنه سئل عنه فقال: لا ينبغي للوارث أن يضارَّ المرأة فيقول: لا أدع ولدها يأتيها ويضارَّ ولدها إن كان لهم عنده شيء فلا ينبغي أن يقتَر عليه^(٢).

وفي الكافي: عنه في قوله تعالى: «وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ» إنه نهى أن يضارَّ بالصبي أو يضارَّ أمه في رضاعه، وليس لها أن تأخذ في رضاعه فوق حملين كاملين^(٣).

وفي الفقيه: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنه قضى في رجل توفي وترك صبيّاً واسترضع له إن أجر رضاع الصبي مما يرث من أبيه وأمه^(٤).

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾: فطاماً عن الرضاع قبل الحولين، كذا في المجمع عن الصادق عليه السلام^(٥).

﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾: في ذلك، وهذه توسعة بعد التحديد، وإنما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل، وحذراً أن يقدم أحدهما على ما يضّر به لغرض.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمَا﴾: المراضع.

﴿أَوْ لَدَكُمْ﴾: لأولادكم، يقال: أرضعت المرأة الطفل واسترضعها إياه: حذف المفعول الأول للإستغناء عنه^(٦).

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: فيه.

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢١، ح ٣٨٣.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢١، ح ٣٨٤.

٣- الكافي: ج ٦، ص ١٠٣، ح ٣، باب نفقة الحبل المطلقة.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٠٩، ح ١٤٨٧ / ٢٥، باب ١٤٦ - الرضاع.

٥- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٣٥.

٦- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٤.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا
فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾: إلى المراضع.

﴿مَا أَتَيْتُمْ﴾: ما أردتم إيتاءه إياهنّ وشرطتم لهنّ، وقرئ ما أتيتنّ بالقصر من أتى إليه

إحساناً إذا فعله.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: صلة سلّمتم أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً. وفي الكافي:

عن النبي ﷺ لا تسرّضوا الحمقاء ولا العمشاء ^(١)، فإنّ اللبن يعدي ^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: انظروا من ترضع أولادكم فإنّ الولد يشبّ عليه ^(٣).

أقول: يعني يصير شاباً على الرضاع

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: مبالغة في المحافظة على ما شرّع في أمر الأطفال والمراضع.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: حثّ وتهديد.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾: بعدهم.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾: تأنيث العشر باعتبار الليالي لأنّها غرر الشهور والأيام ولا

يستعمل التذكير في مثله وإن كانت الأيام مرادة، يقال: صمت عشرة، قيل: لعلّ مقتضي هذا

التقدير: أنّ الجنين في غالب الأمر يتحرك لثلاثة أشهر إن كان ذكراً ولأربعة إن كان أنثى فاعتبر

١ - العنّش في العين: ضعف الرؤية مع سيلان دمعها في أكثر أوقاتها. الصحاح: ج ٣، ص ١٠١٢، مادة

«عمش».

٢ - لم نعثر عليه في الكافي، بل وجدناه في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٤، ح ٦٧، باب ٣١ - فيما جاء عن

الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة. نعم ما يقرب منه في الكافي: ج ٦، ص ٤٣، ح ٨، فراجع.

٣ - الكافي: ج ٦، ص ٤٤، ح ١٠، باب من يكره لبنه ومن لا يكره.

أقصى الأجلين، وزيد عليه العشر إستظهاراً إذ ربما يضعف حركته في المبادئ فلا يحسّ بها^(١). وفي العلل: عن الرضا عليه السلام أوجب عليها إذا أصيبت بزوجه وتوقّي عنها بمثل ما أوجب عليها في حياته إذا آلى منها، وعلم أنّ غاية صبر المرأة أربعة أشهر في ترك الجماع، فمن ثمّ أوجب عليها ولها^(٢).

وعن الصادق عليه السلام: لأنّ حرقة المطلقة تسكن في ثلاثة أشهر، وحرقة المتوقّي عنها زوجها لا تسكن إلّا في أربعة أشهر وعشر^(٣).

والعياشي: عنه عليه السلام لما نزلت هذه الآية جئن النساء يخاصمن رسول الله صلى الله عليه وآله وقلن: لا نصبر، فقال هنّ رسول الله صلى الله عليه وآله: كانت إحداكنّ إذا مات زوجها أخذت بعة فألقته خلفها في دويرتها في خدرها ثمّ قعدت فإذا كان مثل ذلك اليوم من الحول أخذتها ففتّتها، ثمّ اكتحلت بها ثمّ تزوّجت فوضع الله عنكنّ ثمانية أشهر^(٤).

وفي التهذيب: عن الباقر عليه السلام: كلّ النكاح إذا مات الزوج فعلى المرأة حرّة كانت أو أمة وعلى أيّ وجه كان النكاح منه متعة أو تزويجاً أو ملك يمين فالعدة أربعة أشهر وعشراً^(٥).

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عدّتهنّ.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أيّها الأولياء.

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾: من التعرّض للخطاب وسائر ما حرّم عليهنّ للعدة.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي لا ينكره الشرع.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: فيجازيكم عليه.

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٤.

٢- علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٠٧، ح ١، باب ٢٧٧- العلة التي من أجلها صارت عدة المطلقة ثلاثة أشهر.

٣- علل الشرائع: ج ٢، ص ٥٠٨، ح ٢، باب ٢٧٧- العلة التي من أجلها صارت عدة المطلقة ثلاثة أشهر.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢١، ح ٣٨٦.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٥٧، ح ٥٤٥ / ١٤٤، باب ٦- عدد النساء.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾: المعتدات، والتعريض هو أن يقول: إنك لجميلة أو صالحة أو إني أحب امرأة صفتها كذا ويذكر بعض صفاتها ونحو ذلك من الكلام الذي يوهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغب فيه ولا يصرح بالنكاح.

﴿أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرّضين ولا مصرّحين.

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾: لا محالة لرغبتكم فيهنّ مع خوفكم أن يسبقكم غيركم إليهنّ فاذكروهنّ.

﴿وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾: أي خلوة كما سيأتي.

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا﴾: في الخلوة.

﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾: بأن تعرضوا بالخطبة ولا تصرّحوا بها.

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ﴾: ما كتب وفرض من العدة.

﴿أَجْلَهُ﴾: منتهاه. في الكافي: عن الصادق (عليه السلام): إنه سئل عن هذه الآية «وَلَكِنْ لَا

تؤاخذوهنّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا»، فقال (عليه السلام): هو الرجل يقول للمرأة قبل أن تنقضي عدتها: أواعدك بيت آل فلان ليعرض لها بالخطبة، ويعني بقوله: «إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا»

التعريض بالخطبة^(١).

وفي رواية: هو أن يقول الرجل: موعدك بيت آل فلان، ثم يطلب إليها أن لا تسبقه بنفسها إذا انقضت عدتها، والقول المعروف: هو طلب الحلال في غير أن يعزم عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله^(٢).

وفي أخرى: هو أن يلقاها فيقول: إني فيك لراغب، وإني للنساء لمكرم، فلا تسبقيني بنفسك، والسر: أن لا يخلو معها حيث وعدها^(٣).

أقول: هذه الروايات تفسير للمواعدة المتضمنة للقول المعروف المرخص فيها، وآخر الأخيرة تفسير للسر المنهي عن مواعده أعني الخلوة، وإنما قال: «لا يخلو» تنبيهاً على أن النهي راجع إلى الخلوة لا للتعريض بالخطبة، كأنهم كانوا يتكلمون فيها بما يستهجن فنها عن ذلك كما يستفاد من الروايات الآتية، ويحتمل أن يكون المراد بالمواعدة سرّاً: التعريض بالخطبة بمواعدة الرفث ونحوه، وسمي ذلك سرّاً لأنه مما يسر، ويكون المراد ببيت آل فلان: توقيت المكان لذلك.

وعن الكاظم عليه السلام: هو أن يقول الرجل: أواعدك بيت آل فلان يعرض لها بالرفث^(٤) ويوقت، يقول الله عز وجل: «إلا أن تقولوا قولاً معروفاً»، والقول المعروف: التعريض بالخطبة على وجهها وحلّها^(٥).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام: أنه قال في هذه الآية: المرأة في عدتها تقول لها قولاً جميلاً ترغبها في نفسك، ولا تقول إني أصنع كذا وأصنع كذا القبيح من الأمر في البضع وكل أمر قبيح^(٦).

١- الكافي: ج ٥، ص ٤٣٤، ح ١، باب في قوله تعالى: «وَلَنَكِينٌ لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا».

٢- الكافي: ج ٥، ص ٤٣٤، ح ٢، باب في قوله تعالى: «وَلَنَكِينٌ لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا».

٣- الكافي: ج ٥، ص ٤٣٥، ح ٤، باب في قوله تعالى: «وَلَنَكِينٌ لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا».

٤- في الكافي: ويرفث، من - الرفث - وفي تهذيب الأحكام: ويوقت، من - التوقيت - ولكل وجه منه يقول.

٥- الكافي: ج ٥، ص ٤٣٥، ح ٣، باب في قوله تعالى: «وَلَنَكِينٌ لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا».

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٣، ح ٣٩٤.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا
 لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ
 مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾

وفي أخرى: يقول لها وهي في عدتها: يا هذه ما أحبّ إلّا ما أسرتك، ولو قد مضى عدّتك لا تفوتيني إن شاء الله فلا تسبقني بنفسك وهذا كلّ من غير أن يعزموا عقدة النكاح^(١).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: من العزم على ما لا يجوز.

﴿فَاخْذَرُوهُ﴾: ولا تعزموا.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾: لمن عزم ولم يفعل.

﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعاجلكم بالعقوبة.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: لا تبعة عليكم من مهر أو وزر.

﴿إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾: ما لم تجامعوهُنَّ، وقرئ تماسوهنّ بضمّ التاء

والألّف في الموضعين.

﴿أَوْ تَفْرِضُوا﴾: إلّا أن تفرضوا.

﴿لَهُنَّ فَرِيضَةٌ﴾: فرض الفريضة: تسمية المهر، وذلك أنّ المطلقة غير المدخول بها إن

سمّي لها مهرًا فلها نصف المستمّى كما في الآية الآتية، وإن لم يسمّ لها مهر فليس لها إلّا المتعة كما في

هذه الآية، والحكمان مرويان أيضًا رواهما العياشي^(٢)، وفي الكافي عن الصادق عليه السلام^(٣).

﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾: أي أعطوهنّ من ما لکم ما يتمتّعن به.

﴿وَعَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾: أي على الغني الذي هو في سعة لغناه

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٣، ح ٣٩٥. وفيه: «فلا تسبقيني»، وفي نسخة أخرى: [ولا تسبق].

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٤، ح ٣٩٧.

٣- الكافي: ج ٦، ص ١٠٦، ح ١، باب ما للمطلقة التي لم يدخل بها من الصداق.

على قدر حاله، وعلى الفقير الذي هو في ضيق على قدر حاله، ومعنى قدره: مقداره الذي يطيقه، وقرئ بسكون الدال.

﴿مَتَّعًا﴾: تمتعاً.

﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة.

﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾: في الكافي^(١)، والعباشي: سئل الصادق عليه السلام عن الرجل

يطلق امرأته يمتّعها؟ قال: نعم أما يحب أن يكون من المحسنين؟ أما يحب أن يكون من المتقين؟^{(٢)(٣)}.

وفي التهذيب: عنه عليه السلام إن متعة المطلقة فريضة^(٤).

وعن الباقر عليه السلام: إنّه سئل عن الرجل يريد أن يطلق امرأته قبل أن يدخل بها، قال:

يَمْتَعُهَا قَبْلَ أَنْ يَطْلُقَهَا فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: «وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ»^(٥).

والعباشي: عن الكاظم عليه السلام أنّه سئل عن المطلقة ما لها من المتعة؟ قال: على قدر مال

زوجها^(٦).

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: فليمتّعها على نحو ما يمتّع مثلها من النساء^(٧).

أقول: ولعل المراد المراعي حالها جميعاً.

وفي الفقيه: روي أنّ الغني يمتّع بدار أو خادم، والوسط: يمتّع بثوب، والفقير: بدرهم أو

خاتم^(٨).

١- الكافي: ج ٦، ص ١٠٤ - ١٠٥، ح ١، باب متعة المطلقة.

٢- إشارة إلى قوله سبحانه: «حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» كما يأتي. منه يُؤْتَى. انظر ذيل الآية ٢٤١ من سورة البقرة.

٣- تفسير العبّاشي: ج ١، ص ١٢٤، ح ٣٩٦.

٤- تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤١، ح ٨٩ / ٤٩٠، باب ٦- عدد النساء.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤١، ح ٨٨ / ٤٨٩، باب ٦- عدد النساء.

٦- تفسير العبّاشي: ج ١، ص ١٢٤، ح ٤٠٢.

٧- الكافي: ج ٦، ص ١٠٨، ح ١١، باب ما للمطلقة التي لم يدخل بها من الصداق.

٨- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٧، ح ٤ / ١٥٨٢، باب ١٥٩- طلاق التي لم يدخل بها وحكم المتوفى عنها

زوجها قبل الدخول وبعده.

وَأِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ
فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ
عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ
بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

وروي أن أدناه الخمار وشبهه^(١).

وفيه^(٢)، وفي التهذيب: عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «وَمَتَّعُوهُنَّ» في سورة الأحزاب في هذا الحكم بعينه قال: أي إجملوهن^(٣) به على قدر ما قدرتم عليه من معروف فإتھن يرجعن بكآبة، ووحشة، وهم عظيم، وشماتة من أعدائهن، فإن الله كريم يستحي، ويحب أهل الحياء، إن أكرمكم أشدكم إكراماً لحلائلهم^(٤).

وبأقي بقية الكلام فيه عن قريب.

﴿وَأِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾: نصف ما فرضتم.

﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾: يعني المطلقات أي يتركن ما يجب لهن من نصف المهر، فلا يطلبن الأزواج بذلك.

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٧، ح ٥/١٥٨٣، باب ١٥٩ - طلاق التي لم يدخل بها وحكم المتوفي عنها زوجها قبل الدخول وبعده. والكافي: ج ٦، ص ١٠٥ - ١٠٦، ح ٥، باب متعة المطلقة.

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٧، ح ٢/١٥٨٠، باب ١٥٩ - طلاق التي لم يدخل بها وحكم المتوفي عنها زوجها قبل الدخول وبعده. وفيه: «جلوهن بما قدرتم عليه من معروف».

٣- وفي نسخة: [قال: أي أجملوهن على ما قدرتم عليه من معروف].

٤- تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤١، ح ٨٧/٤٨٨، باب ٦ - عدد النساء. وفيه: «جلوهن بما قدرتم عليه من معروف».

﴿أَوْ يَعْفُوا أَلَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ﴾: وهو الولي الذي يلي عقد نكاحهن.
وفي الفقيه^(١)، والتهذيب: عن الصادق عليه السلام: يعني الأب والذي توكّله المرأة وتوليه أمرها من أخ أو قرابة أو غيرهما^(٢).
وفي الكافي: عنه عليه السلام في عدة أخبار هو الأب، والأخ، والرجل يوصى إليه، والرجل يجوز أمره في مال المرأة فيبيع لها ويشترى، وإذا عفا فقد جاز^(٣).
وفي رواية العياشي: فأَيُّ هؤلاء عفا فقد جاز^(٤).
قيل: أرايت إن قالت: لا أجيز ما يصنع؟ قال: ليس لها ذلك أتجيز بيعه في مالها ولا تجيز هذا؟^(٥).

وفي رواية: أبوها إذا عفا جاز، وأخوها إذا كان يقيم بها وهو القائم عليها، فهو بمنزلة الأب يجوز له، فإذا كان الأخ لا يقيم بها ولا يقوم عليها لم يجز له عليها أمر^(٦).
وعن الصادق عليه السلام: «الذي بيده عقدة النكاح»: وهو الولي الذي أنكح يأخذ بعضاً ويدع بعضاً وليس له أن يدع كله^(٧).

وفي المجمع: عنها عليه السلام: «الذي بيده عقدة النكاح»: هو الولي.
وعن أمير المؤمنين عليه السلام: هو الزوج، قال: والولي عندنا هو الأب أو الجد مع وجود الأب الأدنى على البكر غير البالغ، فأما من عداها فلا ولاية له إلا بتوليتهما إياه، غير أن الأول أظهر وعليه المذهب^(٨).

ومعنى عفو الزوج: عدم إستراده فإنهم كانوا يسوّغون المهر قبل الدخول.

-
- ١- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٧، ح ١٥٨٤ / ٦، باب ١٥٩ - طلاق التي لم يدخل بها وحكم المتوفي عنها زوجها قبل الدخول وبعده.
 - ٢- تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤٢، ح ٩٩٣ / ٩٢، باب ٦ - عدد النساء.
 - ٣- راجع الكافي: ج ٦، ص ١٠٦، ح ٣ و ٢، باب ما للمطلقة التي لم يدخل بها من الصادق.
 - ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٥، ح ٤٠٦. ٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٥ - ١٢٦، ح ٤٠٨.
 - ٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٦، ح ٤١٠. ٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٥، ح ٤٠٧.
 - ٨- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام: إنه حلف رجل على ضرب غلامه فلم يف به، فلما سئل عنه عليه السلام فقال: أليس الله يقول: «وإن تعفوا أقرب للتقوى»^(١).

﴿وَلَا تَنَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾: ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض، ولا تستقصوا، وفي المجمع: عن علي عليه السلام: ولا تناسوا الفضل^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: العياشي: عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يأتي على الناس زمان عضوض^(٣) يعض كل امرئ على ما في يديه، وينسون الفضل بينهم، قال الله: «وَلَا تَنَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ»^(٤).

وفي العيون: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سيأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يده ولم يؤثر بذلك، قال الله تعالى: «وَلَا تَنَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ»، الآية^(٥).

وفي نهج البلاغة: «الموسر» مكان المؤمن، وزاد نهدي^(٦) فيه الأشرار، وتستذل الأختيار ويبايع المضطرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرين^(٧). وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه^(٨).

١- الكافي: ج ٧، ص ٤٦٠-٤٦١، ح ٤، باب النوادر.

٢- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٣٤١.

٣- عضضت اللقمة وبها وعليها عضاً أمسكتها بالأسنان وهو من باب تعب في الأكثر. المصباح المنير: ص ٤١٥؛ ومجمع البحرين: ج ٤، ص ٢١٧، مادة «عضض».

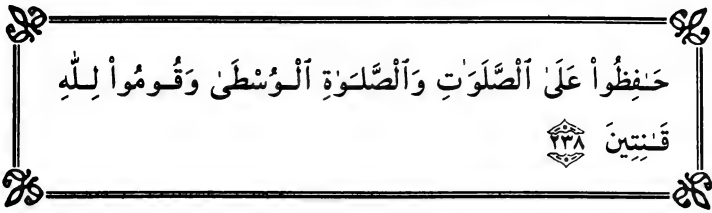
٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٧-١٢٨، ح ٤١٤.

٥- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٤٥، ح ١٦٨، باب ٣١- فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة. وفيه: «ولم يؤمن».

٦- النهدي: الإرتفاع والنهوض. منه يُنهَضُ. وقال الطريحي: في الحديث: «فنهضوا إلي» أي نهض وتقدم، ومنه نهدت إلى العدو نهدياً- من بابي قتل ونفع-: أي نهضت وبرزت والفاعل ناهد. مجمع البحرين: ج ٣، ص ١٥٢، مادة «نهدي».

٧- نهج البلاغة: ص ٥٥٧-٥٥٨، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام تحت رقم ٤٦٨. وفيه: «ولم يؤمن».

٨- الكافي: ج ٥، ص ٣١٠، ح ٢٨، باب النوادر.



﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾: داوموا عليها في مواقيتها بأداء أركانها.
 ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾: بينها خصوصاً أو الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط.
 ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾: في الصلاة.
 ﴿قَانِتِينَ﴾: قيل: أي داعين في القيام، والقنوت: أيضاً هو الطاعة والخشوع^(١).
 وفي الكافي^(٢)، والتهذيب: عن الباقر عليه السلام: في الصلاة الوسطى قال: هي صلاة الظهر، وهي أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ وهي وسط النهار، ووسط الصلاتين بالنهار صلاة الغداة وصلاة العصر^(٣).
 قال عليه السلام: وفي بعض القراءة «حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى»^(٤) وصلاة العصر «وقوموا لله قانتين»^(٥).

قال: ونزلت هذه الآية يوم الجمعة ورسول الله ﷺ في سفر، فقنت فيها رسول الله ﷺ وتركها على حالها في السفر والحضر، وأضاف للمقيم ركعتين، وإنما وضعت الركعتان اللتان أضافهما النبي ﷺ يوم الجمعة للمقيم لمكان الخطبتين مع الإمام، فمن صلى يوم الجمعة في غير

-
- ١- راجع مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٤٣. ٢- الكافي: ج ٣، ص ٢٧١، ح ١، باب فرض الصلاة.
 - ٣- تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٤١، ح ٩٥٤/٢٣، باب ١٢- فضل الصلاة والمفروض منها والمسنون.
 - ٤- وفي بعض نسخ الكافي قد سقط واو العطف من صلاة العصر في القراءة المذكورة، وهو سهو من النساخ كما يشعر به التأمل في صدر الحديث وذيله. منه رحمه الله. اعلم إن النسخة المطبوعة من الكافي والتهذيب تكون بدون واو وهكذا في الفقيه تكون بدون واو، راجع من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١٢٤- ١٢٥، ح ٦٠٠/١، باب ٢٩- باب فرض الصلاة، وهذا هو الأصح.
 - ٥- تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٤١، ح ٩٥٤/٢٣، باب ١٢- فضل الصلاة والمفروض منها والمسنون.

جماعة فليصلّها أربع ركعات كصلاة الظهر في سائر الأيام^(١).

والعيّاشي: عنه عليه السلام أنّه قرأ حافظوا على الصلوات، والصلاة الوسطى، وصلاة العصر، وقوموا لله قانتين، والوسطى هي الظهر، قال: وكذلك كان يقرأها رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٢). وعن الصادق عليه السلام قال: الصلاة الوسطى هي الوسطى من صلاة النهار، وهي الظهر، وإنّما يحافظ أصحابنا على الزوال من أجلها^(٣).

وفي المجمع: عن علي عليه السلام: إنّها الجمعة يوم الجمعة، والظهر سائر الأيام^(٤). والقمي: عن الصادق عليه السلام: أنّه قرأ حافظوا على الصلوات، والصلاة الوسطى، وصلاة العصر، وقوموا لله قانتين، قال: إقبال الرجل على صلاته ومحافظته حتّى لا يلهيه، ولا يشغله عنها شيء^(٥).

وفي رواية العيّاشي: هو الدعاء^(٦).

وفي أخرى: له قانتين مطيعين راغبين^(٧).

وفي الكافي: عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فإذا ضيّعهنّ تجرّأ عليه فأدخله في العظام^(٨).

وعن الباقر عليه السلام: إنّ الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول: حفظتني حفظك الله، وإذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول: ضيّعني ضيعك الله^(٩).

وعن الصادق عليه السلام: الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهنّ، وحافظ على مواقيتهنّ لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله به الجنة، ومن لم يقم حدودهنّ ولم يحافظ

١- تهذيب الأحكام: ج ٢، ص ٢٤١، ح ٢٣/٩٥٤، باب ١٢- فصل الصلاة والمفروض منها والمسنون.

٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٧، ح ٤١٥. ٣- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٨، ح ٤١٩.

٤- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٣٤٣. ٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٧٩.

٦- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٨، ح ٤٢٠. ٧- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٢٧، ح ٤١٦.

٨- الكافي: ج ٣، ص ٢٦٩، ح ٨، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها.

٩- الكافي: ج ٣، ص ٢٦٨، ح ٤، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها.

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا
عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

على مواقيتهنّ لقي الله ولا عهد له إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له^(١).

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾: من لصّ أو سبع أو غير ذلك.

﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾: فصلّوا راجلين أو راكبين.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام: سئل عن هذه الآية فقال: إذا خاف من سبع أو لصّ يكبر ويؤمي إيماء^(٢).

وفي الفقيه: عنه عليه السلام: في صلاة الزحف، قال: تكبير، وتهليل، ثم تلا هذه الآية^(٣).
وعنه عليه السلام: إن كنت في أرض مخوفة فخشيت لصاً أو سبعاً فصلّ الفريضة وأنت على دابّتك^(٤).

وعن الباقر عليه السلام: الذي يخاف اللصوص يصليّ إيماءً على دابّته^(٥).

﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾: وزوال خوفكم.

﴿فَأَدْكُرُوا اللَّهَ﴾: قيل صلّوا صلاة الأمن أو اشكروه على الأمن^(٦).

﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ﴾: مثل ما علمكم أو شكراً يوازي تعليمكم.

﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾: من الشرائع وكيفية الصلاة.

١- الكافي: ج ٣، ص ٢٦٧، ح ١، باب من حافظ على صلاته أو ضيعها.

٢- الكافي: ج ٣، ص ٤٥٧، ح ٦، باب صلاة الخوف.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٩٥، ح ٨ / ١٣٤٤، باب ٦٣- صلاة الخوف والمطاردة.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٩٥، ح ٩ / ١٣٤٥، باب ٦٣- صلاة الخوف والمطاردة.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٩٥، ح ١٠ / ١٣٤٦، باب ٦٣- صلاة الخوف والمطاردة.

٦- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٧.

وَالَّذِينَ يُتَوَقَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ
مَتَّعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي
مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَقَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً﴾: يوصون وصية قبل أن
يحتضروا، وقرئ بالرفع.

﴿لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعاً إِلَى الْحَوْلِ﴾: بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً أي ينفق
عليهن من تركته.

﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾: ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في أول الإسلام، ثم نسخت
كان الرجل إذا مات أفق على امرأته من صلب المال حولاً، ثم أخرجت بلا ميراث، ثم نسختها
آية الربع والثلث، فالمرأة ينفق عليها من نصيبها، رواه العياشي^(١).
وفي المجمع، عن الصادق عليه السلام^(٢): وفي عدة روايات عنه^(٣).

وعن الباقر عليه السلام: هي منسوخة نسختها «يتربصن بأربعين شهراً وعشراً»
ونسختها آيات الميراث^(٤).

أقول: يعني نسخت المدة بآية التربص، والنفقة بآيات الميراث، وآية التربص وإن
كانت متقدمة في التلاوة فهي متأخرة في النزول، وقد مرّ في المقدمة السادسة كلام في هاتين
الآيتين.

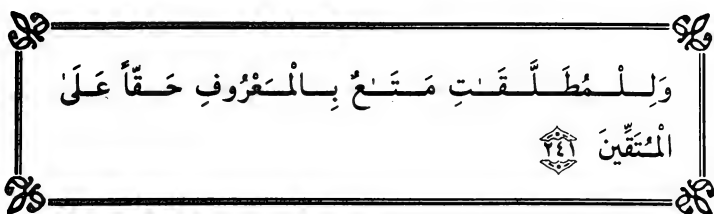
﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾: من منزل الأزواج.
﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾: كالتزين والتعرض للأزواج.

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٤٥.

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٩، ح ٤٢٧.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٢٩، ح ٤٢٦.

٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٤٥.



﴿مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾: مما لم ينكره الشرع.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: ينتقم ممن خالفه.

﴿حَكِيمٌ﴾: يراعي مصالحهم.

﴿وَلِلْمُطَلَّاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾: أثبت المتعة

للمطلقات جميعاً بعدما أوجبها لواحدة منهن وقد مرّ من الأخبار أيضاً ما يدلّ على التعميم^(٢). وفي الفقيه: عن الباقر عليه السلام قال: متعة النساء واجبة دخل بها أو لم يدخل بها، ويمتّع قبل أن يطلق^(٣).

وقال في التهذيب: إنّما تجب المتعة للتي لم يدخل بها وأما التي دخل بها فيستحبّ تمتيعها إذا لم يكن لها في ذمّته مهر، والأوّل قبل الطلاق، والثاني بعد انقضاء العدة^(٤).

وفيه: عن الكاظم عليه السلام: أنّه سئل عن المطلقة التي تجب لها على زوجها المتعة فكتب البائنة^(٥).

وفي رواية لا تمتّع المختلعة^(٦).

١ - قيل: المراد بالمتاع هنا النفقة كما في قوله تعالى: «متاعاً إلى الحول»، البقرة: ٢٤٠، والرواية تنافيه. منه عليه السلام. راجع جوامع الجوامع: ج ١، ص ١٣٣.

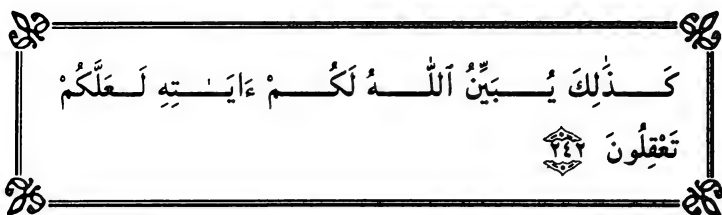
٢ - تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤١، ح ٨٧/٤٨٩، ٨٨/٤٨٩، ٨٩/٤٩٠، باب ٦ - عدد النساء.

٣ - من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٢٨، ح ١٥٨٨/١٠، باب ١٥٩ - طلاق التي لم يدخل بها.

٤ - تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤٠.

٥ - تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ١٤١ - ١٤٢، ح ٩٠/٤٩١، باب ٦ - عدد النساء.

٦ - الكافي: ج ٦، ص ١٤٤، ح ٢، باب عدة المختلعة.



وفي الجمع: اختلف في ذلك، فقيل: إنما تجب المتعة للتي لم يسم لها صداق خاصة وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما السلام، وقيل: لكل مطلقة إلا المختلعة، والمباراة، والملاعنة، وقيل: لكل مطلقة سوى المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول فإنما لها نصف الصداق ولا متعة لها، وقد رواه أصحابنا أيضاً، وذلك محمول على الاستحباب، وقال في هذه الآية: أنها مخصوصة بتلك الآية إن نزلتا معاً وإن كانت تلك متأخرة فمنسوخة لأن عندنا لا تجب المتعة إلا للمطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر فأما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسم لها مهر وإن سمي لها مهر فاسمي لها وغير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر ولا متعة في هذه الأحوال فلا بد من تخصيص هذه الآية ^(١).

وفي الكافي: في عدة روايات عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: متاعها بعدما تنقضي عدتها على الموسع قدره وعلى المقتر قدره، قال: وكيف يمتعها وهي في عدتها ترجوه ويرجوها، ويحدث الله عز وجل بينهما ما يشاء ^(٢).

وقال: إذا كان الرجل موسعاً عليه متع إمرأته بالعبد والأمة، والمقتر يمتع بالحنطة والزبيب والثوب والدرهم، وإن الحسن بن علي عليه السلام متع إمرأة له بأمة، ولم يطلق إمرأة إلا متعها ^(٣).

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمونها وتستعملون

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

٢- الكافي: ج ٦، ص ١٠٥، ح ٤، باب متعة المطلقة.

٣- الكافي: ج ٦، ص ١٠٥، ح ٣، باب متعة المطلقة.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ
الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

العقل فيها.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعجيب وتقرير لقصتهم.

﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾: أي آلاف كثيرة.

﴿حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾: أي أماتهم الله، وهذا مثل قوله سبحانه:

«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(١).

﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾: في الكافي: عن الباقر والصادق عليه السلام: إن هؤلاء أهل مدينة من

مدائن الشام وكانوا سبعين ألف بيت، وكان الطاعون يقع فيهم في كل أوان، فكانوا إذا أحسوا به خرج من المدينة الأغنياء لقوتهم، وبقي فيها الفقراء لضعفهم، فكان الموت يكثر في الذين أقاموا ويقل في الذين خرجوا، فيقول الذين خرجوا: لو كنا أقننا لكثير فينا الموت، ويقول الذين أقاموا: لو كنا خرجنا لقل فينا الموت، قال: فاجتمع رأيهم جميعاً أنه إذا وقع الطاعون وأحسوا به خرجوا كلهم من المدينة، فلما أحسوا الطاعون خرجوا جميعاً وتحتوا عن الطاعون حذر الموت فساروا في البلاد ما شاء الله، ثم إنهم مروا بمدينة خربة قد جلا أهلها عنها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها فلما حطوا رحالهم واطمأنوا قال لهم الله عز وجل: «موتوا جميعاً» فماتوا من ساعتهم وصاروا رمياً يلوح، وكان على طريق المارة فكنتهم المارة فتحوهم وجمعوهم في موضع فزبهم نبي من أنبياء بني إسرائيل

يقال له: حزقيل^(١)، فلما رأى تلك العظام بكى واستعبر، وقال: يا رب لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتهم فعمروا بلادك، وولدوا عبادك، وعبدوك مع من يعبدك من خلقك، فأوحى الله إليه أفتحب ذلك؟ قال: نعم يا رب، فأحياهم الله، قال فأوحى الله عز وجل أن قل: كذا وكذا، فقال الذي أمره الله عز وجل أن يقوله، قال: قال أبو عبدالله: وهو الاسم الأعظم، فلما قال حزقيل ذلك، نظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض فعادوا أحياء ينظر بعضهم إلى بعض يستبشرون الله عز وجل ويكبرونه ويهللونه، فقال حزقيل عند ذلك: أشهد أن الله على كل شيء قدير، قال الراوي: فقال أبو عبدالله عليه السلام: فيهم نزلت هذه الآية^(٢).

وفي العوالي: عن الصادق عليه السلام في حديث يذكر فيه نيروز الفرس، قال: ثم إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل سأل ربه أن يحيي القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأماهم الله، فأوحى الله إليه أن صب الماء في مضاجعهم، فصب عليهم الماء في هذا اليوم فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً، فصار صب الماء في يوم النيروز سنة ماضية لا يعرف سببها إلا الراسخون في العلم^(٣).

وفي المجمع: سئل الباقر عليه السلام عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا، ثم أحياهم، فقال^(٤): أحياهم حتى نظر الناس إليهم ثم أماتهم أم ردهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام؟ قال: لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور، وأكلوا الطعام، ونكحوا النساء، ومكثوا بذلك ما شاء الله، ثم ماتوا بآجالهم^(٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: حيث يبصرهم ما يعتبرون به.
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لا يعتبرون.

١ - حزقيل - بالحاء المهملة والزاء المعجمة - على وزن زنبيل، ويحيى على وزن زرج، كذا في القاموس. منه ^{بعض}.
راجع القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٥٧، مادة «حزقل»، وفيه: حزقيل - كزبرج وزنبيل - اسم نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢ - الكافي: ج ٨، ص ١٩٨ - ١٩٩، ح ٢٣٧.

٣ - عوالي اللئالي: ج ٣، ص ٤٠ - ٤١، ح ١١٦.

٤ - أي قال السائل، وهو حران بن أعين.

٥ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٤٧.

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: فَإِنَّ الْفَرَارَ مِنَ الْمَوْتِ غَيْرَ مَخْلَصٍ مِنْهُ ^(١).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لَمَّا يَقُولُهُ الْمُخَلَّفُونَ وَالسَّابِقُونَ.

﴿عَلِيمٌ﴾: بِمَا يَضْمُرُونَهُ.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: مَقْرُونًا بِالْإِخْلَاصِ وَطِيبِ النَّفْسِ مِنْ

حِلَالِ طَيْبٍ.

﴿فَيُضْعِفُهُ﴾: وَقَرَأَ بِنَصْبِ الْفَاءِ.

﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾: لَا يَقْدَرُهَا إِلَّا اللَّهُ.

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾: يَمْنَعُ وَيُوسِّعُ فَلَا تَبْخُلُوا عَلَيْهِ بِمَا وَسَّعَ عَلَيْكُمْ.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فَيَجَازِيكُمْ عَلَى حَسَبِ مَا قَدَّمْتُمْ.

فِي الْفَقِيهِ: عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام: أَتَاهَا نَزَلَتْ فِي صَلَةِ الْإِمَامِ ^(٢).

وَفِي الْكَافِي: عَنْهُ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِخْرَاجِ الدَّرَاهِمِ إِلَى الْإِمَامِ وَأَنْ

اللَّهُ لِيَجْعَلَ لَهُ فِي الدَّرَاهِمِ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ جَبَلٍ أَحَدٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: «مَنْ ذَا الَّذِي

يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً»، قَالَ: هُوَ وَاللَّهُ فِي صَلَةِ الْإِمَامِ خَاصَّةً ^(٣).

وَفِي الْمَعَانِي ^(٤)، وَالْمَجْمَعُ عَنْهُ عليه السلام لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ

١- وفي نسخة: [غير مخلص عنه].

٢- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٤٢، ح ١٨٩ / ١، باب ٢٠- ثواب صلة الإمام عليه السلام.

٣- الكافي: ج ١، ص ٥٣٧، ح ٢، باب صلة الإمام عليه السلام.

٤- معاني الأخبار: ص ٣٩٧-٣٩٨، ح ٥٤.

أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ
هَٰمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِثَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ
الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا»^(١) قال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ زدني، فأنزل الله سبحانه «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»^(٢)، فقال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ زدني، فأنزل الله عز وجل: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً» فعلم رسول الله ﷺ إنَّ الكثير من الله لا يحصى وليس له منتهى^(٣).

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾: ألم ينته علمك يا محمد إلى جماعة الأشراف من بني إسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام.
﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هَٰمْ﴾: في المجمع: عن الباقر عليه السلام: هو اشموئيل، وهو بالعربية: إسماعيل^(٤).

﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِثُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أقم لنا أميراً نهض معه للقتال^(٥)، ندبر أمره ونصدر فيه عن رأيه.

في المجمع^(٦)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام قال: كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود، والنبي يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربه^(٧).

٢- الأنعام: ١٦٠.

١- النمل: ٨٩.

٤- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٥٠، س ٣٠.

٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٤٩، س ٥.

٦- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٥١، س ٤.

٥- وفي نسخة: [نهض للقتال معه].

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٢، ح ٤٣٧.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾: أن لا تحبوا ولا تفوا، وهذا كآخذ العهد عليهم.

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾: بالسبي، والقهر على نواحيننا.

﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بَانْظِلِّمِينَ﴾: تهديد لمن تولَّوا.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾: من أين يكون له ذلك ويستأهل.

﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾: ورائه ومكنه.

﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: فضيلة وسعة.

﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه.

﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يليق بالملك لما استبعدوا تملكه لفقره رد عليهم بأن العمدة فيه اصطفاء الله، وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح، وبأن الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية، وجسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب، وأقوى على مقاومة العدو.

ومكابدة الحروب، لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيها^(١).

قيل: وكان الرجل القائم يده فينال رأسه وبأنه تعالى مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتیه من يشاء وبأنه واسع الفضل يغنيه عليم به إذ يصطفيه^(٢).

القمتي: عن الباقر عليه السلام: إن بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي، وغيروا دين الله، وعتوا عن أمر ربهم، وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه^(٣).

وروي أنه كان إرميا النبي عليه السلام^(٤) فسلب الله عليهم جالوت وهو من القبط فآذاهم وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم وأخذ أموالهم واستعبد نساءهم ففرغوا إلى نبيهم وقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، وكانت النبوة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر، ولم يجمع الله لهم النبوة والملك في بيت واحد، فن ذلك قالوا: «أُبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتِيلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فقال: لهم نبيهم «هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأُتْبِئْنَا» وكان كما قال الله تعالى: «فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ» قال: «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا»، فغضبوا من ذلك و«قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ».

وكانت النبوة في ولد لاوي، والملك في ولد يوسف عليه السلام، وكان طالوت من ولد ابن يامين أخي يوسف لأمه ولم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة، قال لهم نبيهم: «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»، وكان أعظمهم جسماً، وكان شجاعاً قوياً، وكان أعلمهم، إلا أنه كان فقيراً فعاوبوه بالفقر، فقالوا: «لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ»^(٥).

١- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٩، س ١٨.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٢٩.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٨١.

٤- قوله وروي أنه كان إرميا النبي عليه السلام: كأنه من كلام القمي اعترض الحديث. منه بعض.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٨١.

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ﴾: قال ﷺ: وكان التابوت الذي أنزل الله على موسى فوضعه فيه أمه فألقته في اليم وكان في بني إسرائيل يتبركون به، فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيه فلم يزل التابوت بينهم حتى استخفوا به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات فلم يزل بنو إسرائيل في عزّ وشرف مادام التابوت بينهم، فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله عنهم فلما سألوا النبي وبعث الله طالوت إليهم ملكاً يقاتل معهم ردّ الله عليهم التابوت^(١). كما قال الله تعالى: «إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ»، قال: البقيّة: ذريّة الأنبياء^(٢). والعيّاشي: عن الصادق ﷺ: أنّه سئل عن قوله تعالى: «وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ» قال: ذريّة الأنبياء^(٣).

وفي الكافي^(٤)، والعيّاشي: عن الباقر ﷺ: في هذه الآية قال: رضراض^(٥) الألواح فيها العلم والحكمة، وزاد العيّاشي: العلم جاء من السماء فكتب في الألواح وجعل في التابوت^(٦). والعيّاشي: عن الرضا ﷺ أنّه قال: كان فيه ألواح موسى التي تكسّرت، والطّست التي

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٨١-٨٢. ٢- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٤٤١.

٣- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٤٤١. ٤- الكافي: ج ٨، ص ٣١٧، ح ٥٠٠.

٥- الرضراض: الفتات، من رَضَّه إذا كسره وفزقه، ورضراض الألواح: مكسوراتها، وربّما يأوّل التابوت: بالقلب، والسكينة: بالعلم والإخلاص، وإتيانه: تصيره مقرّ العلم والوقار بعد أن لم تكن. منه رَضَّ.

٦- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٤٤٠.

يغسل فيها قلوب الأنبياء^(١).

والقَمِّي: عنه، قال: السكينة: ريح من الجنة لها وجه كوجه الإنسان، وكان إذا وضع التابوت بين يدي المسلمين والكفار فإن تقدّم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتل أو يغلب، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام^(٢).

وفي المعاني: سئل الكاظم عليه السلام ما كان تابوت موسى وكما كان سعتة؟ قال: ثلاثة أذرع في ذراعين، قيل: وما كان فيه؟ قال: عصا موسى والسكينة، قيل: وما السكينة؟ قال: روح الله يتكلّم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلّمهم وأخبرهم ببيان ما يريدون^(٣).

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ السكينة التي كانت فيه ريح هفّافة^(٤) من الجنة لها وجه كوجه الإنسان^(٥).

وعن الباقر عليه السلام: إنّ البقيّة: عصا موسى، ورضراض الألواح^(٦).

وفي الكافي: عنه عليه السلام: فجاءت به الملائكة تحمله^(٧).

وفي رواية: تحمله في صورة البقرة^(٨).

وعن الصادق عليه السلام: قال: إنّما مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل، كانت بنو إسرائيل أي أهل بيت وجد التابوت على بابهم أوتوا النبوة فمن صار إليه السلاح منّا أوتي الإمامة^(٩).

وفي رواية: حيث ما دار التابوت في بني إسرائيل دار الملك، وأينما دار السلاح فينا دار الملك والعلم^(١٠).

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٤٤٢. ٢ - تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٢.

٣ - معاني الأخبار: ص ٢٨٤ - ٢٨٥، ح ٢، باب معنى السكينة.

٤ - الهفّافة: هي التي يسمع صوت منها. منه هَفَفٌ.

٥ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٥٣. ٦ - الكافي: ج ٨، ص ٣١٦، ح ٤٩٨.

٧ - الكافي: ج ٨، ص ٣١٧، ح ٤٩٩.

٨ - الكافي: ج ١، ص ٢٣٨، ح ١، باب إنّ مثل سلاح رسول الله مثل التابوت في بني إسرائيل.

٩ - الكافي: ج ١، ص ٢٣٨، ح ٢، باب إنّ مثل سلاح رسول الله مثل التابوت في بني إسرائيل.

وفي أخرى: سئل الكاظم عليه السلام ما السكينة؟ فقال: ريج تخرج من الجنة لها صورة كصورة الإنسان ورائحة طيبة، وهي التي نزلت على إبراهيم فأقبلت تدور حول أركان البيت، وهو يضع الأساطين^(١)، فقيل له هي التي قال الله تعالى: «فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ»، قال: وتلك السكينة في التابوت، وكان فيه طست يغسل فيه قلوب الأنبياء، وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء، ثم أقبل علينا، فقال: ما تابوتكم؟ قلنا: السلاح، قال: صدقتم هو تابوتكم^(٢).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه، وزاد بعد ذكر الآية قال: هي من هذا^(٣). وفي المجمع: عن الصادق عليه السلام: كان التابوت في أيدي أعداء بني إسرائيل من العالقة غلبوهم عليه لما مرج^(٤) أمر بني إسرائيل وحدثت فيهم الأحداث، ثم انتزع الله من أيديهم وردّه على بني إسرائيل تحمله الملائكة^(٥).

قال: وقيل: وفي رواية أنّ السكينة لها جناحان ورأس كرأس الهرة من الزبرجد والزمرد^(٦). وروي ذلك في أخبارنا.

قال: والظاهر أنّ السكينة: أمانة وطمأنينة، جعلها الله سبحانه فيه ليسكن إليه بنو إسرائيل، والبقية: جائز أن يكون بقية من العلم أو شيئاً من علامات الأنبياء، وجائز أن يتضمّنهما جميعاً^(٧).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: إمّا من تمام كلام النبي صلى الله عليه وآله أو خطاب من الله.

١- وفي نسخة: [وهو يصنع الأساطين]. والأساطين: جمع اسطوانة، كما ورد في مجمع البحرين: ج ٦، ص ٢٦٤. «مادة سطن».

٢- الكافي: ج ٣، ص ٤٧١-٤٧٢، ح ٥، باب صلاة الإستخارة، والرواية عن الإمام الرضا عليه السلام، وفيه: «وكانت فيه طست تغسل فيها قلوب الأنبياء». ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٣، ح ٤٤٢.

٤- المرج: الخلط، ومنه «المرج والمرج»، مجمع البحرين: ج ٢، ص ٣٢٩، مادة «مرج».

٥- مجمع البيان: ج ١، ص ٣٥٣. ٦- مجمع البيان: ج ١، ص ٢-٣٥٣.

٧- القائل هو الطبرسي في مجمع البيان: ج ١، ص ٢-٣٥٣.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾: انفصل بهم عند بلده لقتال العمالة، وأصله فصل

نفسه عنه، ولكن لما أكثر حذف مفعوله صار كاللازم.

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾: مختبركم.

﴿بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾: فليس من جمعتي وأشياعي.

﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾: لم يذقه.

﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾: استثناء من قوله: «فمن شرب منه»،

ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد، وقرئ غرفة بالفتح.

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾: إلا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً منهم من

اغترف، ومنهم من لم يشرب، كذا في الكافي^(١)، والعياشي عن الباقر^(٢).

وروي: أن من اقتصر على الغرفة كفته لشربه وأداوته، ومن لم يقتصر غلب عطشه

واسودت شفته، ولم يقدر أن يعضي، وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة^(٣).

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ﴾: تخطى النهر طالوت.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٤، ح ٤٤٣.

١- الكافي: ج ٨، ص ٣١٦، ح ٤٩٨.

٣- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣١؛ وتفسير أبو السعود: ج ١، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَبَيَّنَ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾: يعني القليل من أصحابه ورأوا كثرة عدد جنود جالوت.

﴿قَالُوا﴾: قال الذين اغترفوا.

﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ: الذين كانوا

يتيقنون.

﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ﴾: وهم الذين لم يغترفوا.

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ * وَلَمَّا
بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ^(١) عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَيَّنَ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ
الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ: القمي: عن الرضا عليه السلام أوحى الله إلى نبيهم أن
جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى عليه السلام، وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب، اسمه
داود بن آشي^(٢) وكان آشي راعياً، وكان له عشر بنين أصغرهم داود، فلما بعث طالوت إلى بني

١- أفرغ: أي أصب علينا صبراً لكي نصبر على الجهاد.

٢- ورد في تفسير القمي اسمه: داود بن آسي دون آشي؛ وفي مجمع البيان: ج ١، ص ٣٥٧؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣١؛ وتفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٤٤؛ إيشي، بالياء ثم المعجمة، فيحتمل أن يكونن عبرياً. و«آسي» معرباً له. منه عليه السلام.

إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى آشي أن أحضر وأحضر ولدك، فلما حضروا دعا واحداً بعد واحد من ولده فألبسه الدرع درع موسى، فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه، فقال لآشي هل خلّفت من ولدك أحداً؟ قال: نعم، أصغرهم تركته في الغنم راعياً، فبعث إليه فجاء به فلما دعا أقبل ومعه مقلّاع، قال: فناداه ثلاث صخرات في طريقه، فقالت: يا داود خذنا فأخذها في مخلاته، وكان شديد البطش قوياً في بدنه شجاعاً، فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه، ففصل طالوت بالجنود.

وقال لهم نبيهم: يا بني إسرائيل إن الله مبتليكم بنهر في هذه المفاضة فمن شرب منه فليس من حزب الله، ومن لم يشرب فهو من حزب الله، إلّا من اغترف غرفة بيده، فلما وردوا النهر أطلق الله لهم أن يغترف كلّ واحد منهم غرفة، «فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ» فالذين شربوا منه كانوا ستين ألفاً، وهذا امتحان امتحنوا به كما قال الله عزّ وجلّ^(١).

وعن الصادق عليه السلام إنه قال: القليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً^(٢)، فلما جاوزوا النهر ونظروا إلى جنود جالوت قال الذين شربوا منه: «لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ» وقال الذين لم يشربوا: «رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ»، فجاء داود فوقف بجذاء جالوت، وكان جالوت على الفيل، وعلى رأسه التاج، وفي جبهته ياقوته يلمع نورها، وجنوده بين يديه فأخذ داود من تلك الأحجار حجراً فرمى به ميمنة جالوت فر في الهواء ووقع عليهم فانهزموا، وأخذ حجراً آخر فرمى به ميسرة جالوت فانهزموا، فرمى جالوت بحجر فضكّ الياقوتة في جبهته، ووصلت إلى دماغه، ووقع على الأرض ميتاً، وهو قوله تعالى: «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ»^(٣).

وفي رواية العياشي: أن داود لما دخل العسكر سمعهم يتعظّمون أمر جالوت، فقال لهم:

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٨٢.

٢- هذا منافي لما سبق من الكافي والعياشي من أن هذه العدة لمن اغترف. منه عليه السلام.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٨٢-٨٣.

ما تعظمون من أمره؟ فوالله لئن عايينته لأقتلنّه، فتحدّثوا بخبره حتّى أدخل على طالوت، فقال: يا فتى وما عندك من القوّة وما جرّبت من نفسك؟ قال: كان الأسد يعدو على شاة من غنمي فأدركه فأخذ برأسه فأفكّ لحية منها فأخذها من فيه، قال: فقال أدع لي بدرع سابقة^(١)، قال: فأتى بدرع فقفذها في عنقه فتملأ منها، قال: فقال طالوت: والله لعسى الله أن يقتله به، قال: فلمّا أن أصبحوا ورجعوا إلى طالوت والتقى الناس قال داود: أروني جالوت، فلمّا رآه أخذ الحجر فجعله في مقدافه فرماه فصكّ به بين عينيّه فدمغه^(٢) فنكّس على دابته، وقال الناس: قتل داود جالوت، وملك الناس حتّى لم يكن يسمع لطالوت ذكر، واجتمعت بنو إسرائيل على داود وأنزل الله عليه الزبور، وعلمّه صنعة الحديد وليّته له^(٣).

﴿وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ﴾: وقرئ دفاع الله، قيل: أي بنصر المؤمنين على الكفّار^(٤).

وقيل: أي يدفع الهلاك بالبرّ عن الفاجر^(٥).

وفي المجمع: روى الثاني عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٦).

﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾: لعن الكفر والهلاك.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: في الكافي^(٧)، والعيّاشي: عن

الصادق عليه السلام قال: إنّ الله ليدفع بن يصلي من شيعتنا عمّن لا يصلي من شيعتنا، ولو اجتمعوا على ترك الصلاة هلكوا، وإنّ الله ليدفع بن يزكي من شيعتنا عمّن لا يزكي، ولو اجتمعوا على ترك الزكاة هلكوا، وإنّ الله ليدفع بن يحجّ من شيعتنا عمّن لا يحجّ، ولو اجتمعوا على ترك الحجّ هلكوا، وهو قول الله عزّ وجلّ: «وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ

١- درع سابقة: أي تامّة طويلة، وفي الصحاح: ج ٤، ص ١٣٢١، السابقة: الدرع الواسعة. منه يترى.

٢- دمغه دمغاً: شجّه حتّى بلغت الشجّة الدماغ. الصحاح: ج ٤، ص ١٣١٨، مادة «دمغ».

٣- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٣٤-١٣٥، ح ٤٤٥.

٤- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣١.

٥- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٣٥٧.

٦- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٣٥٧.

٧- الكافي: ج ٢، ص ٤٥١، ح ١، باب إنّ الله يدفع بالعامل عن غير العامل.

تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾

اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» فوالله ما نزلت إلّا فيكم ولا عني بها غيركم (١).

وفي المجمع: عن النبي ﷺ لولا عباد رُكَّع، وصبيان رُضَّع، وبهائم رُتَّع، لصبَّ عليكم العذاب صبّاً (٢).

وعنه ﷺ: إنّ الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده، وأهل دويرته، ودويرات حوله، لا يزالون في حفظ الله مادام فيهم (٣).

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ﴾: إشارة إلى ما قصّ من حديث الألوف، وتجليك طالوت، وإتيان التابوت، وإنهزام الجبابرة، وقتل جالوت على يد صبي.

﴿تَنْتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾: بالوجه المطابق الذي لا يشكّ فيه أهل الكتاب لأنّه في كتبهم كذلك.

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: حيث تخبر بها من غير تعرّف واستماع.

١- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٥، ح ٤٤٦. ٢- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٣٥٧.

٣- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٣٥٧.

﴿تِلْكَ أَلُمُّهُ﴾: إشارة إلى الجماعة المذكورة قصصها في السورة.
 ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره.
 ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾: من غير سفير كموسى عليه السلام ليلة الحيرة في الطور، ومحمد ﷺ ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أو أدنى، وبينهما بون بعيد.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾: بأن فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة كمحمد ﷺ حيث أوتي ما لم يؤت أحد من المعجزات المرتقية إلى الألف وأكثر، وبعث إلى الجن والإنس، وخصص بالمعجزة القائمة إلى يوم القيامة.

وفي العيون: عن النبي ﷺ ما خلق الله خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني، قال علي صلوات الله عليه: فقلت: يا رسول الله أفأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: إن الله تعالى فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي والأئمة من بعدك، وإن الملائكة لخدّامنا وخدام محبينا^(١).

﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾: كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.
 ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: جبرئيل كما مرّ في تفسير الإمام عليه السلام^(٢).
 ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد الرسل.
 ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الواضحات لاختلافهم في الدين، وتفضيل بعضهم بعضاً.

﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ﴾: بالترام دين الأنبياء.
 ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾: لإعراضه عنه.
 ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا﴾: كثره للتأكيد.
 ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: من الخذلان والعصمة عدلاً وفضلاً.

١ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٢، ح ٢٢، باب ٢٦ - ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتى.

٢ - تفسير الإمام العسكري: ص ٣٧١، ذيل الآية ٨٧ من البقرة.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾

في الكافي: عن الباقر عليه السلام: وفي هذا ما يستدل به على أن أصحاب محمد عليه السلام قد اختلفوا من بعده، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر^(١).

والعياشي: سئل عن أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل كبر القوم وكبرنا، وهلل القوم وهللنا، وصلى القوم وصلينا، فعلام نقاتلهم؟ فتلا هذه الآية، ثم قال: نحن الذين من بعدهم، وقال: فنحن الذين آمنّا، وهم الذين كفروا^(٢).

وفي رواية، قال: فلما وقع الاختلاف، كنّا نحن أولى بالله عزّ وجلّ وبالنبي عليه السلام، وبالكتاب، وبالحقّ، فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم بمشيئته وإرادته^(٣).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾: وقرئ بالفتح فيها أجمع، أي من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم، والخلاص من عذابه إذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه، وتفتدون به من العذاب، ولا خلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم أو يسامحونكم به لأنّ الأخلاء «يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ»^(٤)، و«لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ»^(٥)، ولا شفاعة إلا لمن «إِذْنٌ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرِضَىٰ لَهُ قَوْلًا»^(٦)، حتى تتكلموا على شفاء تشفع لكم في حطّ ما في ذمكم^(٧).

١- الكافي: ج ٨، ص ٢٧٠، ح ٣٩٨. ٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٦، ح ٤٤٨.

٣- الأماشي للشيخ الطوسي: ص ١٩٨، ح ٣٣٧/٣٩، المجلس السابع.

٤- زخرف: ٦٧. ٥- عبس: ٣٧.

٦- طه: ١٠٩. ٧- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٢، س ١٩.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا
بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ
عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا
يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

ويحتمل أن يكون المراد به: يوم الموت كما مر في قوله عز وجل: «وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا»^(١)، وهو أظهر.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: حيث بلغ ظلمهم بأنفسهم الغاية، وبلغ حرمانهم هذه الأمور النهائية، وهذا كما يقال: فلان هو الفقيه في البلد، يراد تقدّمه على غيره.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: هو المستحق للعبادة، لا غير.

﴿الْحَيُّ﴾: العليم القدير.

﴿الْقَيُّومُ﴾: الدائم، القائم القيام بتدبير الخلق، وحفظه، من قام به إذا حفظه.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾: نعاس، وهو الفتور الذي يتقدّم النوم.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾: بالطريق الأولى، وهو تأكيد للنوم المنفي ضمناً، والجملة نبي للتشبيه وتأکید لكونه حيّاً قيوماً.

العيّاشي: عن الصادق عليه السلام إنه رُئي جالساً متوركاً برجله على فخذه فقيل له: هذه جلسة مكروهة، فقال: لا إن اليهود قالت: إن الرب لما فرغ من خلق السماوات والأرض جلس على الكرسي هذه الجلسة ليسترخ فأنزل الله: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ»^(٢).

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: يملكها ويملك تدبيرهما تأكيد لقيوميته واحتجاج على تفرد الألوهية، والمراد - بما فيها - : ما وجد فيها داخلًا في حقيقتها أو خارجاً عنها متمكناً فيها.

في الكافي^(١)، والقمي: عن الرضا عليه السلام أنه قرأ «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مَنْ ذَا الَّذِي» الآية^(٢).
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: بيان لكبرياء شأنه، وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه، يستقل بأن يدفع ما يريد شفاعته واستكانة فضلاً من أن يعاوقه عناداً أو مناصبة.
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما كان.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: وما لم يكن بعد، كذا روى القمي عن الرضا عليه السلام^(٣).

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾: من معلوماته.

﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾: القمي: أي إلا بما يوحى إليهم^(٤).

أقول: الإحاطة بالشيء علماً أن يعلم كما هو على الحقيقة، ومجموع الحملتين يدل على تفرد العلم الذاتي التام الدال على وحدانيته.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: علمه، كذا في التوحيد^(٥).

وعن الصادق في الكافي^(٦)، والعياشي: عنه عليه السلام أنه سئل: السماوات والأرض وسع الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض؟ فقال: إن كل شيء في الكرسي^(٧).

والقمي: إنّ علياً صلوات الله عليه سئل عن هذه الآية، فقال عليه السلام: السماوات والأرض وما بينهما من مخلوق في جوف الكرسي، وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله، الحديث^(٨).

أقول: وقد يراد بالكرسي الجسم الذي تحت العرش الذي دونه السماوات والأرض،

١- الكافي: ج ١، ص ٢٨٩ - ٢٩٠، ح ٤٣٧. ٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٨٤.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٨٤. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٨٤.

٥- التوحيد: ص ٣٢٧، باب ٥٢، معنى وسع كرسيه السماوات والأرض.

٦- الكافي: ج ١، ص ١٣٢، ح ٥، باب العرش والكرسي.

٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٧، ح ٤٥٤. ٨- تفسير القمي: ج ١، ص ٨٥.

لإحتوائه على العالم الجسماني كأنه مستقرّه، والعرش فوقه كأنه سقفه.
وفي الحديث النبوي: ما السماوات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا كالحقة
ملقاة في فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة^(١).
رواه العياشي: عن الصادق عليه السلام^(٢)، وقد يراد به وعاء العرش.
وفي التوحيد: عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن العرش والكرسي ما هما؟ فقال: العرش في
وجهه هو جملة الخلق، والكرسي وعاءه، وفي وجه آخر العرش هو العلم الذي اطلع الله عليه
أنبياءه ورسله وحججه، والكرسي هو العلم الذي لم يطلع الله عليه أحد من أنبيائه ورسله
وحججه عليه السلام^(٣).
أقول: وكأن جملة الخلق عبارة عن مجموع العالم الجسماني، ووعاءه عن عالمي
الملوكوت والجبروت، لإستقراره عليهما وقيامه بهما.
وربما يقال: إن كون الكرسي في العرش لا ينافي كون العرش في الكرسي، لأن أحد
الكونين بنحو والآخر بنحو آخر، لأن أحدهما كون عقلي إجمالي، والآخر كون نفساني
تفصيلي، وقد يجعل الكرسي كناية عن الملك لأنه مستقرّ الملك^(٤).
وقد يقال إنه تصوير لعظمته تعالى وتخيل بتمثيل حسي ولا كرسي ولا قعود ولا قاعد
كقوله سبحانه: «وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»^(٥)،
وهذا مسلك الظاهريين، وما قلناه أولاً مسلك الراسخين في العلم.
﴿وَلَا يُؤْدُهُ﴾: ولا يثقله.

١- تفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٤٨؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٣.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٧، ح ٤٥٠.

٣- لم نثر عليه في التوحيد. والظاهر أنه سهو من قلمه الشريف، بل وجدناه في معاني الأخبار: ص ٢٩، ح ١، باب معنى العرش والكرسي.

٤- راجع تفسير القرآن الكريم لصدر المتألهين الشيرازي: ج ٤، ص ١٦١.

٥- الزمر: ٦٧.

٦- قاله الزمخشري في الكشاف: ج ١، ص ٣٠١، وراجع أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٣.

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْطَّغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا
انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

﴿حِفْظُهُمَا﴾: حفظه إيتاهما.

﴿وَهُوَ أَلْعَلُّ﴾: عن الأنداد، والأشباه، ولا يدركه وهم.

﴿الْعَظِيمُ﴾: المستحق بالإضافة إليه كل ما سواه، ولا يحيط به فهم.

في الخصال: عن النبي ﷺ: إِنَّ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ آيَةُ الْكَرْسِيِّ (١).

وفي المجمع (٢)، والجوامع: عن أمير المؤمنين عليه السلام سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول: من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه، وجاراه وجار جاره والأبيات حوله (٣).

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾: القمّي: أي لا يكره أحد على دينه إلا بعد أن تبين له الرشد من الغي (٤).

وقيل: يعني إن الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً فيحمله عليه، ولكن «قد تبين الرشد من الغي» تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلت الدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية، والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية، والعاقلة متى تبين له ذلك بادرت بنفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة والنجاة، ولم يحتاج

١- الخصال: ص ٥٢٤، ح ١٣، أبواب العشرين وما فوقه. الخصال التي سألت أبو ذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ.

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٦٠. ٣- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٤٠.

٤- تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٤.

إلى الإكراه والإلجاء^(١).

وقيل: إخبار في معنى النهي، أي لا تكرهوا في الدين، وهو إما عام منسوخ بقوله: «جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ»^(٢)، وإما خاص بأهل الكتاب إذا أدوا الجزية^(٣). أقول: إن أريد بالدين: التشيع كما يستفاد من حديث ابن أبي يعفور^(٤) الآتي، وأوّل تمام الآية بولايتهم عليهم السلام، فهو إخبار في معنى النهي من غير حاجة إلى القول بالنسخ والتخصيص.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطُّغُوتِ^(٥)﴾: الشيطان، كذا في المجمع عن الصادق عليه السلام^(٦).

أقول: ويعمّ كلّ ما عبد من دون الله من صنم أو صاّد عن سبيل الله، كما يستفاد من أخبار أخر، فالطاغوت فلعوت من الطغيان.

القمّي: هم الذين غصبوا آل محمد عليهم السلام حقهم^(٧).

﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: بالتوحيد، وتصديق الرسل.

﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: طلب الإمساك من نفسه بالحبل الوثيق، وهي

مستعارة للتمسك المحقّ من النظر الصحيح والدين القويم.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام هي الإيمان بالله وحده لا شريك له^(٨).

وعن الباقر عليه السلام: هي مودّتنا أهل البيت^(٩).

﴿لَا أَنْفِصَامَ هَا﴾: لا انقطاع لها. في المعاني: عن النبي صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يستمسك

بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية أخي ووصيي علي بن أبي طالب صلوات

١- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٤، س ١١.

٢- التوبة: ٧٣.

٣- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٤.

٤- الكافي: ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٦، ح ٣، باب فيمن دان الله بغير إمام من الله.

٥- الطاغوت: أصله طغيون قدم لامة على عينه وصار الطاغوت على خلاف القياس. منه يُطْغَى.

٦- مجمع البيان: ج ١، ص ٣٦٤.

٧- تفسير القمّي: ج ١، ص ٨٤.

٨- الكافي: ج ٢، ص ١٤، ح ١، باب في أنّ الصبغة هي الإسلام.

٩- المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤، ص ٣-٢.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

الله عليه، فإنه لا يهلك من أحبه وتولاه، ولا ينجو من أبغضه وعاداه^(١).

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾: بالأقوال.

﴿عَلِيمٌ﴾: بالنيات.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: متولي أمورهم.

﴿يُخْرِجُهُمْ﴾: بهدايته وتوفيجه.

﴿مِنَ الظُّلُمَةِ﴾: ظلمات الجهل، والذنوب.

﴿إِلَى النُّورِ﴾: نور الهدى، والمغفرة. في الخصال: عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، عن

أمير المؤمنين عليه السلام، قال: المؤمن يتقلب في خمسة من النور، مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومنظره يوم القيامة إلى النور^(٢).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾: في الكافي: عن الباقر عليه السلام أولياؤهم

الطاغوت^(٣).

القمي: وهم الظالمون آل محمد عليه السلام أولياؤهم الطاغوت، وهم الذين تبعوا من غضبهم^(٤).

﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَةِ﴾: قيل: من نور الفطرة إلى فساد

الإستعداد^(٥).

١- معاني الأخبار: ص ٣٦٨، ج ١، باب معنى العروة الوثقى.

٢- الخصال: ص ٢٧٧، ح ٢٠، باب ٥- المؤمن يتقلب في خمسة من النور.

٣- الكافي: ج ٨، ص ٢٨٩، ح ٤٣٦. ٤- تفسير القمي: ج ١، ص ٨٥.

٥- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٤.

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: النور: آل محمد عليهم السلام، والظلمات: عدوهم^(١).

وعن ابن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أخالط الناس فيكثر عجي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلاناً وفلاناً، لهم أمانة، وصدق، ووفاء، وأقوام يتولونكم ليست لهم تلك الأمانة، ولا الوفاء، ولا الصدق، قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً فأقبل عليّ كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر، وليس من الله ولا عتب على من دان الله بولاية إمام عادل من الله، قلت: لا دين لأولئك، ولا عتب على هؤلاء؟ قال: نعم، لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء ثم قال: ألا تسمع لقول الله عز وجل: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمام عادل من الله عز وجل، وقال: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ» إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفار^(٢).

وزاد العياشي بعد قوله: «إِلَى الظُّلُمَاتِ» قال: قلت: أليس الله عنى بهذا الكفار حين قال: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا» قال: فقال: وأي نور للكافر وهو كافر؟ فأخرج منه إلى الظلمات إنما عنى الله بهذا... إلى آخر الحديث^(٣).

«أَوَّلَتِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»: العياشي: عن الصادق عليه السلام: في آخر الحديث السابق برواية أخرى فأعداء علي أمير المؤمنين عليه السلام هم الخالدون في النار، وإن كانوا في أديانهم على غاية الورع والزهد والعبادة^(٤).

القتي: هم فيها خالدون، والحمد لله رب العالمين^(٥).

١ - لم نثر عليه في الكافي، بل وجدناه في تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٨ - ١٣٩، ح ٤٦١، وهكذا في تفسير البرهان: ج ١، ص ٢٤٤، ح ١٤.

٢ - الكافي: ج ١، ص ٣٧٥ - ٣٧٦، ح ٣، باب فيمن دان الله بغير إمام من البر.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٨، ح ٤٦٠، وإليك بقية الحديث: «إنما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفار، فقال: «أَوَّلَتِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٩، ح ٤٦٢.

٥ - تفسير القتي: ج ١، ص ٨٥.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا
 مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾^(١) تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ: تعجبت من محاجة غرود، وحماقته.
 ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾: لأن آتاه، قيل: أي أبطره إيتاؤه الملك، وحمله على
 المحاجة، أو وضع المحاجة موضع الشكر على إيتائه الملك^(٢).

في الخصال: عن البرقي مرفوعاً، قال: ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان، وكافران، أما
 المؤمنان: فإسليمان بن داود، وذو القرنين، وأما الكافران: فنمرود، وبخت نصر^(٣).

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: في المجمع: عن الصادق عليه السلام إنه كان
 بعد إلقائه في النار^(٤).

﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾: بالعفو عن القتل، والقتل.

١- اعلم إن كلاً من لفظي «ألم تر، وأرأيت» يستعمل لقصد التعجب إلا أن الأولى بالمتعجب منه، فيقال: ألم تر إلى
 الذي صنع كذا بمعنى النظر إليه فتعجب من حاله، والثانية بمنال المتعجب منه فيقال: أرأيت مثل الذي صنع كذا،
 بمعنى أنه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل، أو نظر إلى المثل وتعجب من الذي صنع، وعلى هذا لا يستقيم عطف
 كالذي مر على الذي حاج واحتجج إلى التأويل، فقليل: تقديره أو أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه
 وتخصيصه بحرف التشبيه لأنه المنكر للآحياء كثير والجاهل بكيفيته أكثر من أن تحصى بخلاف مدعي الربوبية.

وقيل: الكاف مزيدة، وتقدير الكلام: ألم تر إلى الذي حاج أو الذي مر.

وقيل: إنه عطف محمول على المعنى كأنه قيل ألم تر كالذي حاج أو كالذي مر. منه بَيِّنٌ.

٢- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٥، س ٤.

٣- الخصال: ج ١، ص ٢٥٥، ح ١٣٠، باب ملك الأرض كلها أربعة. ٤- مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٣٦٧.

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى
يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ
لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ
إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى جَحْرِكَ وَلِنَجْعَلَكَ
آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

وعنه عليه السلام: إن إبراهيم عليه السلام قال له: أحي من قتلته إن كنت صادقاً^(١).

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾: أعرض إبراهيم عليه السلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة إلى الإحتجاج بما لا يقدر فيه نحو هذا التمويه رفعاً للمشغبة، وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الإتيان بها غيره لا عن حجة إلى أخرى^(٢).

﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: فصار مهوتاً، وعلى قراءة المعلوم فغلبه.

القمي: أي انقطع وذلك أنه علم أن الشمس أقدم منه^(٣).

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: بحجة الحاجة، وسبيل النجاة، وطريق الجنة.

﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: الذين ظلموا أنفسهم بالإمتناع عن قبول الهداية.

في الكافي^(٤)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام: خالف إبراهيم عليه السلام قومه، وعاب آلهتهم حتى أدخل على غرود فخاصهم^(٥).

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾: هو أرميا النبي، وقيل: عزيز النبي^(٦).

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٦٧. ٢- اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٥.

٣- تفسير القمي: ج ١، ص ٨٦. ٤- الكافي: ج ٨، ص ٣٦٨، ح ٥٥٩.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٣٩، ح ٤٦٤. ٦- قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٥.

ونأتي الأخبار في ذلك.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: ساقط حيطانها على سقوفها.

﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي﴾: كيف يحيي؟ أو متى يحيي؟

﴿هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: اعترافاً بالعجز عن معرفة طريق الإحياء، واستعظماً

لقدرته المحيي، أراد أن يعاين إحياء الموتي ليزداد بصيرة.

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: أحياه.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ

فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغير بمرور السنين، وقرئ بحذف الهاء في

الوصل.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾: كيف تفرقت عظامه، ونحرت، وتفتتت.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾: أي: وفعلنا ذلك لنجعلك آية.

﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾: يعني عظامك.

﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾: كيف نرفع بعضها على بعض للتركيب، وقرئ ننشرها بالراء، من

أنشر الله الموتي إذا أحياهم، وننشرها - بالفتح والراء - من نشر بمعنى أنشر.

﴿ثُمَّ نَكْشُوهَا لَحْمًا﴾: من هاهنا وهاهنا كما يأتي.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: ما تبين.

﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: وقرئ أعلم على الأمر.

القمي: عن الصادق عليه السلام قال: لما عملت بنو إسرائيل بالمعاصي، وعتوا عن أمر ربهم،

أراد الله أن يسلط عليهم من يذلهم ويقتلهم، فأوحى الله إلى أرميا، يا أرميا ما بلد انتخبته من

بين البلدان وغرست فيه من كريم الشجر فأخلف فأثبت خروباً^(١) فأخبر أرميا أحبار بني

١ - يقال: خروب كتور شجرة بريّة ذات شوك. منه يخبز. وفي تاج العروس: ج ٢، ص ٣٤٧، الخروب - كتور -

نبت معروف، والخروب - بالضم على الأنصح، وقد تفتح - شجر بري وشامي بريّة يسمى الينبوتة، شوك، أي ذو شوك وهو الذي يستوقد به يرتفع قدر الذراع ذو أفنان، وحمل أهم خفيف كالنفاخ لكنّه يشع لا يؤكل <

إسرائيل، فقالوا له: راجع ربك ليخبرنا ما معنى هذا المثل، فصام أرميا سبعة فأوحى الله إليه يا أرميا أما البلد فبيت المقدس، وأما ما أنبت فيها فبنو إسرائيل الذين أسكنتهم فيها فعملوا بالمعاصي، وغيروا ديني، وبدلوا نعمتي كفرًا، فبي حلفت لأمتحنهم بفتنة يظل الحكيم فيه حيرانًا، ولأسلطن عليهم شرّ عبادي ولادة، وشرهم طعامًا، فليسلطن عليهم بالجبرية فيقتل مقاتليهم، ويسبي حريمهم، ويحزب بيتهم الذي تعيرون به، ويلقي حجرهم الذي يفتخرون به على الناس في المزابيل مائة سنة، فأخبر أرميا أحبار بني إسرائيل، فقالوا له: راجع ربك فقل له ما ذنب الفقراء والمساكين والضعفاء؟ فصام أرميا، ثم أكل أكلة فلم يوح إليه شيء، ثم صام سبعة فلم يوح إليه شيء، ثم صام سبعة فأوحى الله إليه يا أرميا لتكفن عن هذا أو لأردن وجهك إلى قفاك؟ قال: ثم أوحى الله إليه قل لهم: لأنكم رأيتم المنكر فلم تنكروه، فقال أرميا: رب علمني من هو حتى آتيه وأخذ لنفسي وأهل بيتي منه أمانًا، قال: إئت إلى موضع كذا وكذا فانزل إلى غلام أشدهم زمانًا وأخبثهم ولادة وأضعفهم جسمًا وأشرهم غداء فهو ذاك، فأتى أرميا ذلك البلد، فإذا هو بغلام في خان زمن، ملق على مزبلة وسط الخان وإذا له أم تربي بالكسر وتفتت الكسر في القصعة، وتحلب عليه خنزيرة لها، ثم تدنيه من ذلك الغلام فيأكل، فقال أرميا: إن كان في الدنيا الذي وصفه الله فهو هذا، فدنا منه فقال له: ما اسمك؟ فقال: بخت نصر^(١) فعرف أنه هو، فعالجه حتى برء، ثم قال له: تعرفني؟ قال: لا، أنت رجل صالح، قال: أنا أرميا نبي بني إسرائيل أخبرني الله أنه سيسلطك على بني إسرائيل فتقتل رجالهم وتفعل بهم

﴿إِلَّا فِي الْجَهْدِ، وَفِيهِ حَبْ صَلْبٍ زَلَالٍ وَشَامِيَّةٌ وَهُوَ النَّوْعُ الثَّانِي حَلَوٌ يُؤْكَلُ، وَلَهُ حَبٌّ كَحَبِّ الْيَنْبُوتِ إِلَّا أَنَّهُ أَكْبَرُ ذُو حِمْلٍ كَالْخِيَارِ شَبِيرٌ إِلَّا أَنَّهُ عَرِيضٌ وَلَهُ رُبٌّ وَسَوِيقٌ. وَفِي التَّهْذِيبِ: الْخَرْبُوتَةُ وَالْخَرْبُوتَةُ: شَجَرُ الْيَنْبُوتِ، وَقِيلَ: الْيَنْبُوتُ: الْخَشْخَاشُ.

١ - بخت نصر - بالشديد - : أصله بوخت، ومعناه ابن، ونصر - كَبَّمَ - : صنم وكان وجد عند الصنم ولم يعرف له أب فنسب إليه. القاموس المحيط: ج ٢، ص ١٤٣.

وفي سفينة البحار: ج ١، ص ٢٣٠، بخت نصر: روى أنه سمي بذلك لأنه رضع بلبن كلبة، وكان اسم الكلب بخت واسم صاحبه نصر، وكان مجوسياً أغلف، أغار على بيت المقدس ودخله في ستائة ألف عَلم.

وعن النبي ﷺ قال: ملك بخت نصر مائة سنة وسبعا وثمانين سنة، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريا، وحزب بيت المقدس وتفرقت اليهود في البلدان.

ما تفعل، قال: فتاه الغلام في نفسه في ذلك الوقت، ثم قال أرميا: اكتب لي كتاباً بأمان منك، فكتب له كتاباً، وكان يخرج في الليل إلى الجبل ويحتطب ويدخله المدينة ويبيعه، فدعا إلى حرب بني إسرائيل، وكان مسكنهم في بيت المقدس وأقبل بخت نصر فيمن أجابه نحو بيت المقدس وقد اجتمع إليه بشر كثير، فلما بلغ أرميا إقباله نحو بيت المقدس استقبله على حمار له ومعه الأمان الذي كتب له بخت نصر، فلم يصل إليه أرميا من كثرة جنوده وأصحابه فصير الأمان على خشبة ورفعها، فقال: من أنت؟ فقال: أنا أرميا النبي الذي بشرتك بأنك ستسلط على بني إسرائيل، وهذا أمانك لي، قال: أما أنت فقد آمنتك، وأما أهل بيتك فأني أرمي من هاهنا إلى بيت المقدس، فإن وصلت رميتي إلى بيت المقدس فلا أمان لهم عندي، وإن لم تصل فهم آمنون، وأنزع قوسه ورمى نحو بيت المقدس، فحملت الريح النشابة حتى علقتها في بيت المقدس، فقال: لا أمان لهم عندي، فلما وافى نظر إلى جبل من تراب وسط المدينة، وإذا دم يغلي وسطه كلما ألقى عليه التراب خرج وهو يغلي، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا نبي كان الله فقتله ملوك بني إسرائيل ودمه يغلي، وكلما ألقينا عليه التراب خرج يغلي، فقال بخت نصر: لأقتلن بني إسرائيل أبداً حتى يسكن هذا الدم، وكان ذلك الدم دم يحيى بن زكريا، وكان في زمانه ملك جبّار يزني بنساء بني إسرائيل، وكان يمرّ بيحيى بن زكريا، فقال له يحيى: اتق الله أيها الملك، لا يحمل لك هذا، فقالت له امرأة من اللواتي كان يزني الملك بهنّ حين سكر: أيها الملك أقتل يحيى، فأمر أن يؤتى برأسه، فأتى برأس يحيى في الطست، وكان الرأس يكلمه ويقول: يا هذا اتق الله لا يحمل لك هذا، ثم غلى الدم في الطست حتى فاض إلى الأرض فخرج يغلي ولا يسكن، وكان بين قتل يحيى وخروج بخت نصر مائة سنة، ولم يزل بخت نصر يقتلهم، وكان يدخل قرية قرية فيقتل الرجال والنساء والصبيان وكل حيوان، والدم يغلي حتى أفنى من بقى منهم، ثم قال: أبقى أحد في هذه البلاد؟ قالوا: عجوز في موضع كذا وكذا، فبعث إليها فضرب عنقها على ذلك الدم فسكن، وكانت آخر من بقي، ثم أتى بابل فبنى بها مدينة وأقام وحفر بئراً فألقى فيها دانيال وألقى معه اللبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها، وليث بذلك زماناً، فأوحى الله إلى النبي الذي كان ببيت المقدس أن اذهب بهذا الطعام والشراب إلى دانيال، وقرأه مي السلام، قال:

وأين هو يا رب؟ فقال: في بئر بابل في موضع كذا وكذا، قال: فأتاه فاطلّع في البئر، فقال: يا دانيال، قال: لبيك صوت غريب، قال: إن ربك يقرؤك السلام قد بعث إليك بالطعام والشراب فدلّاه إليه، قال: فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الذي لا يخيّب من دعاه، الحمد لله الذي من توكل عليه كفاه الحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره، الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً، الحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة، والحمد لله الذي يكشف ضررنا عند كربتنا، والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تنقطع الحيل منّا، الحمد لله الذي هو رجاؤنا حين ساء ظنّنا بأعمالنا.

قال: فأري بخت نصر في نومه كأن رأسه من حديد، ورجليه من نحاس وصدّره من ذهب.

قال: فدعا المنجمين فقال لهم: ما رأيتم؟ فقالوا: ما ندري، ولكن قصّ علينا ما رأيته في المنام، فقال: وأنا أجري عليكم الأرزاق منذ كذا وكذا ولا تدرون ما رأيتم في المنام؟ فأمر بهم فقتلوا.

قال: فقال له بعض من كان عنده: إن كان أحد شيء فعند صاحب الحب، فإنّ اللّبوّة لم تعرّض له وهي تأكل الطين وترضعه، فبعث إلى دانيال فقال: ما رأيتم في المنام، فقال: رأيتم كأنّ رأسك من كذا، ورجليك من كذا، وصدرك من كذا، قال: هكذا رأيتم فما ذاك؟ قال: قد ذهب ملكك وأنت مقتول إلى ثلاثة أيّام يقتلك رجل من ولد فارس.

قال: فقال له: إنّ عليّ لسبع مدائن على باب كلّ مدينة حرس وما رضيت بذلك حتّى وضعت بطّة من نحاس على باب كلّ مدينة لا يدخل غريب إلّا صاححت عليه حتّى يؤخذ.

قال: فقال له: إنّ الأمر كما قلت لك، قال: فبثّ الحيل وقال: لا تلقون أحداً من الخلق إلّا قتلتموه كائنات من كان، وكان دانيال جالساً عنده وقال: لا تفارقني هذه الثلاثة أيّام، فإن مضت قتلتنك فلمّا كان في اليوم الثالث ممسياً أخذه الغم فخرج فتلقاه غلام كان اتّخذ ابناً له من أهل فارس وهو لا يعلم أنّه من أهل فارس، فدفع إليه سيفه وقال له: يا غلام لا تلق أحدًا من الخلق إلّا قتلته، وإن لقيتني أنا فاقتلني فأخذ الغلام سيفه فضرب به بخت نصر ضربة فقتله،

فخرج ارميا على حماره ومعهُ تين قد تزوّده، وشيء من عصير فنظر إلى سباع البرّ وسباع البحر وسباع الجوّ تأكل تلك الجيف ففكّر في نفسه ساعة، ثم قال: «أَيُّ يُحْيِي الله هؤلاء وقد أكلتهم السباع فأَمَاتَهُ الله مكانه! وهو قول الله تعالى: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مَاءَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ» أي أحياه، فلما رحم الله بني إسرائيل وأهلك بخت نصر ردّ بني إسرائيل إلى الدنيا، وكان عزيز لما سلّط الله بخت نصر على بني إسرائيل هرب ودخل في عين وغاب فيها وبقي ارميا مئباً مائة سنة، ثم أحياه الله فأول ما أحى الله منه عينيه في مثل غرقىء البيض^(١)، فنظر فأوحى الله إليه كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً، ثم نظر إلى الشمس قد ارتفعت، فقال: أو بعض يوم، فقال الله تعالى: «بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» أي لم يتغيّر، «وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى أَلْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِّرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً»، فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفطرة تجتمع إليه، وإلى اللحم الذي قد أكلته السباع يتألف إلى العظام من هاهنا وهاهنا، ويلتزق بها حتّى قام وقام حماره، فقال: «أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢).

والعياشي: عنه عليه السلام ما يقرب من صدر هذا الحديث، وذيله من قصّة ارميا، ولم يذكر دم يحيى، ولا جبّ دانيال، بل أجل قصّة بخت نصر، قال: فسَلّط الله عليهم بخت نصر فصنع بهم ما قد بلغك، ثم بعث إلى النبي عليه السلام فقال: إنك قد نبئت عن ربك وحدثتهم بما أصنع بهم، فإن شئت فأقم عندي فيمن شئت، وإن شئت فاخرج، فقال: لا بل أخرج فتزوّد عصيراً وتيناً وخرج فلما أن غاب مدّ البصر، التفت إليها، فقال: «أَتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ» أماته غدوة وبعثه عشية قبل أن تغيب الشمس، وكان أول شيء خلق منه عيناه في مثل غرقىء البيض، ثم قيل له كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً، فلما أن نظر إلى الشمس لم تغب قال: «أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ» وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ

١ - الغرقىء - كزبرج - : القشرة الملتزمة ببياض البيض أو البياض الذي يؤكل، ومنه حديث سفيان الثوري حين دخل على أبي عبد الله عليه السلام فرأى عليه ثياباً كأنها غرقىء البيض. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٢٢٢، مادة «غرق».

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٨٦ - ٩١.

وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَنَنْظُرُ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا»، قال: فجعل ينظر إلى عظامه كيف يصل بعضها إلى بعض، ويرى العروق كيف تجري، فلما استوى قائماً «قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).

وفي الإحتجاج: عنه عليه السلام قال: وأما الله ارميا النبي عليه السلام الذي نظر إلى خراب بيت المقدس وما حوله حين غزاهم بخت نصر، فقال: «أَتُنِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامًا» ثم أحياه ونظر إلى أعضائه كيف تلتئم، وكيف تلبس اللحم، وإلى مفصله وعروقه كيف توصل، قال: فلما استوى قاعداً «قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢).

وفي الإكمال: عنه عليه السلام قال: وتصديق ذلك من كتاب الله، إن الآيات: هم الحجج، قول الله عز وجل: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً»^(٣) يعني حجة^(٤).

وقوله عز وجل لأرميا حين أحياه الله من بعد أن أماته: «وَنَنْظُرُ إِلَى جِثَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ» يعني حجة^(٥).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث قد ذكر فيه بخت نصر، وقتله من قتل من اليهود على دم يحيى بن زكريا في سبعة وأربعين سنة من ملكه، قال: فبعث الله تعالى العزيز نبياً إلى أهل القرى التي أمات الله عز وجل أهلها، ثم بعثهم له وكانوا من قرى شتى فهربوا فرقاً من الموت، فقتلوا في جوار عزيز وكانوا مؤمنين، وكان يختلف إليهم ويسمع كلامهم وإيمانهم وأحبهم على ذلك وأخاهم عليه فغاب عنهم يوماً واحداً، ثم أتاهم فوجدهم صرعى موتى فحزن عليهم وقال «أَتُنِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا» تعجباً منه حيث أصابهم وقد ماتوا أجمعين في يوم واحد، فأماته الله عز وجل عند ذلك مائة عام فلبث فيهم مائة سنة، ثم بعثهم وكانوا مائة ألف مقاتل،

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤٠، ح ٤٦٦.

٢ - الإحتجاج: ج ٢، ص ٨٨، احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شق من العلوم الدينية على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

٣ - المؤمنون: ٥٠.

٤ - إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٣٠ في مقدمة المصنف.

٥ - إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٣٠، في مقدمة المصنف، وفيه: «عزيز» بدل ارميا.

ثم قتلهم الله أجمعين لم يفلت منهم أحد على يدي بخت نصّر^(١).

وعنه عليه السلام في حديث قد ذكر فيه تسلط بخت نصّر على بني إسرائيل، وقتله إيتاهم وسببه ذراريهم، واصطفائه من السبي دانيال، وعزيراً، وهما صغيران، وكان دانيال أسيراً في يده تسعين سنة، ثم ذكر إلقاءه إياه في الحب، ثم إخراجهم منها بعد حين على نحو آخر غير ما في رواية القمي، ثم قال: وفوض النظر إليه في أمور ممالكه، والقضاء بين الناس، ولم يلبث إلا قليلاً حتى مات، وأفضى الأمر بعده إلى عزير، فكانوا يجتمعون إليه، ويأمنون به، ويأخذون عنه معالم دينهم، فغيب الله عنهم شخصه مائة عام ثم بعثه^(٢).

وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: إن عزيراً خرج من أهله وامراته حامل، وله خمسون سنة، فأماته الله مائة سنة، ثم بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين، وله ابن له مائة سنة فكان ابنه أكبر منه، فذلك من آيات الله^(٣).

والعياشي: أن ابن الكوا قال لعل عليه السلام: يا أمير المؤمنين ما ولد أكبر من أبيه من أهل الدنيا قال: نعم أولئك ولد عزير حيث مرّ على قرية خربة، وقد جاء من ضيعة له، تحت حمار، ومعه سلّة فيها تين وكوز فيه عصير، فرّ على قرية خربة فقال: «أَتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ» فتوالد ولده وتناسلوا، ثم بعثه الله إليه فأحياه في المولد الذي أماته فيه، فأولئك ولده أكبر من أبيهم^(٤).

وروى أنه أتى قومه على حماره، وقال: أنا عزير فكذبوه، فقرأ التوراة من الحفظ، ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك، فقالوا: هو ابن الله^(٥).

وقيل: لما رجع إلى منزله كان شاباً وأولاده شيوخاً، فإذا حدّثهم بحديث، قالوا: حديث مائة سنة^(٦).

١- إكمال الدين وإقام النعمة: ص ٢٢٥-٢٢٦، ح ٢٠، الباب ٢٢- إن الأرض لا تخلو من حجة الله.

٢- إكمال الدين وإقام النعمة: ص ١٥٧-١٥٨، ح ١٧، باب ٧- في وقوع الغيبة بالأوصياء.

٣- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٧٠. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤١، ح ٤٦٨.

٥- الكشف: ج ١، ص ٣٠٧؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٦.

٦- الكشف: ج ١، ص ٣٠٧؛ وأنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٦.

أقول: ويمكن التوفيق بين هذه الأخبار بالقول بوقوع هذه القضية مرتين. مرةً لأرميا في تعجبه في إحياء قتلى بخت نصر^(١). وأخرى لعزير في تعجبه في إحياء من مات من أصحابه في يوم واحد^(٢)، إلا أنه عبرت لأرميا بالموت^(٣)، ولعزير تارة بالغيبة^(٤)، وأخرى بالموت^(٥). وإنما التنافي بين رواية القمي في قصّة دانيال^(٦)، ورواية الإكمال فيها^(٧)، وبين روايتي الإكمال حيث قيل في إحداهما إنَّ قتل بخت نصر كان على دم يحيى بن زكريّا^(٨)، موافقاً للقمي^(٩) والعيّاشي^(١٠).

وقال في الأخرى: إن ولادة يحيى كانت بعد تلك القضايا بسنين^(١١)، والعلم عند الله^(١٢).

١- أنظر الإحتجاج: ج ٢، ص ٨٨، إحتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

٢- أنظر إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٥-٢٢٦، باب ٢٢- اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام.

٣- أنظر الإحتجاج: ج ٢، ص ٨٨، إحتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية على أصناف كثيرة من أهل الملل والديانات.

٤- أنظر تفسير القمي: ج ١، ص ٨٦-٩١، وإكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٥٨.

٥- أنظر مجمع البيان: ج ١-٢، ص ٣٧٠، وإكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢٢٥-٢٢٦.

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ٨٦-٩١.

٧- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٥٧-١٥٨، باب ٧- ذكر مضي موسى عليه السلام ووقوع الغيبة بالأوصياء.

٨- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ١٥٧-١٥٨، باب ٧- ذكر مضي موسى عليه السلام ووقوع الغيبة بالأوصياء.

٩- تفسير القمي: ج ١، ص ٨٦-٩١.

١٠- ليس في رواية العيّاشي ذكر دم يحيى حتّى يكون موافقاً للإكمال والقمي، فراجع. والظاهر أنّه سهو من قلمه الشريف، أو النسخ.

١١- إكمال الدين وإتمام النعمة: ص ٢١٣، باب ٢٢- اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام. وقد ورد فيه: «وأوصى آصف بن برخيا إلى زكريّا، ودفعها زكريّا إلى عيسى بن مريم عليه السلام، وأوصى عيسى إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريّا، وأوصى يحيى بن زكريّا إلى منذر».

١٢- ومما يؤيده ما في التفسير ما رواه في الإكمال أيضاً في موضع آخر ص ٢٢٥-٢٢٦، عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل بعد أن ذكر أن الله استودع علمه وحكته بعد عيسى شمعون بن حمون الصفا، وبعده يحيى بن زكريّا، وبعده ولد شمعون، وبعده في ذرية يعقوب بن شمعون، قال: وعند ذلك ملك بخت نصر مائة سنة وسبعاً وثمانين سنة، وقتل من اليهود سبعين ألف مقاتل على دم يحيى بن زكريّا، وخرّب بيت المقدس، وتفرقت اليهود في البلدان منه عليه السلام.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ
تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً
مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ
جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾: إِنَّمَا سَأَلَ ذَلِكَ لِيَصِيرَ عِلْمُهُ عَيَانًا.

﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾: بِأَنِّي قَادِرٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ بِإِعَادَةِ التَّرَكِيبِ وَالْحَيَاةِ؟ قَالَ لَهُ ذَلِكَ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ أَغْرَقَ النَّاسَ ^(١) فِي الْإِيمَانِ وَأَثْبَتَهُمْ لِيَجِيبَ بِمَا أَجَابَ، فَيَعْلَمُ السَّامِعُونَ غَرَضَهُ ^(٢).

﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾: أَيُّ بَلَى آمَنْتَ، وَلَكِنْ سَأَلْتُ لِأَزِيدَنَّ بَصِيرَةَ وَسُكُونِ قَلْبِي بِمَضَامَةِ الْعَيَانِ إِلَى الْوَحْيِ وَالْبَيَانِ ^(٣).

فِي الْمَحَاسِنِ ^(٤)، وَالْعِيَاشِي: سَأَلَ الرِّضَا عليه السلام أَكَانَ فِي قَلْبِهِ شَكٌّ؟ قَالَ: لَا، وَكَانَ عَلَى يَقِينٍ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ فِي يَقِينِهِ ^(٥).

١ - أغرق الناس: أي أثبتهم، والعطف تفسيري. منه عليه السلام. وقال أيضاً في هامش المخطوط: والأغرق - بالعين المعجمة والراء المهملة والقاف - : المبالغ في الشيء، وقال الفيومي: أغرق في الشيء: بالغ فيه وأطنب، المصباح المنير: ص ٤٤٦.

٢ - اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٦، وفيه: «أغرق الناس».

٣ - اقتباس من أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٦.

٤ - المحاسن: ج ١، ص ٣٨٥، ح ٢٥٣/٨٥١، باب اليقين والصبر في الدين.

٥ - تفسير العيَاشي: ج ١، ص ١٤٣، ح ٤٧١.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾: فاملهن واضمهن، وقرئ بكسر

الصاد.

﴿إِلَيْكَ﴾: لتأملها وتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء.

﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾: قطعهن واخلطن وفترق الأعضاء^(١)

على الجبال، وقرئ جزءاً مثقلاً مهموزاً ومشدداً.

﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ﴾: قل لهن: تعالين بإذن الله.

﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾: ساعيات مسرعات.

﴿وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يعجز عما يريد.

﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويدبره.

في الكافي^(٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام لما رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات

والأرض التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البر، تجيء سباع

البحر فتأكل فيما في الماء^(٣) ثم ترجع فيشدد بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، وتجيء

سباع البر فتأكل منها فيشدد بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فعند ذلك تعجب

إبراهيم عليه السلام مما رأى وقال: «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى»، قال: كيف تخرج ما تناسل التي

أكل بعضها بعضاً؟ «قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» يعني حتى أرى هذا كما

رأيت الأشياء كلها، «قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ

جُزْأً» فقطعنهن واخلطن كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكل بعضها بعضاً فخلط

«ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً» * ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا» فلما دعاهن أجبنه، وكان

الجبال عشرة^(٤).

١- وفي بعض النسخ: [الأجزاء].

٢- الكافي: ج ٨، ص ٣٠٥، ح ٤٧٣.

٣- وفي نسخة: [ما في الماء] كما في المصدر، وهذا هو الأصح.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤٢، ح ٤٦٩.

وفي العيون: عن الرضا عليه السلام إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم أني متخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبتة، فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنه ذلك الخليل، فقال: «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَبْطِئَنَّ قُلُوبِي عَلَى الْخَلَّةِ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا * ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»، فأخذ إبراهيم عليه السلام نسرًا، وبطًا، وطاوسًا، وديكًا، فقطعهنّ وخلطهنّ، ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله، وكانت عشرة منهنّ جزءًا، وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثم دعاهنّ بأسمائهنّ، ووضع عنده حبًا وماءً ففتطيرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان، وجاء كلّ بدن حتّى انضمّ إلى رقبته ورأسه، فخلّى إبراهيم مناقيرهنّ^(١) فطرن ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ، وقلن: يا بني الله أحيينا أحياك الله، فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير^(٢).

والعياشي: عن الصادق عليه السلام في حديث: إن إبراهيم عليه السلام دعا بمهراس^(٣) فدقّ فيه الطير جميعاً، وحبس الرؤوس عنده، ثمّ إنّه دعا بالذي أمر به فجعل ينظر إلى الريش كيف يخرج؟ وإلى العروق عرفاً عرفاً حتّى خرج جناحه مستويًا فأهوى نحو إبراهيم، فقال إبراهيم ببعض الرؤوس فاستقبله به، فلم يكن الرأس الذي استقبله لذلك البدن حتّى انتقل إليه غيره فكان موافقاً للرأس فتمتّ العدة وتمّت الأبدان^(٤).

١ - وفي نسخة: [فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ]، وهكذا في المصدر.

٢ - عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٩٨، ح ١، باب ١٥ - ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٣ - المهراس - بكسر الميم -: حجر مستطيل ينقر ويدق فيه ويتوضّأ منه وقد استعير للخشبة التي يدق فيها الحبّ، فقيل لها مهراس على التشبيه. المصباح المنير: ص ٦٣٧. ونحوه ورد في لسان العرب: ج ١٥، ص ٧٥، فراجع.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤٣ - ١٤٤، ح ٤٧٣.

وفي الخصال^(١)، والعيّاشي: عنه عليه السلام إنه أخذ الهدهد، والصرد^(٢)، والطاووس، والغراب، فذبحهنّ وعزل رؤوسهنّ، ثمّ نَحَرَ^(٣) أبدانهنّ في المنخار^(٤) بريشهنّ ولحومهنّ وعظامهنّ حتّى اختلطت، ثمّ جَزَّاهنّ عشرة أجزاء على عشرة جبال^(٥)، ثمّ وضع عنده حبّاً وماءً، ثمّ جعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ قال: إيتيني^(٦) سعيّاً بإذن الله، فتطايّر بعضهنّ إلى بعض اللّحوم، والريش، والعظام، حتّى استوت الأبدان كما كانت، وجاء كلّ بدن حتّى إلترق برقبتة التي فيها رأسه والمنقار، فخلّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهنّ، فوقعن وشرين من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ، ثمّ قلن: يا نبي الله أحبيتنا أحياءك الله، فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي ويميت، فهذا تفسيره في الظاهر، قال: وتفسيره في الباطن خذ أربعة ممّن يحتمل الكلام فاستودعهنّ علمك ثمّ ابعثنهنّ في أطراف الأرضين حججاً على الناس وإذا أردت أن يأتوك دعوتهم بالاسم الأكبر يأتوك سعيّاً بإذن الله تعالى^(٧).

١- الخصال: ج ١، ص ٢٦٤ - ٢٦٥، ح ١٤٦، باب ٤- قول الله عزّ وجلّ لإبراهيم عليه السلام: «فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ».

٢- الصرد - وهو كرتب -: طائر أبيض البطن، أخضر الظهر، ضخم المنقار يصطاد العصافير، إذا نقر واحد قدّه من ساعته وأكله، ويسمّى الأخطب والأخبل لإختلاف لونه، لا يكاد يرى إلّا في سعة أو شجرة، لا يقدر عليه أحد، شرير النفس، غذاؤه من اللحم، له صغير مختلف، يصقّر لكلّ طائر يريد صيده بلغته فيدعوه ليقرب إليه، فإذا اجتمعوا إليه شدّ على بعضهم فأخذه، تشبّه به العرب وتتطيّر بصوته. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٨٥، مادة «صرد»، ونحو هذا قال الفيومي في المصباح المنير: ص ٣٣٧.

٣- نحر العظم نحرأ - من باب تعب -: بلى وتفتّت فهو نَحَرَ ونَاخِر. المصباح المنير: ص ٥٩٦، ونحوه ذكر الطريحي في مجمع البحرين: ج ٣، ص ٤٨٩، مادة «نحر».

٤- هكذا في الأصل، وفي نسخة: [في المنحاز] كما ورد في الخصال. والمنحاز: الهاون، لسان العرب: ج ١٤، ص ٧٠، مادة «نحر». وفي العيّاشي: «ثمّ نحر أبدانهنّ بالمنخار»، وفي البرهان نقلاً عن العيّاشي: ج ١، ص ٢٥٢، ح ١٤، «ثمّ تجزّى أبدانهم بالمنحاز بريشهنّ».

٥- هكذا في الأصل والعيّاشي، ولكن في نسخة: [عشرة أجبل]، كما ورد في الخصال.

٦- هكذا في الأصل، وفي العيّاشي: «إيتيني»، وفي الخصال: «أتيني سعيّاً».

٧- تفسير العيّاشي: ج ١، ص ١٤٥ - ١٤٦، ح ٤٧٧.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ
 سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

وفي العلل^(١)، والمجمع: عنه عليه السلام وكانت الطيور، الديك، والحمامة، والطاووس،
 والغراب^(٢).

والعياشي: عنه عليه السلام، مثله^(٣).

وفي رواية: أبطل الغراب بالهدهد^(٤)(٥).

وفي أخرى: بالوزة، والحمامة بالنعامة^(٦)(٧).

وفي هذه القصة إشارة إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة القوى
 البدنية الباعثة على حب الشهوات والزخارف، والحرص، وطول الأمل، وخسة النفس،
 والمصارعة إلى الهوى الموصوف بها الطيور المذكورة، ومزج بعضها ببعض حتى تنكسر
 سورتها فيطاعن مسرعات متى دعين بداعية العقل والشرع، وإنما خص الطير لأنه أقرب
 إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ﴾: باذر.

﴿حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾: بانشعاب ساقه سبع شعب في كل منها سنبلة.

١- علل الشرائع: ص ٣٦، ح ٨، باب ٣٢، ولكن فيه: «طاوساً، ونسراً، وديكاً، وبطاً».

٢- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٧٣. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤٢، ح ٤٧٠.

٤- أي الهدهد يكون بدلاً من الغراب، فالطيور الأربعة عبارة عن الديك والحمامة والطاووس والهدهد.

٥- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤٤، ح ٤٧٥.

٦- أي الوزه تكون بدلاً من الغراب وأن النعامه تكون بدلاً من الحمامة، فالطيور الأربعة عبارة عن الديك
 والوزة والنعامة والطاووس. ٧- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤٣، ح ٤٧١.

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا
مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

﴿فِي كُلِّ سُنْبِلَةٍ مَّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾: بفضلته على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه وحال المصروف وغير ذلك.

القَمِّي: عن الصادق عليه السلام: لمن أنفق ماله ابتغاء مرضات الله (١).

وفي ثواب الأعمال (٢)، والعتاشي: عنه عليه السلام: إذا أحسن العبد المؤمن عمله ضاعف الله له عمله بكل حسنة سبعمئة ضعف، وذلك قول الله تعالى: «وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ» (٣).

وزاد في رواية أخرى للعتاشي في آخرها: فأحسنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب الله، قيل: وما الإحسان؟ قال: إذا صليت فأحسن ركوعك، وسجودك، وإذا صمت فتوق ما فيه فساد صومك، وإذا حججت فتوق كل ما يحرم عليك في حجتك وعمرتك، قال: وكل عمل تعلمه فليكن تقياً من الدنس (٤).

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة.

﴿عَلِيمٌ﴾: بنية المنفق وقدر إنفاقه.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: المن: أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه، والأدى: أن يتناول عليه بسبب ما أنعم عليه، و«ثم» للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأدى، عن النبي صلى الله عليه وآله في عدة أخبار إن الله كره عدة خصال، وعد منها

١- تفسير القمّي: ج ١، ص ٩٢.

٢- ثواب الأعمال: ص ١٦٨، باب ثواب الإحسان للمؤمن.

٣- تفسير العتاشي: ج ١، ص ١٤٧، ح ٤٨١. ٤- تفسير العتاشي: ج ١، ص ١٤٦، ح ٤٧٨.

قَوْلُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ
 حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ
 وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَتُسَلِّهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ
 فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

الْمَنْ بَعْدَ الصَّدَقَةِ (١).

وفي الجمع (٢)، والقمّي: عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم
 أذاه بكلام أو من عليه فقد أبطل الله صدقته (٣).
 ﴿قَوْلُ مَعْرُوفٍ﴾: ردّ جميل.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: وتجاوز عن السائل الحاجة (٤) أو نيل مغفرة من الله بسبب الردّ الجميل.
 ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: لا حاجة إلى المنفق بمن يؤذي (٥).
 ﴿حَلِيمٌ﴾: عن المعالجة بالعقوبة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾: العياشي:
 عنها عليه السلام: نزلت في عثمان، وجرت في معاوية وأتباعها (٦).

١- الخصال: ص ٣٢٧، ح ١٩، باب ست خصال كرهها الله.

٢- مجمع البيان: ج ١، ص ٣٧٧. ٣- تفسير القمّي: ج ١، ص ٩١.

٤- لا نفهم له معناً صحيحاً، والصحيح أن يقال: «وتجاوز عن السائل الحاجة»، وهذا الإختلاف ربما حدث من
 النسخ. ٥- أي لا حاجة لله إلى المنفق الذي يمن ويؤذي.

٦- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤٧، ح ٤٨٣.

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا
مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا
ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

وعن الباقر عليه السلام: بالمن والأذى لمحمد وآل محمد، قال: هذا تأويله ^(١).
﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: لا يريد
به رضاء الله ولا ثواب الآخرة.
﴿فَسَلَّهُ﴾: في إنفاقه.
﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس.
﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾: مطر عظيم القطر.
﴿فَتَرَكُهُ صَلْدًا﴾: أملس نقيًا من التراب.
﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾: لا ينتفعون بما فعلوه ولا يجدون ثوابه.
﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: إلى الخير والرشاد، وفيه تعريض بأن الرياء
والمن والأذى على الإنفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن أن يتجنب عنها.
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ﴾: القمي: عن المن والأذى ^(٢).
أقول: يعني يوطنون أنفسهم على حفظ هذه الطاعة، وترك إتباعها مما يفسدها من
المن والأذى والسمعة والرياء والعجب ونحوها بعد إتيانهم بها ابتغاء مرضات الله.
العياشي: عن الباقر عليه السلام أنها نزلت في علي عليه السلام ^(٣).

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤٧، ح ٤٨٢.

٢ - تفسير القمي: ج ١، ص ٩٢.

٣ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤٨، ح ٤٨٥.

أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ
ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: أي مثل نفقتهم في الزكاة كمثل بستان.

﴿بِرَبْوَةٍ﴾: أي في موضع مرتفع، فإن شجره يكون أحسن منظراً، وأزكى ثمراً، وأمنع

من أن يفسده السيل بالوابل، ونحوه.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاتَتْ أَكْلَهَا﴾: ثمرتها، وقرئ بالتخفيف.

﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل.

في الجمع: عن الصادق عليه السلام: معناه يتضاعف ثمرها كما يتضاعف أجر من أنفق ماله

ابتغاء مرضا الله (١).

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: فطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها، والطلّ: يقال

لما يقع بالليل على الشجر والنبات، قيل: إن المعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا

تضيع بحال، وإن كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم إليها من الأحوال، ويجوز أن يكون التمثيل

لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين عن زلفاهم

بالوابل والطلّ (٢).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: تحذير عن الرياء وترغيب في الإخلاص.

﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ﴾: الهزمة فيه للإنكار.

١ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٧٨.

٢ - قاله البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٣٩.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا
أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ
وَلَسْتُمْ بِتَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

﴿أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ
كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: جعل الجنة منها مع ما فيها من سائر الأشجار تغليبا لها لشرفها وكثرة
منافعها، ثم ذكر أن فيها كل الثمرات ^(١) ليدل على إحتوائها على سائر أنواع الأشجار، ويجوز أن
يكون المراد بالثمرات: المنافع.

﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾: أي كبر السن فإن الفاقة والعاللة في الشيخوخة أصعب ^(٢).
﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾: صغار لا قدرة لهم على الكسب.
﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾: والإعصار: ريح عاصف تنعكس من
الأرض إلى السماء مستديرة كعمود.

القَمِي: عن الصادق عليه السلام: من أنفق ماله ابتغاء مرضات الله ثم إمتن على من تصدق عليه
كان كمن قال الله: «أَيُّودُ أَحَدُكُمْ» الآية، قال: الإعصار: الريح فن إمتن على من تصدق عليه
كان كمن كان له جنة كثيرة الثمار، وهو شيخ ضعيف، له أولاد صغار ضعفاء فتجيء ريح أو نار
فتحرق ماله كله ^(٣).

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: فيها فتعبرون بها.
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: من حلاله وجياده.

١ - وفي نسخة: [أَنْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ]. ٢ - وفي نسخة: [في الشيخوخة أصعب].

٣ - تفسير القمي: ج ١، ص ٩٢.

﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: ومن طيبات ما أخرجنا من الحبوب والثمار

والمعادن.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام كان القوم قد كسبوا مكاسب سوء في الجاهلية فلما أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدقوا بها، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يخرجوا من طيب ما كسبوا^(١).

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾: ولا تقصدوا الردي.

﴿مِنْهُ﴾: من المال، أو من الخبيث.

﴿تَتَفَقُّونَ﴾: تخصّصونه بالإنفاق.

﴿وَلَسْتُمْ بِتَّائِدِيهِ﴾: وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته.

﴿إِلَّا أَنْ تَفْعُضُوا فِيهِ﴾: إلا أن تتسامحوا فيه مجاز، من أغمض بصره عن بعض حقه

إذا غضّه. في الكافي^(٢)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أمر بالنخل أن يزكى يجيء قوم بألوان من التمر هو من أردى التمر يؤدونه من زكاتهم، ثمرة يقال لها: الجعور^(٣) والمعافرة، قليلة اللّحاً بكسر اللّام، عظيمة النوى، وكان بعضهم يجيء بها عن التمر الجيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تخرصوا هاتين التمرتين، ولا تحبثوا منها بشيء، وفي ذلك نزل: «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ»، الآية، قال: والإغماض أن تأخذ هاتين التمرتين^(٤).

والعياشي: عن الباقر عليه السلام كان أهل المدينة يأتون بصدقة الفطر إلى مسجد رسول

الله صلى الله عليه وآله وفيه عذق^(٥) يسمّى الجعور، وعذق يسمّى المعافرة، كانا عظيم نواهما، رقيق لحاهما^(٦) في طعمها مرارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للخارص: لا تخرص عليهم هذين اللونين

١ - الكافي: ج ٤، ص ٤٨، ح ١٠، باب النوادر. ٢ - الكافي: ج ٤، ص ٤٨، ح ٩، باب النوادر.

٣ - الجعور: ضرب من الذّفل يحمل رطباً صفراً لا خير فيه. النهاية لابن الأثير: ج ١، ص ٢٧٦.

٤ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٤٨ - ١٤٩، ح ٤٨٩، وفيه: «أن يأخذ هاتين».

٥ - العذق - بالكسر - من النخل: كالعقود من العنب. منه صبي.

٦ - هكذا في الأصل والمصدر، وفي بحار الأنوار: ج ٩٦، ص ٤٧، ح ٦، «كانا عظيماً نواهما، رقيقاً لحاهما»، وهذا هو الأصح.

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾

لعلهم يستحيون لا يأتون بهما، فأنزل الله: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا» إلى قوله: «تُنْفِقُونَ»^(١). وفي المجمع: عن أمير المؤمنين عليه السلام: نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف^(٢) فيدخلونه في تمر الصدقة^(٣).

أقول: الحشف ردي التمر.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: إنه قال: إن الله يقبل الصدقات، ولا يقبل منها إلا الطيب^(٤).

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾: عن إنفاقكم وإنما يأمركم به لانتفاعكم.

﴿حَمِيدٌ﴾: بقبوله وإثابته^(٥).

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾: في الإنفاق في وجوه البر، وفي إنفاق الجيد من المال،

والوعد: يستعمل في الخير والشر.

﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾: ويغريكم على البخل، ومنع الزكاة، إغراء الأمر للأمور،

والعرب يسمي^(٦) البخل فاحشاً.

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم﴾: في الإنفاق.

﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾: لذنوبكم وكفارة لها.

﴿وَفَضلاً﴾: وخلفاً أفضل مما أنفقتم في الدنيا أو في الآخرة أو في كليتها.

١ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٠، ح ٤٩٣، والحديث عن الصادق عليه السلام.

٢ - الحشف - بالتحريك - أردئ التمر الذي لا لحم فيه، والضعيف الذي لا نوى له. مجمع البحرين: ج ٥، ص ٣٨، مادة «حشف».

٣ - مجمع البيان: ج ١، ص ٢، ح ٣٨٠.

٤ - مجمع البيان: ج ١، ص ٢، ح ٣٩٠؛ وتفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٢٨٦، ح ١١٢٥.

٥ - وفي نسخة: [قبوله وإثابته].

٦ - هكذا في الأصل، والأصح: «تسمي البخل».

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا
كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦٩﴾

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾: واسع الفضل لمن أنفق.

﴿عَلِيمٌ﴾: بانفاقه.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾: تحقيق العلم، وإتقان العمل.

﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والهوى.

في الكافي^(١)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: طاعة الله ومعرفة الإمام^(٢).

وعنه عليه السلام: معرفة الإمام، واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار^(٣).

والعياشي: عنه عليه السلام، الحكمة: المعرفة، والفقه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من فقيه^(٤).

والقمي: قال: الخير الكثير: معرفة أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام^(٥).

وفي مصباح الشريعة: عنه عليه السلام: الحكمة: ضياء المعرفة، وميراث التقوى، وثمرة الصدق، ولو قلت ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة لقلت، قال الله عز وجل: «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» أي لا يعلم ما أودعت وهيات في الحكمة إلا من استخلصته لنفسه وخصصته

١- الكافي: ج ١، ص ١٨٥، ح ١١، باب معرفة الإمام.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥١، ح ٤٩٦. ٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥١، ح ٤٩٧.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥١، ح ٤٩٨. ٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٩٢.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾

بها، والحكمة هي الكتاب، وصفة الحكيم هي الثبات عند أوائل الأمور، والوقوف عند عواقبها، وهو هادي خلق الله إلى الله (١).

وفي المجمع: عن النبي ﷺ إن الله تعالى آتاني القرآن، وآتاني من الحكمة مثل القرآن، وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلا كان خراباً، ألا فتفقهوا وتعلموا ولا تموتوا جهلاء (٢).

وفي الخصال: عنه عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله (٣).

وفيه (٤)، وفي الكافي: عنه عليه السلام إنه كان ذات يوم في بعض أسفاره إذ لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فالتفت إليهم، وقال: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون، قال: فما حقيقة إيمانكم؟

قالوا: الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله.

فقال رسول الله ﷺ: علماء حكماء، كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون (٥).

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾: قليلة أو كثيرة سرّاً أو علانية في حق أو باطل.

﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ﴾: في طاعة أو معصية.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾: فيجازيكم عليه.

١- مصباح الشريعة: ص ١٩٨ - ١٩٩. ٢- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٨٢.

٣- الخصال: ص ١١١، ح ٨٣، باب ٣- أحب الأمور إلى الله ثلاثة.

٤- الخصال: ص ١٤٦، ح ١٧٥، باب ٣- حقيقة الإيمان ثلاث خصال.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٥٢ - ٥٣، ح ١، باب حقيقة الإيمان واليقين.

إِنْ تُبْدُوا أَلصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الذين ينفقون في المعاصي ويندرون فيها، أو يمنعون
الصدقات ولا يوفون بالنذر.

﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾: من ينصرهم من الله ويمنع عنهم العقاب.

﴿إِنْ تُبْدُوا أَلصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾: فنعمة شيئاً إبدائها، وقرئ بفتح النون
وبكسره وسكون العين.

﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا﴾: تعطوها مع الإخفاء.

﴿أَلْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾: فالإخفاء خير لكم. في الكافي: عن الصادق عليه السلام في
قوله تعالى: «وَإِنْ تُخْفُوهَا» قال: هي سوى الزكاة، إن الزكاة علانية بغير سرٍّ^(١).

وعنه عليه السلام قال: كل ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره، وما كان تطوعاً
فإسراره أفضل من إعلانه، ولو أن رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه فقسّمها علانية كان ذلك
حسناً جميلاً^(٢).

وعن الباقر عليه السلام في قوله عز وجل: «إِنْ تُبْدُوا أَلصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ»، قال: يعني الزكاة
المفروضة، قال: قلت: «وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا أَلْفُقَرَاءَ»، قال: يعني النافلة، إنهم كانوا يستحبون
إظهار الفرائض وكتمان النوافل^(٣).

١- الكافي: ج ٣، ص ٥٠٢، ح ١٧، باب فرض الزكاة وما يجب في المال. وفيه: «غير سرٍّ» وهذا هو الأصح.

٢- الكافي: ج ٣، ص ٥٠١، ح ١٦، باب فرض الزكاة وما يجب في المال.

٣- الكافي: ج ٤، ص ٦٠، ح ١، باب النادر.

لَيْسَ عَلَيْكَ هَدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِقُوكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾

﴿وَيُكْفِّرُ﴾: أي الله يكفر، أو الإخفاء، وقرئ بالنون مرفوعاً ومجزوماً^(١).
 ﴿عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: ترغيب في الإسرار، ومجانبة الرياء.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هَدَاهُمْ﴾: لا يجب عليك أن تجعلهم مهتدين إلى الإنهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك، وما عليك إلا البلاغ.
 ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: يلفظ بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهى عنه.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾: من مال.
 ﴿فَلَا تُنْفِسْكُمْ﴾: فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم، فلا تمنوا به على من تنفقونه عليه ولا تؤذوه.

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ﴾: وليست نفقتكم.
 ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: إلا لطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يتوجه بمثله إلى الله.
 ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: ثوابه أضعافاً مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن الإنفاق على أحسن الوجوه وأجملها.
 ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لا تنقصون ثواب نفقتكم.

١- أي وقرئ «نُكْفِرُ»، بالنون مرفوعاً.

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا
 فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ
 بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
 اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا
 وَعَلَا نِيَّةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: أعدوا للفقراء أو صدقاتكم للفقراء.

﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أحصرهم الجهاد.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: لا شغلهم به.

﴿ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾: ذهاباً بها للكسب. في المجمع: عن الباقر عليه السلام إنها نزلت في

أصحاب الصفة، قيل: كانوا نحواً من أربعائة من الفقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد
 يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾: مجاهم، وقرئ بفتح السين حيث وقع من تصارييف المستقبل.

﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾: من أجل تعففهم عن السؤال.

﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: من صفة الوجه، وراثته الحال.

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾: إلحاحاً، وهو أن يلزم المسؤول حتى يعطيه.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: ترغيب في الإنفاق ولا سيما على هؤلاء.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَا نِيَّةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾، والجوامع: عن ابن عباس، نزلت في علي عليه السلام كانت معه أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية ^(٢).

قال: وروي ذلك عن الباقر والصادق صلوات الله عليهما ^(٣).

والعياشي: عن أبي إسحاق قال: كان لعلي بن أبي طالب أربعة دراهم لم يملك غيرها فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا علي ما حملك على ما صنعت؟ قال: انجاز موعد الله فأترّل الله الآية ^(٤).

وفي الفقيه: عن النبي صلى الله عليه وآله إنها نزلت في النفقة على الخيل ^(٥).

قال ^(٦): وروي إنها نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وكان سبب نزولها أنّه كان معه أربعة دراهم فتصدّق بدرهم بالليل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم في السرّ، وبدرهم في العلانية، فنزلت فيه هذه الآية ^(٧).

قال: والآية إذا نزلت في شيء فهي منزلة في كلّ ما يجري فيه فالاعتقاد في تفسيرها إنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وجرت في النفقة على الخيل وأشباه ذلك ^(٨).

وفي الكافي ^(٩)، والعياشي: عن الصادق عليه السلام إنها ليست من الزكاة ^(١٠).

١- مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٣٨٨.

٢- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٥٠.

٣- جوامع الجامع: ج ١، ص ١٥٠.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥١، ح ٥٠٢.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٨٨، ح ١/٨٥٢، باب ٨٩ - ثواب النفقة على الخيل.

٦- القائل هنا وفي الرواية الآتية: هو الصدوق. منه عليه السلام.

٧- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٨٨، ح ١/٨٥٢، باب ٨٩ - ثواب النفقة على الخيل.

٨- من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ١٨٩.

٩- الكافي: ج ٣، ص ٤٩٩، ح ٩، باب فرض الزكاة.

١٠- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥١، ح ٥٠١.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا
الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا
فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ
إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾: إذا بعثوا من قبورهم.
﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾: إلا كقيام المصروع.
﴿مِنَ الْمَسِّ﴾: أي الجنون. في المجمع^(١)، والقمي: عن الصادق عليه السلام: قال رسول
الله ﷺ لما أسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم
بطنه، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ
الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدواً
وعشيّاً يقولون: ربنا متى تقوم الساعة^(٢).

والعياشي: عنه عليه السلام: قال: آكل الربا لا يخرج من الدنيا حتى يتخبطه الشيطان^(٣).
﴿ذَلِكَ﴾: العقاب.
﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾: قاسوا أحدهما بالآخر.
﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾: إنكار لتسويتهم وإبطال للقياس.
في الكافي: عن الصادق عليه السلام: إنما حرم الله الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف^(٤).

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٨٩.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٩٣.

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٢، ح ٥٠٣.

٤- الكافي: ج ٥، ص ١٤٦، ح ٨، باب الربا.

أقول: يعني بالمعروف: القرض الحسن، كما يأتي عند تفسير «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَيْهِمْ»^(١).

﴿فَنَجَاءُهُ﴾: بلغه.

﴿مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: زجر بالنهي.

﴿فَانْتَهَى﴾: فانتعظ وامتنع منه.

﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾: لا يأخذ بما مضى منه ولا يسترد منه.

في الكافي^(٢)، عن أحدهما عليه السلام، وفي التهذيب، عن الباقر عليه السلام^(٣)، والعياشي: عنها عليها السلام، قال: الموعظة: التوبة^(٤).

وفي الكافي^(٥)، والفقيه: عن الصادق عليه السلام، قال: كل ربا أكله الناس بجهالة ثم تابوا فإنه يقبل منهم إذا عرف منهم التوبة، وقال: لو أن رجلاً ورث من أبيه مالاً وقد عرف أن في ذلك المال ربا، ولكن قد اختلط في التجارة بغير حلال كان حلالاً طيباً فليأكله، وإن عرف منه شيئاً معزولاً أنه ربا فليأخذ رأس ماله وليرد الربا^(٦).

وأيما رجل أفاد^(٧) مالاً كثيراً قد أكثر فيه من الربا فجهل ذلك ثم عرفه بعد ذلك فأراد أن ينزعه، فما مضى فله، ويدعه فيما يستأنف^(٨). وفي معناه أخبار كثيرة.

﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾: يحكم في شأنه.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى تحليل الربا والاستخفاف به بعد أن تبين له تحريمه.

﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام أنه سئل

عن الرجل يأكل الربا وهو يرى أنه حلال، قال: لا يضره حتى يصيبه متعمداً، فإذا أصابه متعمداً

١- النساء: ١١٤. ٢- الكافي: ج ٢، ص ٤٣١-٤٣٢، ح ٢، باب التوبة.

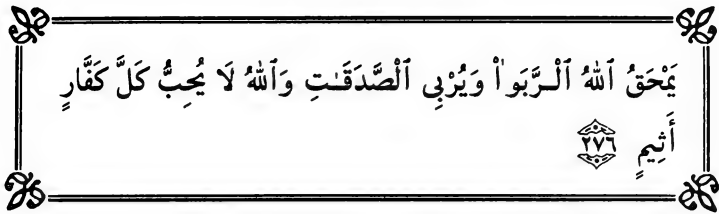
٣- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ١٦، ح ٦٩/٦٩، باب ١- فضل التجارة وآدابها.

٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٢، ح ٥٠٥. ٥- الكافي: ج ٥، ص ١٤٥، ح ٤، باب الربا.

٦- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٥، ح ٧٨٧/٧، باب ٨٧- الربا.

٧- وأفاد: بمعنى استفاد، وفي من لا يحضره الفقيه أراد مكان أفاد، وذلك إشارة إلى تحريم الربا، والبارز في ينزعه راجع إلى الربا بمعنى الزائد، وفي من لا يحضره الفقيه نزع ذلك المال وهو واضح. منه عليه السلام.

٨- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٥، ح ٧٨٨/٨، باب ٨٧- الربا.



فهو بالمنزلة التي قال الله عز وجل^(١).

وفي الفقيه^(٢)، والعيون: عن الرضا عليه السلام وهي كبيرة بعد البيان، قال: والاستخفاف بذلك دخول في الكفر^(٣).

قال بعض العارفين: أكل الربا أسوء حالاً من جميع مرتكبي الكبائر، فإن كل مكتسب له توكل في ما كسبه، قليلاً كان أو كثيراً، كالتاجر والزارع والمحترف ولم يعينوا أرزاقهم بعقولهم، ولم يتعين لهم قبل الإكتساب فهم على غير معلوم في الحقيقة كما قال رسول الله ﷺ: أبي الله أن يرزق المؤمن إلا من حيث لا يعلم^(٤).

وأما أكل الربا فقد عين مكسبه ورزقه وهو محجوب عن ربه بنفسه وعن رزقه بتعيينه لا توكل له أصلاً، فوكله الله إلى نفسه وعقله، وأخرجه من حفظه وكلاءته فاخطفته الجن وخبلته، فيقوم يوم القيامة ولا رابطة بينه وبين الله عز وجل، كسائر الناس من المرتبطين به بالتوكل، فيكون كالمصروع الذي مسه الشيطان فيتخبطه لا يهتدي إلى مقصده.

﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾: يذهب بركته، ويهلك المال الذي يدخل فيه.

في الفقيه^(٥)، والكافي: سئل الصادق عليه السلام عن هذه الآية قيل: وقد أرى من يأكل الربا

١- الكافي: ج ٥، ص ١٤٤ - ١٤٥، ح ٣، باب الربا.

٢- لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٧١، ذيل ح ١٧٤٨/٤، باب ١٧٩ - باب معرفة الكبائر التي أوعدها الله عليها النار.

٣- عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٩٤، ح ١، باب ٣٣ - في ما كتب به الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان في جواب مسائله في العلل.

٤- الجامع الصغير: ج ١، ص ١٠، ح ٣٩، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الحديث. وقريب منه ما في الكافي:

ج ٥، ص ٨٣، ح ١، باب الرزق من حيث لا يحتسب.

٥- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٦، ح ١٥/٧٩٥، باب ٨٧ - الربا.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا
بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾

يربو ماله، قال: فأى محق أمحق من درهم ربا يحق الدين، وإن تاب منه ذهب ماله وافترق^(١).

﴿وَيُرِي أَلصَّدَقَتِ﴾: يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه.

العياشي: عن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: إنه ليس شيء إلا وقد وكل^(٢) به ملك، غير الصدقة فإن الله يأخذ بيدته ويربّيه كما يربي أحدكم ولده حتى تلقاه يوم القيامة وهي مثل أحد^(٣)، وفي معناه أخبار كثيرة^(٤).

وفي الحديث النبوي ﷺ: ما نقص مال من صدقة^(٥).

﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مصرّ على تحليل المحرمات.

﴿أَتَيْمٍ﴾: منهمك في ارتكابه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ
لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾: واركبوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا.

١- لم نعر عليه في الكافي، بل وجدناه في تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ١٥، ح ٦٥، باب حكم الربا.

٢- وفي رواية: أن الله يقول: ليس شيء إلا وكلته به أن يقضيه غيري إلا الصدقة فأنا أتلقفها حتى أن الرجل والمرأة يتصدق بتمرة وشق قمرة أربها كما يربي الرجل فلوه وفصيله فيلقى يوم القيامة وهي مثل أحد وأعظم من أحد، والفلو: ولد الفرس، والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه. منه يروي: راجع الكافي: ج ٤، ص ٤٧، ح ٦، باب

٣- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٢، ح ٥٠٧.

النوادر.

٤- راجع تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٣، ح ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠. جوامع الجامع: ج ١، ص ١٥١.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بقلوبكم فإن دليله امتثال ما أمرتم به.

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿١٧٨﴾

في الجمع: عن الباقر عليه السلام إن الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية، وقد بقي له بقايا على ثقيف، فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم فنزلت ^(١).

والقمي: لما نزلت «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَلْبَابَهُمْ» قام خالد بن الوليد فقال: يا رسول الله: ربا أبي في ثقيف وقد أوصاني عند موته بأخذه، فأنزل الله ^(٢).

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم به، وقرئ بمد الألف وكسر الذال، من الإيذان بمعنى الإعلام فإنهم إذا علموا بدون العكس فهو أكد، والتكثير للتعظيم. في الكافي: عن الصادق عليه السلام درهم ربا أشد عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم ^(٣). وزاد في الفقيه ^(٤)، والتهذيب: مثل خاله وعمه ^(٥).

وزاد القمي: في بيت الله الحرام، وقال: الربا سبعون جزءاً أيسره مثل أن ينكح الرجل أمه في بيت الله الحرام ^(٦).

وفي الفقيه ^(٧)، والتهذيب: عن أمير المؤمنين عليه السلام لعن رسول الله الربا وآكله، وبائعه، ومشتريه، وكاتبه، وشاهديه ^(٨).

١- مجمع البيان: ج ١- ٢، ص ٣٩٢، في شأن الزول.

٢- تفسير القمي: ج ١، ص ٩٣.

٤- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٤، ح ١٧٨١، باب ٨٧- باب الربا.

٥- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ١٤- ١٥، ح ٦٢، باب أحكام الربا.

٦- تفسير القمي: ج ١، ص ٩٣- ٩٤. ٧- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٧٤، ح ٤/٧٨٤، باب ٨٧- الربا.

٨- تهذيب الأحكام: ج ٧، ص ١٥، ح ٦٤/٦٤، باب ١- فضل التجارة وآدابها وغير ذلك مما ينبغي للتاجر أن يعرفه وحكم الربا.

وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾

﴿وَإِنْ تُبْتُمْ﴾: من الإرتباء، واعتقاد حله.
﴿فَلَكُمْ رُءُوسٌ أَمْوَالُكُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾: المديونين بأخذ الزيادة.
﴿وَلَا تَظْلُمُونَ﴾: بالمطل، والنقصان منها.
﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾: إن وقع في غرمانكم ذو إعسار، وقرئ بضمتين.
﴿فَنَظِرَةٌ﴾: فإنظار، أي فانظروه.
﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: إلى وقت يسار، وقرئ بضم السين.
﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾: تتصدقوا بالإبراء، وقرئ بتخفيف الصاد.
﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أكثر ثواباً من الإنظار.
﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على أنبيائه صلى الله عليهم ثم قال: أيها الناس ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ألا ومن أنظر معسراً كان له على الله في كل يوم صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أنه معسر فتصدقوا عليه بما لكم عليه (١).
وعنه عليه السلام، قال: من أراد أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله قالها ثلاثاً، فهابه الناس أن يسألوه، فقال: فلينظر معسراً أو ليدع له من حقه (٢).
وعنه عليه السلام، قال: خلّوا سبيل المعسر كما خلّاه الله (٣).
وعنه عليه السلام: أنه جاء إليه رجل فقال له: يا أبا عبد الله قرض إلى ميسرة (٤)، فقال له أبو

١- الكافي: ج ٤، ص ٣٥-٣٦، ح ٤، باب انظار المعسر.

٢- الكافي: ج ٤، ص ٣٥، ح ١، باب انظار المعسر. ٣- الكافي: ج ٤، ص ٣٥، ح ٣، باب انظار المعسر.

٤- أراد السائل أن المعسر إذا صار بحيث يجب إنظاره فهل لإنظاره مدّة معلومة إذا لم يكن له مال منتظر؟ منه يبيّن.

وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

عبدالله ﷺ: إلى غلّة تدرك؟ فقال الرجل: لا والله، قال: فإلى تجارة توبّ^(١)؟ قال: لا والله، قال: فإلى عقدة تباع؟ فقال: لا والله، فقال أبو عبدالله ﷺ: فأنت ممن جعل الله له في أموالنا حقاً، ثم دعا بكيس فيه دراهم فأدخل يده فيه فناوله منه قبضة^(٢).

وفيه^(٣)، وفي العياشي: عن الرضا ﷺ إنه سئل عن هذه النظرة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه لها حدّ يعرف إذا صار هذا المعسر لا بدّ له من أن ينظر وقد أخذ مال هذا الرجل وأنفقه على عياله، وليس له غلّة ينتظر إدراكها، ولا دين ينتظر محله، ولا مال غائب ينتظر قدومه؟ قال: نعم ينتظر بقدر ما ينتهي خبره إلى الإمام فيقضي عنه ما عليه من سهم الغارمين إذا كان أنفق في طاعة الله، فإن كان أنفق في معصية الله فلا شيء له على الإمام.

قيل: فما لهذا الرجل الذي إئتمنه وهو لا يعلم فيما أنفق في طاعة الله أم في معصيته؟ قال: يسعى له في ماله فيردّه وهو صاغر^(٤).

القمي: عن النبي ﷺ قال: ما من غريم ذهب بغريمه إلى وال من ولاية المسلمين، واستبان للوالي عسرتة إلا برأ هذا المعسر من دينه، وصار دينه على والي المسلمين فيما في يديه من أموال المسلمين^(٥).

﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾: تأهبوا المصيركم إليه، وقرئ بفتح التاء وكسر الجيم.

١- أب أبه: قصد قصده وأبّ للسري يئب ويؤب أباً وأبياً وأباً وأبابة: تهباً. القاموس المحيط: ج ١، ص ٣٥، مادة «الأب».

٤- الكافي: ج ٣، ص ٥٠١، ح ١٤، باب فرض الزكاة وما يجب في المال.

٣- الكافي: ج ٥، ص ٩٣-٩٤، ح ٥، باب الدين. ٤- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٥، ح ٢٠.

٥- تفسير القمي: ج ١، ص ٩٤.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ
يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ
الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلََّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ
بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا
رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ يَمْنَنَ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ
إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا
دُعُوا وَلَا تَسْمَؤُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ
ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا
أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ
وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ
اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ



﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾: من خير أو شر.
﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بنقص ثواب أو تضعيف عقاب.
في الجمع: عن ابن عباس أنها آخر آية نزل بها جبرئيل عليه السلام ^(١).
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾: إذا تعاملتم نسيئة.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: معلوم.

﴿فَاكْتُبُوهُ﴾: لآله أوثق وأدفع للنزاع. وفي العلل عن الباقر عليه السلام: إن الله عز وجل عرض على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم، قال: فمر بآدم اسم داود النبي عليه السلام فإذا عمره في العالم أربعون سنة فقال آدم عليه السلام: يا رب ما أقل عمر داود، وما أكثر عمري؟ يا رب إن أنا زددت داود ثلاثين سنة أثبتت ذلك له؟ قال: نعم يا آدم، قال: فإني قد زدته من عمري ثلاثين سنة فأنفذ ذلك وأثبتها له عندك، واطرحها من عمري، قال أبو جعفر عليه السلام: فأثبت الله عز وجل لداود في عمره ثلاثين سنة، وكانت له عند الله مثبتة فذلك قوله عز وجل: «يَخُوضُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^(١)، قال: فحاشا الله ما كان عنده مثبتاً لآدم وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً، قال: فضى عمر آدم فهبط ملك الموت لقبض روحه فقال له آدم: يا ملك الموت إنه قد بقي من عمري ثلاثون سنة، فقال له ملك الموت: يا آدم ألم تجعلها لابنك داود النبي وطرحتها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذريتك، وعرضت عليك أعمارهم، وأنت يومئذ بوادي الدخياء؟ فقال له آدم: ما أذكر هذا، قال: فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجحد ألم تسأل الله عز وجل أن يثبت لداود ويمحوها من عمرك فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك في الذكر؟ قال آدم: حتى أعلم ذلك، قال أبو جعفر عليه السلام: وكان آدم صادقاً، لم يذكر ولم يحجد فن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمى، لأجل نسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه^(٢).

وفي الكافي: ما يقرب منه^(٣) في روايتين على اختلاف في عدد ما زيد على عمر داود، وزاد شهادة جبرئيل وميكائيل على آدم.

﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾: لا يزيد على ما يجب ولا ينقص.

١ - الرعد: ٣٩.

٢ - علل الشرائع: ص ٥٥٣، ح ١، باب ٣٤١ - العلة التي من أجلها أمر الله تبارك وتعالى عباداً إذا تداينوا وتعاملوا أن يكتبوا بينهم كتاباً.

٣ - الكافي: ج ٧، ص ٣٧٨ - ٣٧٩، ح ١، باب أول صك كتب في الأرض.

﴿وَلَا يَأْبُ كَاتِبٌ﴾: لا يمتنع أحد من الكتاب.
 ﴿أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾: مثل ما علّمه الله من كتبه الوثائق ولا يأب أن ينفع
 الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله: «وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ»^(١).
 ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾: تأكيد أو متعلق بـ «كما علّمه الله».
 ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾: لأنّه المقرّ المشهود عليه، والإملاط والإملاء:
 واحد.

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: أي المملّي أو الكاتب.
 ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾: ولا ينقص.
 ﴿مِنْهُ﴾: من الحقّ أو ممّا أملى عليه.
 ﴿شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً﴾: ناقص العقل أو مبذراً.
 ﴿أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾: في تفسير الإمام عليه السلام يعني ضعيفاً في
 بدنه، لا يقدر أن يملّ، أو ضعيفاً في فهمه وعلمه، لا يقدر أن يملّ ويميّز الألفاظ التي هي عدل
 عليه، وله من الألفاظ التي هي جور عليه، أو على حميمه أو لا يستطيع أن يملّ هو بمعنى أن
 يكون مشغولاً في مرمة لمعاش^(٢) أو تزود لمعاد، أو لذة في غير محرّم، فإنّ تلك الأشغال التي لا
 ينبغي للعاقل أن يشرع في غيرها^(٣).
 وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام السفیه: الذي يشتري الدرهم بأضعافه، والضعيف:
 الأبله^(٤).

والعيّاشي: عنه السفیه: الشارب الخمر، والضعيف: الذي يأخذ واحداً باثنين^(٥).
 ﴿فَلْيُمْلِلِ وَلِيَّهُ﴾: النائب عنه والقيّم بأمره.

١ - القصص: ٧٧.

٢ - رمت الشيء رمةً وأرؤمةً ومرمةً: إذا أصلحته. مجمع البحرين: ج ٦، ص ٧٥، مادة «رمم».

٣ - تفسير الإمام العسكري: ص ٦٣٤.

٤ - تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٨٢، ح ٧٣١/٦، باب ٧ - الإشهاد على الوصية.

٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٥، ح ٥٢١.

﴿بِالْعَدْلِ﴾: بأن لا يحيف على المكتوب له ولا المكتوب عليه.

﴿وَأَسْتَشْهِدُوا﴾: على الدين.

﴿شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ﴾: أحراركم دون عبيدكم فإن الله قد شغل العبيد بخدمة مواليتهم عن تحمّل الشهادات وعن أدائها وليكونوا من المسلمين منكم فإن الله شرف المسلمين العدول بقبول شهاداتهم وجعل ذلك من الشرف العاجل لهم ومن ثواب دنياهم قبل أن يصلوا إلى الآخرة. كذا في تفسير الإمام عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله (١).

أقول: لا ينافيه تقييد الإستههاد بالأحرار لإشتغال العبيد بالخدمة قبول شهادة العبيد إذا استشهدوا وكانوا عدولاً كما يثبت عن أهل البيت عليه السلام.

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾: يعني الشاهدين.

﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾: قال عليه السلام: يعني ممن ترضون دينه وأمانته، وصلاحه، وعفته وتيقظه فيما يشهد به، وتحصيله وتمييزه فما كل صالح مميز ولا محصل، ولا كل محصل مميز صالح، وإن من عباد الله لمن هو أهل لصلاحه وعفته لو شهد لم يقبل شهادته لقلة تميزه، فإذا كان صالحاً عفيفاً مميزاً محصلاً مجانباً للمعصية والهوى والميل والتحامل فذلك الرجل الفاضل، فبه فتمسكوا، وبهاده فاقتدوا، وإن انقطع عنكم المطر فاستمطروا به، وإن امتنع نبات فاستخرجوا به النبات، وإن تعذر عليكم الرزق فاستدروا به الرزق، فإن ذلك ممن لا يجيب طلبه ولا تردّ مسألته (٢).

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾: وقرئ بكسر الهمزة.

﴿فَتَذْكُرَهَا﴾: وقرئ مرفوعاً، وبالتخفيف والنصب: من الأذكار.

﴿إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾: في تفسير الإمام عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا ضلّت إحداها عن الشهادة ونسيتها ذكرتها الأخرى فاستقامتا في أداء الشهادة (٣).

أقول: وهو من قولهم ضلّ الطريق إذا لم يهتد، وهذه علة لإعتبار العدد.

١ - تفسير الإمام العسكري: ص ٦٥٦.

٢ - تفسير الإمام العسكري: ص ٦٧٢ - ٦٧٣.

٣ - تفسير الإمام العسكري: ص ٦٧٥.

قال عليه السلام: عدل الله شهادة إمرأتين بشهادة رجل لنقصان عقولهنّ ودينهنّ^(١).
وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام في عدّة أخبار: أربعة لا يستجاب لهم دعوة: أحدهم رجل كان له مال فآدانه بغير بينة، يقول الله عزّ وجلّ: ألمّ أترك بالشهادة^(٢).
وعنه عليه السلام: من ذهب حقّه على غير بينة لم يؤجر^(٣).
﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾: في الكافي^(٤): والعيّاشي: عن الصادق عليه السلام في عدّة أخبار في هذه الآية قال: لا ينبغي لأحد إذا ما دعي إلى الشهادة ليشهد عليها أن يقول: لا أشهد لكم^(٥).

وفي بعضها، قال: في آخره فذلك قبل الكتاب^(٦).
وفي بعضها، قبل الشهادة، ومن يكتمها بعد الشهادة^(٧).
وعن الكاظم عليه السلام: فيها إذا ما دعاك الرجل يشهد له على دين أو حقّ لم ينبغ لك أن تقاعس^(٨) عنه^(٩).
وفي تفسير الإمام عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الآية من كان في عنقه شهادة فلا يأب إذا دعي لإقامتها، وليقمها ولينصح فيها، ولا تأخذها فيها لومة لائم وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر^(١٠).
وقال في خبر آخر: «وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا» نزلت فيمن إذا دُعي لسماح الشهادة فأبى، ونزلت فيمن امتنع عن أداء الشهادة إذا كانت عنده^(١١).

-
- ١ - تفسير الإمام العسكري: ص ٦٧٥.
 - ٢ - الكافي: ج ٥، ص ٢٩٨، ح ١ و ٢، باب من أدان ماله بغير بينة.
 - ٣ - الكافي: ج ٥، ص ٢٩٨، ح ٣، باب من أدان ماله بغير بينة.
 - ٤ - الكافي: ج ٧، ص ٣٧٩، ح ١ و ٢، باب الرجل يدعى إلى الشهادة.
 - ٥ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٥ - ١٥٦، ح ٥٢٢.
 - ٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٦، ح ٥٢٤.
 - ٧ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٦، ح ٥٢٧.
 - ٨ - تقاعس عن الشهادة - بالقاف - والمراد: تأخّر. منه عليه السلام.
 - ٩ - تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٦، ح ٥٢٣.
 - ١٠ - تفسير الإمام العسكري: ص ٦٧٦.
 - ١١ - تفسير الإمام العسكري: ص ٦٧٦.

﴿وَلَا تَسْتَمُوا﴾: ولا تملوا.
 ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا﴾: كان الحق.
 ﴿أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾: إلى وقت حلوله الذي أقر به المديون.
 ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أعدل.
 ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾: وأثبت لها، وأعون على إقامتها.
 ﴿وَأَذْنَىٰ إِلَّا تَرْتَابُوا﴾: وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين، وأجله، والشهور ونحو ذلك.

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾: وقرئ بالنصب.
 ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: إلا أن تتبايعوا يداً بيد.
 ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: لبعده عن التنازع والنسيان.
 ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: لأنه أحوط.
 ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: يحتمل البنائين، وهو نهى لهما عن ترك الإجابة والتحريف والتغير في الكتابة والشهادة أو نهى عن الضرار بهما مثل أن يعجلا عن مهمّ ويكلفا الخروج عما حدّ لهما أو لا يعطي الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان.
 ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾: الضرار وما نهيتم عنه.
 ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾: خروج عن الطاعة لاحق بكم.
 ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في مخالفة أمره ونهيه.
 ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: أحكامه المتضمنة لمصالحكم.
 ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: قيل: كرّر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها، فإن الأولى حتّ على التقوى، والثانية وعد بانعامه، والثالثة تعظيم لشأنه، ولأنّه أدخل في التعظيم من الكناية.

القَمِّي: في البقرة خمسمائة حكم، وفي هذه الآية خاصّة خمسة عشر حكماً^(١).

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ
أَمِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ
رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ عِندَ اللَّهِ
بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾: أي مسافرين.
﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ﴾: فالذي يستوثق به رهان، وقرئ فَرِهَنْ بضمّتين
وكلاهما جمع رَهْن، هو بمعنى مرهون.

﴿مَقْبُوضَةٌ﴾: في الكافي عن الصادق عليه السلام لا رهن إلا مقبوضاً^(١).
أقول: وليس الغرض تخصيص الإرتهان بحال السفر، ولكن السفر لما كان مظنة
لاعواز الكتب والإشهاد، أمر المسافر بأن يقيم الإرتهان مقام الكتاب^(٢) والإشهاد على سبيل
الإرشاد إلى حفظ المال.

﴿فَإِنْ أَمِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: بعض الدائنين بعض المدينين بحسن ظنه به.
﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ﴾: وهو الذي عليه الحق.
﴿أَمْنَتَهُ﴾: سمي الدين أمانه لإيثامه عليه بترك الإرتهان منه.
﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: في الخيانة وإنكار الحق، وفيه من المبالغات ما لا يخفى.
﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾: خطاب للشهود.
﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾: مع علمه بالمشهود به وتمكّنه من أدائها.
﴿فَإِنَّهُ عِندَ اللَّهِ﴾: يعني أنّ كتمان الشهادة من آثام القلوب، ومن معاصم الذنوب.

١- لم نعرّ عليه في الكافي، بل وجدناه في تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٦، ح ٥٢٥.

٢- وفي نسخة: [الكتابة].

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي
 أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾

في الفقيه: عن الباقر عليه السلام، قال: كافر قلبه ^(١).

وفي حديث مناهي النبي صلى الله عليه وآله: ونهى عن كتمان الشهادة ^(٢).

وقال: من كتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق، وهو قول الله عز وجل: «وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» ^(٣).

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: تهديد.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: خلقاً وملكاً.

﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: من خير أو شر.

﴿أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾: في نهج البلاغة: وبما في الصدور يجازي العباد ^(٤).

أقول: لا يدخل فيما يخفيه الإنسان الوسائس، وحديث النفس لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه، ولكن ما اعتقده وعزم عليه.

في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وضع عن أمتي تسع خصال:

الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، وما استكروهوا عليه، والطيرة، والوسوسة في التفكير في الخلق، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد ^(٥).

١- من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٣٥، ح ١١٥/٥، باب ٢٢- الإمتناع من الشهادة.

٢- الأماشي للشيخ الصدوق: ص ٣٤٨، المجلس ٦٦.

٣- الأماشي للشيخ الصدوق: ص ٣٤٨، المجلس ٦٦.

٤- نهج البلاغة: ص ١٠٣، رقم ٧٥، من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان.

٥- الكافي: ج ٢، ص ٤٦٣، ح ٢، باب مافع عن الأمة.

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ
وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

والعياشي: عنه عليه السلام في هذه الآية، قال: حقيق على الله أن لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل ^(١) من حبها ^(٢).

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾: مغفرته.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: تعذيبه، وقرئ بالرفع فيها.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على المحاسبة.

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾: شهادة وتنصيص من الله على

الإعتداد بإيمانه.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: قيل: إمّا عطف على الرسول، وما بعده إستئناف، وإمّا أستئناف

بإفراد الرسول وإفراد إيمانه تعظيماً لشأنه وشأن إيمانه ^(٣).

أقول: وللإفراد وجه آخر يأتي في الحديث.

﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾: وقرئ وكتابه. في الغيبة: عن

النبي عليه السلام: أنه قال: ليلة أسري بي إلى السماء، قال العزيز جل ثناؤه: «ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ

إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»، قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يا محمد ^(٤).

١- الخردل: حب شجر مسخن ملطف جاذب قالع للبلغم ملين هاضم نافع طلاؤه للبقرس والنسا والبرص، ودخانه يطرد الحيات، وماؤه يسكن وجع الأذان تقطيراً، ومسحوقه على الضرس الوجع غاية، والخردل الفارسي: نبات بمصر يعرف بحشيشة السلطان. القاموس المحيط: ج ٣، ص ٣٦٧، مادة «خردل».

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٦ - ١٥٧، ح ٥٢٨.

٣- أنوار التنزيل: ج ١، ص ١٤٦. ٤- الغيبة للشيخ الطوسي: ص ٩٥.

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا
 اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا
 تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا
 تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
 أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾: يقولون ذلك، والمراد نبي الفرق في
 التصديق، وقرئ «لا يفرق» بالياء، واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي، ولذا دخل
 عليه «بين».

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾: أجبنا.

﴿وَأَطَعْنَا﴾: أمرك.

﴿غُفِّرَانَكَ﴾: اغفر غفرانك، أو نطلب غفرانك.

﴿رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: المرجع بعد الموت، وهو إقرار منهم بالبعث.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾: فيما افترض الله عليها، رواه العياشي عن أحدهما عليه السلام ^(١).

﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلا ما تسعه قدرتها فضلاً ورحمة. وفي التوحيد: عن الصادق

صلوات الله عليه: ما أمر العباد إلا بدون سعتهم، وكل شيء أمر الناس بأخذه فهم متسعون له،
 وما لا يتسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن الناس لا خير فيهم ^(٢).

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾: من خير.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: من شر لا ينتفع بطاعها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: أي لا تؤاخذنا بما أَدَي بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط أو من قلة مبالاة.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرَآءً﴾: حملاً ثقيلاً يَأْصِر صاحبه أي يحبسه في مكانه، يعني به التكاليف الشاقة.

﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾: يعني به ما كُلف به بنو إسرائيل من قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة، وغير ذلك.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾: من العقوبات النازلة بمن قبلنا.

﴿وَأَعْفُ عَنَّا﴾: وامح ذنوبنا.

﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾: واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة.

﴿وَأَرْحَمْنَا﴾: وتعطف بنا وتفضل علينا.

﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾: سيدنا، ونحن عبيدك.

﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: بالقهر لهم، والغلبة بالحجة عليهم، فإن من

حق المولى أن ينصر مواله على الأعداء.

العياشي: عن أحدهما عليه السلام في آخر البقرة، قال: لما دعوا أجيبوا^(١).

والقسي: عن الصادق عليه السلام: إن هذه الآية مشافهة الله لنبيه عليه السلام لما أُسري به إلى السماء،

قال النبي عليه السلام: لما انتهيت إلى سدرة المنتهى وإذا الورقة منها تظلل أمة من الأمم فكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى، كما حكى الله عز وجل فناداني ربي تبارك وتعالى «أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»، فقلت: أنا مجيبه عني وعن أمتي «وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتِبَ لَهُ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»، فقلت: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، فقال الله: «لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَشَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»، فقلت: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»، فقال الله: لا أوَاخِذْكَ، فقلت: «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرَآءً

كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا»، فقال الله: لا أحملك، فقلت: «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ»، فقال الله تبارك وتعالى: قد أعطيت ذلك لك ولائمتك، فقال الصادق عليه السلام: ما وفد إلى الله تبارك وتعالى أحد أكرم من رسول الله ﷺ حين سأل لأُمَّته هذه الخصال^(١).

والعياشي: ما في معناه في حديث بدون قوله: «فقال الصادق عليه السلام إلى آخر الحديث»^(٢).

وفي الإحتجاج: عن الكاظم عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه مناقب رسول الله ﷺ قال: إنه لما أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام، في أقل من ثلث ليلة، حتى انتهى إلى ساق العرش، فدنا بالعلم فتدلى وقد دلى له من الجنة رفر ف أخضر، وغشى النور بصره فأرى عظمة ربّه عزّ وجلّ بفؤاده، ولم يرها بعينه فكان كقاب قوسين بينها وبينه أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى فكان فيما أوحى إليه الآية التي في سورة البقرة قوله تعالى: «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٣)، وكانت الآية قد عرضت على الأنبياء من لدن آدم على نبيّنا وآله السلام إلى أن بعث الله تبارك اسمه محمداً ﷺ وعرضت على الأمم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها، وقبلها رسول الله ﷺ وعرضها على أُمَّته فقبلوها فلما رأى الله عزّ وجلّ منهم القبول على أنهم لا يطيقونها فلما أن سار إلى ساق العرش كرّر عليه الكلام ليفهمه فقال: «أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»، فأجاب مجيباً عنه، وعن أُمَّته فقال: «وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتِبَ لَهُمْ وَرُسُلِهِ لَا تَنفَرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ»، فقال جلّ ذكره: لهم الجنة والمغفرة على أن فعلوا

١- تفسير القمي: ج ١، ص ٩٥.

٢- تفسير العياشي: ج ١، ص ١٥٩، ح ٥٣١.

٣- البقرة: ٢٨٤.

ذلك، فقال النبي ﷺ: أما إذا فعلت ذلك بنا فـ «عُفِّرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» يعني المرجع في الآخرة، قال: فأجابه الله عز وجل ثناءه وقد فعلت ذلك بك وبأمتك، ثم قال: عز وجل: أما إذا أقبلت الآية بتشديدها، وعظم ما فيها وقد عرضتها على الأمم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها أمتك فحق علي أن أرفعها عن أمتك، وقال: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ» من خير «وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ» من شر.

فقال النبي ﷺ: لما سمع ذلك: أما إذا فعلت ذلك بي وبأمتي فزدني، قال: سل، قال: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»، قال الله تعالى: لست أؤاخذ أمتك بالنسيان والخطأ لكرامتك علي.

وكانت الأمم السالفة إذا نسوا ما ذكروا به فتحت عليهم أبواب العذاب، وقد رفعت ذلك عن أمتك.

وكانت الأمم السالفة إذا أخطأوا أخذوا بالخطأ وعوقبوا عليه، وقد رفعت ذلك عن أمتك لكرامتك علي.

فقال النبي ﷺ: اللهم إذا أعطيتني ذلك فزدني، فقال الله تعالى له: سل، قال: «رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» يعني بالإصر: الشدائد التي كانت على من كان قبلنا، فأجابه الله إلى ذلك، فقال تبارك اسمه: قد رفعت عن أمتك الآصار التي كانت على الأمم السالفة، كنت لا أقبل صلاتهم إلا في بقاع من الأرض معلومة اخترتها لهم، وإن بعدت وقد جعلت الأرض كلها لأمتك مسجداً وطهوراً، فهذه من الآصار التي كانت على الأمم قبلك فرفعتها عن أمتك.

وكانت الأمم السالفة إذا أصابهم أذى من نجاسة قرضوها من أجسادهم، وقد جعلت الماء طهوراً لأمتك، فهذه من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك.

وكانت الأمم السالفة تحمل قرايبها^(١) على أعناقهم إلى بيت المقدس فن قبلت ذلك

١ - القربان بالضم: ما يتقرب به إلى الله تعالى، جمع قرايين. القاموس المحيط: ج ١، ص ١١٤، مادة «قرب».

منه أرسلت إليه ناراً فأكلته فرجع مسروراً، ومن لم أقبل ذلك منه رجع مثبوراً^(١) وقد جعلت قربان أمتك في بطون فقرائها ومساكينها فمن قبلت ذلك منه أضعفت ذلك له أضعافاً مضاعفة ومن لم أقبل ذلك منه رفعت عنه عقوبات الدنيا، وقد رفعت ذلك عن أمتك، وهي من الآصار التي كانت على الأمم من قبلك.

وكانت الأمم السالفة صلاتها مفروضة عليها في ظلم الليل وأنصاف النهار، وهي من الشدائد التي كانت عليهم، فرفعت ذلك عن أمتك، وفرضت عليهم صلاتهم في أطراف الليل والنهار، وفي أوقات نشاطهم.

وكانت الأمم السالفة قد فرضت عليهم خمسين صلاة في خمسين وقتاً، وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أمتك، وجعلتها خمساً في خمسة أوقات، وهي إحدى وخمسون ركعة، وجعلت لهم أجر خمسين صلاة.

وكانت الأمم السالفة حسنتهم بحسنة، وسيئتهم بسيئة، وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أمتك، وجعلت الحسنة بعشر، والسيئة بواحدة.

وكانت الأمم السالفة إذا نوى أحدهم حسنة، ثم لم يعملها لم تكتب له، وإن عملها كتبت له حسنة، وإن أمتك إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت له عشر، وهي من الآصار التي كانت عليهم، فرفعتها عن أمتك.

وكانت الأمم السالفة إذا هم أحدهم بسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه، وإن عملها كتبت عليه سيئة، وإن أمتك إذا هم أحدهم بسيئة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، وهذه من الآصار التي كانت عليهم، فرفعت ذلك عن أمتك.

وكانت الأمم السالفة إذا أذنوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم، وجعلت توبتهم من الذنوب ان حرمت عليهم بعد التوبة أحب الطعام إليهم، وقد رفعت ذلك عن أمتك، وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم، وجعلت عليهم ستوراً كثيفة، وقبلت توبتهم بلا عقوبة ولا أعاقبهم بأن أحرم

١ - مثبوراً: أي مهلكاً، وقيل: ملعوناً مطروداً. مجمع البحرين: ج ٣، ص ٢٣٥، مادة «ثبر».

عليهم أحب الطعام إليهم.

وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مائة سنة أو ثمانين سنة أو خمسين سنة، ثم لا أقبل توبته دون أن أعاقبه في الدنيا بعقوبة، وهي من الآصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمتك، وإن الرجل من أمتك ليذنب عشرين سنة أو ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو مائة سنة، ثم يتوب ويندم طرفه عين فأغفر له ذلك كله.

فقال النبي ﷺ: اللهم إذا أعطيتني ذلك كله فردني قال: سل، قال: «رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ» قال تبارك اسمه: قد فعلت ذلك بك وبأمتك، وقد رفعت عنهم عظيم بلايا الأمم، وذلك حكيم في جميع الأمم أن لا يكلف خلقاً فوق طاقتهم.

قال النبي ﷺ: «وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا» قال الله عز وجل: قد فعلت ذلك بنائي أمتك، قال: «فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ»، قال الله جل اسمه: إِنَّ أَمْتَكَ فِي الْأَرْضِ كَالشَّامَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الشُّورِ الْأَسْوَدِ، هم القادرون، وهم القاهرون، يستخدمون ولا يستخدمون لكرامتك عليّ، وحقّ عليّ أن أظهر دينك على الأديان حتى لا يبقى في شرق الأرض وغربها دين إلا دينك أو يؤدّون إلى أهل دينك الجزية^(١).

وفي ثواب الأعمال: عن السجاد عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ أربع آيات من أول البقرة، وآية الكرسي، وآيتين بعدها، وثلاث آيات من آخرها، لم ير في نفسه، وماله شيئاً يكرهه، ولا يقربه الشيطان، ولا ينسى القرآن^(٢).

وعن جابر: عنه عليه السلام في حديث قال: قال لي الله تبارك وتعالى: وأعطيت لك ولأمتك كنزاً من كنوز عرشي، فاتحة الكتاب، وخاتمة سورة البقرة^(٣).

وروي عنه عليه السلام: أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبها الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق

١- الإحتجاج: ج ١، ص ٣٢٧-٣٣٠، احتجاجة عليه السلام على اليهود.

٢- ثواب الأعمال: ص ١٠٤، ثواب من قرأ أربع آيات من أول البقرة.

٣- بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٢٣٠، ح ١٠، باب ٢٩- فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها.

بألفي سنة، من قرأها بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل^(١).
وفي رواية: من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه^(٢).
وفي ثواب الأعمال: عن الصادق عليه السلام من قرأ سورة البقرة، وآل عمران، جاءتا يوم
القيامة تظللانه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين، يعني المظلتين^(٣).

إلى هنا ينتهي الجزء الأول حسب تجزئتنا، ويليه الجزء الثاني إن شاء الله وأوله
سورة آل عمران، وذلك في شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٤ هـ.

قم المقدسة

السيد محسن الحسيني الأميني



١ - تفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٧٨.

٢ - مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٤٠٤؛ وتفسير أبي السعود: ج ١، ص ٢٧٨؛ وتفسير ابن كثير: ج ١، ص ٢٩٤.

٣ - ثواب الأعمال: ص ١٠٤، ثواب من قرأ سورة البقرة وآل عمران.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة المحقق:	٥	المقدمة الثانية	٥٤
حياة المؤلف	٧	المقدمة الثالثة	٥٩
اسمه ونسبه	٨	المقدمة الرابعة	٦٤
اسرته	٩	المقدمة الخامسة	٧٠
ولادته ونشأته	١١	المقدمة السادسة	٧٥
الثناء عليه	١٢	المقدمة السابعة	٩٣
أساتذته ومشايحه	١٧	المقدمة الثامنة	٩٦
تلامذته والراوون عنه	٢١	المقدمة التاسعة	١٠١
آثاره العلمية	٢٤	المقدمة العاشرة	١٠٣
وفاته ومدفنه	٤٠	المقدمة الحادية عشرة	١٠٦
مصادر الترجمة	٤٠	المقدمة الثانية عشرة	١١١
مقدمة المؤلف	٤٣	تفسير الإستعاذة	١١٥
المقدمة الأولى	٥١		

﴿سورة الفاتحة﴾

(١)

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
٥-١	١١٩	٧-٦	١٢٥

﴿سورة البقرة﴾

(٢)

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
٣-١	١٣٣	٢٣	١٤٩
٤	١٣٦	٢٤	١٥٠
٧-٥	١٣٧	٢٥	١٥١
٨	١٣٨	٢٦	١٥٣
٩	١٣٩	٢٧	١٥٥
١٠	١٤٠	٢٩-٢٨	١٥٦
١٣-١١	١٤١	٣٠	١٥٧
١٤	١٤٢	٣١	١٦٢
١٦-١٥	١٤٣	٣٢	١٦٦
١٧	١٤٤	٣٣	١٦٧
١٩-١٨	١٤٥	٣٤	١٦٨
٢٠	١٤٦	٣٥	١٧٠
٢١	١٤٧	٣٦	١٧٣
٢٢	١٤٨	٣٧	١٧٥

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٨-٣٩	١٧٧	٦٨-٦٩	٢٠٩
٤٠	١٧٩	٧٠	٢١٠
٤١	١٨٠	٧١	٢١١
٤٢	١٨١	٧٢	٢١٢
٤٣-٤٤	١٨٢	٧٣	٢١٣
٤٥	١٨٣	٧٤	٢١٥
٤٦	١٨٥	٧٥	٢١٦
٤٧	١٨٦	٧٦-٧٧	٢١٧
٤٨	١٨٧	٧٨	٢١٨
٤٩	١٨٨	٧٩	٢١٩
٥٠	١٨٩	٨٠	٢٢٠
٥١	١٩١	٨١	٢٢١
٥٢-٥٣	١٩٣	٨٢-٨٣	٢٢٢
٥٤	١٩٤	٨٤	٢٢٦
٥٥-٥٦	١٩٦	٨٥	٢٢٧
٥٧	١٩٧	٨٦	٢٢٩
٥٨	١٩٨	٨٧	٢٣٢
٥٩	١٩٩	٨٨-٨٩	٢٣٤
٦٠	٢٠٠	٩٠	٢٣٩
٦١	٢٠٢	٩١	٢٤٠
٦٢-٦٣	٢٠٤	٩٢-٩٣	٢٤١
٦٤-٦٧	٢٠٦	٩٤	٢٤٣

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٥-٩٦	٢٤٥	١٢٥	٢٧٨
٩٧	٢٤٦	١٢٦	٢٧٩
٩٨	٢٤٧	١٢٧	٢٨٠
٩٩-١٠٠	٢٥٠	١٢٨	٢٨٢
١٠١	٢٥١	١٢٩	٢٨٣
١٠٢	٢٥٢	١٣٠	٢٨٤
١٠٣	٢٥٥	١٣١-١٣٣	٢٨٥
١٠٤	٢٦١	١٣٤	٢٨٦
١٠٥-١٠٦	٢٦٢	١٣٥-١٣٦	٢٨٧
١٠٧-١٠٨	٢٦٣	١٣٧-١٣٨	٢٨٩
١٠٩	٢٦٤	١٣٩-١٤٠	٢٩٠
١١٠	٢٦٥	١٤١-١٤٢	٢٩١
١١١-١١٢	٢٦٦	١٤٣	٢٩٤
١١٣	٢٦٧	١٤٤	٢٩٨
١١٤	٢٦٨	١٤٥	٢٩٩
١١٥	٢٦٩	١٤٦-١٤٧	٣٠٠
١١٦	٢٧١	١٤٨	٣٠١
١١٧	٢٧٢	١٤٩-١٥٠	٣٠٢
١١٨	٢٧٣	١٥١-١٥٢	٣٠٣
١١٩-١٢٠	٢٧٤	١٥٣	٣٠٥
١٢١-١٢٣	٢٧٥	١٥٤-١٥٥	٣٠٦
١٢٤	٢٧٦	١٥٦	٣٠٧

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٧	٣٠٨	١٨٧	٣٤٢
١٥٨	٣٠٩	١٨٨	٣٤٦
١٥٩	٣١٠	١٨٩	٣٤٧
١٦٠-١٦٣	٣١٢	١٩٠-١٩١	٣٤٩
١٦٤	٣١٣	١٩٢-١٩٣	٣٥٠
١٦٥	٣١٥	١٩٤	٣٥٢
١٦٦-١٦٧	٣١٦	١٩٥	٣٥٣
١٦٨	٣١٧	١٩٦	٣٥٤
١٦٩-١٧٠	٣١٨	١٩٧	٣٥٩
١٧١	٣١٩	١٩٨	٣٦٠
١٧٢-١٧٣	٣٢٠	١٩٩	٣٦٢
١٧٤-١٧٥	٣٢٢	٢٠٠	٣٦٣
١٧٦	٣٢٣	٢٠١	٣٦٤
١٧٧	٣٢٤	٢٠٢	٣٦٥
١٧٨	٣٢٦	٢٠٣	٣٦٦
١٧٩-١٨٠	٣٢٩	٢٠٤-٢٠٥	٣٦٩
١٨١	٣٣٠	٢٠٦	٣٧٠
١٨٢	٣٣١	٢٠٧	٣٧١
١٨٣	٣٣٢	٢٠٨	٣٧٢
١٨٤	٣٣٣	٢٠٩-٢١٠	٣٧٣
١٨٥	٣٣٨	٢١١	٣٧٥
١٨٦	٣٤٠	٢١٢	٣٧٦

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٣	٣٧٧	٢٣٩	٤٢١
٢١٤	٣٧٩	٢٤٠	٤٢٢
٢١٦-٢١٥	٣٨١	٢٤١	٤٢٣
٢١٧	٣٨٢	٢٤٢	٤٢٤
٢١٩-٢١٨	٣٨٤	٢٤٣	٤٢٥
٢٢٠	٣٨٨	٢٤٤-٢٤٥	٤٢٧
٢٢١	٣٩٠	٢٤٦	٤٢٨
٢٢٢	٣٩١	٢٤٧	٤٢٩
٢٢٣	٣٩٤	٢٤٨	٤٣١
٢٢٤	٣٩٦	٢٤٩	٤٣٤
٢٢٦-٢٢٥	٣٩٧	٢٥٠-٢٥١	٤٣٥
٢٢٨-٢٢٧	٣٩٨	٢٥٢-٢٥٣	٤٣٨
٢٢٩	٤٠١	٢٥٤	٤٤٠
٢٣٠	٤٠٣	٢٥٥	٤٤١
٢٣١	٤٠٤	٢٥٦	٤٤٤
٢٣٢	٤٠٥	٢٥٧	٤٤٦
٢٣٣	٤٠٦	٢٥٨	٤٤٨
٢٣٤	٤١٠	٢٥٩	٤٤٩
٢٣٥	٤١٢	٢٦٠	٤٥٨
٢٣٦	٤١٤	٢٦١	٤٦٢
٢٣٧	٤١٦	٢٦٢	٤٦٣
٢٣٨	٤١٩	٢٦٣-٢٦٤	٤٦٤

رقم الآية	رقم الصفحة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٦٥	٤٦٥	٢٧٧ - ٢٧٨	٤٧٩
٢٦٦	٤٦٦	٢٧٩	٤٨٠
٢٦٧	٤٦٧	٢٨٠	٤٨١
٢٦٨	٤٦٩	٢٨١	٤٨٢
٢٦٩	٤٧٠	٢٨٢	٤٨٣
٢٧٠	٤٧١	٢٨٣	٤٨٩
٢٧١	٤٧٢	٢٨٤	٤٩٠
٢٧٢	٤٧٣	٢٨٥	٤٩١
٢٧٣ - ٢٧٤	٤٧٤	٢٨٦	٤٩٢
٢٧٥	٤٧٦	الفهرس	٤٩٩
٢٧٦	٤٧٨	مصادر التحقيق	٥٠٧

Table 1. Summary of the data.

Year	Country	Population	Area
1990	USA	248,000,000	9,833,681
1991	USA	250,000,000	9,833,681
1992	USA	252,000,000	9,833,681
1993	USA	254,000,000	9,833,681
1994	USA	256,000,000	9,833,681
1995	USA	258,000,000	9,833,681
1996	USA	260,000,000	9,833,681
1997	USA	262,000,000	9,833,681
1998	USA	264,000,000	9,833,681
1999	USA	266,000,000	9,833,681
2000	USA	268,000,000	9,833,681
2001	USA	270,000,000	9,833,681
2002	USA	272,000,000	9,833,681
2003	USA	274,000,000	9,833,681
2004	USA	276,000,000	9,833,681
2005	USA	278,000,000	9,833,681
2006	USA	280,000,000	9,833,681
2007	USA	282,000,000	9,833,681
2008	USA	284,000,000	9,833,681
2009	USA	286,000,000	9,833,681
2010	USA	288,000,000	9,833,681
2011	USA	290,000,000	9,833,681
2012	USA	292,000,000	9,833,681
2013	USA	294,000,000	9,833,681
2014	USA	296,000,000	9,833,681
2015	USA	298,000,000	9,833,681
2016	USA	300,000,000	9,833,681
2017	USA	302,000,000	9,833,681
2018	USA	304,000,000	9,833,681
2019	USA	306,000,000	9,833,681
2020	USA	308,000,000	9,833,681

مصادر التحقيق

- ١- الإحتجاج: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، منشورات القدس-إيران.
- ٢- إحياء علوم الدين: لأبي حامد الغزالي، منشورات دار الفكر-بيروت.
- ٣- إرشاد القلوب: للشيخ أبو محمد الحسن بن محمد الديلمي، منشورات الشريف الرضي، إيران-قم.
- ٤- أسرار الصلاة: للشهيد رحمته الله.
- ٥- الإعتقادات في دين الإمامية: للشيخ الصدوق، منشورات محلاتي إيران-قم.
- ٦- اعلام الوري لأعلام الهدى: للشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران-قم.
- ٧- أقبال الأعمال: للسيد ابن طاووس، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران-طهران.
- ٨- الأمالي للشيخ الصدوق: منشورات الأعلمي، بيروت-لبنان.
- ٩- الأمالي للشيخ الطوسي: منشورات دار الثقافة، إيران-قم.
- ١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبدالله بن عمر البضاوي، أفسر إيران.
- ١١- بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران-طهران.
- ١٢- البرهان في تفسير القرآن: للعلامة السيد هاشم البحراني، منشورات اسماعيليان، إيران-قم.
- ١٣- بصائر الدرجات: للشيخ محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، إيران-طهران.

- ١٤ - تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، منشورات دار الهداية، تحقيق مصطفى حجازي.
- ١٥ - التبيان: للشيخ الطوسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٦ - تحف العقول: لابن شعبة الحراني، منشورات النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم.
- ١٧ - تفسير أبي السعود: للقاضي أبي السعود، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٨ - التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام، منشورات مدرسة الإمام المهدي، إيران - قم.
- ١٩ - تفسير البغوي: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة، بيروت.
- ٢٠ - تفسير روح البيان: للعلامة الشيخ إسماعيل حقي، طبع بيروت.
- ٢١ - تفسير روح المعاني: للعلامة الآلوسي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٢ - تفسير العياشي: لمحمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، منشورات المكتبة العلمية الإسلامية، إيران - طهران.
- ٢٣ - تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للعلامة حسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، منشورات دار الجيل - بيروت.
- ٢٤ - تفسير فرات الكوفي: لفرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق محمد كاظم، إيران.
- ٢٥ - تفسير القرآن العظيم: لإسماعيل بن كثير، منشورات دار القلم.
- ٢٦ - تفسير القرآن الكريم: لصدر المتألهين الشيرازي، منشورات بيدار، إيران - قم.
- ٢٧ - تفسير القمي: لعلي بن إبراهيم القمي، منشورات دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران - قم.
- ٢٨ - تفسير الكبير للفخر الرازي: الطبعة الثالثة، إيران - قم.

٢٩- تفسير الكبير المسمى البحر المحيط: لأبي حيّان، منشورات مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي.

٣٠- التوحيد: للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم.

٣١- تهذيب الأحكام: للشيخ الطوسي، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.

٣٢- ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم.

٣٣- جامع الأصول: لابن أثير الجزري، منشورات دار المعرفة، بيروت.

٣٤- جامع البيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، منشورات دار

الجيل - بيروت.

٣٥- الجامع الصغير للإمام السيوطي: منشورات دار الفكر، بيروت.

٣٦- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، منشورات دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٧- جوامع الجامع: للشيخ الطبرسي، منشورات جامعة طهران، إيران - طهران.

٣٨- الخرائج والجرائح: لقطب الدين الراوندي، منشورات مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام

إيران - قم.

٣٩- الخصال: للشيخ الصدوق، نشر جماعة المدرسين، إيران - قم.

٤٠- الدر المنثور: للإمام السيوطي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي،

إيران - قم.

٤١- ديوان الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام، منشورات الشريف الرضي - قم.

٤٢- الذريعة: للشيخ آغا بزرگ الطهراني، منشورات دار الأضواء، بيروت.

٤٣- روضة الواعظين: للفتال النيسابوري، منشورات الرضي، إيران - قم.

٤٤- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: للمحدث الشيخ عباس القمي، دار الاسوة

للطباعة والنشر، إيران - قم.

٤٥- سنن أبي داود: لأبي داود السجستاني، منشورات دار إحياء السنّة النبويّة.

٤٦- سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سورة، منشورات دار الفكر - بيروت.

- ٤٧- سنن النسائي: لأحمد بن شعيب النسائي، منشورات دار المعرفة، بيروت.
- ٤٨- شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران - طهران.
- ٤٩- الصحاح: لإسماعيل بن حماد الجوهري، منشورات دار العلم للملايين، بيروت.
- ٥٠- صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري، منشورات دار إحياء التراث العربي، لبنان - بيروت.
- ٥١- الصحيفة الكاملة السجادية: لزين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ٥٢- عدة الاصول: للشيخ الطوسي، منشورات مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، إيران.
- ٥٣- علل الشرائع: للشيخ الصدوق، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٤- عوالي اللآلي العزيزية: لابن أبي جهور، منشورات العراقي - إيران.
- ٥٥- عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق، منشورات جهان، إيران - طهران.
- ٥٦- كتاب الغيبة: للشيخ الطوسي، منشورات مكتبة بصيرتي، إيران - قم.
- ٥٧- كتاب الفهرست للنديم: لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بالنديم.
- ٥٨- القاموس المحيط: للشيخ الفيروز آبادي، منشورات دار المعرفة، بيروت.
- ٥٩- الكافي: للشيخ الكليني، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ٦٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: منشورات أدب الحوزة، إيران.
- ٦١- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: للعلامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي فتح الإربلي، منشورات دار الكتاب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ٦٢- كمال الدين وتمام النعمة: للشيخ الصدوق، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم.
- ٦٣- كنز العمال: للعلامة علي التقي الهندي، منشورات مؤسسة الرسالة، لبنان.
- ٦٤- لسان العرب: لابن منظور، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٦٥- مجازات النبوة: للشريف الرضي، منشورات مكتبة البصري، إيران - قم.
- ٦٦- مجمع البحرين: للشيخ الطريحي، منشورات المكتبة المرتضوية، إيران - قم.
- ٦٧- مجمع البيان: للشيخ الطبرسي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٦٨- المجموع شرح المذهب: للإمام النوري، منشورات دار الفكر - بيروت.
- ٦٩- محجة البيضاء: للفيض الكاشاني، منشورات جماعة العلماء بقم، إيران - قم.
- ٧٠- المحاسن: لأحمد بن محمد بن خالد البرقي، منشورات المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، إيران - قم.
- ٧١- مستدرك وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، إيران - قم.
- ٧٢- مصابيح السنة: لحسين بن مسعود الفراء البغوي، منشورات دار المعرفة بيروت.
- ٧٣- مصباح الشريعة: للإمام الصادق عليه السلام، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- ٧٤- مصباح المتهجد وسلاح المستبعد: للشيخ الطوسي، منشورات إسماعيل الأنصاري، إيران.
- ٧٥- المصباح المنير: للفيومي، منشورات دار الهجرة، إيران - قم.
- ٧٦- معاني الأخبار: للشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، إيران - قم.
- ٧٧- معجم البلدان: للشيخ الحموي الرومي البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٨- مفاتيح الغيب: لصدر الدين الشيرازي، منشورات مركز الثقافي، إيران.
- ٧٩- مناقب آل أبي طالب: لأبي جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، منشورات مؤسسة انتشارات علامة، إيران - قم.
- ٨٠- من لا يحضره الفقيه: للشيخ الصدوق، منشورات دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران.
- ٨١- الميزان في تفسير القرآن: للعلامة الطباطبائي، منشورات إسماعيليان، إيران - قم.

- ٨٢- نور الثقلين: للعلامة الحويزي، منشورات دار الكتب العلمية إسماعيليان، إيران - قم.
- ٨٣- النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، منشورات المكتبة الإسلامية، بيروت.
- ٨٤- نهج البلاغة: للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق صبحي صالح، منشورات دار الهجرة، إيران - قم.
- ٨٥- الوافي: للفيض الكاشاني، منشورات مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام، اصفهان - إيران.
- ٨٦- وسائل الشيعة: للشيخ الحر العاملي، منشورات المكتبة الإسلامية، إيران - طهران.